كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الثالث : الجزء الثالث عشر

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

إبراهيم شبوح

حسن حافظي علوي

نفيسة الذهبي

تونس 2012

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الثالث، الجزء الثالث عشر

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

إبراهيم شبوح   حسن حافظي علوي

نفيسة الذهبي

تونس 2012

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

يصدر كتاب العبر في الذكرى المئوية السابعة لولادة نابغة تونس

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

732 هـ - 1432 هـ

درس أصوله الخطية، وأعدها، ويشرف عليه

إبراهيم شبوح

نشر: القيروان للنشر

ص. ب 115 - المنار الثاني - تونس 2092 الجمهورية التونسية

الترقيم الدولي: ISBN 978-9973-896-14-8

جميع الحقوق محفوظة لدار القيروان للنشر

تونس 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

تقديم

يكوّن هذا الجزءُ الثالث عشر حلَقةً من حلَقات الكتاب الثّالث للعِبر، وقد خَصّص قسْمَه الأوّلَ للطّبقة الرّابعة من العَرب الذين سَمّاهم العرَب المستَعْجمة، وفصّل الحديثَ عنهم أُصولاً ومَواطنَ وتفرُّعًا وقبائلَ متماسكة. وعن البَرْبر بقسْميهم:

- البُتْر: الذين من شُعوبهم، نَفُوسَة ونَفْزاوة ولَواتَة ومَظْغَرة وجزِية ومَطْماطَة، ومن بطونهم: ضَريسة وزَوارَة وزَواغَة ومِكْناسة الذين منهم بنو وَاسول.
- البرانِس: الذين منهم، هَوّارَة وأزْداجَة، وعجيسَة وكُتامة وسَنْويكش وزوَاوَة.

ثم قدّم القبائلَ الكبرى التي حكَمت وكان لها شأن، فعرض الحديثَ مفصّلا عن صِنْهاجة، ودُوَلها وما تمرّسوا به من الحُكْم والسّلطان في إفريقيّة، ثم رتّبهم على طبقاتٍ:

الطبقَة الأولى وفيها دولةُ آل زيري بن مَناد، بدأت لما أخذ المُعِزّ بن المنصور الفاطمي (العُبَيدي) في الرّحلة إلى مصْر: ونظر فيمن يولّيه أمر إفريقيّة والمغرب ممّن له الغَناء والاضْطلاع وبه الوُثوق من صِدْق التّشيُّع ورُسوخ القَدم في وَلاية الدّولة، فعثَر اختيارُه على بُلُكّين بن زيري بن مَناد"[1]. وعن دَوْلة بني حمّاد في القَلْعة. ودَوْلة بني حَبوس بن ماكسن بن زيري بن عطيّة في غَرْناطة.

الطبقَة الثّانية منهم وهم الملَثّمون المرابِطون وبَقيّتُهم بنو غانِية.

الطبقَة الثّالثة الذين ليس لهم مُلْك، وهم موطّنون في الجانب الشّرقي من جبال دَرَن، وبطونٌ أخرى بجبال تازَى، وقبائل أخرى موطّنون في هِضاب وأودية وبسائط ومواطِنُهم وَرْغَة، ويَحْترفون الحِياكَة والحِراثَة، ويُعرفون بصِنْهاجة البَزّ، ولغتُهم في الأكْثر عربيّة[2]، وفي جَبل شَريف المتّصل بجبال غُمارة بنو زَرْوال وبنو مَعان لا يَحْترفون

(1) العبر 11: 347

(2) المصدر نفسه 11: 478

بمعاش، ويُسَمّون صِنْهاجَة العِزّ، وعلى ساحل البَحْر المحيط بناحية آزمور قبيلةٌ منهم يُسَمّونها صِنهاجة الرّز[1].

وخصّ المصامدَة بقسْم من الكتاب على اعْتبار أنّهم أكْثرُ قبائل البربر، ومن بطونهم برَغْواطة وهم الجيل الأوّلُ منهم. وكان لهم في صدر الإسلام التقدُّم والكثرة، وكانوا شُعوبًا كثيرة مفْترِقين، وكانت مواطِنُهم خصوصًا من بين المصامدة في بَسائط تامَسْنا وريف البحر المحيط من بلاد آزمور وأنفا وأسفي.[2] ثمّ غُمارَة ومنهم حاميم المتنبّيّ. ثم هِنتاتَة التي منها الدّول الكبيرة، دولة المهدي ودولةُ بني عبد المؤمن، ودولةُ بني أبِي حَفْص التي توسّع في أخبارها وفصّل القول.

ومن شعوب وبطون مَضْمودة مِمّن بقي من قَبائل الموحّدين بجبال دَرَن: هزرْغَة، وهِنْتاتة وتِينْمَلّلْ وكذْمِيوَة و وريكة وسكْسيوة ودكّالة وهيلانة وحاحة وكَنفيسة وركراكة وكلاوة. وخصّ بني أبي حفص ودَوْلتهم في إفريقيّة بقسم كبير أرّخ فيه لدولتهم ووقائِعهم وعَلاقتهم بمن حَوْلهم. وقد استَوْعبنا كلّ ذلك في تقديمنا للجزء الثاني عشر.

* * *

لقد أقامَ ابنُ خَلْدون خُطّتَه في هذا الجزء الثالث عشر - كما صَنَع في سابِقَيْه - على تَصوّره الشامل لحدود مَوْضوعه المرتكز على التّجميع والتّحليل والتّقسيم والتّوزيع والرّبْط بين الموادّ المتقطعة التي أصبحَت بين يديه.

كانت زَناتَةُ القبيلةُ الكبرى بين قبائل البَرْبر التي انتَشرت ببطونها وشُعوبها في المغربين الأوْسط والأقصى.

(1) بمعنى الجزّ، من جزّ الصوف، أي أنهم من أهل الشاء.

(2) العبر 11: 480

وقد بنى هذا الجزء على أخبارها وما تعاقب فيها من الدول القديمة والحادثة، وجدّد النقاش في أصل التسمة وفي نسبهم، وما ذكرهُ القُدماءُ كابن حَزم وابن قُتيبة، وعارضَ ذلك بما يَراه نَسّابة زناتة، ويتعارض مع ما اعتمده ابنُ عَبْد البَرّ وابنُ حَزم.

وتحدّث عن شُعوب زَناتة وبُطونها المتعدّدة ولخص الكلام فيها " بما لا يوجد في كتاب"[1] كما يقول، وأن نَسّابتهم اتّفقوا على أن بطونَهم كلّها ترجعُ إلى ثلاثة من ولد جَانا: وَرْسيك وفَريني والدِّيدَات، وعدّد أسماء أوْلادهم مقابلاً ذلك مع ما أوْرده ابنُ حزم في الجَمْهرة.

وكان يَحْتكم فيما يُعدّه من أسماء القبائل الأمازيغيّة إلى مؤرّخي البربر الذين اعْتمدهم - في بداية حَديثه - عن أنسابهم، مثل: سابق بن سليمان المَطْماطي، وهاني ابن مَصْدور الكومي، وكَهْلان بن أبي لَوى، بما هو مَسْطورٌ في كُتبهم التي لم تصِلْنا. واستَقْصى في هذا المدخل كلَّ ما قيل عن هذا النّسب. وتَطرّق لأوّلية هذا الجيل وطَبقاته، وأنّه جيلٌ قديمٌ قِدَم البَرْبر في إفريقيّة والمغرب، وشُعوبُهم أكثرُ من أن تُحصى، مثل مَغْراوة وبَني يَفْرَن وجَراوة، وتوجّين وبني عبد الواد، ولكل شَعْب بطونٌ متعدّدة. ومواطنُ هذا الجيل ممتَدّةٌ من طَرابُلس إلى وادي مَلْوية، وكانت الرّئاسة فيهم قبل الاسلام لجَراوة ثمّ لمَغْراوة وبَني يَفْرَن.

ويشير إلى إنّه لا تتوفّر له بياناتٌ عن أخبار تاريخ البربر مّما يرتفع إلى ما قبل الحضور الإسلامي إلى بلاد المغرب، عدَا ما وصل من أخبار الكاهِنة وقومِها جَرَاوة مّما هو مأثورٌ بين مؤرّخي الفتح الإسلامي لإفريقيّة، وبعض النتف القصيرة التي ردّدها بعض نَسّابة القبائل عن الأزمنة المبكرة، وكان نسّابة البربر يُزيّنون للقبائل نَسَبهم، يَشُدّون بذلك من تماسك عَصَبيّاتهم الفاعلة في التحامهم.

وكان ابنُ خلدون وهو يجْهَدُ لضبط ما اتصلَ به من سِيَرِ قبائل البربر بكثرتها الكاثرة، مستخدمًا ما أتيح له من البيانات المجتمعة عن أنسابهم ومواطنهم ووقائعهم، يدرك

(1) العبر 13: 11

أن عناية القوم بتاريخهم لم تعظم لاستيعاب وتسجيل أخبارهم، والسبب عنده: " أن اللّسان العربي كان غالبًا بغلَب دولة العرب، وأنّ الكتابة والخطّ كان بلغة الدّولة ولسان الملك، واللّسان العجمي مُسْتَتِرٌ بجناحه. ولم يكن لهذا الجيل من زَناتة في الأحْقاب القديمة مُلْكٌ يحمِلُ أهلَ الكتاب على العناية بتَقْييد أيّامهم وتدوين أخبارهم، ولم تكنْ مخالَطَةٌ بينهم وبين أهل الأرياف والحَضَر حتّى يَشْهدوا آثارَهم، لإبعادهم في القفار وتوحّشهم عن الانْقياد، فبقِيَتْ غُفْلاً إلى أن درس منها الكثير، ولم يصلْ إلينا منها - بعد مُلْكهم - إلاّ الشاردُ القليل. يتّبِعُه المؤرّخُ المضطلِعُ في مسالكه ويتقرّاه في شِعابه"[1].

ولما ملَكَ[2] الإفرنجةُ البيزنطيّون بلادَ البربر ودانوا لهم بدين النّصرانيّة، ونزلوا الأمصارَ بالسّواحل، كان زَناتةُ هؤلاء وسائرُ البَرْبر في ضَواحيهم يؤدّون لهم طاعةً مَعروفةً وخراجًا، ويعَسْكِرون معَهم في حُروبهم، ويَمْتَنعون عليهم في سوى ذلك.

وعندما جاء العربُ الأوائل المسْلِمون، ظاهرَتْ زَناتةُ والبربرُ جرجيرَ في سُبَيْطلة على شأنهم مع المسْلمين، فلمّا قُتِل جرجيرُ وفُتِحت سُبَيْطلة أصبَحت أموالُهم مَغانمَ، وظنّ البربرُ بأنفسهم مُقاومةَ العرب، فأجْمعوا وتمسّكوا بحُصون الجبال، واجتَمعتْ زَناتةُ إلى الكاهِنة وقومِها جَراوة بجبل أوْراس، وكان ما هو مذكورٌ في حَوْليّات التاريخ.

وعقدَ فصلاً في مَبْنى تسمية زَناتة، عرضَ فيه الأقْوال في ذلك، وعقّب بمدخل قرّر فيه " أنّ العربَ وَضَعت لكلّ شيءٍ ما تستَعْمِلُه لأوْضاعها التي من لُغَتها ارْتجالاً واشْتقاقًا، واستَعْملت كثيرًا من غير لُغَتها، إمّا لكَوْنه علَمًا فلا يُغيّر، مثل إبراهيم ويوسف من اللّغة العبْرانية، وأمّا اسْتغناءً وتَخْفيفًا لتَداوُله بين الألْسِنة، كاللّجام والدّيباج والياسَمين، فتغيَّر باسْتِعمال العَرب كأنّها هي من أوْضاعهم، ويُسمّونها المعَرّبة، وقد يُغيّرونَها بعضَ التّغيير في الحركات والحُروف، وهو شائعٌ لأنّه بمنزلة وَضْعٍ جديد، وقد

(1) العبر 13 : 125

(2) المصدر نفسه 13 : 15

يكون الحرفُ من الكلمة ليس من حُروف لُغتهم فيُبْدِلونَه بما يَقرب منه في المَخْرج، فإنّ مخارجَ الحُروف كثيرةٌ غيرُ مُنضبطةٍ، وإنّما تَنطق العربُ منها بالثمانية والعشرين حُروفِ أبجد، وبيْن كلّ مَخْرجَيْن منها حروفٌ أكثرُ من واحدٍ، فمنها ما نَطقَت به الأمم، ومنها ما لم تَنطِقْ به، ومنها ما نَطق به بَعْض العَرب كما هو مذكورٌ في كُتب أهل اللّسان" [1].

وإذا تقرّر ذلك، فإنّ " أصلَ هذه اللّفظة التي هي "زَناتة "، هي صيغة "جَانا" التي هي اسمُ أبِ الجيل كلّه، وهو جَانا بن يحيى المذكور في نَسبهم. وهم إذا أرادوا الجنْسَ في لُغتهم ألْحقوا بالاسْم المفرد تاءً، فقالوا جَانات، وإذا أرادوا التّعميم زَادوا مع التّاء نونًا، فَصار إيجْانائنْ. ونُطْقُهم لهذه الجيم ليس من مَخرج الجيم عند العَرب، بل يَنْطِقون بها بين الجيم والشّين، وأميلَ إلى الشّين، ويقرعُ السّمعَ منها بَعضُ الصّفير، فأبدلوها زايًا مَحْضَةً لاتّصال مَخرج الزّاي بالشّين، فصارَت زاياهُ لَفظًا مُفردًا دالاً على الجنْس، ثم ألْحقوا به هاءَ النّسب، وحَذفوا الألف الأولى التي بعدَ الزّاي تخفيفًا لكثْرة دَورانه"[2].

وكما كان البحث والتّأصيلُ اللغوي عند ابن خلدون مكينًا في مناقشة مختلف الأقوال عن أصل التّسمية والخروج بتعليل راجح، كان كذلك ناقدًا بَصيرًا في جوانب من نَسَبهم ونَسب شُعوبهم، فعند حديثه عن أبي قُرّة من يَفْرَن الذي كان رئيسَهم مُدّة انتقال الخلافة إلى بني العباس، يقول: " إنّ بعض المؤرّخين ينسب أبا قُرّة هنا إلى مَغيلَة، ولم أظفر بصحيحٍ في ذلك، والقرائنُ مُتساويةٌ من الجانبين، فإنّ نواحي تِلمسان وإن كانت موطنًا لبني يَفْرَن، فهي أيضًا موطنٌ لمغيلة، والقبيلتان متجاورتان"[3].

وتتصدّر الكاهنةُ حديثَه[4] عن شعوب زَناتة، فهي من مَغيلة، وكان قومُها كما يقول " في قوةٍ وكثْرة وعَديد وجُموع، وكانوا يُعطون للإفرنْجة طاعَتَهم، وعليهم مظاهرتهم

(1) العبر 13: 13

(2) المصدر نفسه 13 : 14

(3) المصدر نفسه 13: 25

(4) المصدر نفسه 13: 16

مما اختاجوا إليها، ويذكر عنها وعن قوّمها في مقاومة المسلمين الأوائل ما هو معروف"[1]، ويُسْنِدُ بعض الإفادات عنها للنسّابة هاني بن بكور الضّريسي.

ويصنّف زَناتة إلى طبقتيْن، يَعُدُّ في الأولى بني يفْرَن الذين كانوا من أوسع بُطون زَناتة، وكانوا لعَهْد الفتح أكبرَ قبائلهم وأشدّهم شوكةً، انتحلوا مذاهب الخارجية من صُفْرِيّة وإباضية وقاتلوا عليها، وظهر فيهم أبو قُرّة الذي يقول عنه ابن خلدون أنّه " لا يعرفُ من نسبه أكثر من أنّه منهم"[2] وكان خارجيًا رَأس قومَه عند انتفاضتهم بنواحي تلمسان سنة 148 هـ / 765 م فواجَهَهُ ابنُ الأشعث بجيش عليه الأغلبُ بن سَوادة التّميمي ألجأه إلى المغرب الأقصى. وشارك أبو قُرّة هذا في حِصار والي إفريقيّة للعبّاسيّين عمر بن حَفص بن أبي صُفْرة (هزارمَرْد) مرّتين، ثم اسْتكان واستقام وقَوْمُه عندما استَلْحَمهم والي إفريقية يزيدُ بن حاتم وفرّق كلمتَهم.

وانتقض بنو يفْرَن بعدها بقيادة أبي يَزيد مَخْلد بن كَيْداد الّذي كان نكاريًا،[3] ثار على الفاطميّين أيامَ القائم ثاني خُلفائهم، ولاقى مصرعَه على يد ابنه المنصور. وقد طالت حُروبه التي أربَكت الاستقرار في إفريقيّة، وكان يلقى المناصَرةَ الأمويّة من عبد الرحمن النّاصر الّذي سكّ له النقودَ وناصره. وظلّ التّجاذب السّياسي بعد ذلك قائمًا بين أمويّي الأندَلُس وشيعةِ إفريقيّة، بين محورَيْ قُرطبة والقَيْروان، تتردّد فيه القبائل البربرية بين الولاء والمُواجَهة والانتقاض، وتتوالى البعوثُ العسكرية الفاطميّة نحو المغرب لإنْهاء التمرّد وإعادة الارتباط بتجْديد الوُلاة وإخْضاع القبائل.

في القرن الرابع الهجري " خطبَ عبدُ الرحمن الناصر الطاعةَ من زَناتة أهلِ العُدْوة واستألف مُلوكَهم، وسارعَ يَعْلى بن محمد بن خَزَر بإجابته"[4]. وبدأ يُغيرُ على ما حَوْله، وَهْرانَ وتاهَرْت. واستَفْحل أمرُ يَعْلى هذا في ناحية المغرب، وخطَب على مَنابرها لعبد الرحمن النّاصر، وكبُرَ سلطانُ يَعْلى حتّى بعثَ إليه المعزُّ الفاطمي قائدَه جوهرَ

(1) العبر 13 : 16

(2) المصدر نفسه 13 : 24

(3) المصدر نفسه 13: 26

(4) المصدر نفسه 13: 35

الصّقليّ، فبادرَ يَعْلى إلى لقائه " وأعلن طاعَته ونبَذَ عَهْد الأمويّة "[1]. وانتهى غدرًا على يَد رجالات كُتامَة وصِنْهاجة، وخرّب جوهرٌ مدينةَ إيفْكان وفرّت زناتة أمامه.

ولم توقف حملةُ جوهر هذه تيّارَ التمدّد الأموي الذي بقي مزاحمًا للفاطميين باستمالة القبائل الكبيرة من زناتة خاصّة وتجْييشهم في مواجهة أعدائهم الشيعة، وقدّم ابنُ خلدون أخبارًا مفصّلةً عن تلك الحِقْبة، وعن يَدّو ابن يَعْلى الذي كان كثيرَ الاضطراب على الأمويّة والمُرَاوَغة لهم بالطاعة، وعن زيري بن عَطيّة، وتَضْريب المنصور بن أبي عامر بَيْنهما. وتابع ابنُ خلدون استقصاء بَيان التصارع المستمرّ، وهو يُدرك أنّ حركةَ تلك المجتمعات القبليّة قائمةٌ على التّدافع المُتتابع بُغيةَ التمكّن والشّغوف وإثبات الذات وتأكيد العصبيّة التي ظلّت المحرّكَ الأكبر والدافعَ وراء كلّ ما حقّقته وأسّسته القبائلُ من دُولٍ في أقاليم المغرب الإسلامي.

ومن قبائل زناتة الكُبْرى قبيلةُ مَغْراوة التي عَدّها من الطّبقة الأولى ومن أوْسع بُطونهم ومن أهل البأس والغَلَب، وموطنُهم المغربُ الأوْسط، من شَلَف إلى تِلِمْسان إلى جبل مَدْيونة. وكان لهم في بَدْوهم مُلْكٌ كبيرٌ أدركَهم عليه الإسلام فأقرّه لهم. ويذكر أن أميرهم صولات بن وَزْمار وَفَدَ على أمير المؤمنين عثمان بن عفّان في المدينة، فعقَد له على قومه ووَطنِه، وقام ابنُه خزر بعده، " ولما تقلّص ظلُّ الخلافة عن المغرب الأقصى وأظلّته فِتْنة مَيْسرة المظغري، اعتزّ خزرُ وقومهُ على أُمراء المُضَريّة بالقَيْروان "[2].

وانضمّ ابنُه محمد بن خَزَر إلى الأدارِسَة، وبايع له عن قَوْمه وأمْكنه من تلِمْسان. وكان الصّراع بعد ذلك سِجالاً بين أهل المغرب ومَصالةَ بنِ حَبوس قائد عساكر كُتامَة. ولاحَقَهم أبو القاسم القائمُ حتّى سِجِلْماسة.

وقد تابع ابنُ خلدون صِياغةَ سيرة مَغْراوة العسْكرية والتّدافعَ المتتابعَ مع الدّولة الفاطميّة والانْجنابَ نحو قُرْطبة التي لم تَفْتأ تتدخّل لتثبيت قَدَمها في أرض العُدْوة. وبموت النّاصر المَرْواني عادَت دَعْوةُ الشّيعة إلى الانتشار، وانْقبض أولياءُ الأمويّة إلى أعمال

(1) العبر 13 : 36

(2) المصدر نفسه 13 : 51

سَبْتة وطَنْجة، حتّى جدّد من طاقاتِهم الحَكَمُ المستنصرُ، ولم يُجْدِ ذلك نفعًا إذِ انهزم ابنُ خزَر أمام بُلُكّين بن زيري الصِنهاجي وذَبح نفسَه. وتتالَت بعد ذلك الحروبُ والدّسائس وقيامُ القُوى الجديدة، واتّبع بُلُكّين أثر الخَيْر بن محمد وقومِه إلى سجلْماسة وفضّ جموعَهم ولاحق فُلولَهم، فأقفر المغربُ الأوسطُ وارتحلت زناتةُ إلى ما وراء مَلْويّة من المغرب الأقصى، وانتشرت صِنْهاجةُ في كلّ مَواطنهم.

وجاء زيري بن عطيّة أميرُ آل خَزَر في وَقْته ووارثُ مُلكِهم البَدْوي، وهو الذي مَهّد الدولةَ بفاس والمغربِ الأقصى وأوْرَثها بَنيه إلى عهد لَمْتونة[1]، واستطاع أن يَجْمع مغراوةَ إلى بقيّة آل خَزَر، وأن يَستَصْرِخَ المنصورَ بن أبي عامر لمواجهة حرب بُلُكّين ابن زيري. وتابع ابنُ خَلْدون تفاصيلَ هذه المسيرة المُتَدافِعة مع ما يَتداخل معَها من أحداثٍ تجيءُ من خارج رُقْعة الصّراع، من قُرْطبة والقَيْروان وما بَيْنهما من تَناحُرٍ داخليّ بين أبناء القبائل نَفْسها.

وظهر من أُمراء مَغْراوة وأعيان بَني خَزَر بنو خَزْرون بن فَلْفول الذّين قاموا بأمر سِجِلْماسة بعد افتكاكها من بني مِدْرار، وبقيَ الأمرُ حتّى ظهور عبد الله بن ياسين الذي اجتمع إليه المرابطون من لَمْتونة ومَسّوفة وسائرِ الملثّمين، واصطدَم معهم في سِجِلْماسة واصْطَلَم أبناء وانودين وبقيّة مَغْراوة.

وتقدّم فَلْفول بن سَعيد من بني خَزْرون إلى نواحي قابِس وطَرابُلُس، فاجتَمع إليه مَنْ هنالك من زَناتة وملَك بهم طرَابُلس التي كانت من أعمال مِصْر، وأضافَها العزيز الفاطميّ بعد ذلك إلى بُلُكّين بن زيري، وبدأ إذّاك الصّراع على طرابلس، وقتلَتْ زُغْبةُ سعيد بن خَزْرون، فقَدِمَ خزْرونُ بن خليفة، ثم طردَه المنتصرُ بن خَزْرون. وفي نحو سنة 540 هـ / 1145 م اختَلّ مُلْك صِنْهاجة، ونزلَتْ بطرابُلُس مجاعةٌ أصابتْهم منها شِدّة، وهلك فيها النّاس وفَرّوا عنها، وفَنِيَت حاميتُها، فجهّز إليهم رُجّار صاحبُ صقليّة أسطولاً لحصارها بعد استيلائه على المهديّة وصفاقس، فملكها جُرْجي بن ميخائيل قائدُ الأسْطول وأخرج منها بني خَزْرون.

(1) العبر 13: 60

وعَرَض لأخبار بني يَعْلى مُلوك تِلِمْسان من آل خَزر، ولأربعة بُطونٍ من بُطون مَغْراوة: بني سَنْجاس وريغَة ولَغْواط وبني وَرًّا، ووَاصل الحديث عن هذه الطَّبقة الأولى بالخَبَر عن بني يَرْنِيَان إخوةِ مَغْراوة وبني يَفْرَن وبني وَجْديجَن وأوغْمُرت من قبائل زَناتَة، وبني وَارْكلا من بُطونها، وعن دَمَّر وبَطْنِها بَرْزال الذين كانوا على طاعة الشّيعة ومُوالاة جَعْفر بن علي بن حَمْدون صاحب المَسيلة والزّاب. ثمّ استعرض الخبَرَ عن بني وَمَانو وبني يَلومي من زَناتَة من الطّبقة الأولى أيضًا وكان لهم مُلْك وشأنٌ في المغرب الأوسط، ومن بُطونهم قبائلُ بني يالَدِس.

ومَهّد للحديث عن أخبار الطبقَة الثّانية " بأن انقراض الملّة من الطبقة الأولى من زناتة كان على يد صِنْهاجة والمرابطين، وأن عصبيّة أجْيالهم افترقت بانقراض مُلكهم ودُوَلهم، وبقيَ منهم بطونٌ لم يُمارسوا المُلكَ ولا أخْلَقهم تَرَفُه ... وغلبوا على بقايا الأجْيال الأولى من زَناتَة بعد أن كانوا مُغَلّبين لهم، فأصبحت لهم السّوْرَة والعزة .... فتطاولوا إلى الملك. وكان أكثرُ هذه الطبقة من بني وَاسين بن يصليتّن إخوةِ مَغْراوة وبني يَفْرَن، ومن بطون هذه الطّبقة بنو مَرينَ وهم أكثرُ عددًا وأقواهم سُلطانًا، وبنو عبد الواد تِلْوَهم في الكثْرة والقوّة، وبنو توجّين وهؤلاء هم أهلُ المُلك من هذه الطبقة"[1]. ومن غير أهل المُلْك بنو راشدٍ إخوةُ بني يادين[2].

هذا وإنّ الأخبارَ والإفاداتِ العُمْرانية والتاريخيّة أكبرُ من أن تُلَخّص ويُجْتزأ بيانُها المتماسك وأخبارها المعلّلة، وما نثَر فيها من فَوائدَ وحَقائق، فالأمرُ يقتضي أن تُلاحَق في مَوْقعها كما صاغَها وعرضَها كاملَة.

وقدم ابنُ خَلْدون شرحًا وافيا عن أحوال الطبقة الثانية قَبْل الملك، ثم أورد أخبارَ أولاد مَنْديل من هذه الطبقة وما أعادوا لقَوْمهم مَغْراوة من الملك بموطنهم الأوّل من شَلَف وما إليه من نَواحي المغرب الأوسط[3].

(1) العبر 13 : 120

(2) المصدر نفسه 13: 121

(3) انظره في المصدر نفسه 13 : 131

وفي هذه الطّبقة الثّانية من زناتة قدَّم - كما فعلَ مع بني حَفْص- سيرةً متّصلة بالأحداث والوقائع المفصَّلة عن دَوْلة بني عَبْد الواد بتلِمْسان وبلاد المغرب الأوسَط، بدأها بأنسابهم وبطونهم وشُعوبهم السّتّة المذكورة، بني ياتلين، وبني وَللّو وبني وزَصَطّف ومَصُوجَة وبني تومَرْت وإيتْ القاسِم. ثم أورد بطونَ كل شَعْب مذكور، وقدّم التاريخَ السّياسي والعَسْكري للدّوْلة، وتحدّث مُطَوّلا عن مدينة تلِمْسان وما تأدّى من أحْوالها من لَدُن الفَتْح إلى قيام سُلطان بني عبد الواد. وفي عَرْضه لسيرتهم تطرّق للنزاع والتّخاصم مع أجْوارهم بني مرينَ والموحّدين والحفصيّين وغيرهم.

وفَصّل القولَ عن قساوة ما لاقوه في تلمسان من الحصار الطويل، وعن حُروبهم مع مَغْراوة، وعمّا هدّد ملْكَهم من الفِتَن والتحدّيات المرينيّة التي تتردّد عليهم بالحرب والحصار. وفي أثناء تلك الأحداث الكبرى بين الدّول يُبْرز ابنُ خلدون مهامّ القبائل العربيّة، زُغْبة ورياحٍ وسُوَيْد والذّواودة والأثبج وحُصَين في تلك النّزاعات بين مَراكز القُوى البربرية ودُوَلهم.

ويوردُ في آخر حديثه عن دولة بني عبد الواد وأخبارهم سِيَرًا لقبائلَ بربريّةٍ ذات شأن وتأثير وعلاقةٍ بأحْداث البُلْدان والدّول، وهم في الأصل من زَناتَة الثّانية من بني عبد الواد المتحيّزين على بني مرينَ مُذْ أوّل الدّولة، وهم بنو كَمِي. وبأخبارهم ينْهي الحديث عن دولتهم.

وفي أثناء الحركة المتلاطمة لهذه الدّولة العبد الواديّة أثبت في ثنايا أحداثها بحزن مكتوم ما لاقى أخوه الكاتب المؤرّخ أبو زكرياء يحيى بن خَلْدون، فقص من خبره " أن السلطان أبا حَمّو دعا عبدَ الرحمن بن خلدون وهو مقيم بِبِسْكرة إلى ولاية حِجابته وكُتّابه، وكتب له عهدًا بذلك بخطّه وصل إليه مع قريبٍ له، فبعث أخاه يحيى ينوب عنه في الوَظائف ببابه، فأقامه فيها.

وحدثت منافسة بين أولاد أبي حَمّو، إذ كان أبو تاشفين كبيرُ أبنائه ووَليُّ عهده طلب لنفسه ولايةَ وَهْران التي وَلاّها السلطانُ أبو حَمّو لابنه أبي زيّان، فأسعفَه ظاهِرًا وعهِد إلى كاتبه يحيى بنِ خلدون بمُماطَلته في كِتابها حتّى يرى المخْلَص من ذلك، فأقام

الكاتب يُطاوله. وكان في الدّولة رجلٌ من سَفِلَة الشُّرَط، تقرّب إلى السلطان وإلى ابنه أبي تاشفين وأصبح أثيرًا مُقرّبًا ومن خاصّة البطانة، واستخلصه أبو تاشفين واتّخذه عَيْنًا على أبيه، وكان هذا الشرطيّ يَغَصّ بابن خلدون ويَغارُ من تقدّمه، فدسّ إلى أبي تاشفين أنّ الكاتِب إنّما مَطَلَهُ بالكتاب خِدمةً لأبي زيّان أخيه وإيثارًا له عليه، فاستَشاط أبو تاشفين لها وترَصّده مُنصَرفَه من القصر إلى بَيْته بعد التّراويح في رهطٍ من الأوغاد، فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتّى سقط عن دابته ميّتًا. و علِمَ السلطان صبيحةَ الغد فبثّ الطّلبَ عن أولئك الرّهط في جوانب المدينة، ثم بلَغه أنّ ابنه أبا تاشفين صاحبُ الفَعْلة، فأغضَى وطوَى عليها جَوانحه"[1].

وأورد المؤلّف بعد حديثه عن بني عبد الواد وأخبارِهم خبرَ بني راشدٍ[2] الذين اختصّوا ببني عبد الواد، وكان مَوطنهم بالصّحراء بالجبل المعروف براشدٍ اسمِ أبيهم، وهو أخو يادين، ولاحَقَ ابنُ خلدون تنقّلَهم وتَدافُعَهم بالحرب على بسائط مديونة وبني وَزينَنْ من بطون دَمَّر واستَوْطَنوا جبلَهم المعروفَ بهم وهو بلَدُ بني يَفْرَن الذين كانوا ملوكَ تلِمْسان لأوّل الإسلام.

وعلى نَسق أسلوبه في الاستقصاء وتدقيق الأحداث وتَتابعها والتلميح أو التصريح بدوافعها ومواقعها، فَصّلَ الحديث مطوّلاً عن بني توجّين[3] من شعوب بني يادين من أهل الطّبقة الثّانية من زَناتَة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الأوسط، يذكر " أنّ مواطنهم كانت جِفَافِيْ وادي شَلَف قبلة جبل وانْشَريس ومَطْماطة، ثم صارت أرض السَّرْسُو لبني تُوجّين هؤلاء واستضافوها إلى مواطنهم الأولَى"[4]. ثم تَتَبّع رؤساءهم وحروبَهم مع آل حمّاد ملوك القلعة من صِنْهاجة، وتحدّث عن بُطونهم، وعن استجابَتهم لدعْوة المستَنْصر الحفصي لما نزل النّصارى الإفرنْجَةُ بساحل تونس سنة 668 هـ / 1270 م إذْ خَفّ من بينهم محمد بن عبد القويّ في قومه ومن احْتَشد من أهل

(1) العبر 13 : 277 -

(2) المصدر نفسه 13: 300

(3) المصدر نفسه 13: 303

(4) المصدر نفسه 13: 303

وَطنه، وأبلى في جهاد العدُوّ أحسنَ البَلاء، وبقِيَ على وَلائه وتعلُّقه وطاعته لبني حَفص، مُستَظهِرًا على عدوّهم[1].

وأفرد فصلاً لأخبار " بني سَلامَة أصحاب قلْعَة تاوَغْزُوت ورُؤساء بني يَدْلَلْتَن الذين هم من شعوب بني توجِّين، ولمّا دخلوا إلى التّلول بعد انقراض بني يَلُومي وبني وَماتُو نزل بنو قاضي منهم وبنو مادون بأرض مَنْدَاس فأوْطَنوها، وجاء بنو يدلّلْتَن على إثرهم فأوْطنوا الجَعْبَات وتاوغَزُوت ورئاستُهم يومئذٍ لنَصْر بن سلطان بن عيسى، وتداول أمرَهم بَعْده ابنُه مَناد، ثم أخوه علي، ثم ابنه إبراهيم بن علي، ثم أخوه سلامة بن علي، فاختطّ القلعةَ بتاوغَزُوت المنسوبةَ إليه وإلى بَنيه، وكانت من قبلُ رباطًا لبعض المنقطعين من عَرب سُوَيْد. ويَزْعُم بنو سلامة أنّهم دُخلاءُ في نَسب توجِّين وأنّهم من عَرب بني سُلَيم بن منصور، جاء جدّهم عيسى أو سلطانٌ نازعًا عن قومه لدمٍ أصابَهُ فيهم، لحاطه شيخ يَدْلَلْتَن بنفسه وكفل بَنيه، فكانت له سببًا في رئاسته"[2].

وتقلّبت الأحوالُ بعد سلامة بن عليّ، واستَغلظ بنو عبد الواد على بني توجِّين، وتردّد عثمانُ بن يَغَمْراسِن إلى بلادهم بالعَيْث ومنازلة القلعة. ولمّا ملك السلطان أبو عنان بلادَ المغرب الأوسط، رعَى لونَزْمار وأخيه عَريف حقَّ انْحِياشهم إليه، فأقطع ونَزْمارَ القلْعَةَ وما إليها. وقد نزلها ابنُ خلدون وأقام فيها أربع سنين، وفيها كتب كتاب العُمْران " المقدمة " لكتاب العبر.

وختم هذا الجزء من الكتاب بالخبر عن بني يَزْناتَن[3] من قبائل توجِّين، فعَدّد رؤساءَهم وشيوخَهم ومُصاهراتِهم ومشاهيرَهم وأولادهم. وأنّ العربَ قد غلَبوا لعهده على وَطنهم ومَلكوا عليهم يَعُودَ وماحَنونَ، وبقيت صُبَابَتُهم بجبل وَزِينة، يُعطونَ المَغْرَمَ للسّلطان ويُصانعون العربَ بالإتاوة.

* * *

(1) العبر 13 : 308

(2) المصدر نفسه 13 : 318 -

(3) المصدر نفسه 13 : 322

وقد وثّق ابن خلدون وبتتبّعٍ ومُتابعةٍ أصولَ العَناصر المكونة للمجتمعات البشرية في كلّ المغرب، وحدَّد مَجالها بدءًا من برقة إلى المحيط غربًا، وقرّر أنّها في الأصل كانت مجتمعاتٍ بربرية خالصةً، وأنّ الحضورَ العربي في أول الفتح كان ضئيلاً إذْ ترجع أكثر القبائل المسْهمة فيه إلى مواطنها بعد إنجاز مَهماتها في الحمْلَة، وبدأ هذا الحضور يتكاثف ويصنع بؤرَ ارتكازٍ ثابتة قوامُها العربُ ومن إليهم من جند خُراسان وغيرهم، وكانت القَيْروانُ هي قاعِدَة هذا التّجمع حيث يضعُ العربُ فيها أثقالَهم. وفي المغرب نشأت مع إدريس الأوّل مدينةُ فاس التي قامت على عَصبيّة الفِهْريّين حوله ممن شرّدهم وُلاةُ أبي جَعْفر المنصور من القَيْروان، وعلى سكّان الرّبَض الغربي لمدينة قُرْطبة الذين ثاروا على الحكَم بن هشام الأموي فأجْلاهم إلى خارج الأندلس.

ولم يكن هذا المستوى من الحضور العربي بحيث يؤثر على الاختلاط الواسع مع البَرْبر وإضعاف عَصبيّاتهم القبليّة المتينة، ولكنّه كان قويّ الأثر في نشر العقيدة الجديدة عقيدةِ الإسْلام التّي مرّت بأطوارٍ انتشرت فيها مذاهب الخارجيّة من صفْريّة وإباضيّة، ثمّ استقرّت الأحوالُ على مذْهب الدّوْلة، وتحوّل البربرُ إلى حُماةٍ للعقيدة الوافدة، فأوْرَبة ومَغيلة وصِدّينة وبنو يَفْرن ومَغْراوة هم الذين أجاروا إدريسَ الأوّل بعد نَجاته من وَقْعة فَخّ وقاموا بدَعْوته ودَعْوة بَنيه من بعده [1] في أهل المغرب من زَناتة، واقتطعوا موقعًا لدَوْلة الأدارسة في مَمالك بني العبّاس.

وفي القرن الخامس الهجري دخل عُنصر جديدٌ استطاع أن يتوغّل داخلَ المغرب وينتَشرَ بين قبائله ويجدَ لنَفْسه مواطنَ استقرارٍ، ويشترِكَ في تحرّكات دُوَله وحُروبهم ويمتزجَ ويؤثّر ويتأثّر، وينشر لُغَتَه التي هي لغةُ الدّين المشترك، وبعضَ تَقاليده في الحياة، هذا العنصرُ هو العرب المستَعْجمة [2] من بقيّة أهل الدّولة الإسلامية من العرب المُضَريّة، " الذين لم يكن المغرب لهم في الأيّام السّالفة بوطَن، وإنّما انتقل إليه في المائة الخامسة أفاريقُ من بني هلال وسُلَيم، اختلَطوا بالدّول هنالك" [3] وقد اقترن حضورهم

(1) العبر 13: 19

(2) العبر 13: 3

(3) المصدر نفسه 11: 8

لإفريقية بصَدمة عنيفة زلزلت الاستقرار، يذكر ابن خلدون" أنّ أمرَ إفريقية اضطَرب، وغلبوا صِنهاجة وزَناتة على ضواحي إفريقية والزّاب[1]،" وما كتبه عن هجْرتهم وعن بُطونهم وشُعوبهم يعدّ المصدر الشّامل المستَوْفي عنهم، إلى جانب القليل الذي كتبه ابنُ فَضْل الله العُمَريّ والتِجّاني.

وأضاف ابن خَلدون إلى هذين العنصرَيْن من مكوّنات المجتمعات المغربية عنصرًا جديدًا هو عنصر الأكراد الذي لم نقف على من خصّه ببيان وتابع حضورَهم .

وكان من خَبرهم أنه لما اكتسح هَلاَوُنْ (هولاكو) العراق وقتل المُعتَصمَ آخر خُلفاء بني العبّاس ببغداد، عَبَر الكثيرُ من الكُرْد نَهْر الفُرات فرارًا أمام الطّطَر الذين كانوا يدينون بالمجوسيّة، وصاروا في إيالة التّرك، فاستَنْكف أشرافُهم وبُيوتاتُهم من المُقام تحت سُلْطانهم، وأجاز منهم إلى المغرب عشيرتان يُعرفان ببني لُوَيْن وبني بابير فيمن إليهم من الأتْباع، ودخلوا المغربَ لآخر دولة الموحدّين ونَزلوا على المرتَضى بمرّاكش، فأحسن تلقّيهم وأسنَى لهم الجراية والإقْطاع، وأحلّهم المحلَّ الرفيعَ من الدّولة. ولمّا انتقضَ أمرُ الموحّدين صاروا إلى مملكة بني مَرينَ، ولحق بعضُهم بيَغمُراسِنَ بن زيّانَ العبد الوادي، ونَزَع البعضُ إلى المسْتَنْصر الحَفْصي صاحِب إفريقيّة.[2] وسمى ابن خلدون عددًا من رجالاتهم، وخص بالتّنويه منهم موسى بن عليّ بن حسن[3] الذّي اصْطَنعه وداخله بَنو عثمان بن يَغمُراسِنْ وخلَطوه بأنْفُسِهم، وعَقدوا له على العساكر، ومات مع السّلطان أبي تاشفين أثناء حِصار أبي الحسن المريني لتِلمْسان واقتحامه المدينة غِلابًا في 27 رمضان 737 هـ / 1337 م. وسَمّى من بَيْن أشهَر من بَقيَ منهم في إيالة بَني مرين، بني محمود وبني بوصة.

وقد اندمجت هاتان القَبيلتان المهاجرتان بنو لُوَين وبنو بابير بين شعوب البربر والعرب، ثم انقطع ذكرهما، ولم يُؤثر شيءٌ عنهما وعن أثرهما، عدا ما ذُكر عن طريقة تسلّحهم في الحرب بالقسيّ ونضالهم بالسهام.

* * *

(1) العبر 11: 38
(2) المصدر نفسه 13: 223
(3) المصدر نفسه 13: 224

وكان ابنُ خلدون وهو يضع سِيَرَ هذه القبائل البربرية الكبرى وتفرّعها إلى بطون وشعوب لا يُغفِلُ التنصيص عن الحركات والتجمعات العربيّة التي عاصرتها واختلطت بها وكان لها حضورٌ وأثرٌ، ويضعُ ذلك في مَوْضعه الذي يتوحّدُ فيه سياقُ التاريخ مع ما يتناوله من أحوال البَرْبر، فكتب عن بني صَالح في نَكُور، وعن دَوْلَة الأدارسة في غُمارة، ودَوْلَة بني حَمّود في سَبْتة وطَنْجة، وعن الدويلات المتمرّدة التي ظهرت أواخِرَ حُكم صِنهاجة لإفريقية: بني يَمْلول في توزَر، وبني العابد بقَفْصة، وبني الخلف بنفْطة، وبني أبي مَنيع بالحامّة، وبني مَكّي بقابس، وبني ثابت بطرابلس. ولم يغفل إدْراجَ الثوّار المُنْتَزين على آل باديس عند اضطراب إفريقيّة بالعَرب، منهم : عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خُراسان الصِّنهاجي، والذي قَطَع مدينةَ تونس عن مُلك المعزّ بن باديس. وَاستقلّ بقَفْصة أحد عُمّال صِنهاجة هو عبد الله بن محمد بن الرّنْد، وأصلُه من جربة من بني صدْغِيان. وانفرد بقابِس بنو مِكّنّ بن جامع، من دُهْمان إحدى بُطون رياح. وحَكَم صفاقس حَمّو بن مليل، وحدّثته نفسه بالتغلّب على المهدية، واستطاع تميمُ بن المعزّ أن يستَرِدَّ صفاقس، وخرجَ حَمُّو إلى مِكّنّ بن جامع مستجيرًا به. وفي بِنْزرت ثار الوَرْدُ اللّخمي بمن تجَمّعَ إليه، وقام بأمر المدينة وتسمّى بالأمير، وحمى حوزته من العرب، واصطنع الرّجال وعَظُم سلطانُه ومدَحه الشعراء.[1] وامتنع بطَبَرْبة وحصَن قلعتها مُدافِع بن عَلاّن القَيْسي واستبدَّ في جُمْلةٍ من وَلَده وَبني عمّه وجَماعته، ولاقى مواجهةً من ثائرٍ اسمه عليّ بن يَنْزون اللّخمي المقيمُ على وادي مَجردة . وثار بِهرون بن غَنّوش بدَخْون وأقام حِصنًا حول الحنايا المتّصلة بزغوان في موقع غيرِ مُحدّد لنا، وجمع حولَه جيشا من غمار القبائل، ورَدّد بهم الغارةَ على تونس، ومات في جماتها. وقام حمّاد بن خليفة اللّخمي بمنزل رَقْطون من إقليم زغوان. وبقلعة شَقْبَنارِيَة قام عبّاد بن نصر الله الكلاعي وحولَه جندٌ حماها به من العَرب.

إنّ هذا التقصّي الشامل لحركة المجتمع في إفريقيّة خاصة وما فيه من اختلال واضطراب ولحقبة طويلة، لم يكن ليتّضحَ هذا الوضوح لولا النظرة الواسعة للمجال

(1) العبر 11: 378

وللعوامل المحركة فيه ولتدافع العناصر البشرية المتباينة التي لم تنصهر في المفاهيم الحضارية المشتركة التي أدركها ابن خلدون المؤرخ ولم يُغفلها.

وقد بقيَ هنا لتمزّق وما نشأ عنه من العَيْث والإفساد وإذاية السّابلة حتّى وصلَ عبد المؤمن بن عليّ إلى إفريقيّة.

• • •

ونقتطِف لهذا المدخل بعض الشّذرات المتّصلة بحياة ابن خلدون:

لقد بثَّ المؤلّف في مَواقع مختلفة من أجْزاء كتاب العِبَر شذراتٍ ولمحاتٍ عن حَياته السّياسيّة في المغرب، ونفاذ تأثيره في قَبائله، تُضيف أو تُوضِّحُ ما أوْجزه واستقرّ عليه في فَصْل "التعريف بنَفْسه".

• أثناء إقامته في خلْوته بالعُبّاد (قرب تلِمْسان) عند رباط أبي مَدْين، وكان وَقْتها منقطعًا عن شَواغل السّياسة، مُنْصرفًا للتّدريس، تلقّى دعوةَ السّلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني من تلِمْسان التي اسْتولى عليها وَقْتها، فآنسَه وقرّبه وعَهِد إليه أن يتقدّم أمامَه إلى بلاد رياحٍ ليوطّد أمْرَه ويَحْمِلَهم على مُناصَرته، ليشْفيَ نفسَه من عَدُوّه أبي حَمّو، ثقةً بما يعلَم من تأْثير ابن خَلْدون على رياحٍ وتَصْريفهم فيما يُريده من مَذاهب الطّاعة[1]. وخلَع عليه وحَمَلَه، وكتبَ إلى شُيوخ الذّواوِدة بالامتثال لأوامِره، وكتبَ إلى ابن مُزْني للمُساعدة على ذلك، وكان وَقْتها صاحبَ زمامِ رياحٍ، وأكْثرُ عَطائهم من السّلطان مُفْتَرض عليه في جِباية الزّاب، وهو مَرْجعُهم في أكْثر أمورهم، كان ذلك سنة 772 هـ / 1370 م. وكانت مغامرةً سياسيّة صعْبةً تكْشِف عن جانبٍ آخرَ من شخصيّة ابن خَلْدون، تردّد فيها بين المسيلَة وبِسْكرة وبلاد الدّيالم، وقبائل حُصَين والذّواوِدة، واسْتطاع بما صَنَعه وبما انضافَ له من جُهْد فَرج بن عيسى بن عريف الذي سَرّحَهُ السّلطان إلى حُصَينٍ لاقْتِضاء طاعَتِهم، وإفشال وشلّ حَركة أبي حَمّو وشيعَته

(1) التعريف 141

الخالصةِ بني عامر من زُغْبة، المنتمين إلى بني عَبْد الواد منذُ أوّل أمْرِهم. يقول[1] :

" وانتهَيْنا جميعًا إلى أبي زيانَ ففارقَه أولياؤه. ولَحِق بأولاد يَحْيى بن عليّ بن سِباع من الذّواوِدة، وانتهيْتُ أنا إليهم، فخَفّضْت عليهم الشأنَ في جِواره كما كانت مَرْضاةُ السّلطان، وخذّرتهم شأنَ أبي حَمّو وبَني عامر، وأوْفدْت مَشيختَهم على وَنْزمار والوزيرِ أبي بكر بن غازٍ فدلّوهُما على طَريقه، فأغذّوا السّيرَ في اتّباعه، وبيّتوهم بمنازلهم على النُّوسَن آخرَ عَمل الزّاب من جانبِ المَغْرب، ففَضُّوا جُموعَهم وانتَهبوا جميعَ مُعَسكر السّلطان أبي حَمّو بأمْواله وأمْتِعته وظَهْره، ولَحِق فَلُّهم بمِصاب، ورَجَعت العساكرُ من هُنالك، فسلكْتُ على قُصور بَني عامر بالصّحراء قِبْلَةَ جبل راشِدٍ التي منها رَبا وبُوسَمْغون وما إليها، فانتهبوهَا وخرّبوها وعاثوا فيها، وانكفأوا راجِعين إلى تِلِمْسان"[2].

• وعهد إليه السلطان عبد العزيز نحو سنة 774 هـ - 1372 م عندما اضْطرب عليه شَأنُ المَغْرب و" اضطرم للنّفاق على الدّولة نارٌ[3]" وأجْلَب رَحّو بن منصور مع فريقٍ من قَوْمه عُبَيد الله من المَعْقِل على وَجْدة، وخشِيَ حُصين مَغبّةَ أمْرهم مع السّلطان فَمَدّوا أيديهم إلى أبي زيانَ ودَعَوْه إليهم، وأجْلبوا على المدِيَة فملكوا نواحيهَا وامْتَنع عليهم مِصْرها، فسَرّح السلطانُ الجيوشَ لقتالهم، فاجْتَمع أبو حَمّو وبنو عامر على قَصْدِه بتِلِمْسان، حتّى إذا احتلّوا قريبًا منها تمكن السّلطان عبد العزيز بدَهائه أن يدسّ التّفرقة ويُضَرِّب بين بني عامر بما بَذله من الأمْوال، فانخذَل أبو حَمّو ومن كان معه من عَرب عُبَيْد الله وبَني عامر، وانتُهِب معسكره ونَجا بنفسه. وكان وزيرُه أبو بكر بن غازٍ قد تغلّب وقتَها على جَبل بني بوسعيد من بلاد مَغْراوة وفَتَك برجاله، فأوعز إليه السّلطان عبد العزيز أن يَنْهَض إلى حُصَيْن، فنهضَ الوزيرُ؛ واتّصل بابن خَلْدون وهو بِبَسْكرة، وعَهد إليه أن يحشُد أولياءه من الذّواوِدَة ورياح، ويتلقّى الوزيرَ والعساكرَ على حِصْن تيطري، وبقي ابن خَلْدون نحوَ شهرٍ مُسْهِمًا في نِزالهم، حتّى فرّوا من حِصْنهم، وضَرَب الوزيرُ أبو بكر بن غازٍ على قبائل حُصَيْن والثّعالبة أحلافِهم مغارمَ ثقيلةً[4].

(1) العبر 13: 263

(2) المصدر نفسه 13: 263

(3) المصدر نفسه 13: 264

(4) المصدر نفسه 13: 265

وفي هذا الجزء 13 من العِبَر، بعضُ الإفادات والتّخليات التي تُعدّ من الإضافات الدقيقة النّادرة، ونُقولٌ لأخبار مُمتعة ومنفردةٌ عن شيخه العلاّمة محمد بن إبراهيم الآبلي الذي كان في شبابه - قبل حُلوله تونس في مَعيّة السّلطان أبي الحسن المريني - قهرمانًا في دار[1] عُثمان بن يَغمراسِن بن زيّان، من بني عبد الواد بتلمسان، وكان مُطّلعًا على دَخائل الدّولة وما يجري في الخفايا، منها:

• خبرٌ عن مَهلِك السلطان عُثمان بن يَغمراسِن، والحصارُ آخذٌ بمخنّقهم، وقد رآه معشرُ الصّنائع كيف ذاف السمّ في اللّبن وشربه تفاديًا لمعرة غلَب العدوّ، وما صنعَتْه زوجتُه بنتُ السّلطان أبي إسحاق بن الأمير أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس، من تَجميع ابنَيْه أبي زَيّان محمد وأبي حَمّو موسى، وكيف تَمّت البَيْعةُ بمبادَرته لأخيه أبي زَيّان.

وفي هذا الخَبر عن الحِصار الذي استمَرّ ثمانية سنينَ وثلاثةَ أشهر، و"نالَهم من الجَهْد والجوع ما لم ينلْ أمّة" - كما يُعبّر- قائمةٌ غريبة مُفزعةٌ[2] بأسعار ما يأكلُ المحاصَرونَ من أشلاء الموتى ومن الجِيَف والفيران وما إلى ذلك ممّا استَهلك أموال النّاس ومجهودَهم وضيّق أحوالَهم.

• خبرٌ[3] يُعدّ من غَرائب الأحداث والمصادفات، عن آخر أيّام الحِصار، وقد أخذ اليأسُ مأخذَه من سُكّان القصر، وفَرغت الهُرْي من الزّاد. وجلَس الأخَوان السلطانُ أبو زيّان محمد وأبو حَمّو موسى وخاصّتُهم ينْتظرون الغَيْب الذي هم صائرون إليه، وجاءت الخادمُ دَعْدٌ قهرمانةُ القصر تُبلّغُ عن الحظايا وبنات زَيّانَ حُرَمِهم يطلبْنَ الإنقاذَ من مَعرّة السّبي بالتّقريبَ من مَهالكهنّ، وتَداعَى أبو حَمّو إلى أخيه السلطان يَسألُه مُشفِقًا: ماذا تنتظر بهنّ؟! ويُجيبه السّلطان أبو زيّان وهو في آخر المراتِب الحادّة للمأساة: أرْجِئني ثلاثًا ولا تُشاورْ بعدَها فيهنّ، بل سَرّحْ اليهودَ والنّصارَى إلى قَتْلهنّ!.

(1) العبر 13 : 209

(2) العبر 13: 191 - 192

(3) المصدر نفسه 13: 193

وكانت المفاجأة غير المتوقعة أن يجيء البشيرُ بموت السّلطان الحاصِرُ يوسف بنُ يعقوب وَقْتَها، فينفرج البلاء، وتتحقّق أحدى الغرائب[1]!

• خبرٌ يَنْقله الآبليّ عن دَادًا[2] يغمْراسن لدادًا عُثمان عن سياسَة المُلْك، وما على السّلطان اتبّاعه، يوصِيه: أن يُحاول ما اسْتطاع الاسْتيلاء على ما جاوَرهُ من عمالات الموحّدين ومَمالكهم، ليَسْتَفحل به مُلْكُه، ويكافِئ حَشْدَ العَدُوّ بحَشْده، وكان هذا المبدأ منفّذًا بين تُخوم كلّ الدّول المُتجاورَة.

ومن خلال الشذرات المنثورة في ثنايا الكتاب، نُلاحظ البراعَة الفائقة في صناعة التّرجمة للوجوه السياسية التي يقدّمُها في ترَسُّل بليغ دقيق التعبير عن خفيّ المعاني مع جوده الإحاطة، وتجيء لغتُه مُستجيبةً لتصوّره وتصْويره لموضوعه. وعندما يقدّم صورَة شخصيّاته يتناول جوانِبه الذّهنية ومواقفَه وغَناءه فيما يمضي إليه. كلّ ذلك في أوجز عبارة وأبلغ أداء، وهي رُتبةٌ يتوفّق إليها في بناء الترجمة لا يبلُغها إلاّ القلّة[3].

فمن نَماذج ذلك، وصفُه للأمير أبي حَمّو الأوسط ابن عثمان من بني عبد الواد الّذي تولّى الملك بعد أخيه أبي زيان محمد، يقول عنه :

• كان صارمًا، يقظًا، حازمًا، دَاهيةً، قويَّ الشّكيمة، صَعْبَ العَريكة، شرِسَ الأخْلاق، مُفْرطَ الذّكاء والجِدّة، وهو أوّلُ مُلوك زَنَاتَة رَتّب مراسِمَ الملك وهذّبَ قواعِدَه، وأرْهَف في ذلك لأهْل مُلكِه حَدَّه، وقَلّبَ لهم مِجَنّ بأسه، حتّى ذَلّوا لعزّ المُلْك وتأدّبوا بآداب السّلطان.

وينقل عن عَريف بن يحيى أمير سُوَيْدِ من زُغْبَة وشَيْخ المجالس الملوكيّة لزَنَاتة: أنّ أبا حَمّو هو مُعَلم السّياسة الملوكيّة لزنَاتة، وإنّما كانوا رُؤَساء باديةٍ حتّى قام فيهم موسى

(1) العبر 13: 194

(2) حرف كناية عن التعظيم بلغتهم. العبر 13 : 184 .

(3) لعله هنا نماذج من تراجم شيوخه كتبها في " التعريف " .

ابن عُثمان فحدَّ حُدودَها وهذَّب مَراسِيمَها ولَقِن عنه ذلك أقتاله وأنظارُه منهم، فتقيَّلوا مَذْهَبه واقتَدوا بتَعْليمه[1].

- ويصف سلطان تلمسان من بني عبد الواد يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد، يقول:

• كان من أشدّ هذا الحيّ بأسًا وأعظمهم في النّفوس مهابةً وإجلالاً، وأعرفهم بمصالح قَبيله، وأقوامهم كاهِلاً على حَمْل المُلْك، واضطلاعًا بالتّدبير والسّياسة، شهدتْ له بذلك آثارٌ قبل المُلْك وبعدَه. وكان مرموقًا بعيْن التجلّة، مؤمّلاً للأمر عند المشيخة، وتعظّمه من أمره الخاصّة، وتفزعُ إليه من نوائبها العامّة[2].

ومن نوادر الإشارات التاريخية:

• نهضَ السلطانُ أبو حَمُّو موسى بن عثمان بن يغمراسِن من بني عبد الواد إلى المشرق سنةَ سبْع عشْرة، وملَكَ المديّةَ واستعمل عليها يوسفَ بنَ حسن لمدافعة محمد ابن يوسف، واستَبْلَغَ في أخْذ الرُّهُنِ منه ومن أهل العمالاتِ وقبائل زَناتَة والعَرب، حتّى من قَوْمه بني عبد الواد. ورجع إلى تلمسان وأنزلَهم القصبةَ، وهي الغُور الفسيحة الخِطّة، تماثلُ بعضَ الأمْصار العظيمة، اتّخذها للرُّهُن، وكان يُبالغ في ذلك، حتّى كان يأخذ الرُّهُنَ المتعدّدةَ من البَطْن الواحد والفَخِذ الواحد والرّهْط. وتجاوزَ ذلك إلى أهل الأمصار والثّغور من المشيخة والسّوقة. فملأ تلك القصبةَ بأبنائهم وإخوانهم وشَحَنها بالأمَم، وأذن لهم في ابْتناء المنازل واتّخاذ النّساء، واختطّ لهم المساجدَ فجمعوا بها لصلاة الجمعة، ونَفَقت بها الأسواقُ والصّنائعُ. وكان حالُ هذه البِنْيَة من أغْرب ما حُكِيَ في العُصور عن سِجْن[3].

(1) العبر 13: 197

(2) المصدر نفسه 13: 159

(3) المصدر نفسه 13: 207 - 208

لما انهزم السّعيد عليّ بن المأمون إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحّدي الهزيمةَ التي انتهتْ بموته في صفر من سنة ستّ وأربعين [وستمائة] أمام يغمراسِن بنِ زيّان من بني عبد الواد، وانتهب معسكره. واختصّ يغمراسِنُ بفُسطاط السّلطان، فكان له خالصةً دون قَوْمه، واستَوْلى على الذّخيرة التي كانت فيه، منها:

• مصحفُ عثمان بن عفانَ، يزعُمون أنّه أحد المصاحف التي انتِسختْ لعَهْد خلافته، وأنّه كان في خزائن قُرْطبةَ عند وَلَد عبد الرحمن الدّاخل، ثم صار في ذخائر لَمْتونة فيما صار إليهم من ذخائر مُلوك الطّوائف بالأندلس، ثم إلى خزائن الموحّدين من خزائن لَمْتونة. وهو لهذا العهد في خزائن بني مَرينَ بفاس فيما استَوْلى عليه من ذَخيرة آل زيّانَ حين غَلَبَهم إيّاهم على تلِمْسان واقتحامها عَنْوةً على ملِكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يَغْمراسِن، فريسَةِ السلطان أبي الحسن مُقْتحِمِها غلابًا سنة 737 هـ/ 1337 م.

- ومنها:

• العِقْد المنتظم من خَرَزات الياقوت الفاخرة الدُّرَر، المشتمل على مئين متعدّدة من حَصْباته يُسمّى بالثعبان، وصار في خزائن بني مَرينَ مُنذ ذلك الغِلاب فيما اشتملوا عليه من ذخيرتهم، إلى أن تلِفَ في البحر عند غرق الأسْطول بالسّلطان أبي الحسن بمراسي بجاية مرجعَهُ من تونس. إلى ذخائر من أمثاله وطُرفٍ من أشباهه ممّا يستخلِصُه الملوكُ لخزائنهم، ويتغنون به من ذخائرهم[1].

* * *

وقد اعْتمدنا في نَشْر هذا الجزْء ما أقْرَرْناه في خُطّة نَشْر هذا الكتاب، من الاسْتِناد إلى النُّسَخ الأُصول التي لها صلة بالمؤلّف وعليها أثَرُه ومُراجعاته وتَعَقّبه وزياداته، مُدَوّنةً بخطّه الذي أصبحَ مَعْروفًا لدينا في كلّ مَراحل عُمُره، منذ كتب ملَخّصه

(1) العبر 13: 166 - 167

لكتاب الرّازي " لبابَ المحصول " إلى آخر ما خطّه من حواشٍ على كتاب الغُفران الّذي لازمه واصْطَحبه معه حَيْثما حَلّ وارْتحل، وعلى نسخة " العبر" التي دُوّن عليها آخرُ ولايته للقَضاء في شعبان سنة 807 هـ / 1405 م.

وقد توفّر لهذا الجزء الثّالث عشر:

• نسخة " ظ" التي كُتبت للملك الظّاهر بَرْقوق، وسَمّاها "الظّاهري"، وهي النّسخة التامّة من التّقسيم الّذي اعتمدْناه، وقد عرضنا تفصيلَ خبرها في مقدّمة الجزء الأوّل[1]، واتّخذناها إحْداثيّة تاريخيّة ثابتةً مؤرّخةً في سنة 797 هـ/ 1395 م تاريخ نسخها، وأحلْنا على أرقام صفَحاتها في كامل نشرتنا للكتاب، وجعَلْنا نصّها هو المتْنُ، ونُعدّلُ بعضَ قراءاته، ونُقوّم بعضَ الأسْماء بما يردُ في النّسخ التي تُعارَض بالمقابلة عليْها، ونُثْبت الخلافاتِ والقراءات المُغايرة. ثمّ نُضيفُ الزيّادات التّي جاءت في غيْرها ونستدرك ما سقط سهْوًا أو لانزلاق النظر بين كلمتين واحدتين، وبهذا العمل، أمكن ترتيب تواريخ كتابة الأجْزاء الأخرى ذات التّميّز الملحوظ ومعرفة أيّ النّسخ كان ألْصَقَ به.

وناسخ الجزء الأول من نُسخة "ظ" الخزائنيّة هو ابنُ الفخار الّذي كتبه بأناقة تامّة، وأمّا بقية الكتاب (13 جزءًا) فكتبه ناسخٌ آخرُ مجهولٌ، خَطّه معتادٌ فيه بعض جَفافٍ ويُبْس، وإهمالٌ لأكثر الحروف، وقد يُصحّفُ ويُسْقط بعضَ السّطور لانزلاق البَصر أثناء النّسخ، ولا يضبط بالشّكل إلاّ قليلاً.

وقد نظَرَ ابنُ خَلدون في هذا الجزء كما نَظرَ في غيره، واستَدْرك بخطّ أنيق بعضَ السّقْط، وضبط بعضَ الأسماء، وخَطّ بيَده مُشجّرات النّسب التي أدْرجْناها في مواقعها حسْب اتّفاق النّسخ الأصول على تلك المواقع.

(1) العبر 1: 96 - 113

عنه فلقّاه برّه وتقبل لهجرته وعقد له على قومه ووطنه
وانصرف الى بلاده محبوًّا محبورًا مغتبطا بالدين مظاهرا لقبائل مُضر
فلم يزل هذا دابه وقد قيل انه تقبض عليه اسيرًا اول
الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل ان يدينوا بالدين فاشخصوه
الى عثمان لمكانه من قومه فمنّ عليه واسلم فحسن اسلامه
وعقد له فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء
عثمان واهل بيته من بني امية وكانوا خاصة لهم دون
قريش وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعيًا لهذا
الولاء حسبما نذكره بعد في اخبارهم ولما هلك صولات قام
بامره ابنه خزر وعندما تقلص ظل الخلافة عن المغرب الاقصى
بعض الشيء واطلته فتنة ميسرة الحقير ومطغرة فاعتز خزر
وقومه على امراء المضرية بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم
شان سلطانهم على البدو من زناتة بالمغرب الاوسط ثم
استفحل امر بني امية بالمشرق وكانت الفترة بالمغرب فازدادوا
اعتزازا وعتوًّا وهلك خلال ذلك خزر وقام بملكه ابنه محمد وطلع
الى المغرب ادريس الاكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن سنة
سبعين ومائة في خلافة الهادي وقام برابرة المغرب من اوربة
وصدينة ومغيلة بامره واستوسق له الملك واقتطع المغرب
عن طاعة بني العباس سائر الايام ثم نهض الى المغرب الاوسط سنة
اربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا والقى اليه المقادة وبايع له
عن قومه وامكنه من تلمسان بعد ان غلب عليها بني يفرن اهلها
فانتظم ادريس في طاعته جميع اعمال المغرب الاوسط وانتظمه

[illegible]

نسخة ظ – استدراك المؤلّف بخطه ما انزلق فيه نظر الناسخ

• نسخة " أ " وهي من الأجزاء المحفوظة بمكتبة السّلطان أحمد الثالث، وكانت مُصاحِبةً للمؤلّف إلى آخِر حياته، حيث كان آخر ما كتبه عليها مؤرّخًا قبل وفاته بنحو عام هجري واحد، وفيها وحدها أضاف على سيرته لقاءه لتيمور، وهذه النّسخة غاية في الدّقة والضّبط للأسماء والأسماء الأمازيغيّة خاصّة، وتنفرد بحواشٍ وإضافات، نقلَتْ بعضَها الأصولُ الأخرى الموازيةُ، وظلّت مُنفردةً بالبعض الآخر.

• نسخة الصّاحبية، وهي من جُملة أجزاء نُسْخة خزائنيّةٍ محفوظة بالسّليمانية بإستانبول، ومصدَرها الخزانةُ المقرّية السّعدية الصّاحبيّة بمصر، وهي مذهَّبة الطّالع، كتبها حسن ابن الفخّار النّاسخ الّذي كان أكثر ارتباطًا بالمؤلّف وكتب له أكثر النّسخ الباقية. وعلى صَدْر هذه النّسخة: انتقاه داعيًا لمؤلّفه ومُعيرِه أحمدُ بن عليّ المقْريزي.

نسخة أ - مستدرك مّهد به لظروف القتل الغادر بأخيه يحيى بن خلدون

[168]

الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة الثانية من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الأوسط وأولية ذلك ومصايره

نسخة أ - المستدركات والالحاقات على الحواشي بخطه

• مجموعة الأوراق الأخيرة من جزء يُوجد بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، وكان لي شرف اكتشافه والاعتماد عليه، وهو جزء اتّخذه المؤلف شِبْه المسَوَّدَة، وفيه المُلْغى والمستدرك والمُضاف والمصحّح والمشطوب والمشكول.

ومصدر هذا الجزء وَقْف الجامع المؤيّدي للملك المؤيّد شيخ، القائم بجانب باب زويلة بمصر.

* * *

وقد أسهم معي في إعداد هذا الجزء باحثان فاضِلان من أحد مواطن حياة ابن خلدون، المغرب الأقصى الشقيق، هما:

• الأستاذ الدكتور الحسن حافظي علوي، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة محمد الخامس بالرباط، والأستاذ الزائر في جامعة محمد الخامس بأبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة). وهو باحث مؤرّخ واسعُ التّجربة والعمل في مَجالات حَضارة وتاريخ المغرب الإسلامي، وله انتاج وافر، من ذلك:

- سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري. نشرته وزارة الأوقاف الإسلامية. المغرب 1997.
- المرابطون: الدولة، الاقتصاد، المجتمع. منشورات جذور. الرباط 2008

وحقّق :

- نُصرة الفقير في الردّ على أبي الحسن الصّغير، لمحمد بن يوسف السّنوسي. المحمدية 2002.
- الدّرر النفائس في شأن الكنائس، لبدر الدين القَرافي. دار أبي قراق 2003.
- توالي المِنَح في أسماء ثمار النّخل ورُتْبة البلَح، لبدر الدين القَرافي. كلّية الآداب - الرباط 2006.

ونشر مجموعة من الأبحاث المحكّمة، عن:

- جوانب من تاريخ المرابطين من خِلال النقود. مجلة كلية الآداب - الرباط 1999.
- تجارة المِلح بالصحراء من خلال نوازل الأعمش الشنقيطي. الرباط 1998.
- النشاط التجاري لسِجلماسة من خلال المصادر المكتوبة. كلية الآداب - الدار البيضاء 1989.
- الجانب المِعماري بسِجلماسة من خلال المصادر المكتوبة. مركز الدراسات والأبحاث العلوية. الريصاني 1990.
- مواد البناء ببلاد المغرب من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان، لابن الرّامي. كلية الآداب - الرباط 1999.
- قسمة الماء بالقِلْد ببلاد المغرب في العصر الوسيط. مراكش 2002.
- المؤهلات الطّبيعية والبشرية للموقع الّذي تأسّست فيه مدينة فاس. أكاديمية المملكة المغربية - الرباط 2009.
- الدعوة الشيعية ببلاد المغرب. كلية الآداب - الرباط 2008.
- *Présentation de deux nouveaux textes manuscrites sur les polémiques religieuses entre les Musulmans et les Juifs et les Chrétiens à la fin du Moyen age*, en dialogue des cultures, Allemagne Maroc, heidelberg 2003.
- توظيف ابن خلدون لمنهج النّقد في التأكد من صحة الرّواية التاريخية: أخبار المهدي المنتظر نموذجًا. ضمن كتاب مُهدًى إلى محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1997.
- مكانة الأشراف: تمهيد الانتقال من دولة العصبيّة إلى دولة الشّرف. المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب. عكاظ الجديدة - الرباط 2011.
- أخطار تنقّل القوافل في القفر بين العوامل الطبيعيّة والثّقافية. ضمن كتاب مُهدًى إلى عبد الرحمن المودن. منشورات كلية الآداب - الرباط 2012.

وكتب في موسوعة المغرب الأقصى ضمن الأجزاء 4، 5، 6، 7، 8، 9، 12، 14، 15، 16 فصولاً موسوعية عن الأعلام والمدن والقبائل والحضارة والأقاليم، وجملةً من الموادّ المغربية .

وله مشاركات ثقافية وبحثية وندوات، ومناقشات، وإشراف جامعي.

● الدكتورة نفيسة الذهبي، أستاذة باحثة بالمعهد الجامعي للبحث العلمي - جامعة محمد الخامس- الرباط. تخصصت في التاريخ الحديث، واهتمت بدراسة الحركات الصوفية في المغرب، ولها عضوية في أكثر اللجان العلمية الجامعية في المغرب ومشاركات ثقافية، وأسهمت بفصول في " معلمة المغرب ".

ومن أعمالها:

- دراسة تاريخ الزاوية الفاسيّة: التطور والأدوار حتى نهاية العهد العلوي الأول. الدار البيضاء 2001.

وحقّقت:

- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، فهرس أبي سالم العياشي. كلية الآداب - الرباط 1996 .
- الإلمام ببعض من لقيته من علماء الإسلام ، فهرس الشيخ عبد الواحد السجلماسي. تقديم وتحقيق - الرباط 2008.

● ● ●

وكان عليّ أن أعيد النظر فيما أُعِدّ وأوحِّد الجهد المشترك بما يتطلّبه من توحيد مصطلح التعليق وتدقيق الأسماء على ضبط النسخة "أ" خاصة لما لها من التميّز في هذا الجانب، واستدرك بعض الفوات. وتطلّب هذا الجزء جهدًا مضاعفًا لتحقيق المطابقة بصحة ضبط الأسماء الأمازيغيّة وتدقيق إضافة النّطق بها بفضل ضَبْطها في بعض الأصول المخطوطة الضَّبْطَ الذي كان يُنْطق به في ذلك العصر، وأتْقنه صاحب الكتاب

لنفسه، بفضل ما اصطنع لها من حُروف جديدة تَعْبُر إلى النطق بين حرفين من حروف الأبجدية العربية، وقد أصبحت هذه الحروف التي عالج بها ابن خلدون درجاتِ الأصوات غير الموفّرة في حرفنا، ما يلي:

ڭ : الكاف المشمّة بالجيم: زجّيڭ ، بُلڭّين أڭادير

ظ : الظاء المشمّة بالتاء : الظظر، مظّفرة

ص : الصاد المشمّة بالزاي : صناك، صولات

جْ : الجيم المشمّة بالشين: جْانا ، الجْكجْاك

س : السين المشمّة بالزاي: يالدس

* * *

وأذكر بالشكر محمد الدكتور حسن حافظي علوي الذي لقيت منه تعاونًا صادقًا ساعد على تيسير العمل.

والشكر مستحقٌّ لصديقي الأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنبين الذي كان لنا منه صادقُ العَوْن في كلّ ما اعترضنا من صُعوبات، منوّهًا بأدبه وعِلْمه وفَضْله.والحمد لله على ما أوْلَى.

إبراهيم شبوح

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

الكتاب الثالث - الجزء الثالث عشر

[2 ب] / بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وأَعِنْ [يا كريم][أ]

● الخبرُ عَن زَنَاتَةَ[1] مِن قبائلِ البَرْبرِ ومَا كانَ في أَجْيالِهِم [بالمَغرِبِ][ب] مِن العزّ والظهورِ، ومَا تَعاقبَ فِيهم من الدُّوَلِ القَدِيمَةِ وَالحادثَةِ

هَذَا الجيلُ في المَغرِبِ جيلٌ قديمُ العَهْدِ، مَعروفُ العَيْنِ والأَثرِ. وهُم لهذا العهدِ آخذونَ بالكثيرِ من شِعارِ العَربِ في سُكْنَى الخيامِ، واتّخاذِ الإبلِ، ورُكوبِ الخَيْلِ، والتَّقَلُّبِ في الأرضِ، وإيلَافِ الرِّحْلتَيْنِ، وتَخَطُّفِ النَّاسِ مِنَ العُمْرانِ، والإبايَةِ عَنِ الانقيادِ للنَّصَفَةِ. وشِعارُهم بَين البَرْبَر اللُّغَةُ الّتي يتراطَنُونَ بها، وهي مُتمَيِّزَةٌ بنَوْعِها عَن سائِرِ رَطانةِ[ج] البَرْبَر. ومَواطنُهم في سائِرِ مَواطِنِ البَرْبَر بإفرِيقِيَّةَ والمَغرِبِ. فمِنهم ببلادِ النَّخْلِ ما بين غَدَامِسَ[2] والسُّوسِ الأقْصَى[3]، حتَّى إنّ عامَّةَ أهْلِ تِلكَ القُرَى الجريديّةِ بالصّحراءِ مِنهُم كمَا نَذكُرُهُ. ومِنهُم بالتُّلولِ في جِبَال طَرَابُلُسَ وبِضَواحِي إفْرِيقِيَّةَ وبجَبَل أوْرَاس[د]، بَقَايَا

(أ) من ص (ب) من سقطت من ظ (ج) ص: بطانة (د) الشكل من ص أ.

---

(1) هي الصيغة العربية لإزْنَاتِنْ الأمازيغية. وانظر تحليل ابن خلدون الآتي (ص: 13-)، ينظر مادة: زناتة، معلمة المغرب، 4717/14.

(2) تعريب للاسم اللاتيني Guidamus الذي كان يعرف به هذا الموقع في العهد الروماني.

(3) يعني المناطق الواقعة جنوب جبال الأطلس بالمغرب الأقصى. وانظر عن تقسيمات المغرب في القرن الثامن الهجري، ابن خلدون: العبر 11: 212 – 223 الفصل الثاني في ذكر مواطن هؤلاء البربر بإفريقية والمغرب.

مِنهُم سَكنوا مَعَ العَربِ الهِلَالِيِّينَ لِهذَا العَهْدِ، وأذْعَنُوا لحكمِهِم، والأكثرُ مِنهُم بالمَغْرِبِ الأوْسَطِ، حتَّى إنه ليُنْسَبُ إليهِم ويُعرفُ بِهِم، فيُقَالُ وَطَنُ زنَاتَةَ. ومِنهُم بالمَغرِبِ الأقْصَى أمَمٌ أُخرَى. وَهُم لهذا العَهْدِ أهلُ دُوَلٍ ومُلْكٍ بالمَغرِبَيْن. وكانَت لهُم فِيها دُوَلٌ أُخرَى في القَدِيمِ. ولَمْ يَزَلِ المُلْكُ يَتَناقَلُ في شُعوبِهِم حَسْبَما نذكُره بعدُ لِكلِّ شَعْبٍ مِنهُم.

• الخَبرُ عن نَسبِ زنَاتَة، وذِكرُ الخِلافِ الواقعِ فيه، وتَعْديدُ شُعوبِهِم

أمّا نَسَبُهم بين البَرْبَرِ فلا خلافَ بين نَسّابتهم أنّهم من ولد شَانَا وإليهِ نَسَبُهم. وأمّا شَانَا فقال أبو محمد بن حَزمٍ في كتاب الجَمْهَرَة[(1)] : قال بَعضُهم: هو جَانَا[(أ)] بنُ يحيى بنِ صُولَات[(ب)] بن وَرْسَاك[(ج)] بن ضَرِي بن زَجِّيك[(د)] ابن مَادَغَس بن بَرٍّ. وقال أيضاً في كتاب الجَمْهَرَة: ذَكرُ ذلك[(هـ)] [محمد بن][(و)] يوسف الورّاق[(2)]، عن أيُّوب / بن أبي يَزِيد[(3)]، يَعنِي حينَ وَفَدَ على قُرْطُبَة [3أ]

(أ) أ: بجيم فوقها ثلاث نقط، للإشمام بين الجيم والشين (ب) أ: بصاد وسطها زاي للإشمام بين الحرفين (ج) في ظ، ص: بكاف تحتها نقطة تُنطق جيما مصرية (د) ص، أ، ض: زجّيك بكاف مهملة (هـ) في الأصول: "ذكر لي" والصواب من جمهرة ابن حزم 495 (و) سقط من الأصول .

---

(1) الجمهرة 495

(2) هو محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق. ولد بالقيروان سنة 292 هـ/ 904م وهاجر إلى قرطبة زمن الحاكم المستنصر فرعاه، توفي بقرطبة ودفن بها سنة 363 هـ/ 973م.
لم يصلنا من كتبه غير نقول أوردها البكري في المسالك والممالك وابن عذاري في البيان المغرب وابن خلدون في العبر. انظر محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب 1: 24-؛ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيين في الأندلس 73

(3) ابن الثائر أبي يزيد مخلد بن كَيْداد. من القائمين مع والده على الفاطميين، له معرفة بأنساب البربر. ينظر ابن حماد: أخبار بني عبيد 55، 81؛ أبو زكرياء يحيى الوركلاني: تاريخ ابي زكرياء 182-؛ ابن عذاري: البيان المغرب 1: 217-؛ ابن الأثير: الكامل 8: 431-

عن أبيهِ الشَّائرِ بإفريقيَّةَ أيّامَ النَّاصِرِ، قال: هو جَانَا بنُ يحيى بن صُولَات بن وَرْسَاك بن ضَرِي بن سَقْفُو[أ] بن بَنْدَوَاد[ب] بن يَمْلا بن مَادَغْس بن هُرَك[ج] بن هَرْسَق بن كَرَاد بن مَازِيغ بن هَرَاك بن هَرِيك بن بَدَا بن بَدْيَان بن كَنْعَان بن حَام. هذا ما ذكره ابنُ حَزْم[4]، ويظهر منه أنّ مَادَغْس ليس نسبه إلى بَرْبَر. وقد قَدَّمْنا ما في ذلكَ مِنَ الخِلافِ، وهذا أصَحُّ ما يُنْقَلُ في ذلك، لأن ابنَ حَزم مَوثوقٌ ولا يَعْدِلُ بِه غيرُهُ، ونَقَل عن ابن أبي يَزِيدٍ وهو كبير زَنَاتَة. ويَكُون البَرْبَرُ عَلَى هذا مِن نَسْلِ بُرْنُس فقط. والبُتْرُ الَّذين هُم بنو مَادَغَس الأبْتَر لَيْسُوا من البَرْبَر، ومِنهُم زَنَاتَة وغَيرُهم كما قدّمْنا. لكنَّهم إخوةُ البَرْبَرِ لرُجُوعِهِم كلِّهم إلى كَنْعَان بن حَام كما يظهر من هذا النَّسَبِ.

ونُقِلَ عَن أبي محمد بن قُتَيْبَة في نَسب زَنَاتَةَ هؤلاء أنّهم مِن وَلدِ جَالُوت. فَفي رِوايةٍ عنهُ أنّ زَنَاتَةَ هو جَانَا[د] بنُ يحيى بن ضَرِيس بن جَالُوت. وجَالُوت هو وَنُور[هـ] بن هَرْبِيل بن جَدِيلَان بن جَالُود بن رَدِيلَان بن حَصِي بن بَادَ[و] ابن زَجِيك بن مَادَغْس الأبْتَر بن قَيْس بن عَيلَان. وفي رِوايةٍ أُخرى عَنهُ أنّ جَالُوت هو ابنُ جَالُود بنِ دَيَال بن قَحْطَان بن فَارِس، وفَارِسُ مَشْهورٌ.

وفي رِوايةٍ[ز] أُخرَى عَنهُ أنَّهُ هَرْبَال بنُ بَالُود بنِ دَيَال بن بُرْنُس بن سَفكك، وسَفكك أبو البَرْبَر كُلِّهم. ونَسَّابَةُ الجيلِ بنَفسِهِ مِن زَنَاتَة يَزعُمُونَ أنَّهم مِن حِمْيَر، ثمّ مِن التَّبَابِعَةِ مِنهُم، وبَعضُهم يقولُ إنّهم مِن العَمَالِقَةِ،

(أ) ص: سَقْفُون (ب) أ: تَبْدَوَاد (ج) الشكل من ص،أ (د) في ص: شانا بشين تحتها جيم. وفي ض،أ: جانا كما صح ضبطه (هـ) الشكل من ص،ض (و) في ص: بادا (ز) سقط من أ.

(4) الجمهرة 495

ويَزعُمون أنّ جَالُوتَ جَدُّهُم مِن العَمَالِقَة. والحَقّ فيهم ما ذَكرَهُ أبو محمد بن حَزم[1] أولا، وما بعدَ ذلِكَ فَليسَ شَيء مِنهُ بصَحِيح. فأمّا الرِّوايَةُ الأُولَى عن أبي محمّدِ بنِ قُتَيْبَة فمُخَلَّطَةٌ وفِيهَا أنْسابٌ مُتداخِلَة. أمّا نسبُ مَادغَس إلى قَيْس عَيْلَان، فَقَدْ تَقَدَّمَ في أوّلِ كتابِ البَرْبَر عِندَ ذِكرِ أنسَابِهِم، وأنّ أبْناء [3 ب] قَيْس مَعرُوفُون / عِندَ النسَابَة. وأمّا نَسبُ جَالُوت إلى قَيْس، فأمرٌ بَعِيدٌ عَنِ القِياسِ. ويَشهدُ لهُ أنّ مَعَدَّ بنَ عَدنَان الخَامِسُ مِن آبَاءِ قَيْس إنّما كانَ مُعاصِراً لبُخْتَنَصَّر كَما ذَكرنَاهُ أوّلَ الكِتَابِ، وأنّهُ لمّا سُلِّط على العرَبِ أوْحَى اللهُ إلى أرْمِيَاء نبيّ بَنِي إسْرائيل أنْ يخلّصَ مَعَدّاً ويَسيرَ بهِ إلى أرضِهِ. وبُخْتَنَصَّر، كَانَ بَعْدَ دَاوُد بِمَا يُنَاهِزُ أرْبعَ مائةٍ وخمسينَ مِن السِّنِين، فإنّهُ خَرّب بيتَ المَقْدِسِ بَعدَ بِناءِ دَاوُد وسُلَيمَان لَهَا بِمِثْلِ هذه المُدَّةِ. فَمَعَدّ مُتأخِّر عَن دَاوُد بِمِثلِها سواء؛ فقَيْس الخامسُ مِن أبنائِه متأخِّرٌ عَن دَاوُد بأكثَرِ مِن ذَلِك، فَجَالُوتُ على ما ذُكِر أنّه مِن أبناءِ قَيْس متأخِّرٌ عَن دَاوُدَ بأضعافِ ذَلِك الزّمنِ. وكيفَ يكونُ ذلِكَ مَعَ أنّ دَاوُد هو الّذي قَتلَ جَالُوتَ بِنصّ القُرآنِ، وأمّا إدخالُه نَسبَ جَالُوت في نَسبِ البَرْبَر، وأنّه مِن وَلدِ مَادغَس أو سَفك فَخطأٌ، وكَذلِكَ مَنْ نَسَبَهُ [في][ا] العَمَالِقَة. والحَقّ أن جَالُوت مِن بَنِي فِلِسطِينَ بن كَسْلُوحِيم بنِ مَصْرَايِم بن حَام، إحْدَى شعوبِ حَام بن نُوح، وهُمْ إخوةُ القِبْط والبَرْبَر والحَبَشَة والنُّوبَةِ كمَا ذَكرناه في نسب أبناء حَام. وكان بين بني فِلِسطين هؤلاء وبين بني إسْرَائيل حروب كثيرة، وكان بالشّامِ

(ا) ص: من .

(1) الجمهرة، ص 494

كثيرٌ مِنَ البَرْبَرِ إخوانِهم، ومنْ سائِرِ أولادِ كَنْعَان يُضاهُونَهم فِيهَا. ودَثَرتْ أمَّةُ فِلِسْطِين [و] (أ) كَنْعَانَ وشُعوبِها لهَذَا العَهْدِ، ولَمْ يبقَ إلّا البَرْبَر. واختصّ اسم فِلِسْطِينَ بالمَوْطِنِ الذّي كانَ لَهُم، فاعتَقَدَ سَامِعُ اسمِ البَرْبَرِ مع ذِكرِ جَالُوت أنّه مِنهُم ولَيْسَ كذَلِك.

وأمّا رَأيُ نَسّابَةِ زَنَاتَة في أنّهم من حِمْير، فقد أنكَرَهُ الحَافِظان أبو عمر ابنُ عبد البَرّ[1] وأبو محمد بنُ حَزْم[2] وقالا: ما كان لِحِمْيَرَ طريقٌ إلى بلادِ البَرْبَرِ إلّا في أكاذيبِ مُؤرخِي اليَمَن. وإنّما حَمَلَ نَسّابَةَ زَنَاتَة على الانتسابِ في حِمْيَرَ التَرفّعُ عنِ النّسبِ البَرْبَرِيّ، لِمَا يَرونَهم لهذا العهدِ خَوَلاً وعِبِدّى (ب) / [4أ] للجِبايَةِ وعَواملِ الخَراجِ، وهذا وَهْمٌ، فقد كانَ في شُعوبِ البَرْبَرِ مَن هو مُكَافِئٌ لزَنَاتَة في العَصبيّةِ أو أشدُّ مِنهُم، مِثْلَ هَوّارَة ومِكْنَاسَة. وكَانَ فيهم مَن غلَبَ العربَ على مُلكِهم مثلَ كُتَامَة وصِنْهَاجَة، ومن تَلَقّفَ المُلْكَ من يدِ صِنْهَاجَة مثل المَصَامِدَة. كلُّ هؤلاء كانُوا أشدَّ قوّةً وأكثرَ جَمْعًا من زَنَاتَة، فلمّا فَنِيَتْ أجيالُهُم أصْبَحوا مُغَلَّبِينَ، فنالَهُم صَهْدُ المَغْرَم، فصارَ اسمُ البَرْبَرِ مُختصًّا لهذا العَهْدِ بأهلِ المَغْرَمِ، فَاسْتَنْكَفَ زَنَاتَة مِنه فِرارًا مِن الهَضِيمَةِ، وأعْجِبُوا بالدُّخولِ في النّسبِ العَرَبِيّ لصراحتِهِ ومَا فيهِ مِنَ المَزِيّةِ بتَعَدُّدِ الأنبياء، ولاسيما نسبُ مُضَر، فإنّهم مِن ولدِ إسماعيل بنِ إبراهيم بنِ نُوح بنِ شِيث ابنِ آدم. خمسةٌ من الأنبياءِ ليسَ للبَرْبَرِ إذا نُسبُوا إلى حَام مثلُها، معَ خُروجِهم

(أ) زيادة في أ (ب) ظ : عيبِدّي . وعِبِدّى: اسم جمع لعَبْد.

(1) انظر الجدل في دَفْعِ هذا الرأي، ابن خلدون: العِبَر 11: 200 وما بعدها، والحاشية 3.
(2) الجمهرة، 495

عن نَسبِ إبراهيم الذّي هو الأبُ الثّالثُ للخَليقَةِ، إذ الأكْثرُ مِن أجْيالِ العَالَمِ لهذا العَهدِ مِن نَسْلِه، ولَم يَخرج عَنه إلّا الأقلّ، معَ مَا في العُروبيَّةِ أيضا مِن عِزّ التَّوحُّشِ والسَّلامةِ مِن مَذمُومَاتِ الخُلُقِ بانفِرادِهم في البِيدِ، فأعْجَبَ زَنَاتَةَ نَسبُهم، وزَيَّنَهُ لهُم نَسَّابتُهم، والحَقُّ بمَعزِلٍ عَنهُ. وكونُهم مِنَ البَرْبَرِ بعُمُوم النَّسَبِ لا يُنافِي شِعارَهُم مِنَ الغَلَبِ والعِزِّ، فقد كان للكَثِيرِ مِنْ شُعوبِ البَرْبَرِ مِثلُ ذلِكَ وأعظَمُ مِنهُ. وأيضا فقد تَميَّزت الخَليقةُ، وتَبايَنُوا بغَيْرِ واحدٍ مِن الأوصافِ، والكلُّ بنو آدم ونُوحٍ مِن بَعدِه، وكذلِك تميَّزتِ العَربُ وتبايَنَت شُعُوبُها، والكلُّ لسَامٍ ولإسماعيلَ من بَعْده.

وأما تعدُّدُ الأنبياء • في النَّسَبِ فذلك فَضلُ اللهِ يُؤتِيه مَن يَشاء، ولا يَضُرّ الاشتراكُ معَ أهلِ الجيلِ•[أ] في النَّسبِ العَامّ إذا وقَعت المُبايَنَةُ لهم في الأحْوالِ التّي تَرفَعُ عَنهُم؛ معَ أنَّ المَذَلَّةَ للبَرْبَرِ إنما هي حادثَةٌ بالقِلَّةِ ودُثُورِ أجيالِهم بالمُلْكِ الذّي حَصَلَ لهُم ونَفَقُوا في سُبُلِه وتَرفِه كَما تقدَّمَ لكَ في الكتابِ الأوّلِ مِن تآليفِنا، وإلاّ / فقد كانَ لهُم مِنَ الكَثرةِ والعِزِّ والمُلْكِ والدَّوْلَةِ [4 ب] مَا هو مَعْروفٌ.

وأمَّا أنَّ جيلَ زَنَاتَةَ مِن العَمَالِقَةِ، فقولٌ مَرجُوحٌ وبعيدٌ عن الصَّوابِ. لأنَّ العَمَالِقَةَ الذّين كانوا بالشّامِ صِنْفان: عَمَالقةٌ مِن وَلدِ عِيصُو[ب] بنِ إسْحاق. لَم تَكن لهُم كَثْرةٌ ولا مُلْكٌ، ولا نُقِل أنَّ أحداً مِنهُم انتقلَ إلى المَغْرِبِ، بل كانوا لقِلَّتهم ودُثُورِ أجْيالِهم أخْفَى مِن الخَفيّ. والعَمَالِقَةُ الآخرون كانوا أهلَ

(أ) سقط ما بين النجمين من أ (ب) الشكل من أ ص .

المُلكِ والدَّولةِ بالشَّامِ قَبلَ بني إسْرائيل. وكانت أرِيحَا دارَ مُلكِهم، وغَلَبها عليهِم بنُو إسْرائيل، وابتزُّوهُم مُلكَهُم بالشَّامِ والحِجَازِ، وأصبحُوا حَصَائِدَ سيُوفِهم. فكَيفَ يكونُ هذا الجيلُ مِن أولئكَ العَمَالِقَةِ الذّين دَثَرتْ أجيالُهُم؟ وهذا لو نُقِلَ لوَقَعت الاسْتِرابَةُ بهِ، فكَيفَ وهو لَمْ يُنْقَل؟ هذا بَعِيدٌ في العادةِ، واللهُ أعلمُ بخَلقِه.

وأمَّا شُعوبُ زَنَاتَةَ وبطونُهم فكَثِير، ولْنَذْكُرِ المشاهيرَ منها فنقول: اتفَقَ نَسَّابَةُ زَنَاتَة على أنَّ بُطونَهم كلُّها تَرجِعُ إلى ثَلاثةٍ مِن ولدِ جَانَا وهم وَرْسِيك[أ] وفَرِينِي والدِّيدَت[ب] هكذا في كتبِ أنسابِ زَنَاتَة. وذَكَرَ أبو محمد بنُ حَزْم في كتاب الجَمْهَرَة له[1].

فمِن ولدِ وَرْسِيك[ج] عند نَسَّابتِهم مسَّارَت[د] ورَغَاي ووَاشْرُوجَن[د] ومِن واشْرُوجَن وَاريفَن بن وَاشْرُوجَن. وقال أبو محمد بن حَزم[2] في ولد وَرْسِيك إنهم مسَّارَت وتَاجُرَة ووَاسِين.

وأما فَرِينِي بنُ جَانَا فمِن ولدِه عند نَسَّابَة زَنَاتَة يَزْمَرْتَن ومَنْجَصة ووَركَلَة ونَمَالتَة وسَبَرْتَرَة. ولَم يَذكر أبو محمد بن حَزم سَبَرْتَرَة وذكر الأربعةَ الباقِين.

وأما الدِّيدَت بن جَانَا، فمِن ولدِه عند نَسَّابَةِ زَنَاتَة جَرَاو بن الدِّيدَت، ولم يذكرهم ابنُ حَزم، وإنَّما قال عِندَ ذِكر الدِّيدَت: ومِن شُعوبه بنو وَرْسِيك

(أ) ص، ض: ورشيك والكاف في جميع الأصول تحته نقطة (ب) ص، ض، أ: الدِّيدَت وفي المشجر: أدِيدَت
(ج) ص: ورشيك (د) الضبط من أ.

---

(1) الجمهرة 465

(2) المصدر نفسه 496

ابن الدِّيَدَت، وهُم بَطْنان لدَمَّر بن وَرْسِيك وزاكِيًا بن وَرْسِيك. قال: ودَمَّر لَقَبٌ واسمُه الغَانَا. قال: فمِن ولدِ زاكِيًا / بَنُو مَغْرَاو وبَنُو يَفْرَن [15أ] وبَنُو وَاسِين. قال: وأُمُّهم وَاسِين مملوكةٌ لأُمِّ مَغْرَاو، وهُم ثلاثتُهم بنو يَصْلِيتَن ابن مِسْرا بن زاكِيًا. ويَزيدُ نَسَّابَةُ زَنَاتَة في هؤلاء يَرْنِيَان بن يَصْلِيتَن أخًا لمَغْرَاو ويَفْرَن ووَاسِين، ولم يَذْكُره ابنُ حَزم، قال:[1] ومِن ولدِ دَمَّر بن وَرْنِيد ابن وَانْتَن بن وَارْدِيرَن بن دَمَّر. وذَكَر لبنى دَمَّر أفخاذًا سَبعةً وهُم غَرْزُول وتَقُورْت ووَزْتَاتِين، وهؤلاء الثَّلاثة مختصُّونَ بنَسبِ دَمَّر وبَرْزَال[أ] ويَصدَرِين وصَغْمار ويَطُوفت. هكذا ذكر أبو محمد بن حَزم[2] وزعم أنه من إملاء أبي محمد بويَكْنِي البَرْزَالى الإباضي وقال فيه: كان ناسِكاً عالِماً بأنسابهم، وذكر أنّ بني وَاسِينْ وبني بَرْزَالْ كانوا إباضيَّة، وأن بني يَفْرَنْ ومَغْرَاوَة كانوا سُنِّيَّة.

وعِندَ نَسَّابَة البَرْبَر مِثْل سَابِق بنِ سُلَيْمَان المَطْمَاطِي وهَانِيء بن مصْدُور الكومِي وكَهْلان بنِ أبي لَوَى، وهو مسطُورٌ في كُتُبِهِم: أنّ بني وَرْسِيك بنِ أدِّيدَت بنِ جَانَا ثلاثةُ بُطُون. وهم: بنو زاكِيًا وبنو دَمَّر وآنشَة بَنُو آنش. وكُلُّهم بنو وارْدِيرَن بن وَرْسِيك. فمِن زاكِيًا بن وارْدِيرَن أربعةُ بُطُونٍ: مَغْرَاوَة وبنو يَفْرَن وبنو يَرْنِيَان وبنو وَاسِين كلهم بنو يَصلِيتَن بن مِسْرا[ب] بن زاكِيًا، ومن آنش بن وارْدِيرَن أربعةُ بُطُونٍ: بنو بَرْزَال وبنو صَغْمَار وبنو يَصْدَرِين وبنو يَطُوفَت كُلُّهم بنو آنش بن وارْدِيرَن. ومِن دَمَّر بن

(أ) ورد في الجمهرة بكسر الباء، وجاء بالفتح في مشجري نسخة ظ أ المتصلين بالخبر عن برزال احدى بطون دمّر، وكلاهما بخط ابن خلدون، فضبطنا الاسم عليها حيثما ورد (ب) في مشجّر ظ ض يشرا.

---

(1) الجمهرة 498

(2) المصدر نفسه 498

وَازْدِيرَن ثلاثةُ بُطُونٍ: بنو تَفُوزت وبنو غَرْزُول وبنو وَرْتَاتِين، كُلُّهم بنو وَرْيَنْدِ بن دَمَّر. هذا الذي ذكرهُ نَسَّابَةُ البَرْبَر، وهو خِلافُ ما ذَكَرَه ابن حَزْم[1].

ويذكر نَسَّابَةُ زَنَاتَة آخرين من شُعُوبِهم ولا يَنْسِبُونَهم مثل يَخْفَش، وهم أهلُ جَبَلِ فَازَازٍ قريبٍ [مِن][أ] مِكْنَاسَة، وسَنْجَاسَن ووَرْسِيفَان وتَمْلِيلَة وتِيسَات ووَاغْمَّرْت وتِيفْرَاسِن[ب] ووجْدِيجَن وبني يَلُومُو وبني وَمَانُو وبني تُوجِّين؛ على أنَّ بَنِي تُوجِّين / يَنْتَسِبُون في بني وَاسِين نَسَباً ظاهراً صحيحاً [5 ب] بلا شكٍّ على ما نَذْكُر في أخْبَارِهم. وبعضهم يقول في وجْدِيجَن ووَاغْمَّرْت بنو ورتَنِيص بن جَانَا. وكذلك يَذكرُ بعضُ نسَّابتِهم أنَّ بَرَغْوَاطَةَ ومطْمَاطة وأزْدَاجَة من زَنَاتَة، والصَّحيحُ عِندَ نَسَّابَةِ البَرْبَر أنَّهم مِن البَرَانِس مِن بُطونِ البَرْبَر على ما قَدَّمناه. [وذكرُ ابن عَبْدُ الحَكَم في كتابه فتح مِصْر[1] خَالدَ بن حُمَيْد الزَّنَاتِي، وقال فيه: هو من هَتُّورَة إحْدَى بُطونِ زَنَاتَة، ولَمْ نَرَه لغيرِهِ][ج].

هذا ملخَّصُ الكلام في شُعوبِ زَنَاتَة وأنْسَابِهم بما لا يُوجَدُ في كتابٍ، واللهُ الهَادِي إلى مَسَالِكِ التَّحْقِيق.

(أ) زيادة للسياق (ب) الضبط من أ (ج) من أ ومن حاشية ض بخط المؤلف وسقط من ظ ص.

---

(1) الجمهرة 498

(2) فتوح مصر وأخبارها 219، وعبارته: خالد بن حُميد الزناتي ثم الهتوري.

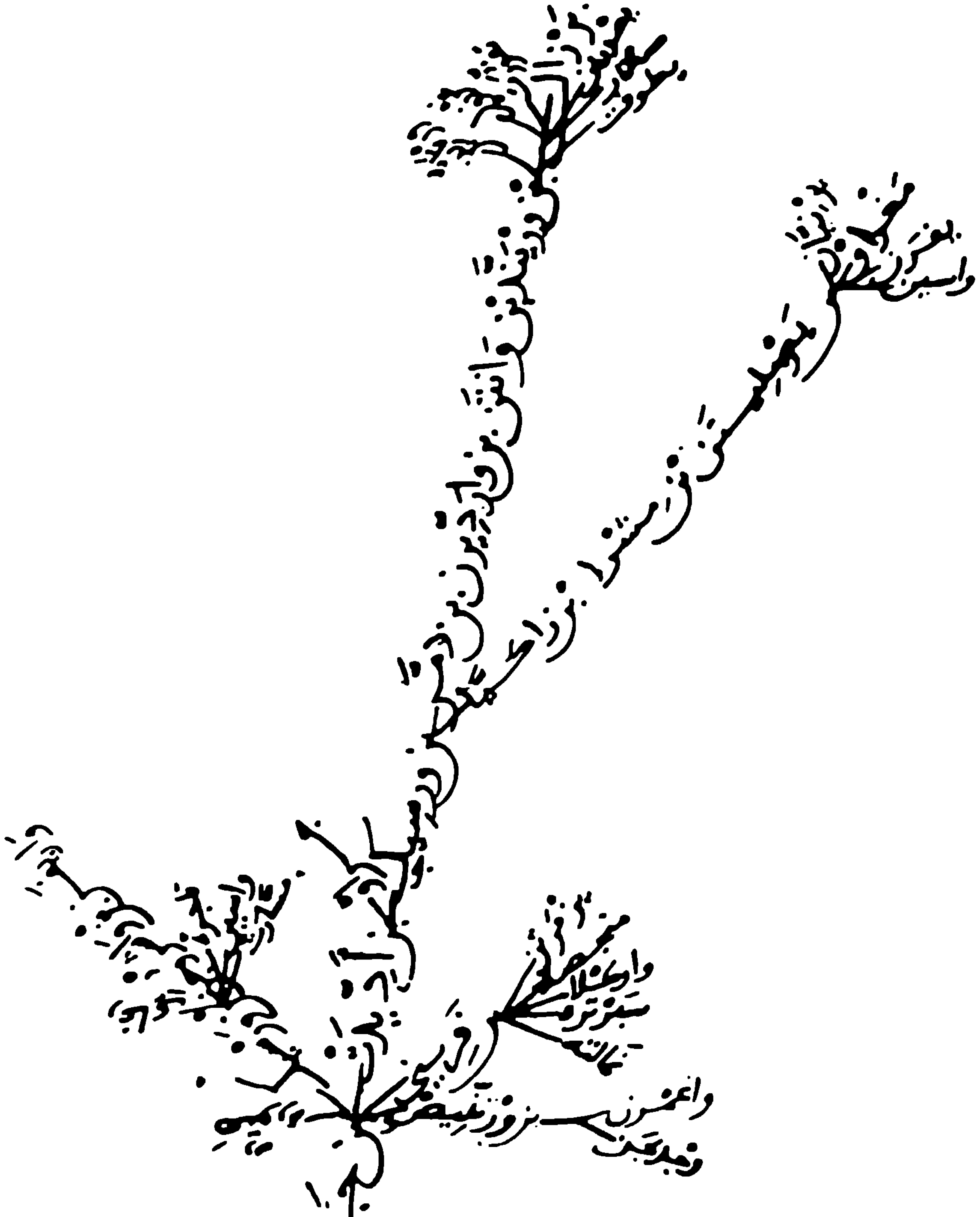

[شعوب زناتة]

[6أ]

• / فصلٌ في تسْمِيَة زَنَاتَة، ومَبْنى هذه الكَلِمة

إنَّ كثيرًا من النَّاسِ يبحثون عن مبنَى هذه الكَلِمَةِ واشْتِقَاقِها على ما ليس معروفًا للعَرَبِ ولا لأهل الجِيلِ أنْفُسِهم. فيقال هو اسمُ عَلَمٍ وَضَعَتْه العَرَبُ على هذا الجِيلِ، ويقال بل الجِيلُ وَضَعُوه لأنفُسِهِم أو(أ) اصْطَلَحُوا عليه، ويقال هو زَانَا بنُ جَانَا، فيَزِيدُون في النَّسَبِ شيئًا لم يَذْكُره(ب) النَّسَّابَة، وقد يقال إنه مُشْتَقٌّ. ولا يُعْلَمُ في لِسَانِ العَرَبِ أصْلٌ مُسْتَعْمَل من الأسماء يشْتَمِلُ على حُرُوفِه المَادِّيةِ. وربَّما يُحاول بعضُ الجَهَلةِ اشتِقَاقَه من لَفظِ الزِّنَا، ويُعضِّدُونه(ج) بحِكايةٍ خَسِيسَةٍ يَدفعُها الحَقُّ.

وهذه الأقوالُ كلُّها ذهاباً إلى أنَّ العَرَبَ وَضَعَت لكُلِّ شيءٍ، وأنَّ استعمالَها إنَّما هو لأوضاعِها التَّي من لُغَتِها ارْتِجَالاً واشْتِقَاقاً. وهذا إنَّما هو في الأكْثَرِ. وإلاّ فالعَرَبُ قد استَعْمَلت كثيرًا مِن غير لُغَتِها في مُسَمَّاه، إمَّا لكَوْنِه عَلَمًا فلا يُغَيَّرُ، مثل إبراهيم ويوسف وإسحاق من اللُّغَة العِبْرَانِيَّة، وإمَّا استِغْناءً وتخفيفًا لتداوُلِه [بين](د) الألْسِنَة، كاللِّجَام والدِّيباج والزَّنْجَبِيل والنَّيْرُوز واليَاسَمِين والآجُرّ. فتَصِيرُ باسْتِعْمَالِ العَرَب كأنَّها مِن أوْضَاعِهم، ويُسَمُّونَها المُعَرَّبَة. وقد يغيِّرونَها بعضَ التَّغْيير في الحَرَكَاتِ أو في الحُروفِ، وهو شائعٌ لهُم لأنَّه بمَنْزِلةِ وضْعٍ جديدٍ. وقد يكون الحَرْفُ من الكَلِمَةِ ليس من حُرُوفِ لُغَتِهم فيُبَدِّلونَه بما يَقْرُبُ مِنهُ في المَخْرَجِ. فإن مَخَارِجَ الحُروفِ كثيرةٌ غيرُ مُنضَبِطَةٍ، وإنَّما نَطَقَتِ العَرَبُ منها بالثَّمانيةِ والعِشرين حُروفَ أبْجَد. وبَيْنَ كُلّ

(أ) أ: و (ب) ض: تذكره (ج) ظ، ص، ض: ويعضدون (د) في ظ: من.

مَخرَجَينِ منها حُرُوفٌ أكثر مِن واحدٍ؛ فمنها ما نَطَقت به الأمَمُ، ومنها ما لم تَنطِق به، ومنها ما نَطَق به بعض العَرَبِ، كما هو مَذكورٌ في كُتُبِ أهلِ اللِّسانِ.

وإذا تَقَرَّر ذلك، فاعلَم أنّ أصل هذه اللَّفظةِ التي هي زَنَاتَة هي صيغة جَانَا التي هي اسمُ أبِ الجيلِ كلِّهِ. وهو / جَانَا بنُ يحيى المذكورُ في نَسَبِهم. [6 ب] وهم إذا أرادوا الجِنْسَ في لُغَتهم ألحَقُوا بالاسْمِ المُفْرَدِ تاءً، فقالوا: جَانَات. وإذا أرادوا التَّعْمِيم زادوا مع التّاء نُونًا فصار ايجَانَاتَن. ونُطْقُهم لهذه الجيم ليس من مَخرَجِ الجيم عند العَرَبِ، بل يَنْطِقُون بها بين الجيم والشِّين، وأمْيَلَ إلى الشِّين، ويَقْرَعُ السَّمْعَ منها بعضُ الصَّفِيرِ، فأبْدَلُوها زايًا مَحْضَةً لاتِّصالِ مَخرَج الزّاي بالشِّين، فصارت زَايَاهْ لَفظًا مُفرَدًا دَالًّا على الجِنْسِ، ثم ألْحَقُوا به هاء النَّسَبِ وحَذَفُوا الألِف الأولى التي بَعْدَ الزّاي تَخْفِيفًا لِكَثْرَةِ دَوَرَانِه. والله أعلم.

• فَصْلٌ في أوليةِ هذا الجيلِ وطَبقَاتِه

أمّا أوَّلِيَةُ هذا الجِيلِ بإفريقِيَّةَ والمَغرِبِ، وهي(أ) مُسَاوِقَةٌ لأوَّلِيةِ البَرْبَر منذ أحْقَابٍ مُتَطَاوِلَة لا يَعْلَم مَبْدأها إلاّ الله. ولهم شُعوبٌ أكثرُ مِن أنْ تُحْصى، مثل مَغرَاوَة وبني يَفْرَن وجَرَاوَة وبني يَرْنِيَّان ووَجْدِيجَن وغُمَرْت ويحْفَش وبني وَاسِين وبني تِيفرَسْت وبني مَرِينَ وتوجِّين وبني عَبْد الوَاد وبني رَاشِد وبني بَرْزَال وبني وَرْتَنْد(ب) وبني زَنْدَال وغيرِهم. وفى كُلِّ واحِدَة مِن هذه الشُّعوبِ بُطونٌ متعدِّدةٌ. وكانت مَواطِنُ هذا الجِيل من لَدنِ جهاتِ طَرَابُلُس إلى جَبَل

(أ) ض، أ: فهي (ب) الضبط من أ والمشجرات.

أوْرَاس والزّاب إلى قِبْلَةِ تِلِمْسَان ثم إلى وادي مَلْوِيَة[أ]، وكانت الكثرةُ والرّئاسةُ فيهم قَبلَ الإسْلام لجَرَاوَة ثم لمَغْرَاوَة وبني يَفْرَن.

ولما مَلَكَ الإفرِنْجَةُ بلادَ البَرْبَر، ودَانُوا لَهُم بِدِينِ النَّصْرانيَّةِ، ونَزَلُوا الأمْصارَ بالسَّواحِلِ، وَكَانَ زَنَاتَةُ هَؤُلاءِ وسَائِرُ البَرْبَر في ضَوَاحِيهم يُؤَدُّون لَهُم طَاعَةً مَعرُوفَةً وخَرَاجًا مُؤَقَّتًا[ب]، ويُعَسْكِرُون مَعَهُم في حُرُوبِهم، ويَمْتَنِعُون عَلَيْهم فيما سِوَى ذلِكَ. حتَّى جَاء اللهُ بالإسْلامِ، وزَحفَ المُسْلِمونَ إلى إفرِيقِيَّة، ومَلِكُ الإفرِنْجَة بِهَا يَوْمئِذٍ جِرْجِير[1]، فَظَاهَرهُ زَنَاتَة والبَرْبَر عَلَى شَأنِه مع المُسْلِمين. وانفَضُّوا جَميعًا، وقُتِلَ جِرْجِير وأَصْبَحَتْ أمْوَالُهم مَغَانِمَ / ونِساؤُهُم سَبْيًا. وافْتُتِحَت [7 أ] سُبَيْطِلَة[ج]. ثم عَاوَدَ المُسْلِمُون[د] غزوَ إفرِيقِيَّة، وافْتَتَحُوا جَلُولاَء وغيرَها من الأمْصَارِ، ورَجَعُوا الإفرِنْجَة الذين كانُوا يَمْلِكُونَهم على أعْقَابِهم إلى مَوَاطِنِهِم وراءَ البَحرِ. وظَنَّ البَرْبَرُ بأنفُسِهم مقاومَةَ العرَبِ، فاجْتَمَعُوا وتَمَسَّكُوا بحُصُونِ الجبالِ. واجْتَمَعَت زَنَاتَة إلى الكاهِنَة وقَوْمِها جَرَاوَة بجبل أوْرَاس حَسبَمَا نَذكُره. فأثْخَنَ العربُ فيهم، واتَّبَعُوهُم في الضَّواحِي والجِبالِ والقِفَارِ حتَّى دَخَلوا في دِينِ الإسْلامِ طَوْعًا وكَرْهًا، وانقَادُوا إلى إيَالَةِ مُضَر، وتَوَلَّوا من أمْرِهِم ما كان الإفرِنْجَةُ يَتَوَلَّوْنَه. حتى إذا انحَلَّت بالمَغرِبِ عُرَى المُلْكِ العَرَبِيّ، وأخرجهم عن إفرِيقِيَّةَ البَرْبَرُ مِن كُتَامَة وغيرِهم، قَدَحَ هذا الجِيلُ الزَّنَاتِيُّ زِنَادَ المُلْكِ فأوْرَى لهم، وتَداوَل فيهم المُلْكُ جيلاً بَعدَ جيلٍ في طبَقَتَين، حَسْبَمَا نَقُصُّهُ عَلَيكَ إنْ شاءَ اللهُ [تعالى][هـ].

(أ) ترد أحيانًا مضمومة الأول (ب) أ: موقوتا (ج) الشكل في ض: سبَيْطَلة (د) ط: عاود المسلمين (هـ) زيادة في أ.

(1) هو البطريق البيزنطي جريجوريوس (Grégoire) الذي هُزم وقُتل على يد الفاتحين العرب في معركة سبيطلة سنة 28 هـ / 648 م.

• الخَبَرُ عن الكاهنَة وقومِها جَراوَة من زَنَاتَة، وشأْنُهم مع المُسلمينَ عند الفتحِ

كانَتْ هذه الأمةُ من البَرْبَرِ بإفريقِيَّةَ والمَغرِبِ في قُوَّةٍ وكثرةٍ وعَديدٍ وجموعٍ. وكانُوا إنّما يُعْطُون الإفرَنْجَة بأمْصَارِهِم طاعةً معروفةً، ومُلْكُ الضَّواحِي كلِّها لهم، وعليهم مُظَاهَرة الإفرَنْجَة مَهْمَا احتاجُوهم إليها. ولمَّا أطَلَّ المُسلمُونَ في عَساكِرِهم على إفرِيقِيَّة للفَتْحِ، ظَاهرُوا جِرْجِيرَ في زَحْفِه إليهم حتى قَتَلَهُ المُسلمُون، وانفضَّت جُموعُهم وافترَقَت رئاسَتُهم. ولَمْ يَكنْ بَعدَها بإفرِيقِيَّة مَوْطِنٌ لِلِقاء المُسلمين بجَمعِهم، لمَّا كانت غَزَواتُهم لكلِّ أمَّة مِن البَرْبَر في ناحِيتِها ومَوطِنِها مَعَ مَن تحيَّزَ إليهم من قِبَل الفِرنْجَة.

ولمَّا اشْتَغَل المُسلمون في حَرْبِ عَليّ ومُعَاوِيَة أغفلوا أمرَ إفْرِيقِيَّة. ثم ولَّاها مُعَاوِيةُ بَعدَ عام الجَمَاعَةِ[1] عُقْبَةَ بن نافِع الفِهْرِيّ، فأثْخَنَ في المَغرِبِ في ولايَتِه الثَّانِيَةِ. وبلغ إلى السُّوسِ، وقُتِلَ بالزَّاب في مَرْجَعِه. واجْتَمَعَت البَرْبَر على كَسِيلَة[أ] / [7 ب] كبيرِ أوْرَبَة. وزَحفَ إليه بَعدَ ذَلكَ زُهَيْرُ بن قَيْسٍ البَلَوِيّ أيَّامَ عبد المَلِك بنِ مَرْوَانَ، فهزَمَه ومَلَكَ القَيْرَوَانَ، وأخرجَ المُسلمينَ مِن إفرِيقِيَّة. وبَعثَ عبدُ المَلِكِ حسَّانَ بنَ النُّعْمَان في عَسَاكِرِ المُسلِمِين، فهَزَمُوا البَرَابِرَة وقُتِل كَسِيلَةَ. واسْتَرْجَعُوا القَيْرَوانَ وقَرْطَاجَنَّةَ، وفرَّ بقيةُ الإفرِنْجَةِ والرُّومِ إلى صِقِلِّيَةَ والأنْدَلُسِ.

(أ) الشكل من ظ، ض.

---

(1) هو سنة 41 هـ / 661م وهو العام الذي أُخذت فيه البيعة لمعاوية بن أبي سفيان بمدينة الكوفة، بحضور الحسن بن عليّ بن أبي طالب وأخيه الحسين.

وافترقَت رِئاسةُ البَرْبَرِ في شعوبِهم، وكانَت زَناتَةُ أعظمَ قَبائِلِ البَرْبَرِ وأكثَرَها جُموعاً وبُطوناً. وكان مَوطِنُ جَرَاوَة منهم بجَبلِ أوْرَاس، وهُم وَلَدُ كَرَاوْ[ا] بن أدِيدَت بن جَانَا[ب]. وكانت رئاستُهم للكاهِنَة دَهْيا[ج] بنتِ ثابِتَة بن نِيفَان[د] ابنِ بَاوْرَا[هـ] بنِ مَصْكسري بن أفْرَد بن وصيلَا[و] بنِ جرَاو؛ بِمَا كان لَهَا بَنُونٌ ثَلاثَة، وَرِثُوا رئاسةَ قَوْمِهِم عن سَلَفِهم ورَبُوا في حِجْرِها، فَاسْتبدّت عليهم وعلى قَوْمِها بهم؛ وبِمَا كان لها من الكِهانَة والمَعرفَة بغَيْبِ أحْوالِهم وعواقِبِ أُمُورِهم، فانتهت إليها رئاستُهم. قال هَانِي بن بَكُور الضَّرِيسِي: ملكَتْ عليهم خمساً وستّين سنةً، وعاشت مائةً وسبعاً وعشرين سنة. وكان قَتْلُ عُقْبَةَ بنِ نافِع في البَسيطِ قِبْلَةَ جَبَل أوْرَاس بإغرائِها بَرَابِرَةَ تَهُودَا عليه. وكان المُسلمُون يَعرفُون ذَلِك مِنها، فلمَّا انقَضَّ[ز] جمعُ البَرْبَرِ وقُتِل كَسِيلَةُ، زَحفُوا إلى هذه الكَاهِنَة بمُعْتَصَمِها من جَبلِ أوْرَاس، وقَدْ ضَوَى إليها بنو يَفْرَن ومَنْ [كان][ح] بإفرِيقِيَّةَ من قَبائِلِ زَناتَةَ وسائرِ البُتْرِ، فَلَقِيَتْهم بالبَسيطِ أمامَ جَبَلِها، وانهزَم المُسلمونَ، واتَّبَعتْ آثارَهم في جُمُوعِها حتّى أخرجَتْهم [من إفرِيقِيَّة][ط].

وانتَهى حَسَّانُ إلى بَرْقَةَ، فأقامَ بها حتَّى جاءَهُ المدَدُ مِن عَبْدِ المَلِكِ، فزَحَفَ إليهم سنة أربعٍ وسبْعِينَ، وفَضَّ جُمُوعَهُم وأوْقَعَ بهم، وقَتَل[ي] الكَاهِنَةَ واقتحَم جَبلَ أوْرَاس عَنْوَةً، واستَلْحم فِيه زُهاءَ مائةِ ألفٍ.

وكان للكَاهِنَةِ ابْنانِ قد لحِقَا بحَسَّان قَبْل الواقِعَة، أشَارَت عليهما بذلك أمُّهُمَا دَهْيَا / لأثارةِ عِلْمٍ كانَ لَدَيْها في ذَلِكَ مِن شيْطانِها، فتَقَبَّلَهُما حَسَّان، [8أ]

(ا) كذا في الأصول، وفي حاشية أ: جراو (ب) ظ ص: أجانا (ج) الشكل من أ (د) من أ (هـ) ض، أ: ثاوزا (و) في ظ: وَصَيْلَا (ز) أ: انقضى (ح) زيادة في ض أ (ط) زيادة في ض ص أ (ي) أ: فقتل.

وحَسُنَ[أ] إسلامُهُما واستقامَتْ طاعَتُهُما، وعَقَدَ لهما على قومِهِما جَرَاوَةَ ومن انضَوى إليهم بجَبَلِ أوْرَاس. ثم افترَقَ فَلُّهُم مِن بعدِ ذلِكَ وانقَرَضَ أمْرُهم.

وافتَرَقَ جَرَاوَةُ أوْزَاعًا بين قبائِلِ البَرْبَرِ، وكانَ مِنهم قَوْمٌ بسَواحِلِ مَلِيلَةَ، وكان لهم آثارٌ بينَ جِيرانِهِم هُنالِكَ، وإليهم نَزَعَ ابنُ أبي العَيْش لمَّا غَلَبَهُ مُوسَى ابنُ أبِي العَافِيَة على سُلْطانِه بتِلِمْسَانَ أوَّلَ المائةِ الرابعةِ حَسْبَما نَذكُره، فنَزَلَ عَلَيْهِم، وبَنَى قَلْعَتَهُ بَيْنَهم إلى أنْ خَرِبَتْ مِن بعد ذلِكَ. والفَلُّ منهم بذلِكَ الوَطَنِ[ب] لهذا العَهْدِ مُنْدَرِجُون في بُطُونِه ومَنْ إليهم من قَبَائِلِ غُمَارَة[ج]. واللهُ وارِثُ الأرضَ ومَن عَلَيْها.

• الخَبَرُ عن مُبْتَدإِ دُوَلِ زَنَاتَةَ في الإسلام، ومصيرُ المُلْك إليهم بالمَغربِ وإفرِيقيَّة

لما فَرَغَ شَأنُ الرِّدَّةِ من إفْرِيقِيَّة والمَغْرِبِ، وأذْعَنَ البَرْبَرُ لحُكْمِ الإسْلامِ ومَلَكَةِ العَرَبِ، واستَقَلَّ بالخِلافةِ ورئاسَةِ العَرَب بَنُو أُمَيَّةَ، فاقْتَعَدُوا كُرْسِيَّ المُلْكِ بدِمَشْقَ، واسْتولَوا عَلَى سائِرِ الأمَمِ والأقطارِ، وأثْخَنُوا في القَاصِيَةِ من لدُنِ الهِنْدِ والصِّينِ في المَشْرِقِ، وفَرْغَانَةَ في الشَّمَال والحَبَشَةِ في الجَنُوب، والبَرْبَرِ في المَغْرِبِ، وبلادِ الجَلالِقَةِ والإفرَنْجَة في الأنْدَلُسِ، وضَرَبَ الإسلامُ بِجِرانِهِ، وألْقَتْ دَولةُ العَرَبِ بكَلْكَلِها على الأمَمِ. ثم جَدَعَ بنو أُمَيَّةَ أنوفَ بَنِي هاشِمٍ مُقَاسِمِيهِم في نَسَبِ عَبْدِ مَنَاف، والمُدَّعِين اسْتِحقاقَ الأمرِ بالوصِيَّةِ؛ وتَكَرَّرَ

(أ) أ: فحسن (ب) أ: الموطن (ج) الشكل من ض.

خُروجُهم عليهم فأثخنوا فيهم بالقَتْلِ والإِسَارِ، حتَّى تَوَغَّلتِ الصُّدُورُ واسْتَحْكَمَتِ الأَوْتَارُ، وتَعَدَّدَتْ فِرَقُ الشِّيعَةِ باخْتِلافِهِمْ في مَسَاقِ الخِلافَةِ من عَلِيّ إلى مَنْ بَعْده مِنْ بَنِي هاشِم.

فَقَوْمٌ ساقُوها إلى آلِ العَبَّاسِ، وقَوْمٌ إلى آلِ الحَسَنِ، وآخرون إلى آلِ الحُسَيْنِ. فَدَعَتْ شِيعةُ آلِ / العَبَّاسِ بخُراسَانَ، وقَامَ بها اليَمَنِيَّةُ، فكانت الدَّولةَ العَظِيمَةَ الحائِزَةَ للْخِلافَةِ، ونَزَلُوا بَغْدَادَ واسْتَبَاحُوا الأَمَوِيِّينَ قَتْلًا وسَبْيًا. [ب 8]

وخَلَصَ مِن جَالِيَتِهِمْ إلى الأَنْدَلُسِ عَبْدُ الرحمن بنُ مُعَاوِيَةَ بنِ هِشَام، فجَدَّدَ بها دَعْوَةَ الأُمَوِيَّةِ، واقْتَطَعَ مَا وَرَاءَ البَحْرِ عَنْ مُلْكِ الهَاشِمِيِّينَ، فلَمْ يَخْفُقْ لهَمْ بِهِ رايَةٌ.

ثم نَفِسَ آلُ أبي طالِبٍ على آلِ العَبَّاسِ ما أكْرَمَهُمُ اللهُ بِه مِنَ الخِلافَةِ والمُلْكِ. فَخَرَجَ المَهْدِيُّ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الله المَدْعُوّ بالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ في بَنِي أبي طالِبٍ على أبي جَعْفَر المَنْصُور. وكانَ مِن أمْرِهِم ما هو مَذْكُورٌ، واسْتَلْحَمَتْهُمْ جُيوشُ بني العَبَّاسِ في وقائِعَ عديدَةٍ. وفَرَّ إدريس بنُ عَبْد الله أخُو المَهْدِيّ ناجِياً مِنْ بَعْضِ وقائِعِهِم إلى المَغْرِبِ الأَقْصَى. فأجَارَه البَرَابِرَةُ مِنْ أَوْرَبَةَ(ا) ومَغِيلَةَ وصَدِّينَةَ(ب)، وقاموا بدَعْوَتِهِ ودَعْوَةِ بَنِيه مِنْ بَعْدِهِ، ونالُوا بها المُلْكَ، وغَلَبُوا على المَغْرِبِ الأَوْسَطِ، وبثُّوا دَعوةَ إدريسَ وبنِيهِ في أهْلِهِ من زَنَاتَةَ مِثلَ بني يَفْرَنَ ومَغْرَاوَةَ، واقْتَطَعُوه مِن مَمَالِكِ بني العبَّاس، واسْتَمَرَّت دَوْلتُهم إلى حِين انقِرَاضِها على يد العُبَيْدِيِّينَ.

(ا) الشكل من ض (ب) الشكل من ض، أ.

ولم يَزَلِ الطَّالبيُّونَ أثناء ذلك بالمَشرقِ يَنْزِعُونَ إلى الخِلافةِ، ويبثُّونَ دُعَاتَهُمْ بالقاصيَةِ، إلى أنْ دَعا أبو عَبْدِ الله المُحْتَسِب بإفريقِيَّةَ إلى المَهْدِيِّ مِنْ وَلَدِ إسْماعيل الإمامِ بنِ جَعْفَرٍ الصَّادِق، فقام بها بَرَابِرَةُ كُتَامَةَ ومَنْ إليهم مِنْ صِنْهَاجَة، وملكُوا إفْرِيقِيَّةَ مِنْ يَدِ الأَغَالِبَةِ، ورَجَعُوا العَرَبَ إلى مَرْكَزِ مُلْكِهِمْ بالمَشْرِقِ، ولم يَبْقَ لَهُم في نَواحِي المَغْرِبِ دولةٌ، ووَضَع العربُ ما كان على كاهِلِهم مِنْ إصْرِ العَرَبِ ووَطْأةِ مُضَرٍ بَعدَ أن رَسَخَتْ المِلَّةُ فيهم وخالَطَتْ بَشَاشَةُ الإيمان قُلُوبَهُمْ، واسْتَيْقَنُوا بوَعْدِ الصَّادِقِ أن الأرْضَ للهِ يورِثُها مَنْ يَشاء مِنْ عِبَادِهِ. فلم تَنْسَلِخ المِلَّةُ بانْسِلاخِ الدَّوْلَةِ، ولا تَقَوَّضَتْ / [١٩] مَبَانِي الدِّينِ بتَقْوِيضِ مَعَالِمِ المُلْكِ، وَعْداً من الله لن يُخْلِفَه في إتْمامِ أمْرِهِ وإظْهار دِينِه على الدِّين كُلِّه. فتَنَاغَى حينئِذٍ البَرْبَرُ في طَلَبِ المُلْكِ، والقِيَام بدَعْوَةِ الأَغْيَاصِ مِنْ بني عَبْدِ مَنَافٍ، يُسِرُّونَ مِنْها حَسْوًا في ارتِغَاءٍ[1]، إلى أن ظَفِرُوا مِنْ ذلك بحَظٍّ، مثل كُتَامَةَ بإفْريقِيَّة، ومِكْنَاسَة بالمَغْرِبِ، ونافَسَهُمْ في ذلك زَنَاتَةُ، وكانوا مِنْ أكْثَرِهِم جَمْعًا وأشدِّهِمْ قُوَّةً، فشَمَّروا له حتَّى ضَرَبُوا معهم بسَهْمٍ. فكان لبَني يَفْرَن بالمَغْرِبِ وإفْرِيقِيَّة على يَدِ صاحِبِ الحِمَار ثم على يَدِ يَعْلَى بنِ محمد وبنيه مُلْكٌ ضَخْمٌ، ثُمَّ كان لمَغْرَاوَةَ على يَدِ بني خَزَر دولةٌ أخرى تنازعُوها مع بني يَفْرَن وصِنْهَاجَة، ثم انْقَرَضَتْ تلك الأجيالُ، وتَجَدَّدَ المُلْكُ بالمَغْرِبِ بَعْدَهم في جِيلٍ آخرَ مِنهم. فكان لبنى مَرِينَ بالمَغْرِبِ الأقْصَى مُلْكٌ، ولبنى عَبْدِ الوَادِ بالمَغْرِبِ الأوْسَطِ مُلْكٌ آخر، تَقَاسَمَهُمْ فيه بنو تُوجِّين والفَلُّ مِنْ مَغْرَاوَةَ، حسبما نَذْكُرُ ونَسْتَوفِي شَرْحَهُ، ونَجْلِبُ أيَّامَهُمْ وبُطُونَهُمْ على الطَّرِيقَةِ التِّي سَلَكْنَاهَا في أخْبَار البَرْبَرِ. واللهُ المُعينُ سُبحانَهُ.

(1) يُسِرُّ حسوًا في ارتغاء: يجرع اللبنَ ويتظاهر بأنه يشرب الرغوة . مثل يضربُ لمن يُظهرُ أمرًا ويريدُ غيره .

الطبقةُ الأولى من زَنَاتَة:

● ونبدأ منها بالخبر عن بني يَفْرَن، وأنسابِهم وشُعوبِهم وما كان لهم من الدّول بإفريقيّة والمغرب

وبَنُو يَفْرَن هؤلاء مِن شُعوبِ زَنَاتَة وأوسعِ بُطُونهم، وهم عِندَ نَسَّابَة زَنَاتَة بنو إيفَرِي[ا] بن [يَصْلِتَن][ب] بن مِسْرَا[ج] بن زاكِيَا بن وَرْسِيك ابن أَدِّيدَت بن جَانَا، وإخوتُه مَغْرَاوَة وبنو يَرْنِيَان وبنو وَاسِين، والكُلُّ بنو يَصْلِتَن. ●وإيفَرِي في لُغة البَرْبَر هو الغار[د]، وبعض نَسَّابتهم يقولون إيفَرِي، هو ابن وَرْتَنِيز بن جَانَا، وإخوتُه مَغْرَاوَة وغُمَرْت ووَجْدِيجَن، وبعضهم يقول إيفَرِي بن مُرَّةَ بن وَرْسِيف بن جَانَا●[هـ]، وبعضُهم يقول / إيفَرِي[و] هو بن [9 ب] جَانَا لصُلبِه، والصَّحيحُ ما نَقَلْنَاهُ عن أبي محمد بن حَزْم[1].

وأما شُعوبُهم فَكَثِير، ومِن أشهَرِهم: بنو وارَكُو[ز] ومَرَنْجِيصة[ح]. وكانَ بنو يَفْرَن هؤلاء لعهد الفَتْح أكبرَ[ط] قبائل زَنَاتَة وأشدَّها شَوْكةً. وكان منهم بإفْرِيقِيَّة وجَبلِ أَوْرَاس والمَغْرِبِ الأوْسَط بطونٌ وشعوبٌ. فلمَّا كانَ الفتحُ غَشِيَ إفْرِيقِيَّة ومَن بِهَا مِنَ البَرْبَر جنودُ الله المُسلمُون من العَرب، تَطَامَنُوا

(ا) كذا ضبطت في مشجر أ (ب) من ض أ والمشجّر. وفي ظ ص: يصليتن (ج) في المشجّر مِسْرَا كما تقدم. وجاءت هنا في الأصول بالألف المقصورة: مِشرى (د) ص ظ: العار (هـ) ورد ما بين النجمين في حاشية أ بخط ابن خلدون، وادرج في متون الأصول (و) كذا في ظ ص ض، وفي أ: ابن مرّة (ز) أ: وَارَكُو، والضبط من مشجر ظ (ح) من ظ أ، وفي ض: بزاي فوقها صاد، وفي ص: مرنجيزة، براء مهملة (ط) أ: أكثر.

---

(1) الجمرة 495

لبأسِهم حتّى ضرَبَ الدينُ بجِرانِه وحَسُنَ إسلامُهم. ولمَّا فشَا دينُ الخارِجيّة في الغَربِ، وغَلَبَهم الخُلفاء في المَشرِقِ واستَلْحمُوهم، فنَزَعُوا إلى القَاصِيَة وصَارُوا يبثُّون بها دينَهم في البَرْبَرِ، فتلقَّفه رُؤساؤُهم على اختلافِ مَذاهِبه باختلافِ رؤوسِ الخَارجيّة في أحكامِهم، من إباضيّةٍ وصُفريّةٍ وغيرِهما كما ذكرناه في بَابِه. ففَشَا في البَرْبَرِ وضَربَ فيه بنو يَفْرَن هؤلاء بسَهْمٍ وانتحَلُوه وقَاتَلُوا عليه. وكانَ أوّلَ مَنْ جمَعَ لذلكَ مِنهم أبو قُرَّةَ مِنْ أهلِ المَغْرِبِ الأوْسَط، ثُمَّ من بَعدِهِم أبو يَزِيد صاحِبُ الحِمَار وقَومُه بنو وارَكُو ومَرَنْجِيصة. ثُمَّ كان لهم بالمَغرِبِ الأقْصَى، وبَعد الانسِلاخ من الخَارِجيّةِ دَولتَان على يَدِ يَعْلَى بنِ محمد ابنِ صَالِح وبَنِيهِ، حسْبَما نَذكُر ذلك مُفسَّرًا إن شاءَ اللهُ تعَالى.

[10 أ]

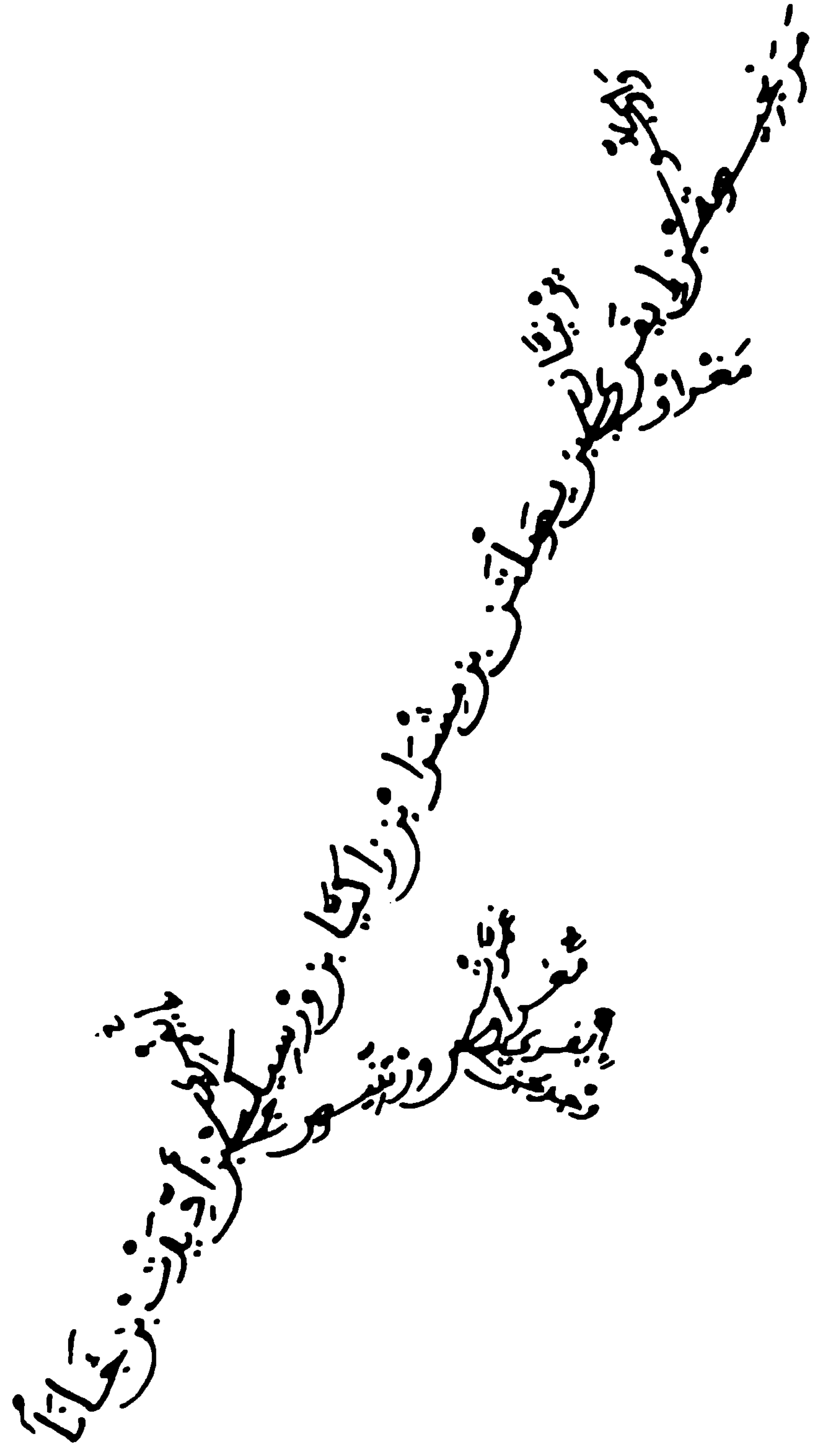

[الطبقة الأولى من زَنَاتة]

• / الخبرُ عن أبي قُرَّةَ وما كان لهُ ولقَوْمِه منَ المُلْك بتِلِمْسان، ومَبْدأُ ذلك ومَصائِرُه [10 ب]

كانَ من بني يَفْرَن بالمَغرِبِ الأوْسَطِ بُطُونٌ كثيرةٌ بنَواحِي تِلِمْسَانَ إلى جَبلِ بني رَاشِد المعروفِ بهم لهذا العَهْدِ. وهم الذِينَ اختطّوا تِلِمْسَان كما نَذكُره في أخبارِها. وكانَ رئيسُهم لعَهدِ انتقالِ الخلافةِ من بني أُمَيَّةَ إلى بني العَبَّاسِ أبُو قُرَّةَ، و[ا] لا نَعرفُ[ب] من نَسَبِه أكثرَ مِنْ أنّه مِنهُم. ولمَّا انتقَضَ البَرَابِرَةُ بالمَغرِبِ الأقْصَى، وقامَ مَيْسَرَةُ وقَومُه بدَعْوةِ الخارِجِيّة، وقَتَله البَرْبَرُ، قَدّموا على أنفسِهم مكانَه خَالِدَ بنَ حُمَيْد من [هَتُّورَة إحدى بُطُون][ج] زَنَاتَة. فكان من حَربِه معَ كُلثُوم بنِ عِيَاض وقتْلِه إيّاه مَا هو معروفٌ، ورَأسَ على زَنَاتَة من بَعدِه أبُو قُرَّة هذا. ولمَّا انْتَاثَتْ دولةُ بني أمَيَّةَ، كَثُرَتْ الخَارِجِيَّةُ في البَرْبَر، ومَلَكَ وَرْفَجّومَةُ القَيْرَوَانَ، وهَوَّارَةُ وزَنَاتَةُ طَرَابُلُس، ومِكْنَاسَةُ سِجِلْمَاسَةَ، وابنُ رُسْتُمَ تَاهَرْتَ. وقدِمَ ابنُ الأشْعَثِ إفْرِيقِيَّةَ من قِبَلِ أبي جَعْفَرٍ المَنْصُور، وخافَهُ البَرْبَرُ، فحَسَمَ العِلَلَ وسَكَّنَ الحروبَ. ثمّ انتقَضَ بنو يَفْرَن بنواحي تِلِمْسَانَ ودَعَوا إلى الخَارِجِيَّةِ، وبايَعُوا لأبي قُرَّةَ كَبيرِهم بالخِلافةِ سنةَ ثمانٍ وأربعِينَ ومائة. وسَرَّح إليهم ابنُ الأشْعَثِ الأغْلَبَ بنَ سَوَادَةَ التَّمِيمي فانتهى إلى الزَّابِ، وفَرَّ أبُو قُرَّةَ إلى المَغرِبِ الأقْصَى، ثمّ رَاجعَ مَوْطنَه بَعدَ رُجوعِ الأغْلَبِ.

(ا) سقط حرف العطف من ص، ض (ب) في أ: يعرف (ج) زيادة مُلحقة في حاشية أ.

ولمّا انتقَضَ البرَابِرَةُ على عُمَرَ بن حَفْصٍ بن أبي صُفْرَةَ الملقَّب هَزَارَمَرْد[1] أعوامَ خمسين ومائة، وحاصرُوه بِطُبْنَةَ[أ]، كانَ فيمَن حاصَرَه أبو قُرَّةَ اليَفْرَنِيّ في أربعينَ ألفًا صُفْرِيَّةً من قومِه وغيرِهم، حتّى اشتدَّ عليه الحِصار، وداخَل أبا قُرَّةَ في الإفراجِ عنهُ على يَدِ ابنِه، عَلَى أن يُعطيَه أربعينَ ألفًا ولابنِه أربعةَ آلاف، فارتحلَ بقومِه وانفَضَّ البرَابِرَةُ عن طُبْنَةَ. ثم / [11 أ] حاصَرُوه بَعدَ ذلكَ بالقَيْرَوَان واجتَمعوا عليه، وأبو قُرَّةَ معهُم بثلاثِ مائةٍ وخمسين ألفًا. الخَيَّالةُ منها خمسةٌ وثمانونَ ألفًا، وهَلَكَ عُمَرُ بن حَفْصٍ في ذلكَ الحصارِ.

وقَدِم يَزيدُ بن حاتِم والياً على إفريقِيَّة، ففضَّ جُموعَهم وفرَّقَ كلمتَهم. ولَحِق أبو قُرَّةَ وبنو يَفْرَن أصحابُه بمَواطِنِهم من تِلِمْسَانَ، بَعدَ أن قُتِل صاحبُه أبُو حَاتِم الكِنْدِيّ رأسُ الخَوارِج، واستُلْحِمَ بنو يَفْرَن. وتَوغَّل يَزيدُ بن حَاتِم في المَغرِبِ ونَواحِيه، وأثْخَنَ في أهلِه إلى أنْ استَكانُوا واستَقامُوا. ولَم يكن لبَني يَفْرَن من بَعدِها انتِقاضٌ، حتّى كانَ شَأنُ أبي يَزيد بإفريقِيَّة في بني وَارَكُو[ب] ومَرَنْجِيصة منهم حَسْبما نَذكرُه إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى. وبعضُ المؤرّخين يَنْسُبُ أبا قُرَّةَ هذا إلى مَغِيلَة، ولَم أظفَر بصحيحٍ في ذَلكَ، والقَرائنُ مُتساويةٌ مِنَ الجانِبَيْنِ. فإنّ نَواحِي تِلِمْسَانَ وإنْ كانَتْ مَوطناً لبنى يَفْرَن فهي أيضا مَوطِنٌ لمَغِيلَة، والقَبيلَتان مُتجاوِرَتان. لكنَّ بني يَفْرَن كانوا أشدَّ قوةً وأكثرَ جمعاً، ومَغِيلَة أيضا كانوا أشهرَ بالخَارِجِيَّة من بني يَفْرَن، لأنّهم كانوا صُفْرِيَّةً، وكثيرٌ من النّاس يقولون

(أ) ص: بطينه (ب) ص: واركوا.

---

(1) سماه ابن خلدون مرّة عمرو، انظر الحاشية 1 من العبر 7: 603

إنّ بني يَفْرَن كانُوا عَلَى مَذاهِبِ أهلِ السُّنَة كما ذَكَرَه ابنُ حَزْم[1] وغيرُه، واللهُ أعلمُ [وهو حَسْبِي][أ].

• الخَبَرُ عن أبي يزيدٍ الخَارجيّ صاحِب الحمار مِن بني يَفْرَن، ومبْدأ أمْرِه مع الشّيعة ومصائرِه

هذَا الرَّجلُ من بني وَارَكُوا[ب] إخوةِ مَرَنْجِيصة، وكُلُّهم من بُطونِ بني يَفْرَن، كُنيتُه أبُو يَزِيد، واسْمُه مَخْلَدٌ بن كَيْدَاد[ج]، لا يُعلَمُ[د] مِنْ نَسَبِهِ فِيهم غيرُ هذا. وقال أبو محمد بن حَزْم: وذَكَر لي [محمد بن][هـ] يُوسُفُ الوَرَّاق عن أيُّوبَ بنِ أبي يَزِيد، أنَّ أبَاه أبا يَزِيد اسمُه مَخْلد بن كَيْدَاد بن سَعْد الله بن مُغِيث بن كَرْمَان / بن مَخْلَد بن عُثْمَان بن وَرْتَمْت[و] بن خُونِيفَر[ز] بن [11 ب] سَمِيرَان بن يَفْرَن بن جَانَا وهو زَنَاتَةُ. قال: وقد أخْبَرَني بعضُ البَرْبَرِ بأسْماءٍ زَائِدةٍ بَيْنَ يَفْرَن وجَانَا. انتهى كلام ابنِ حَزم[2]. ونَسَبَه ابنُ الرَّقِيقِ أيضا في بَنِي وَاسِين بن وَرْسِيك بن جَانَا، وقَدْ تَقَدَّم نَسَبُهم أوَّلَ الفَصْل.

وكَانَ كيدادُ أبوهُ يَختلفُ إلى بَلَدِ السُّودَانِ في التِّجَارةِ، فَوُلِدَ لهُ أبو يَزِيد بِكُوكُو[ح] مِن بِلادِهِم، وأمُّهُ أمُّ وَلَدٍ اسمُها سَبِيكَة. ورَجعَ به إلى قَيْطُون زَنَاتَة بِبلادِ قَسْطِيلِيَّة ونَزَل تَوْزَر مُتَرَدِّدًا بينها وبين تَقْيُوس، وتَعلَّمَ القُرآنَ

(أ) زيادة في أ (ب) وردت في ظ مهملة من غير شكل وفي ض، أ: وازكُو (ج) الشكل من ض (د) ض: نعلم (هـ) في ظ أ ض: يوسف الوراق، كما في الجمهرة 495 وفي ص: أبو يوسف وتقدم تصويبه في (ص: 4) (و) ض: وَرْتَنيْتْ وفي أ: ورتيْتْ (ز) ص،ظ،أ: جونفر (ح) الشكل من ض،أ .

(1) الجمهرة 498

(2) المصدر نفسه 495

وتأدّب، وخالَطَ النُّكّارِيّة[1] فمالَ إلى مَذاهِبِهم وأخَذَها عنهم ورَأَسَ فيها. ورَحلَ إلى مَشيخَتِهم بتِيهَرْت، وأخَذَ عن أبي عُبَيْدَةَ مِنهم أيّام اعْتِقال عُبَيْدِ الله المَهْدِيّ بسِجِلْماسَة. وماتَ أبُوهُ كَيدادُ وتركَه على حالٍ من الخَصاصَةِ والفَقْرِ. فكانَ أهلُ القَيْطُون يَصِلونَه بفَضْل أمْوالِهِم. وكان يُعلِّم صِبيانَهم القرآنَ ومَذاهِبَ النُّكّار. واشتَهَرَ عنهُ تكفيرُ أهْلِ القِبْلَةِ، وسبُّ عليّ. فخافَ وانتَقَلَ إلى تَقْيُوس، وكانَ يَختلِفُ بَيْنَها وبَيْنَ تَوْزَر. وأخذَ نَفْسَهُ بالتَّغْييرِ على الوُلاةِ، ونَمَّ عَنهُ اعتقادُ الخُروجِ على السّلطان، فنذَر الوُلاةُ بقَسْطِيلِيَّة [دَمَه. فخرجَ إلى الحجّ سنةَ عشرٍ وثلاث مائة، وأرهقَه الطّلَب، فرجعَ من نَواحِي طَرابُلُس إلى تَقْيُوس.

ولمّا هَلَكَ عُبَيْدُ الله أوْعَزَ أبو القاسِم إلى أهلِ قَسْطِيلِيَّة][أ] في القَبْضِ عليهِ، فلَحِقَ بالمَشرِقِ وقَضَى الفرضَ. وانصرفَ إلى مَوْطِنِه، ودخلَ تَوْزَرَ سنةَ خمسٍ وعشرين مُتَستِّرًا، وسَعَى به ابن فرْقان عِندَ والي البلَد، فتَقَبَّضَ عليه واعتَقَلَه. وأقْبَلَ سَرَعَانُ زَناتَةَ إلى البَلدِ ومَعهُم أبو عَمّار الأعمى رأسُ النُّكّارِيّة، واسمُه كما سَبقَ[ب] عَبدُ الحَمِيد. وكانَ مِمَّن أخذَ عنهُ أبو يَزِيد، فتعرّضُوا إلى الوالي في إطلاقِهِ، فتعلّلَ عليهم بطلَبِه في الخَراج. فاجتمعوا إلى فَضْلٍ ويَزِيدَ ابنَيْ أبي يَزِيد، وعَمَدُوا إلى السِّجن فقَتلوا الحَرَسَ وأخرَجُوه. فلَحِقَ ببَلَدِ بني وَارْكَلا، وأقامَ بها سنةً يَختلِفُ إلى جَبلِ أوْرَاس وإلى بني بَرْزال في مَواطِنِهم

(أ) زيادة في ص ،ض ،أ (ب) ص: تبين .

(1) ويعرفون أيضا بالنكّار. سموا بذلك لإنكارهم إمامة عبد الوهّاب بن عبد الرّحمن بن رستم، وهم أتباع يزيد ابن فندين، ولذلك يعرفون أيضا باسم اليزيدية. ينظر ابن الصغير: أخبار الأئمة، 43؛ والدرجيني: طبقات المشائخ 47:1 و 51 الشماخي: سير 53 .

بالجبالِ قِبلَةَ المَسِيلَةِ، وإلى بني زنْدَاكـ / من مَغْرَاوَةَ، إلى أنْ أجَابُوه، فوَصلَ [12 أ] إلى جَبلِ أوْرَاس ومعه أبو عَمّار الأعمَى في اثنَيْ عشر [ألفا][أ] من الرَجّالَة، ونزلوا على النّكَّارِيّةِ بالنّوَالاتِ[ب]. واجتمَعَ إليه العَزّابَة[1] وسائِرُ الخوارجِ، وأخَذَ له البيعةَ عليهم أبو عَمّار صاحِبُه على قِتالِ الشّيعَةِ، وعلى اسْتباحَة الغَنائِمِ والسَّبْيِ، وعَلَى أنّهم إن ظَفَرُوا بالمَهْدِيّةِ والقَيْرَوان صارَ الأمرُ شُورَى، وذلك سنةَ إحْدَى وثلاثين. وترَصّدوا غيبةَ صاحبِ بَاغَايَة في بعضِ وُجوهِهِ فضَربَ على بَسيطِها واستَبَاح بَعضَ القُصورِ فيها سنة اثنتَين وثلاثين، وغَمَسَ بذلك أيْدِي البَرْبَرِ في الفِتْنةِ. ثمّ زحَفَ بهم ثانية إلى بَاغَايَة، واستَوت عليهِ وعلى أصْحابِه الهَزيمةُ، فلحِقُوا بالجَبلِ. وزَحَفَ إليهم صاحبُ بَاغَايَة فانهزمَ ورجعَ إلى بلدِه. فحَاصَرَه أبو يَزيد، وأوعزَ القائمُ أبو القاسِمِ إلى كُتَامَةَ في إمداد كَنُّونَ صاحبِ بَاغَايَة. فتلاحَقَتْ بهِ العساكِرُ، فبَيَّتَهُمْ أبو يَزِيدٍ وأصحابُه فَفَلُّوهُمْ، وامْتنَعَت عليه بَاغَايَة.

وكاتَبَ أبو يَزِيدٍ البَرْبَرَ الذينَ حولَ قَصْطِيلِيَّةَ[ج] من بني وَاسِين وغيرِهم، فَحاصرُوا تَوْزَرَ سنة ثلاثٍ وثلاثينَ. ورحلَ إلى تِبِسَّةَ فدَخلَها صُلحاً، ثمّ إلى مَجّانَةَ كذلك، ثم إلى مَرْمَاجَنّةَ[د] كذلك، وأهْدَوا لهُ حِماراً أشهبَ فلَزِمَ ركوبَه حتّى اشتهرَ به. وبلَغَ خَبرُه عَساكرَ كُتَامَة بالأرْبُص فانفَضُّوا، ومَلَكَ الأرْبُص وقَتَلَ إمامَ الصَّلاةِ بها، وبعثَ عَسكَراً إلى تَبَسَّةَ فملكُوهَا وقتلُوا عامِلَها.

(أ) زيادة في أ (ب) في أ، الشدّ فوق الواو (ج) ترد بالصاد والباسين (د) في أ بتشديد الراء.

---

(1) العزابة تنظيم اعتمده الإباضية بعد سقوط دولتهم في تيهرت بهدف الحفاظ على استمرار مذهبهم، ويعرف عندهم أيضا باسم الحلقة. ويعد أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي أول من أسس هذا النظام ورتب قوانينه، وذلك سنة 409 هـ/1018م. ينظر الروكلاني، سير الأئمة، 180. والدرجيني، طبقات المشائخ 1/ 108،167 و195.

وبلغَ الخبرُ إلى القائمِ وهو بالمَهْدِيَّةِ فهَالَه، وسَرَّح العساكرَ لضبطِ المدنِ والثُّغورِ. وسَرَّح مَولاهُ بُشْرَى الصَّقْلبيِ إلى بَاجَة، وعقَد لمَيْسُورٍ على الجيوشِ فعَسْكَرَ بساحة المَهْدِيَّةِ. وسَرَّح خليلَ بنَ إسحاقٍ إلى القَيْرَوان فعَسْكَرَ بها. وزَحفَ أبو يَزِيدٍ إلى بُشْرَى بباجَةَ، واشتدَّتِ الحَرْبُ بينهم. ورَكِبَ أبو يَزِيدٍ [12 ب] حِمارَه وأمْسكَ / عَصاهُ، فَاسْتماتَتِ النُّكَّارِيَّةُ وخالَفوا بُشْرَى إلى معسكرِهِ، فانهزمَ إلى تُونِسَ. واقتحَمَ أبو يَزِيدٍ بَاجَةَ واستباحَهَا. ودَخلَ بُشْرَى إلى تُونِس، وارتدّتِ البَرَابِرةُ من كُلِّ ناحيةٍ، فَأسْلمَ تُونِسَ ولحِقَ بسُوسَةَ. واستأمَنَ أهلُ تُونِس إلى أبي يَزِيدٍ فأمَّنَهم ووَلَّى عليهم. وانتهَى إلى وادي مَجْرَدَة، فعسكرَ [به][أ] ووَافَتْه الحشودُ هنالِكَ ورَعَّبَ الناسَ مِنهُ، فأجْفَلوا إلى القَيْرَوان. وكثُرتِ الأراجيفُ، وسَرَّب أبو يَزِيدٍ جيوشَهُ في نَواحي إفْرِيقِيَّةَ، فشَنُّوا الغاراتِ وأكثَرُوا السَّبْيَ والقَتلَ والأسْرَ. ثُمَّ زَحفَ إلى رَقَّادَة، فانفَضَّ كُتَامَةُ الذين كانوا بها ولَحِقوا بالمَهْدِيَّةِ. ونَزَلَ أبو يَزِيد رقَّادَةَ في مائة ألف. ثُمَّ زَحفَ إلى القَيْرَوَانِ فانحصَرَ بها خَليل، ثُمَّ أخذَه بعد مُراوضَةٍ في الصّلْح، وهمَّ بقَتلِه، فأشارَ عليه أبو عَمَّارٍ باسْتبقائِه فلَمْ يُطِعْه وقتَلَه.

[ودَخلُوا][ب] القَيْرَوَانَ فَاستَباحُوها، ولقيهُ مَشْيخةُ الفقهاء فأمَّنَهم بعد التَّقريعِ والعَتْبِ، وعلى أن يَقتلُوا أولياءَ الشِّيعة. وزحفَ وبعثَ رُسُلَه في وفْدٍ من أهل القَيْرَوانِ إلى النَّاصِرِ الأمويِّ صاحبِ قُرطُبة، مُلتزمًا لطَاعتِه والقِيَامِ بدَعْوتِه وطالباً لِمَدَدِه، فرجعوا إليه بالقَبُول والوَعدِ. ولَم يَزل يُرَدِّدُ ذلكَ سَائرَ

(أ) في الأصول: بها (ب) من أ ص ض، وفي ظ: ودخل.

أيّامِ الفِتنةِ، حتّى أوفدَ ابنَه أيوبَ في آخرِها سنةَ خَمسٍ وثلاثينَ. فكانَ له اتّصالٌ بالنّاصِرِ سائرَ أيّامِه.

وزَحفَ مَيْسُورٌ مِنَ المَهْدِيّةِ بالعسَاكِرِ، وفرَّ عنه بنو كَمْلان مِن هَوّارَةَ، ولَحِقوا بأبي يَزِيدٍ وحَرَّضُوه على لِقاءِ مَيْسُورٍ. فزحَفَ إليه واستَوَى اللّقاءُ واستَماتَ أبو يَزِيدٍ والنُّكّارِيّةُ، فانهزَم مَيْسُورٌ وقَتلَه بنو كَمْلان وبَعثَ برأسِهِ إلى القَيْرَوانِ ثمّ إلى المَغْرِبِ، واستُبيحَ مُعسكَرُه. وسرَّحَ أبو يَزِيدٍ عساكِرَه إلى مدينَةِ[أ] فاقتحمُوها عَنْوَةً، وأكْثَروا مِنَ القَتلِ والـمُثْلَةِ. وعَظُمَ القَتلُ / بضَواحِي إفريقِيّةَ، وخَلتِ القُرى والمَنازِلُ، ومن أفلَتَهُ السّيفُ أهلَكَهُ الجُوعُ. [13 أ] واستخَفَّ أبو يَزِيدٍ بالنّاسِ بَعْدَ قَتلِ مَيْسُورٍ فلَبِسَ الحَريرَ وركِبَ الفَارِهَ. ونَكِرَ عليهِ أصْحابُه ذلكَ، وكاتَبَه به رؤُوسُهم مِنَ البِلادِ. والقائمُ خلالَ ذلك بالمَهْدِيّةِ يُخَندِقُ عَلَى نَفسِهِ، ويَسْتَنْفِرُ كُتامَةَ وصِنْهَاجَةَ للحِصارِ معهُ.

وزَحفَ أبو يَزِيدٍ حتّى نَزلَ على المَهْدِيّةِ، وناوَشَ عَساكِرَها الحَربَ، فلم يَزلِ الظّهورُ له عليهم، ومَلَكَ زوِيلَةَ، ولمّا وقَفَ بالمصَلّى قال القائمُ لأصحابِهِ: مِن هَاهُنا يَرجِع. واتّصَلَ حِصارُه للمَهْدِيّةِ، واجتمَعَ إليه البَرْبَرُ من قَابِسَ وطَرابُلُسَ ونَفُوسَة. وزَحفَ إليهم ثَلاثَ مرَّاتٍ فانهزمَ في الثّالثةِ ولم يُقلِعْ، وكذلكَ في الرّابِعة. واشتدَّ الحِصارُ على أهلِ المَهْدِيّةِ[ب]، ونَزلَ الجُوعُ بهم. واجتَمعَت كُتامَةُ بقُسَنْطِينَة وعَسكَرُوا بها لإمْدادِ القائمِ، فسرَّحَ إليهم أبو يَزِيدٍ زَكُوا المَزَاتِي في جُموعٍ[ج] وَزفَجُومَة، فانفَضَّ مُعسكَرُ كُتامَة من قُسَنْطِينَة، ويئِسَ القائمُ من مَدَدِهِم.

(أ) كذا وردت في ظ ص ض مُنكَّرة، وفي أ: مدينة لمم (غير مقروءة) ولا يقصد سوسة، فقد حوصرت وامتنعت عليه فانهزم عنها (انظر البكري: المسالك والممالك 2: 690 (1157) ولا المهدية لأنها لم تقتحم (ب) في أ: المدينة (ج) ض: في جموعه.

وتَفرَّقَت عَساكرُ أبي يَزيدٍ في الغَاراتِ والنَّهبِ، فخفَّ المُعسكَرُ ولم يَبقَ به إلّا هَوَّارَةُ أوْرَاس وبنو كَمْلان. وكَثُرَت مُراسَلاتُ القَائِمِ للبَرْبَرِ، واستَرابَ بهم أبو يَزيدٍ، وهَرَبَ بعضُهم إلى المَهْدِيَّةِ، ورَحلَ آخَرُون إلى مَواطِنِهم. فأشارَ عليه أصْحابُه بالإفراجِ عَنِ المَهْدِيَّةِ، فَأَسلَمُوا مُعسكرَهم ولَحِقوا بالقَيْرَوَان سنةَ أربعٍ وثَلاثينَ. ودَبَّرَ أهلُ القَيْرَوَان في القَبْضِ عليه فلم يَتَهَيَّأْ لهم. وعَذَلَهُ أبو عَمَّار فيما أتَاهُ من الاستِكثارِ من الدُّنيا، فتَابَ وأقلَعَ، وعَاودَ لُبْسَ الصّوفِ والتَقَشُّفَ.

وشَاعَ خبرُ إجْفالِهِ عن المَهْدِيَّةِ فقُتِلَ النُّكَّارُ في كُلِّ بَلَدٍ. وبَعثَ عساكِرَه فعَاثُوا في النَّواحي وأوقَعوا بأهْلِ الأمصارِ وخَرَّبوا كثيراً منها. وبَعثَ / ابنَهُ أيُّوبَ إلى باجَةَ، فعَسْكرَ بها يَنْتظرُ وصُولَ المَدَدِ من البَرْبَرِ من سَائرِ النَّواحي، فلم يَفْجَأْهُ إلّا وُصولُ عَلِيِّ بنِ حَمْدُونَ الأنْدَلُسِيِّ صاحبِ المَسِيلَةِ في حشْدِ كُتامَة وزَوَاوَة وقد مَرَّ بقُسَنْطِينَة والأرْبُس وشَقْبَنَارِيَة، واستَصْحَبَ منها العساكِرَ. فبَيَّتَهُ أيُّوبُ، وانفَضَّ مُعسكرهُ وتَرَدَّى به فَرَسُهُ في بعضِ الأوْعارِ فهلَكَ. [13 ب]

ثُمَّ زَحفَ أيُّوبُ في عَسْكرِهِ إلى تُونِسَ وقائدُها حَسَنُ بن عَلِيّ من دُعاةِ الشِّيعَةِ، فانهزمَ أيُّوب. ثم أُتيحَت له الكَرَّةُ، ولَحِقَ حسنَ بن عَلِيّ قائدَها ببلدِ كُتامَةَ، فعَسْكرَ بهم على قُسَنْطِينَة، وسرَّحَ أبو يَزيدٍ جُموعَ البَرْبَرِ لحربِه. ثمَّ اجتمَعت لأبي يَزيدٍ حشودُ البَرْبَرِ من كُلِّ ناحيةٍ، وثَابَتْ إلَيْهِ قُوَّتُه، وزحَفَ إلى سُوسَةَ فحاصَرها ونَصَبَ عليها المَجَانِيقَ.

وهلَك القائمُ سنةَ أربعٍ وثلاثين في شوّال، وصارت الخلافةُ لابْنه إسماعيل المنصورِ، فبعثَ بالمَدَدِ إلى سُوسَةَ بعد أن اعتزَم على الخُروجِ إليها بنفْسِهِ فمنَعَه أصحابُه. ووَصلَ المَدَدُ إلى سُوسَةَ فقاتَلُوا أبا يَزِيدَ، فانهزَمَ ولَحِق بالقَيْرَوان فامْتَنَعتْ عليه، فاسْتَخْلَص صاحبَهُ أبا عَمَّارٍ من أيْدِيهم وارْتَحَلَ عنهم. وخَرجَ المنصورُ مِنَ المَهْدِيَةِ إلى سُوسَةَ ثمّ إلى القَيْرَوان فملكَها، وعَفَا عن أهْلها وأمَّنَهم، وأحسنَ في مُخَلَّفِ أبي يَزِيدٍ وعِيالِه، وتَوافَى المَدَدُ إلى أبي يَزِيد ثالثةً فاعتَزَمَ على حِصارِ القَيْرَوانِ، وزحَفَ إلى عَسكَرِ المنصور بساحَتِها فبَيَّتَهم، واشتدَّتِ الحَربُ واستماتَ الأولياءُ وافترَقُوا آخرَ نهارِهم، وعاوَدُوا الزَّحْفَ مرَّاتٍ.

ووَصلَ المَدَدُ إلى المنصورِ من الجهاتِ، حتَّى إذا كانَ مُنتصفُ المحرَّم، كانَ الفَتحُ وانهزمَ أبو يَزِيدٍ، وعظُمَ القَتلُ في البَرْبَر. ورحَلَ المنصورُ في اتِّباعِه فمرَّ بسَبِيبَة ثم بتبِسَّة حتَّى انتهى / إلى باغَايَةَ. ووافاهُ بها كتابُ محمّد بن خَزَر [14أ] بالطَّاعة والوِلايةِ والاستعدَادِ للمُظاهَرة. فكتَبَ إليه بترَصُّدِ أبي يَزِيدٍ والقَبْضِ عليه، ووعَدَه في ذلك بعشرين حِمْلاً من المالِ. ثم رَحلَ إلى طُبْنَةَ، ووافاهُ جَعفَرُ ابن عَلِيّ عاملُ المَسِيلَة بالهَدايا والأموالِ. وبلَغَه أنّ أبا يَزِيدٍ نَزلَ بِسْكَرَةَ، وأنّه كاتَبَ محمّدَ بن خَزَر يسألُه النُّصرةَ فلم يَجِد عنده ما يُرضِيهِ، فارتَحلَ المنصورُ إلى بِسكَرَةَ فتلقَّاه أهلُها. وفرَّ أبو يَزِيدٍ إلى بني بَرْزَال بجَبلِ سالاَت(أ)، ثم إلى جبلِ كَيَانَة(ب)، وهو جَبلُ عِيَاضٍ لهذا العهدِ. وارتَحلَ المنصورُ في إثرِهِ إلى مَقَّرَةَ(ج)، وبيَّتَه أبو يَزِيدٍ هنالِكَ، فانهزمَ ولم يظفَرْ. وانحازَ

(أ) الشكل من أ (ب) الياء مهملة في ظ، وفي ص: كيانة وفي ض أ: كَيانة (ج) في أ: مقره

إلى جَبلِ سَالَات، ثمَّ لَحِق بالرّمالِ. ورَجَع عنه بنو كَمْلان، وأمَّنهم المَنصورُ على يَدِ محمد بن خَزَر.

وسار المنصورُ في التَّعبئَةِ حتَّى نَزلَ جبَلَ سَالَات، وارْتَحَلَ ورَاءه إلى الرّمالِ، ثمَّ رَجعَ ودَخلَ بِلادَ صِنْهَاجَة. وبَلَغه رُجوعُ أبي يَزِيد إلى جَبل كَيَانَة[أ] فرَجعَ إليه ونَزلَ عليه المنصورُ في كُتَامَةَ وعجِيسَةَ وزَوَاوَةَ، وحَشَد بَني زَنْدَاك ومَزَاتَة[ب] ومِكْنَاسَة ومَكْلاتَة[ج]. وتَقدَّموا إليه، فقاتلوا أبا يَزِيدٍ وجُموعَ النُّكَّارِيَّةِ فهزَمُوهُم، واعتَصمُوا بجِبالِ كَيَانَة[د].

ورَحلَ المنصورُ إلى المَسِيلَةِ، وانْحَصرَ أبو يَزِيدٍ في قلعةِ الجبَلِ[1]، وعَسكَرَ المنصورُ إزاءَها، واشْتدَّ الحِصارُ، وزَحفَ إليها مرَّاتٍ، ثمَّ اقتحَمَها عَلَيهِم. فاعتصمَ أبو يَزِيدٍ بقصرٍ في ذِروةِ القَلْعَة، فأُحيطَ به، واقتُحِم عليه. وقُتِل أبو عمَّارٍ الأعْمَى ويَدُوسُ المَزَاتِي، ونجا أبو يَزِيدٍ مُثْخَناً بالجِراحَة، مَحمُولاً بَيْنَ ثَلاثةٍ مِن أصحابِه، فسَقطَ في مَهْواةٍ مِنَ الأوْعارِ فوَهَنَ. وسِيقَ من الغَداةِ إلى المَنْصُور، فأمَرَ بمُداواتِه، ثم أحْضَره ووَبَّخَه وأقامَ الحُجَّةَ عليهِ، وتجافَى عن دَمِه، وبَعثَه إلى المَهْدِيَّةِ، وفَرضَ له بها الجِرَايةَ لجزَاهُ خيراً. وحُمِلَ / في [14 ب]
القَفَصِ[2]، فَماتَ من جِراحتِه آخرَ سنةَ خمسٍ وثَلاثِين، وأمَرَ به فسُلِخَ وحُشِيَ جِلدُه بالتِّبْنِ وطِيفَ به في القَيْرَوَان.

(أ) مهملة في ظ وفي ص كَيَانَة وف في ض ا: كيانة (ب) ص: مزانة (ج) ص: مَكْلانة (د) ص ا: كَيَانَة .

---

(1) انظر في العبر 7: 136 – أخبار أبي يزيد ومقتله.

(2) العبر 7: 139، ووصف القفص عند القاضي النعمان: المجالس والمسايرات 418؛ ابن عذاري: البيان المغرب 1: 220؛ أخبار ملوك بني عبيد 37.

وهرَبَ الفَلُّ من أصحابِه إلى ابنه فَضْلٍ، وكان مع مَعْبَد بن خَزَر، فأغارُوا على سَاقَةِ المنصور. وكَمَنَ لهم زيري بنُ مَنَادٍ أميرُ صِنْهَاجَةَ فأوقع بهم. ولم يَزَل المنصورُ في اتِّباعِه إلى أن نَزلَ المَسِيلَةَ، وانقَطعَ أثر مَعْبَد. ووَافاهُ بمُعسكَرِه هُنالِك انتِقاضُ حُمَيْد[أ] بن يَصِل عاملِ تيهَرْت مِن أوليائهم، وأنّه رَكِبَ البَحرَ من تَنَس إلى العُدْوةِ فارتَحَلَ إلى تيهرْت ووَلّى عليها وعلى تَنَس. ثمّ قصد لَوَاتَةَ فهَربُوا إلى الرِّمالِ، ورَجعَ إلى إفريقيّةَ سنةَ خمسٍ وثلاثِين. ثمّ بلَغَه أن فَضْلَ بن أبي يَزِيدٍ أغار على جهات قَسْطِيلِيَة[ب] فرحل من سنته في طلبه وانتهى إلى قَفْصة ثم ارتحل إلى مدِيلَةَ[ج] من أعمالِ الزّاب وفَتَحَ حِصنَ مَادَاس مِمّا يليه. وهَرَب فضْلٌ في الرِّمالِ فأعْجَزَه، ورَجعَ إلى القَيْرَوَان سنةَ ستٍّ وثلاثين. ومَضَى فَضْلٌ إلى جَبل أوْرَاس، ثمّ سارَ منه إلى باغَايَةَ فحَصَرَها، وغَدَرَ به باطِيطُ بنُ يَعْلَى مِن أصحابِه، وجاء برأسِه إلى المَنصور. وانقَرضَ أمرُ أبي يَزِيدٍ وبَنِيه، وافتَرقَتْ جُموعُهم. واغتَالَ عَبْدُ الله ابنُ بَكّارٍ مِن رؤساء مَغْرَاوَةَ بَعدَ ذلك أيّوبَ بنَ أبي يَزِيدٍ، وجاء برأسِه إلى المنصورِ مُتقرِّباً إليه. وتَتَبَّعَ المنصورُ قَبائلَ بَني يَفْرَن بَعدَها إلى أنْ انقَطعَ أثرُ تلكَ الدَّعوَةِ. والبَقاءُ للهِ.

(أ) ص: حمد (ب) ص، ظ: قصطيلية (ج) ص: مديلية.

• الخَبَرُ عن الدَّوْلَة الأُولَى لبني يَفْرَن بالمغرب الأَوْسَط والأَقْصَى، ومَبادئُ أُمُورِهِمْ ومصائرُهَا

كَانَ لبَنِي يَفْرَن من زَنَاتَةَ بُطونٌ كثيرةٌ، وكانُوا مُفترِقِين في المَواطِنِ؛ فكانَ منهم بإفرِيقِيَّةَ بنو وَارَكُو[أ] ومَرَنْجِيصةُ وغيرُهم كما قدَّمناهُ. وكانَ منهم أيضا بنَواحِي تِلِمْسَانَ مَا بَينهَا وبَينَ تَاهَرْت أمَمٌ كثيرٌ عَدَدُهم، وهُمُ الذين اختَطُّوا مدينةَ تِلِمْسَانَ كمَا نَذكُره / بَعْدُ. ومِنهُم أبُو قُرَّةَ المنتَزي بِتلكَ النَّاحِيَةِ [15 أ] لأولِ الدَّولةِ العَبَّاسيَّة، وهوَ الذي حَاصَر عُمَر[1] بن حَفْصٍ بطُبْنَةَ كما تقدَّم. ولمَّا انقَرضَ أمرُ أبي يَزيدٍ، وأَثْخَنَ المَنصورُ فيمَن كانَ بإفرِيقِيَّة مِن بني يَفْرَن، أقامَ هَؤلاء الذين كانُوا بِنَواحِي تِلِمْسَانَ على وُفورِهم. وكانَ رئيسُهم لعهدِ أبي يَزيدٍ محمدَ بنَ صَالِحٍ، ولمَّا تَوَلَّى[ب] المنصُورُ محمدَ بنَ خَزَر وقومَه مَغْرَاوَة، كانت بَينهُم وبينَ بني يَفْرَن هؤلاء فِتنةٌ هلَكَ فيها محمدُ بن صَالِح على يَدِ عَبْدِ الله بن بَكَّارٍ من بني يَفْرَن، كان [مُتحَيِّزاً][ج] إلى مَغْرَاوَة، ووَلِيَ أمرَه في[د] بني يَفْرَن من بَعدِه ابنُه يَعْلَى، فعَظُم صِيتُه واختَطَّ مدينة إيفكان.

ولمَّا خَطبَ عَبْدُ الرَّحمنِ النَّاصِر طَاعةَ الأُمَوِيَّة من زَنَاتَة أهْلِ العُدْوَة واستَألَفَ مُلُوكَهم، سارعَ يَعْلَى بإجابتِهِ، واجتَمَع عليها مع [الخَيِّر][هـ] بنِ محمَّد بنِ خَزَر وقومِه مَغْرَاوَة. وأجلَبَ على وَهْرَانَ فملكَها سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وثلاثِ مائةٍ من يَدِ محمدِ بنِ عَوْن. وكان ولَّاه عليها دَوَّاسُ بنُ صَولَات اللَّهِيصِيّ أحدُ رجالات كُتَامَة سنة ثمانٍ وتسعينَ ومائتين، فدخلها يَعْلَى عَنْوة على بَنِيه وخرَّبَها.

(أ) ص،ض: وَارَكُوا (ب) ض: وَلى (ج) ظ منحرا مهملة. لعلها منجزا (د) سقط من ص (هـ) ظ ،ص: الجَيِّرَ .

(1) يسميه ابن حزم: عمرو، الجمهرة 368 وتقدمت الإشارة إلى العبر 7: 603 حاشية 1-2.

وكانَ يَعْلَى قد زَحفَ مع الخَيْرِ بنِ محمّد إلى تَاهَرْت، وبَرزَ إليه مَيْسُورٌ الخَصِيّ في شِيعَتِه مِن لَمَايَة فهَزَمُوهُم ومَلَكُوا تِيهَرْت. وتَقَبَّضَ على مَيْسُورٍ وعَبْدِ الله بن بَكَّار، فبعثَ به الخَيْرُ إلى يَعْلَى بنِ محمَّد لِيَثْأرَ بِه، فلم يُرضِه كِفاءً لدَمِه، ودَفَعَه إلى مَن ثَأرَ به من بَني يَفْرَن. واسْتَفْحلَ سُلْطانُ يَعْلَى في ناحيةِ المَغْرِبِ. وخَطبَ على مَنابِرِها لعَبْدِ الرّحمن النّاصِرِ ما بَينَ تَاهَرْت وطَنْجَة. واسْتَدْعَى مِنَ النّاصِرِ تَوْلِيةَ رجالِ بَيْتِهِ على أمْصارِ المَغْرِبِ. فعَقَدَ على فَاسَ لمحمّد بنِ الخَيْرِ بن محمّد مِن عَشِيرِهِ. ونَسَكَ محمّدٌ لسنةٍ من وِلايتِه، واستأذن / في الجِهادِ والرِّباطِ بالأندَلُسِ، فأجَازَهُ لذلِكَ، واستَخْلَفَ على عَمَلِهِ ابنَ عَمِّه [15 ب] أحْمَدَ بنَ أبِي بَكْرٍ بنِ أحمد بنِ عُثْمان بنِ سَعِيد[1]، وهو الّذي اختَطَّ مَأْذَنَةَ [مَسجِد][أ] القَرَوِيين [بفَاس][ب] سنة أربعٍ وأربعينَ كما ذكرناهُ.

ولم يَزَلْ سلطانُ يَعْلَى بنِ محمَّد بالمَغْرِبِ عَظِيماً إلى أنْ أغْزَى مَعَدُّ المعزُّ لدِينِ الله كاتِبَه جَوْهَرَ الصَّقْلِي من القَيْرَوان إلى المَغْرِبِ سنةَ سبعٍ وأربعين. فلمَّا فَصلَ جَوْهَرُ بالجنودِ عن تُخومِ إفْرِيقِيَة، بادَرَ أميرُ زَناتَةَ بالمَغْرِبِ يَعْلَى ابنُ محمّد اليَفْرَنيّ إلى لِقائه و[الإذعانِ][ج] لطاعَتِه[د] والانْحِياشِ إليه ونَبْذِ عهدِ الأُمَوِيّة، وأعْمَلَ إلى لُقيَتِهِ الرِّحْلَةَ من بلده إيفكان، وأعطاه يَدَ الانْقِياد وعهْدَ البَيْعةِ عن قَوْمِه بني يَفْرَن وزَنَاتَة، فتقبَّلَهَا جَوْهَرُ، وأضْمَرَ الفَتْكَ به، وتخيَّر لذلك يومَ فُصولِه من بَلدِه. وأسَرَّ إلى بَعْض مُسْتَخْلِصِيه من الأتْباعِ،

(أ) سقطت من ظ (ب) زيادة في أ (ج) ظ: الإدهان (د) ص،ض: بطاعته .

(1) هذا الاسم يطابق ما ورد على نقيشة نص التأسيس على المأذنة كما أثبتها ابن أبي زرع: الأنيس المطرب 70 وانظر ابن خلدون: العبر 7: 41. حاشية 1 تعليقًا على إيراد محرف للاسم.

فأوقعُوا نفْرَةً في أعْقابِ العسكَرِ طَارَ إليها الزُّعماءُ من كُتامَةَ وصِنْهاجَة وزَناتَة. وتُقُبِّضَ عَلَى يَعْلَى فهلَكَ في وَطيسِ تلك الهَيْعَةِ قَعْصاً بالرِّماحِ على أيْدي رِجالاتِ كُتَامَةَ وصِنْهَاجَة، وذَهب دَمُهُ هدَراً في القبائلِ. وخَرَّب جَوْهَرُ مدينةَ إيفكَان، وفرَّت زَنَاتَة أمامَهُ وكَشفَ القناعَ في مُطالبَتِهم.

وقد ذُكِرَ بعضُ المؤرِّخِين أن يَعْلَى إنما لقِيَ جَوْهَراً عند مُنصَرَفِه من هذه الغَزَاةِ بمدينةِ تَاهَرْت، وهنالِكَ كانَ فَتْكُه بهِ بناحيةِ شَلَف، فتفرَّقَت بعدَهَا جَماعةُ بني يَفْرَن، وذَهبَ مُلكُهم، فلَم يجتَمِعُوا إلّا بَعدَ حينٍ على ابنهِ يَدُّو بالمَغرِبِ كما نذكُره. ولَحِقَ الكثيرُ منهم بالأنْدَلُسِ كما يأتي خبرُهم في مَوْضِعِه. وانقَرضَت دَولةُ بني يَفْرَنَ هؤلاء إلى أنْ عادَت بَعدَ مُدَّةٍ على يَدِ بَنِي يَعْلَى بفَاس. ثم استَقرَّت آخراً بسَلا، وتعاقَبتْ / فيهم هنالِكَ إلى آخرِها، كما [16 أ] نَذكُره [إن شاء الله تَعَالى][1].

• الخبرُ عن الدّولة الثانيةِ لبنى يَفْرَن بسَلا من المَغرب الأقْصَى، وأولِيَةُ ذلك وتصاريفهُ

لمَّا أوقعَ جَوْهَرُ الكَاتِب قائدُ المُعِزّ بيَعْلَى بن مُحَمَّدٍ أميرِ بني يَفْرَن، ومَلَكَ المَغرِبَ سنةَ سبعٍ وأربعين كما ذكرْناهُ، وتَفرّقَت جُموعُ بني يَفْرَن، لَحِقَ ابنُه يَدُّو بن يَعْلَى بالمَغرِبِ الأقْصَى، وأحسَّ بجَوْهَرَ من ورائِه، فأبعدَ المَفرَّ

(1) من أ.

وأَصْحَرَ إلى أنْ رَجعَ جَوْهَرُ مِن المَغْرِبِ. ويقال إن جَوْهَرَ تَقَبَّضَ عليه واحتَمَلَهُ أسِيراً، فاعتُقِلَ إلى أنْ فرَّ من مُعتقلِهِ بَعدَ حينٍ، واجتَمعَ إليه فَلُّ قومِهِ من بَني يَفْرَن. وكان جَوْهَرُ عِندَ مُنصَرفِه من المَغْرِبِ، وَلَّى على الأدَارِسَةِ المُتحَيِّزين إلى الرِّيفِ وبلادِ غُمَارَةَ الحَسَنَ بنَ كَنُّون شيخَ بني مُحَمَّدٍ مِنهم، فَنَزلَ البَصْرَةَ[1]. وأجَازَ الحَكَمُ المُستَنْصِر لأوَّلِ وِلايَتِه سنةَ خمسٍ وثلاث مائة وزيرَه مُحَمَّد بنَ قاسِمِ بن طُمْلُس في العَساكِرِ لتَدْويخِ المَغْرِب، فجَمَعَ له الحَسَنُ بن كَنُّون وأوْقَعَ به، ورَجعَ إلى الأنْدَلُسِ مَغْلولاً. فسَيَّرَ الحَكَمُ مَولاهُ غَالِباً لتَدْويخِ المَغْرِبِ واقْتِلاعِ جُرْثومَةِ الأدَارِسَةِ، فأجازَ في العَساكِرِ وغَلَبهم على بلادِهِم، وأزْعَجَهم جميعاً عن المَغْرِبِ إلى الأنْدَلُسِ سنة خمسٍ وستينَ كما ذَكَرناهُ، ومَهَّدَ دَعوةَ الأُمَوِيَّةِ بالمَغْرِبِ.

وأقْفلَ الحَكَمُ غَالِباً مَولاهُ، ورَدَّه إلى الثَّغْرِ لسَدِّهِ، وعَقَدَ على المَغْرِبِ ليَحْيَى ابنِ مُحَمَّدِ بنِ هَاشِمٍ التُّجِيبيّ صاحبِ الثَّغْرِ • الأعْلَى كانَ أجازَهُ مَدَداً لغَالِبَ في رِجالِ العَرَبِ وجُندِ الثُّغُورِ •[أ]. حتَّى إذا انغَمَسَ الحَكَمُ في عِلَّةِ الفَالِجِ، ورَكَدَت رِيحُ المَرْوَانيَّةِ بالمَغْرِبِ، واحْتاجَتِ الدَّولةُ إلى رِجالِها لسَدِّ / الثُّغُورِ [16 ب] ودِفاعِ العَدوِّ، استَدعَى يَحْيَى بنَ مُحَمَّد بن هَاشِمٍ من العُدْوَةِ، وأدَالَهُ الحَاجِبُ المُصْحَفيّ بجَعْفَر بن عَليّ [بنِ][ب] حَمْدُون أميرِ الزَّابِ والمَسِيلَةَ النَّازِعِ إليهم من

(أ) سقط من ص (ب) سقط من ظ، ص.

(1) مدينة إدريسية لا تزال آثارها ماثلة على جانبي الطريق المؤدية إلى مدينة وَزَّان، على بعد حوالي 22 كلم إلى الشمال من مدينة سوق أربعاء الغرب. ينظر معلمة المغرب، 1253/4 – 1255. البكري: المسالك والممالك 2: 788- الحسن الوزان: وصف إفريقيا 1: 310 مارمول كَرباخال: إفريقيا 2: 196

دَوْلَةِ الشِّيعَةِ. وجَمَعوا [بَيْن][أ] الانْتفاعِ بِهِ في العُدْوَةِ والرَّاحةِ مِمَّا يُتَوَقَّعُ مِنْه على الدَّوْلَةِ، ومِنَ البَرَابِرَةِ في الْتِيَاثِ الخِلافَةِ، لِمَا كانُوا أصَارُوا إليهِ من النَّكبَةِ، وطوَّقُوهُ من المِحْنةِ. ولِمَا كان اجْتمَعَ بقُرْطُبَةَ[ب] من جُموعِ البَرَابِرِ. فعقَدوا له ولأخيهِ يَحْيَى على المَغْرِبِ، وخَلَعُوا عليهما، وأمْكَنوهُمَا من مالٍ دَثْرٍ وكُسًى فاخرةٍ للخَلْعِ على ملُوكِ العُدْوَةِ.

فنَهضَ جَعْفَرُ إلى المَغْرِبِ سنةَ خمسٍ وستينَ وضَبَطَهُ. واجْتمَعَ إليه مُلوكُ زَنَاتَةَ مِثْلَ يَدُّو بنِ يَعْلَى أميرِ بني يَفْرَن، وابنِ عَمِّهِ أبو بَخْت بنِ عبدِ الله بن بَكَّارٍ، ومُحَمَّد بنِ الخَيِّر بنِ خَزَرٍ وابنِ عَمِّهِ تَكْسَاس[ج] بنِ سَيِّدِ النَّاس، وزِيري بن خَزَرٍ وزِيري ومقَاتِل ابنا عَطِيَّةَ بن تَبَادَلْت، وخَزْرُون بنِ مُحَمَّد وفَلْفُول بنِ سَعِيدٍ أمراءِ مَغْرَاوَةَ، وإسماعيل بنِ البُورِيّ أميرِ مِكْنَاسَة ومُحَمَّد ابن عَمِّهِ عبدِ الله بنِ مَدْيَنَ وخَزْرُون بنِ مُحَمَّد الأزْدَاجِي. وكانَ يَدُّو ابنُ يَعْلَى من أشدِّهم قوةً وأحسَنِهم طاعةً.

ولمَّا هَلَكَ الحَكَمُ ووَلِيَ مكانَهُ هِشَامُ المُؤَيِّد، وانفرَدَ مُحَمَّدُ بنُ أبِي عَامِرٍ بحِجَابَتِهِ، اقْتَصَر من العُدْوَةِ لأوَّلِ قيامِهِ على مَدِينة سَبْتَةَ، فضَبَطَهَا بجُنْدِ السُّلْطَانِ ورجالِ الدَّولةِ، وقَلَّدَها الصَّنائِعَ من أرْبابِ السُّيوفِ والأقْلام. وعَوَّلَ في ضبطِ ما وَراء ذلك على مُلوكِ زَنَاتَة، وتعَهَّدَهُم بالجَوائزِ والخِلَعِ، وصارَ إلى إكْرامِ وفودِهِم وإثْباتِ مَنْ رَغِبَ الإثْباتَ في دِيوانِ السُّلْطَانِ منهم، فَجُرِّدوا في وِلايَةِ الدَّوْلةِ وبَثِّ الدَّعوَةِ.

(أ) ظ: من (ب) ظ: لقرطبة (ج) الضبط من ض، ومهملة في ظ ص.

وفَسَدَ ما بين أمِيرَي العُدْوَةِ جَعْفَرِ بنِ عَلِي وأخيه يَحْيَى، واقْتَطَعَ يَحْيَى مَدينةَ البَصْرَةِ لنَفْسِه وذَهَبَ بأكْثَرِ الرِّجالِ. ثُمَّ كانَت / عَلَى جَعْفَرٍ النَّكْبَةُ التي [17 أ] نَكَبَهُ بَرَغْوَاطَةُ في غَزاتِهِ إيَّاهُم، واسْتَدْعاهُ مُحَمَّدٌ بن أبي عَامِرٍ لأوَّلِ أمْرِهِ لِمَا رآهُ من اسْتِنامَتِهِ إليه، وشَدِّ أزْرِهِ به. وتَلَوَّى عَلَيْه كَراهِيَةً لِمَا لَقِيَ بالأنْدَلُسِ من الحَكَمِ. ثُمَّ أصْحَبَهُ(1) وتَخَلَّى لأخيهِ عن عَمَلِ المَغْرِبِ. وأجازَ البحرَ إلى ابن أبي عَامِرٍ فَحَلَّ منه بالمَكانِ الأثِيرِ. وتَنَاغَتْ زَنَاتَةُ في التزَلُّفِ إلى الدَّوْلةِ بقُرَبِ الطَّاعاتِ، فزَحَفَ خَزْرُونُ بن فَلْفُول سنةَ سِتٍّ وستِّينَ إلى مَدينَةِ سِجِلْمَاسَةَ فاقْتَحَمَهَا، ومَحَا أثَرَ آلِ مِدْرَارَ منها. وعَقَدَ لهُ المَنْصُورُ عليْها كما ذَكَرنا ذلك قَبلُ.

وزَحَفَ عَقِبَ هذا الفتحِ بُلُكِّين بنُ زِيري قائدُ إفْرِيقِيَّةَ للشِّيعَةِ إلى المَغْرِبِ سنةَ تسعٍ وستِّينَ زَحْفَهُ المَشْهور. وخرَجَ مُحَمَّدُ بنُ أبي عَامِرٍ مِن قُرْطُبَةَ إلى الجَزِيرَةِ لمُدافعَتِهِ بنَفْسِهِ، واحْتَمَلَ من بيتِ المالِ مائةَ حِمْلٍ، ومِنَ العَساكِرِ ما لا يُحْصَى عَدُّهُ. وأجازَ جَعْفَرُ بنُ عَلِيّ بنِ حَمْدُونَ إلى سَبْتَةَ، وانْضَمَّتْ إليه مُلوكُ زَنَاتَةَ. ورَجَعَ بُلُكِّين عنهم إلى غَزْوِ بَرَغْوَاطَةَ(أ) إلى أن هَلَكَ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ كما ذكرناهُ قَبْلُ. ورَجَعَ جَعْفَرُ إلى مكانِهِ من ابنِ أبي عَامِرٍ لم يَسْمَح بمَقامِهِ عنه(ب). ووَصَلَ حَسَنُ بن كَنُّون خِلالَ ذلكَ مِنَ القاهِرةِ بكِتابِ العَزيزِ بن نِزارِ بن مَعَدّ إلى بُلُكِّين صاحبِ إفْرِيقِيَّةَ في إعانَتِهِ على مُلْكِ المَغْرِبِ، وإمْدادِهِ بالمَالِ والعَساكِرِ، فأمضاهُ بُلُكِّين لسَبيلِهِ وأعْطاهُ مَالاً ووعَدَهُ بإضعافِهِ، ونَهَضَ إلى المَغْرِبِ فوجَدَ طاعةَ المَرْوَانِيَّةِ قد اسْتَحْكَمَتْ فِيهِ.

(أ) الشكل من ص، ض (ب) كذا في الأصول وبقية الجملة المنفية بلم غير واضحة المعنى.

---

(1) أصْحَبَه: أدخله في الصحبة بعد أن كان نافرًا.

وهَلَكَ بُلُكّين إثرَ ذلكَ، وشُغِلَ ابنُه المَنْصور عَن شأنِهِ، فدَعَا حَسَنُ ابن كَنُّون إلى نَفْسِهِ، وأنْفَذَ مُحَمَّدُ بن أبي عَامِرٍ ابنَ عَمِّهِ عَمْرو بنَ عبدِ الله، وتَلَقَّبَ عَسْكَلاجَةَ لحَرْبِهِ سنة خمسٍ وسبعينَ. وجاء على إثرِهِ إلى الجَزيرَةِ كَيْمَا / يُشارِفَ القَضَّةَ. [17 ب] وأُحِيطَ بحَسَن بن كَنُّون فسَألَ الأمَانَ، وعَقَدَ له مُقارِعُهُ عَمْرُو عَسْكَلاجَة وأشْخَصَهُ إلى الحَضْرَةِ. فلم يَمْضِ ابنُ أبي عَامِرٍ أمَانَهُ، ورَأى أنْ لا ذِمَّةَ لهُ لكَثْرَةِ نَكْثِهِ، فبَعَثَ مِن ثِقاتِهِ مَنْ أتاهُ برَأْسِهِ. وانقَرَضَ أمْرُ الأدَارِسَةِ وامَّحَى أثرُهُم، فأُغضِبَ عَمْرُو عَسْكَلاجَةُ لذَلكَ، واسْتَرَاحَ إلى الجُنْدِ بأقْوالٍ نُمِيَتْ عنهُ إلى المَنْصورِ، فاسْتَدْعاهُ من العُدْوَةِ، وألحقَهُ بمَقْتُولِهِ ابنِ كَنُّونٍ. وعَقَدَ على العُدْوَةِ للوَزيرِ حَسَن بن أحمد بن عبدِ الوَدُودِ السُّلَمِيّ، وأكْثَفَ عُدَدَهُ وأطْلَقَ في المَالِ يدَهُ، ونَفَذَ إلى عَمَلِهِ سنةَ ستٍ وسبعينَ، فضَبَطَ المَغْرِبَ أحْسَنَ ضَبْطٍ وهَابَتْهُ البَرَابِرَةُ. ونَزَلَ فَاسَ مِنَ العُدْوَةِ فعزَّ سُلْطَانُهُ، وكَثُرَ جَمْعُهُ، وانْضَمّ إلَيهِ مُلوكُ النَّواحِي حتّى حَذِرَ ابن أبي عَامِرٍ مَغَبَّةَ اسْتِقْلالِهِ. واسْتَدْعاهُ ليَبْلُوَ صِحَّةَ طَاعَتِهِ، وأسْرَعَ اللِّحاقَ به فضَاعَفَ تَكْرِمَتَهُ وأعَادَهُ إلى عَمَلِهِ.

وكان يَدُّو بنُ يَعْلَى هذا مِن بيْنِ مُلوكِ زَنَاتَةَ كَثيرَ الاضطِرابِ على الأمَوِيَّةِ والمُراوَغَةِ لَهُمْ بالطَّاعَةِ. وكان المَنْصُورُ بنُ أبي عَامِرٍ يُضَرِّبُ[1] بَيْنَهُ وبَيْنَ قِرْنِهِ زيري بن عَطِيَّةَ، ويُغْرِي كُلًّا مِنهُما بمُنَاغَاةِ صاحِبِهِ في الاسْتِقَامَةِ.

---

(1) ضرَّبَ بيْنَهم: أغرَى بعضَهم ببعض.

وكانَ إلى زيري أمْيَلَ وبطاعَتِهِ أوْثَقَ، لخُلوصِهِ وصِدْقِ طَوِيَّتِهِ وانْحِيَاشِهِ. فكان يَرْجُو أن يَتَمَكَّنَ من قِيَادِ يَدُّو بن يَعْلَى بمُنَاغَاتِهِ، واسْتَقْدَمَ زيري بنَ عَطِيَّةَ إلى الحَضْرَةِ سنةَ سبعٍ وسَبعينَ، فبَادَرَ إلى القُدُومِ عَلَيْهِ وتَلَقَّاهُ وأكْبَرَ مَوصِلَهُ وأحْسَنَ مُقَامَهُ ومُنْقَلَبَهُ وأعْظَمَ جائزَتَهُ. وسَامَ يَدُّو مِثْلَهَا فامْتَنَعَ، وقالَ لرَسُولِهِ: قُلْ لابنِ أبِي عَامِرٍ مَتَى عَهِدَ حُمُرَ الوَحْشِ تَنْقَادُ للْبَيَاطِرَةِ، وأرْسَلَ عِنَانَهُ في العَيْثِ / والإفْسَادِ. [118 أ]

ونَهَضَ إليهِ صاحِبُ المَغْرِبِ الوزيرُ حَسَن بنُ عبدِ الوَدُودِ في عَسَاكِرِهِ وجُمُوعِهِ من جُنْدِ الأنْدَلُسِ ومُلوكِ العُدْوَةِ مُظَاهِراً عليه لِعَدُوِّهِ زيري بنِ عَطِيَّةَ. وجَمَعَ لهم يَدُّو ولَقِيَهُم سنةَ إحْدَى وثَمَانِينَ، فكان الظُّهورُ لهُ. وتَحَزَّمَ عَسْكَرُ السُّلْطَانِ وجُمُوعُ مَغْرَاوَةَ واسْتُلْحِمُوا. وجُرِحَ الوزيرُ حَسَنُ بنُ عبدِ الوَدُودِ جِرَاحَةً كان فيها لِلَيَالٍ مَهْلَكَتُهُ، وطَارَ الخَبَرُ إلى ابن أبي عَامِرٍ فاغْتَمَّ لذَلكَ. وكَتَبَ إلى زيري بضَبْطِ فَاسَ ومُكَاتفَةِ أصْحَابِ حَسَنٍ، وعَقَدَ لهُ على المَغْرِبِ كمَا نَسْتَأْنِفُ ذِكْرَهُ عِندَ ذِكْرِ دَوْلَتِهِمْ، وغَالَبَهُ يَدُّو عَلَيهَا مرّةً بأُخرَى.

ونَزَعَ أبو البَهَارِ بنُ زيرِي بن مَنَادِ الصِّنْهَاجِيّ عن قَوْمِهِ، ولَحِقَ بسواحِلِ تِلِمْسَانَ نَاقِضاً لطَاعَةِ الشِّيعَةِ، وَخَارِجاً على ابنِ أخِيهِ المَنْصُورِ بنِ بُلُكِّين صاحبِ القَيْرَوَانِ. وخَاطَبَ ابنَ أبي عَامِرٍ مِنْ وَرَاءِ البَحرِ، وأوْفَدَ علَيهِ ابنَ أخيه أخِيهِ ووُجُوهَ قَوْمِهِ. فسَرَّبَ إليه الأموالَ والصِّلاتِ بفَاسَ مع زِيرِي حَسْبَمَا نَذكُرُهُ. وجَمَعَ أيْدِيَهُمَا على مُدَافَعَةِ يَدُّو، فسَاءَ أثَرُهُ فِيهِمَا جَمِيعاً إلى أن رَاجَعَ أبو البَهَارِ وِلايَةَ مَنصُورِ بنِ أخيهِ كمَا نَذكُرُهُ بعدُ، وحَارَبَهُ زِيرِي فكان

لهُ الظُّهورُ عليه. ولَحِقَ أبو البَهَارِ بِسَبْتَةَ ثُمَّ عَادَ إلى قَوْمِهِ. واسْتَفْحَلَ زِيري من بعدِ ذلكَ، وكانتْ بينَهُ وبيْنَ يَدُّو لِقَاءَةٌ[1] انكَشَفَ فيها يَدُّو، واكْتَسَحَ زِيري من مَالِهِ ومُعَسْكَرِهِ مَا لا كِفَاءَ لهُ، وسَبَى حُرَمَهُ، واسْتَلْحَمَ من قَوْمِهِ زُهَاءَ ثَلاثَةِ آلافِ فارِسٍ، وخَرجَ إلى الصَّحْراءِ شَرِيداً سنةَ ثلاثٍ وثَمَانِينَ، وهَلَكَ هُنَاكَ.

فوَلِيَ أمْرَهُ في قَوْمِهِ حَبُوسُ[أ] ابنُ أخيهِ زِيري بنِ يَعْلَى، ووَثَبَ به ابنُ عَمِّهِ أبو يَدَّاس بنُ دُونَاس، فقَتَلَهُ طَمَعاً في الرِّئاسَةِ من بَعْدِهِ. / [18 ب] واختلفَ قومُه، فأخْفَقَ أمَلُه وعَبَرَ البحرَ إلى الأنْدَلُسِ في جَمْعٍ عَظِيمٍ من قَوْمِهِ. ووَلِيَ [أمرَ][ب] بَنِي يَفْرَن مِن بَعدِهِ حَمَامَةُ بنُ زِيري بنِ يَعْلَى أخُو حَبُوسٍ المَذْكُورِ، فَاسْتَقَامَ عَلَيْهِ بَنُو يَفْرَن.

وقد ذُكِرَ في خَبَرِ يَدُّو غَيرُ هذا، وأنَّهُ كانَتِ الحَرْبُ بَيْنَهُ وبَيْنَ زِيري بنِ عَطِيَّةَ سِجَالاً، وكانَا يَتَعَاقَبَانِ على مُلْكِ فَاسَ بتَنَاوُبِ الغَلَبِ، وأنَّهُ لَمَّا وفَدَ زِيري على المَنْصُورِ خَالَفَهُ يَدُّو إلى فَاسَ فَمَلَكَهَا، وقَتَلَ بها خَلْقاً من مَغْرَاوَةَ، وأنَّهُ لَمَّا رَجَعَ زِيري اعْتَصَمَ يَدُّو بفَاسَ، فنَازَلَهُ زِيري، وهَلَكَ مِنْ مَغْرَاوَةَ وبَنِي يَفْرَنَ في ذَلكَ الحِصَارِ خَلْقٌ. ثُمَّ اقْتَحَمَهَا زِيري عليه عَنْوَةً فقَتَلَهُ، وبَعَثَ برأْسِهِ إلى سُدَّةِ الخِلافَةِ بقُرْطُبَةَ سنةَ ثلاثٍ وثَمَانينَ. واللهُ أعْلَمُ أيُّ ذَلِكَ كان.

(أ) ص: حبوش (ب) ظ: أمير.

---

(1) لِقَاءَة: مصدر لَقِيَ، بمعنى صادف ورأى. ومثلها في المصادر: لقاء ولِقَايَة، ولِقْيانًا، ولُقْيًا، ولُقْيَةً ولُقًى.

وَلَمّا اجْتَمَعَ بنُو يَفْرَنَ على حَمَامَةَ، تَحَيَّزَ بِهِم إلى نَاحِيَةِ شَالَّةَ من المَغْرِبِ، فَمَلَكُوهَا وما إليهَا من تَادْلا، واقْتَطَعَهَا عن زِيرِي. ولَمْ يَزَلْ عَمِيدَ بَني يَفْرَنَ في تِلْكَ العَمَالَةِ، والحربُ بيْنَهُ وبيْن زِيرِي ومَغْرَاوَةَ متَّصِلَةٌ، وكانت بينهُ وبينَ المَنْصُور صَاحِبِ القَيْرَوَانِ مُهَادَاةٌ، فأهْدَى إليْه وهو مُحاصِرٌ لعَمِّهِ حَمَّاد بالقَلْعَةِ سَنَةَ ستٍّ وأربعِ مائةٍ، وأوْفَدَ بهَدِيَّتِهِ أخاهُ زَاوِي بن زِيرِي فلَقِيَهُ بالطُّبُولِ والبُنُودِ.

ولَمّا هَلَكَ حَمَامَةُ قَامَ بأمرِ بَنِي يَفْرَنَ من بَعْدِهِ أخُوهُ الأميرُ أبُو الكَمَالِ تَمِيمُ ابنُ زِيرِي بن يَعْلَى، فاسْتَبَدَّ بمُلْكِهِم، وكانَ مُسْتَقِيماً في دِينِهِ، مُولَعاً بالجِهادِ. فانْصَرَفَ إلى جِهادِ بَرَغْوَاطَةَ وسَالَمَ مَغْرَاوَةَ وأعْرَضَ عن فِتْنَتِهِم. وَلَمّا كانَتْ سنةُ أربعٍ وعِشْرِينَ وأربعِ مائةٍ تجَدَّدَتِ العَدَاوَةُ بين هَذَينِ الحَيَّيْنِ بَنِي يَفْرَنَ ومَغْرَاوَةَ. وثَارَتْ الإحَنُ القَدِيمَةُ، وزَحَفَ أبُو الكَمَالِ صَاحِبُ شَالَّةَ(أ) وتَادْلا ومَا / إلى ذلكَ في جُمُوعِ يَفْرَن. وبَرَزَ إليه حَمَامَةُ بن المُعِزّ في قَبَائِلِ مَغْرَاوَةَ، ودَارَتْ بينهُم حَربٌ شَديدةٌ، وانْكَشَفَتْ مَغْرَاوَةُ وفَرَّ حَمَامَةُ إلى وَجْدَةَ. [19 أ]

واسْتَوْلَى الأميرُ أبُو الكَمَالِ تَمِيمٌ وقَوْمُهُ على فَاسَ، وغَلَبُوا مَغْرَاوَةَ عَلَى عَمَلِ المَغْرِبِ. واكْتَسَحَ تَمِيمٌ اليهودَ بمَدِينَةِ فَاسَ واصْطَلَمَ نِعَمَهُمْ واسْتَبَاحَ حُرَمَهُم. ثُمَّ احْتَشَدَ حَمَامَةُ من وَجْدَةَ سائرَ قبائلِ مَغْرَاوَةَ وزَنَاتَةَ، وبَعَثَ الحَاشِدِينَ في قَيَاطِينِهِم بجميعِ بِلادِ المَغْرِبِ الأوْسَطِ، ووَصَلَ إلى تَنَسَ صَرِيخاً لزُعَمَائِهِمْ، وكاتَبَ مَن بَعُدَ عَنْهُ مِن رِجَالاتِهِم. وزَحَفَ إلى فَاسَ سنةَ تِسعٍ وعِشرينَ، فأفْرَجَ عنها

(أ) اضيفت في حاشية ظ .

أبُو الكَمَالِ تميمٌ ولحِقَ بِبَلدهِ ومَقَرِّ مُلكِهِ مِن شَالَةَ. وأقَامَ بمكانِ عَمَلِهِ ومَوْطِنِ إمَارَتِهِ مِنهَا إلى أن هَلَكَ سنةَ ستٍّ وأربَعِينَ. • وَوَلِيَ ابنُه حَمَّادٌ إلى أن هَلَكَ سنةَ سَبعٍ وأربَعِينَ •[ا]. وَوَلِيَ بَعدَهُ ابنُه يُوسُفُ إلى أن تُوفِّيَ سنةَ ثَمَانٍ وخَمسِينَ. فوَلِيَ بَعدَهُ عَمُّه مُحَمَّد بنُ الأميرِ أبي تميمٍ إلى أنْ هَلَكَ في حُرُوبِ لَمتُونَةَ حينَ غَلَبُوهُم [على][ب] المَغرِبِ أجمَعين حَسْبَمَا نَذكُرُ. والمُلْكُ للهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاءُ مِن عِبَادِهِ، والعَاقِبَةُ للمُتَّقِينَ.

وأمَّا أبُو يَدَّاسٍ بنُ دُونَاسٍ قَاتِلُ حَبُوسَ[ج] بنِ زِيرِي بن يَعْلَى مِن عُمُومَتِهِ، فإنَّه لَمَّا اختَلَفَ عَلَيه بَنُو يَفْرَن، وأخْفَقَ أمَلُهُ في اجتماعِهِمْ لهُ، أجَازَ البَحْرَ إلى الأندَلُسِ سنةَ ثنتَينِ وثَمَانِينَ، يُرافِقُهُ[د] إخوانُهُ أبُو قُرَّةَ وأبو زَيْدٍ وعَطَّافٌ، فَحَلَّ كُلُّهُم مِن المَنْصُورِ محلَّ التَّكْرِمَةِ والإيثَارِ، ونَظَمَهُ في جُمْلَةِ الرُّؤَسَاءِ والأُمراءِ، وأسْنَى لهُ الجِرايَةَ والإقْطَاعَ، وأثْبَتَ رِجَالَهُ في الدِّيوانِ ومَنْ أجازَ من قَوْمِهِ، فبَعُدَ صِيتُهُ وعَلا في الدَّولةِ كَعْبُهُ.

[19 ب] ولَمَّا افتَرَقَتِ الجماعةُ، وانتَثَرَ سِلْكُ الخِلافَةِ، /كانَ لهُ في حُروبِ البَرْبَرِ معَ جُنْدِ الأندَلُسِ آثارٌ بعيدةٌ وأخبارٌ غريبةٌ. ولَمَّا مَلَكَ المُسْتَعِينُ قُرْطُبَةَ سنةَ أربعِ مائةٍ، واجْتَمَعَ إليه مَن كان بالأندَلُسِ مِن البَرَابِرةِ، لحِقَ المَهْدِيّ بالثَّغْرِ، واسْتَجَاشَ طاغِيةَ الجَلالِقَةِ، فزَحَفَ معهُ إلى غَرْنَاطَةَ. وخرجَ المُسْتَعِينُ في جُموعِهِ مِن البَرَابِرةِ إلى السَّاحِلِ، واتَّبَعَهم المَهْدِيُّ في جُموعِهِ، فتَوَاقَعُوا بِوادِي إيرُه[هـ]. فكانتْ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ جَولةٌ عَظُمَ فيها بَلاءُ البَرَابِرةِ، وطَارَ لأبي يَدَّاسٍ

(ا) سقط من ص (ب) ظ: في (ج) ص: حبوش (د) ظ، ص: يرفقه (هـ) الشكل من أ.

فيها ذِكْرٌ. وانْهزَمَ المَهْدِيُّ والطَّاغِيَةُ وجُموعُهُم بَعْدَ أن تَضَايَقَتِ المَعْرَكَةُ. وأصَابَتْ أبا يَدَّاس بنَ أبي دُونَاس جِرَاحَةٌ كانَ فيها مَهْلَكُهُ ودُفِنَ هُنَاكَ.

وكانَ ابنُهُ خَلُوفٌ وحافِدُهُ تَمِيمٌ بنُ خَلُوفٍ مِن رِجَالاتِ زَنَاتَةَ بالأنْدَلُس شَجَاعَةً ورِئاسةً. وكانَ يَحْيَى بنُ عبدِ الرّحمنِ ابنُ[أ] أخيهِ عَطَّافٍ مِن رِجالاتِهِم، وكانَ لهُ اختصَاصٌ بِبَنِي حَمُّودٍ، ثُمَّ بالقاسِمِ مِنْهُم، ووَلَّاهُ على قُرْطُبَةَ أيَّامَ خِلافَتِهِ. والبَقَاءُ للهِ وَحْدَهُ [سُبْحَانَهُ و تَعَالَى][ب].

(أ) في الأصول: بن (ب) من أ.

[20 أ]

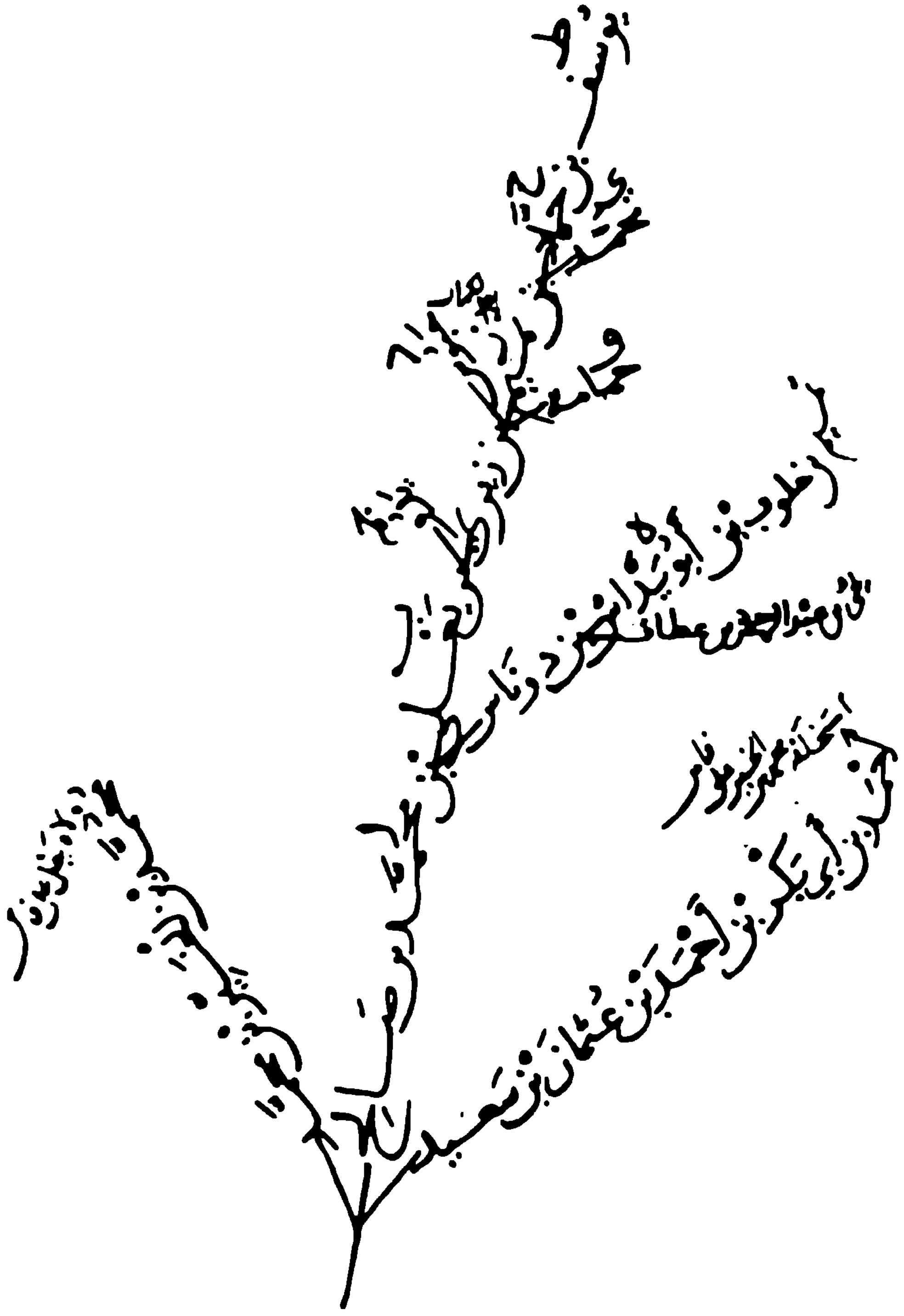

[أمراء دولة بني يفرن الثانية بسلا، من المغرب الأقصى]

• / الخبرُ عن أبي نورِ بنِ أبي قُرّةَ اليِفْرنيّ وما كان لهُ من المُلكِ بالأندلُسِ أيامِ الطوائفِ [20 ب]

هذا الرّجُلُ اسْمُه أبو نُور بنُ أبي قُرَّةَ مِنْ بَني يَفْرَن، ومِن رِجَالاتِ البَرْبَرِ الّذين اسْتَظْهَرَ بِهم قَوْمَهُم أيّامَ الفِتنةِ. تَغَلَّبَ على رُنْدَةَ أزمانَ تلكَ الفِتَنِ، وأخْرَجَ مِنها عَامِرَ بنَ فُتُوحٍ مِن مَوَالِي الأُمَوِيّةِ سنةَ خمسٍ وأربعِ مائةٍ فَملَكَها، واسْتَحْدَثَ بِها لنَفْسِهِ سُلْطاناً. ولَمَّا اسْتَفحَلَ أمْرُ ابنِ عَبَّاد بإشبيلِيّةَ، وأسِفَ إلى تَمَلُّكِ ما جَاوَرَهُ مِن الأعْمالِ والثُّغُورِ، نَشَأَتِ الفِتْنَةُ بيْنَهُ وبيْنَ أبِي نُورٍ هَذا. واخْتَلَفَتْ حالُهُ مَعَهُ في الوِلايَةِ والانْحِرافِ، وسُجِّلَ لهُ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ برُنْدَةَ وأعْمالِهَا فِيمَنْ سُجِّلَ لهُ مِن البَرْبَرِ، واسْتَدْعاهُ بَعْدَهَا سنةَ خمسينَ لبَعْضِ وَلائِمِهِ، وكَادَهُ بكِتابٍ وقَفَهُ عليه عَلى لِسَانِ جَارِيَتِهِ بِقَصْرِهِ تَشْكُو إليه مَا نَالَ منها ابنُهُ مِن المُحَرَّمِ. فانْطَلَقَ إلى بَلَدِهِ وقَتَلَ وَلَدَهُ(أ)، وشَعَرَ بالمَكِيدَةِ فَمَاتَ أسَفاً. ووُلِّيَ ابنُهُ الآخَرُ أبو نَصْر إلى سنةِ سبعٍ وخمسينَ، فَغَدَرَ به بَعضُ جُنْدِهِ، وخَرَجَ هَارباً فَسَقَطَ مِن السُّورِ ومَاتَ. وتَسَلَّمَ المُعْتَضِدُ رُنْدَةَ مِن يَدِ ذَلِكَ الغَادِرِ. ويُقَالُ إنَّ ذلِكَ كانَ عِنْدَ كائِنَةِ الحَمَّامِ سنةَ خمسٍ وأربعينَ، وأنَّ أبَا نُورٍ هَلَكَ فيها. ولَمَّا بلغَ الخَبرُ ابنَهُ أبا نَصْرٍ وقَعَ ما وَقَعَ واللهُ أعْلَمُ.

(أ) ص، ض، ب: ابنه.

• الخَبَرُ عنْ مَرَنْجيصَةَ من بُطُون بني يَفْرن، وشَرْحِ أحوالِهم

كانَ هذَا البَطْنُ مِن بُطُونِ بَنِي يَفْرَن بضَواحِي إفْرِيقِيَّة، وكانَتْ لَهُم كَثْرةٌ وقُوَّةٌ. ولَمَّا خَرجَ أبو يَزيدٍ على الشِّيعَةِ، وكانَ مِن إخوانِهم / بَنِي وَارْكُوا، [21أ] ظَاهَرُوهُ على أمْرِهِ بِمَا لهُ مَعَهُمْ مِن العَصَبِيَّةِ. ثُمَّ انقَرَضَ أمْرُهُ وأخَذَتْهُمْ دَوْلَةُ الشِّيعَةِ وأوْلياؤُهُم صِنْهَاجَةَ ووُلاتُهم على إفْرِيقِيَّة بالسَّطْوِ والقَهْرِ وإنزالِ العُقُوبَاتِ في الأنْفُسِ والأمْوَالِ، إلى أنْ تَلاشَوْا وأصْبَحُوا في عِدَادِ القَبَائِلِ الغَارِمَةِ. وبَقِيَتْ مِنهُم أحْياءٌ نَزَلُوا ما بيْن القَيْرَوانِ وتُونِس، أهْلَ شَاءٍ وبَقَرٍ وخيَامٍ، يَظْعَنُونَ في نَواحِيهَا، ويَنْتَحِلُونَ الفَلْحَ في مَعاشِهِمْ. ومَلَكَ المُوَحِّدُونَ إفْرِيقِيَّةَ وهُم بهذِهِ الحَالِ، وضُرِبَتْ عليهم المَغَارِمُ والضَّرائِبُ والعَسْكَرَةُ مَعَ السُّلْطَانِ في غَزَواتِهِ بعُدَّةٍ مَفْروضَةٍ يَحْضُرُونَ بها متَى اسْتُنْفِرُوا.

ولَمَّا تَغَلَّبَتِ الكُعُوبُ مِن بَنِي سُلَيْمٍ عَلى ضَواحِي إفْرِيقِيَّة، وأخْرَجُوا مِنها الذَّوَاوِدَةَ(أ) • من رِيَاحٍ أعْداءِ الدَّوْلَةِ•(ب) لِذلِكَ العَهْدِ، واسْتَظْهَرَ بِهِم السُّلْطَانُ عَلَيهِم، اتَّخَذُوا إفْرِيقِيَّةَ وَطَناً من قَابِسَ إلى بَاجَةَ. ثُمَّ اشْتَدَّتْ وَلايَتُهُم للدَّوْلَةِ وعَظُمَ الاسْتِظْهارُ بِهِم، وأقْطَعَهُمْ مُلُوكُ الدَّوْلَةِ ما شَاؤُوهُ مِن الأعْمَالِ والخَرَاجِ، فكَانَ في إقْطاعِهِمْ خَرَاجُ مَرَنْجِيصةَ هَؤُلاءِ.

ولَمَّا كانَتْ وَقْعَةُ بَنِي مَرِينَ على القَيْرَوانِ، وكانَ بَعدَها في الفَتْرَةِ ما كان مِن طَخْيَاتِ[1] الفِتْنَةِ التي اعْتَزَّ فِيها العَربُ على السُّلْطَانِ والدَّوْلَةِ، كانَ

(أ) ص: الدَّوَاوِدَة (ب) سقطت من أ.

---

(1) الطَّخياء: الليلة الشديدة الظُّلمة.

لهَؤلاءِ الكُعُوبِ المُتَغَلِّبِينَ مَدَدٌ قَوِيٌّ مِن أحياءِ مَرَنْجِيصةَ هَؤلاء، مِنَ الخَيْلِ للحُمْلَانِ، والجِبَايَةِ للإنـفَاقِ، والأنْعَامِ لِلّحْمانِ، والـخَيَّالَةِ لِلاسْـتِظْهارِ بأعْدَادِهِمْ فِي الحُرُوبِ. فَصَارُوا لهُم لُحْمَةً وخَوَلاً. وتَمَلّكُوهُم تَمَلُّكَ العِبِدَّى، حتَّى إذا أذْهبَ اللهُ عَمْياءَ الفِتْنَةِ، وأقامَ مائلَ الخِلافَةِ والدَّوْلةِ، وصارَ تُراثُ هَذا المُلْكِ الحَفْصِيِّ إلى الأحَقِّ بِهِ مَوْلانا السُّلْطَانِ أبِي / العبَّاسِ أحمَدَ، [21 ب] فانقَشَعَ الجَوّ وأضَاءَ الأفُقُ ودَفعَ المُتَغَلِّبِينَ مِن العَرَبِ عَن أعمالِهِ، وقَبَضَ أيْدِيَهم عن رَعاياهُ، وأصارَ مَرَنْجِيصةَ هؤلاءِ مِن صَفاياهُ، بعدَ إنْزالِ العُقوبةِ بهم على لِيَاذِهِمْ بالعَرَبِ وظَعْنِهم مَعَهم، فراجَعُوا الحَقّ وأخْلَصُوا فِي الانْحِيَاشِ، ورَجَعوا إلى مَا ألِفُوهُ مِن الغَرامَةِ وقَوانِينِ الخَراجِ، وهُم على ذلك لهذا العَهدِ. واللهُ وارثُ الأرْضِ ومَن علَيها.

* الخبرُ عن مَغْراوة من أهلِ الطّبقة الأُولى مِن زَنَاتَة وما كان لهُمْ مِن الدُّولِ بالمغرب، ومَبدأُ ذلك وتصاريفهُ

هَؤُلاءِ القَبائِلُ مِن مَغْرَاوَةَ كانُوا أوسعَ بُطونِ زَنَاتَةَ وأهلَ البَأْسِ والغَلَبِ مِنهُم. ونَسبُهم إلى مَغْرَاوَ بنِ يَصَلْتَن[أ] بن مسْرى[ب] بنِ زاكيًا بن وَرْسيك ابن أدِيدَت بنِ جَانَا إخوةِ بَنِي يَفْرَن وبَنِي يَرْنِيَان. وقد تَقدّمَ الخلافُ في نَسبِهم عِندَ ذِكرِ بَنِي يَفْرَن. وأمّا شُعُوبُهم وبُطونُهم فكَثِيرٌ، مِثلَ بَنِي يَلَنْت وبَنِي زَنْدَاك وبَنِي وَرَاوْ و وَرْتَزْمِير وبَنِي بُوسَعِيد وبَنِي وَرْسِيفَان ولَغْوَاط وبَنِي رِيغَة، وغَيرِهِم مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرْنِي أسماؤُهُم. وكانت بأرضِ المَغْرِبِ الأوْسَطِ من شَلَف إلى تِلِمْسَانَ إلى جبل جَبَلِ مَدْيُونَةَ ومَا إليها. ولَهُم مَع إخوانِهم من بَنِي يَفْرَن افتِرَاقٌ واجتِماعٌ ومُناغاةٌ في أحْوالِ البَدوِ.

وكان لمَغْرَاوَةَ هؤلاءِ في بَدْوِهِم مُلْكٌ كَبِيرٌ أدْرَكَهُم عليه الإسْلَامُ فأقَرَّهُ لَهُم. وحَسُنَ إسْلَامُهُمْ، وهَاجَرَ أمِيرُهُم صولَات بن وَزْمَارٍ[ج] إلى المَدِينَة، ووَفَدَ على أميرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفّان رَضِيَ اللهُ / عنهُ، فلَقَّاه مَبَرَّةً [22 أ] وقَبُولاً لهِجرتِهِ، وعَقَدَ له عَلى قَوْمِهِ ووَطَنِهِ، وانْصَرفَ إلى بلادِهِ مَحْبُوّاً مَحْبوراً مُغتَبِطاً بالدِّينِ، مُظاهِراً لقَبائِلِ مُضَرٍ، فَلَم يَزلْ هذا دَأْبَهُ.

وقَدْ قِيلَ أنّه تُقُبِّضَ عليهِ أسِيراً لأوّلِ الفَتْحِ في بَعضِ حُروبِ العَرَبِ مَع البَرْبَرِ قَبْلَ أنْ يَدِينُوا بالدِّينِ. فأشْخَصُوهُ إلى عُثْمَانَ لمَكانِهِ مِن قَوْمِهِ، فَمَنَّ عَلَيْهِ، وأسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ وعَقَدَ لهُ. فاختَصَّ صولَاتُ هذا وسَائِرُ الأحْيَاءِ من

(أ) أ: يَصَليتَن (ب) ص ا: مسري. وتقدم يسرا (ج) في ص: وزنار وفي ض: وزملز .

مَغْرَاوَةَ بِوَلاءِ عُثْمَانَ وأَهْلِ بَيْتِهِ مِن بَنِي أُمَيَّةَ، وكَانُوا خَالِصَةً لهُم دونَ قُرَيْشٍ، وظَاهَرُوا دَعْوةَ المَرْوَانيَّةِ بالأَنْدَلُسِ رَعْياً لِهذَا الوَلاءِ عَلَى مَا تَرَاهُ بَعْدُ فِي أَخْبَارِهِمْ.

ولَمَّا هَلَكَ صولاتُ قَامَ • بأَمْرِهِ فِي مَغْرَاوَةَ وسَائِرِ زَنَاتَةَ مِن بَعْدِهِ ابْنُهُ حَفصٌ، وكَانَ مِن أعاظِمِ مُلُوكِهِمْ. ثُمَّ لَمَّا هَلَكَ قَامَ •[1] بأَمْرِهِ ابنُهُ خَزَر. وعِنْدَمَا تَقَلَّصَ ظِلُّ الخِلافَةِ عَنِ المَغْرِبِ الأَقْصَى بَعْضَ الشَّيْءِ، وأَظَلَّتْهُ فِتْنَةُ مَيْسَرَةَ الحَقِيرِ ومَظْغَرَةَ. فاعتَزَّ خَزَرُ وقَوْمُهُ عَلَى أمَراءِ المَضَرِيَّةِ بالقَيْرَوَانِ، واسْتَفْحَلَ مُلكُهُم وعَظُمَ شَأْنُ سُلْطَانِهِمْ على البَدْوِ مِن زَنَاتَةَ بالمَغْرِبِ الأَوْسَطِ. ثُمَّ انْتَقَضَ أمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ بالمَشْرِقِ، وكانَتِ الفَتْرَةُ بالمَغْرِبِ، فازْدَادُوا اعْتِزَازاً وعُتُوّاً.

وهَلَكَ خِلالَ ذَلِكَ خَزَرُ وقَامَ بمُلْكِهِ ابنُهُ مُحَمَّدٌ، وخَلَصَ إلى المَغْرِبِ إدْرِيسُ الأَكْبَرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ حسَنِ بنِ الحسَنِ سَنَةَ سَبْعِينَ ومائةٍ فِي خِلافَةِ الهَادِي. وقَامَ بَرَابِرَةُ المَغْرِبِ من أَوْرَبَةَ وصَدِّينةَ ومَغِيلَةَ بأمْرِهِ، واسْتَوْسَقَ لهُ المُلْكُ، واقْتَطَعَ المَغْرِبَ عَن طاعَةِ بَنِي العَبَّاسِ سَائِرَ الأيَّامِ. ثُمَّ نَهَضَ إلى المَغْرِبِ الأَوْسَطِ سنةَ أَرْبعٍ وسَبْعِينَ، فتَلَقَّاهُ مُحَمَّدُ بنُ خَزَر هَذَا، وأَلْقَى إلَيْهِ المَقَادَةَ، وبَايَعَ لهُ عَن قَوْمِهِ، وأَمْكَنَهُ مِن تِلِمْسَانَ بعْدَ أنْ غَلَبَ عَلَيها بَنِي يَفْرَنَ أَهْلَهَا. فانْتَظَمَ إدْرِيسُ في طَاعَتِه جميعَ أعْمَالِ المَغْرِبِ الأَوْسَطِ، واقتطعَهُ / مِن أعْمَالِ الأغَالِبَةِ. [22 ب]

ولَمَّا هَلَكَ، وقَامَ بأمْرِهِ بَعْدَهُ ابنُهُ إدْرِيسُ بنُ إدْرِيس، واسْتَوْلَى على جَمِيعِ أعْمَالِ أبيهِ، ومَلَكَ تِلِمْسَانَ، وقَامَ بَنُو خَزَر هَؤُلاءِ بدَعْوَتِهِ كَمَا كَانُوا لأبيهِ. وكَانَ قَد نَزَلَ تِلِمْسَانَ لعهدِ إدْرِيس الأكبرِ أَخُوهُ سُلَيْمَانُ بنُ عبدِ اللهِ

(1) انزلقت عين الناسخ فأسقط ما بين النجمين واستدركه المؤلف في الحاشية بخطه. وقد أدرجته الأصول الأخرى في موقعه.

ابن حَسَنٍ بنِ الحَسَنِ القَادمُ عليه مِنَ المَشْرِقِ، وسَجَّلَ لهُ بولايَةِ تِلِمْسَانَ، وسَجَّلَ ابنُه إدْرِيسُ لمُحَمَّدِ ابنِ عَمِّهِ سُلَيْمانَ مِن بَعْدِهِ، فكانتْ وِلايَةُ تِلِمْسَانَ وأمْصَارِهَا في عَقِبِهِ. واقْتَسَمُوا ولايةَ ثُغورِهَا السَاحِلِيَّةِ، فكانت تِلِمْسَانُ لوَلَدِ إدْرِيس بنِ مُحَمَّدِ بن سُليمَان، وأرشْكُول[أ] لوَلَدِ عِيسَى بن مُحَمَّدٍ، وتَنَسُ لوَلَدِ إبراهيم بن مُحَمَّدٍ، وسائرُ الضَّواحِي مِن أعْمَالِ تِلِمْسَانَ لبَنِى يَفْرَنَ ومَغْرَاوَةَ.

ولَمْ يَزَلِ المُلْكُ بضَواحِي المَغْرِبِ الأوْسَطِ لمُحَمَّدِ بنِ خَزَر كَمَا قُلْنَاهُ إلى أنْ كانتْ دَوْلَةُ الشِّيعَةِ، واسْتَوسَقَ لَهُم مُلْكُ إفرِيقِيَّةَ، وسَرَّحَ عُبَيْدُ الله المَهْدِيُّ إلى المَغْرِبِ عَرُوبَةَ بنَ يُوسُف الكُتَامِيَّ في عَسَاكِرِ كُتَامَةَ سنةَ ثَمَانٍ وتِسْعِينَ ومائتينَ، فدَوَّخَ المَغرِبَ الأدْنَى ورَجَعَ. ثُمَّ سَرَّحَ بَعْدَهُ مَصَالَةَ بنَ حَبُوسٍ[ب] إلى المَغْرِبِ في عَسَاكِرِ كُتَامَةَ، فَاسْتَوْلَى على أعْمَالِ الأدَارِسَةِ، واقْتَضَى طاعَتَهُم لعُبَيدِ الله. وعَقَدَ على فَاسَ ليَحْيَى بنِ إدْرِيس بن عُمَرَ آخِرِ مُلوكِ الأدَارِسَةِ. خَلَعَ نَفْسَهُ ودَانَ بطاعَتِهِم، وعَقَدَ لهُ مَصَالَةُ على فَاسَ، وعَقَدَ لمُوسَى بنِ أبِي العَافِيَةِ أميرِ مِكْنَاسَةَ وصاحِبِ تَسُول وتَازَى على ضَوَاحِي المَغْرِبِ، وقفَلَ إلى القَيْرَوَانِ.

وانتَقَضَ مُحَمَّدُ بنُ خَزَر من [أعْقَابِ مُحَمَّدِ بنِ خَزَرَ بنِ][ج] حَفْصٍ الداعيةِ لإدْرِيس الأكبَرِ. وحَمَلَ زَنَاتَةَ وأهْلَ المَغْرِبِ الأوْسَطِ على البَرَاءَةِ مِنَ الشِّيعَةِ. وسَرَّحَ عُبَيْدُ الله المَهْدِيّ إليه مَصَالَةَ بن حَبُوسٍ قائِدَ المَغْرِبِ في

(أ) ض أ: أرشْكُول (ب) في ض: حَبُوس (ج) من ض أ ص.

عَسَاكِرِ / كُتَامَةَ سنةَ تِسْعٍ[1]. ولَقِيَهُ مُحَمَّدُ بن خَزَر في جُموعِ مَغْرَاوَةَ [123أ] وسائِرِ زَنَاتَةَ، فَفَلَّ عَساكِرَ مَصَالَةَ وخَلَصَ إليهِ فقَتَلَه. وسَرَّحَ عُبَيْدُ اللهِ ابنَهُ أبا القَاسِمِ في العَسَاكِرِ إلى المَغرِبِ سنةَ عَشْرٍ وعَقَدَ لهُ عَلَى حَرْبِ مُحَمَّد بن خَزَر وقَوْمِهِ، فأجْفَلُوا إلى الصَّحْراءِ، واتَّبَعَ آثارَهُم إلى مَلْوِيَّةَ فلَحِقُوا بسِجِلْمَاسَةَ. وعطَفَ أبو القَاسِمِ على المَغْرِبِ فدَوَّخَ أقطارَهُ وجَالَ في نواحِيهِ، وجدَّدَ لابنِ أبي العَافِيَةِ على عَمَلِهِ، ورَجعَ ولَمْ يَلْقَ كَيْداً.

ثُمَّ إنَّ النَّاصِرَ صاحِبَ قُرْطُبَة سَمَا لهُ أملٌ في مُلْكِ العُدْوَةِ، فَخَاطَبَ مُلوكَ الأدَارِسَةِ وزَنَاتَةَ. وبَعَثَ إليهم خَالِصَتَهُ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي عِيسَى سنةَ ستَّ عَشْرةَ. فبادَرَ مُحَمَّدُ بنُ خَزَر إلى إجَابَتِهِ، وطَرَدَ أوْلِيَاءَ الشِّيعَةِ مِنَ الزَّابِ، ومَلَكَ شَلَفَ وتَنَسَ مِن أيْدِيهم، ومَلَكَ وَهْرَانَ ووَلَّى عَلَيْها ابنَهُ الخَيْرَ، وبَثَّ دعْوةَ الأُمَوِيَّةِ في أعْمَالِ المَغْرِبِ الأوْسَطِ مَا عَدَا تَاهَرْت. وجاءَ على إثْرِهِ في القِيَامِ بدَعوةِ الأُمَوِيَّةِ إدْرِيسُ بنُ إبراهِيمَ بنِ عيسَى ابنِ مُحَمَّدِ بنِ سُليمانَ صاحِبُ أرشكُول.

ثُمَّ فَتَحَ النَّاصِرُ سَبْتَةَ سنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ مِن أيْدِي الأدَارِسَةِ، وأجَابَ مُوسَى ابنُ أبي العَافِيَةِ إلى طاعَتِهِ، واتَّصَلَتْ يَدُهُ بمُحَمَّدِ بنِ خَزَر، وتَظَاهرُوا على الشِّيعَةِ. وخَالَفَ فَلْفُولُ بنُ خَزَر أخاه مُحَمَّدَ إلى طاعةِ الشِّيعَةِ، وعَقَدَ

(1) وثلاث مائة. ورواية ابن عذاري: أن هذه الحادثة التي انتهت بقتل مصالة بن حبوس كانت سنة 312 هـ يقول : لأن مصالة " أخرج خيلا إلى نواحي ابن خزر وكان فيها أكثر حماته ووجوه رجاله، وبقي مصالة في نفر من أصحابه، فبلغ ذلك ابن خَزَر فقصد نحو مَصالة ودارت بين الفريقين حربٌ عظيمة قتل فيها مصالة وانهزم أصحابه، وذلك يوم الجمعة لعشر بقينَ من شعبان". البيان المغرب 1: 189

لهُ عُبيْدُ اللهِ على مَغْرَاوَةَ. وزَحَفَ إلى المَغرِبِ[1] حُمَيْدُ بن يَصَل سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ في عَساكِرِ كُتَامَةَ، وعَقَدَ لهُ عُبيْدُ اللهِ الشِّيعِيِّ على تَاهَرْتَ فانْتَهَى إلى فَاسَ. وأجْفَلَتْ أمامَهُ ظَواعِنُ زَنَاتَةَ ومِكْنَاسَةَ، ودَوَّخَ المَغْرِبَ. وزَحفَ مِنْ بَعْدِهِ مَيْسُورُ الخَصِيُّ سنةَ اثْنَتَيْنِ وعِشْرِينَ، فَحَاصَرَ فَاسَ وامْتَنَعَتْ عَلَيهِ ورَجَعَ. / [23 ب] ثُمَّ انتَقَضَ حُمَيْدُ بن يَصَل سنةَ ثَمانٍ وعِشْرِينَ، وتَحَيَّزَ إلى مُحَمَّدِ ابنِ خَزَر، ثُمَّ أجَازَ إلى النَّاصِرِ ووَلَّاهُ على المَغْرِبِ الأَوْسَطِ.

ثُمَّ شُغِلَ الشِّيعَةُ بِفِتْنَةِ أبي يزيدٍ، وعَظُمَتْ آثَارُ مُحَمَّدِ بن خَزَر وقَوْمِه مِن مَغْرَاوَةَ، وزَحَفُوا إلى تَاهَرْتَ معَ حُمَيْدَ بنِ يَصَل قائِدِ الأُمَوِيَّةِ سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ. وزَحَفَ مَعَهُ الخَيْرُ بن مُحَمَّد وأخُوهُ حَمْزَةُ وعَمُّهُ عبدُ اللهِ بنُ خَزَر، ومَعَهُم يَعْلَى بنُ مُحَمَّدٍ في قَوْمِهِ بَني يَفْرَنَ، وأخَذوا تَاهَرْتَ عَنْوَةً، وقَتَلُوا عَبْدَ اللهِ بنَ بَكَّارٍ، وأسَرُوا قائدَها مَيْسُورَ الخَصِيَّ بَعد أن قُتِل حمزةُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ خَزَر في حُرُوبِها. وكانَ مُحَمَّدُ بن خَزَر وقَومُه زَحفوا قبلَ ذلكَ إلى بِسْكَرَةَ فَفَتَحُوهَا وقَتَلُوا زَيْدَانَ الخَصِيَّ.

ولَمَّا خرجَ إسماعيلُ من حصارِ أبي يزيدٍ، وزَحفَ إلى المَغْرِبِ في اتِّبَاعِه، خَشِيَهُ مُحَمَّدُ بنُ خَزَر على نَفْسِهِ لِمَا سَلَفَ مِنهُ في نَقْضِ دَعْوَتِهِم وقَتْلِ أوْلِيائِهِمْ، فبَعَثَ إليه بطاعةٍ معروفةٍ، وأوعزَ إليه إسماعيلُ بطلَبِ أبي يزيدٍ، ووَعدَهُ في ذلكَ بعِشرينَ حِمْلاً مِنَ المَالِ. وكَانَ أخُوهُ مَعْبَدُ بن خَزَر في مُوَالاةِ أبي يزيدٍ إلى أنْ هَلَكَ. وتَقَبَّضَ إسماعيلُ بَعْدَ ذلكَ على مَعْبَد سنةَ أربعينَ وقَتَلَهُ ونَصَبَ رأسَهُ بالقَيْرَوانَ. ولَمْ يَزَلْ مُحَمَّدُ بنُ خَزَر وابنُهُ الخَيْرُ مغلَباً[ب]

(أ) ظ، ص: مغرب   (ب) في ص، أ: متغلبا .

على أعْمَالِ المَغرِبِ الأوْسَطِ، ومُقاسِماً فيها ليَعْلَى بنِ مُحَمَّدٍ. ووفَدَ فُتُوحُ بنُ الخَيْرِ سنةَ أربعينَ على النَّاصِرِ مع مَشْيَخَةِ تِيهرْت ووَهْرَان فأجَازَهُمْ وصَرفَهُمْ إلى أعْمَالِهِمْ.

ثُمَّ حَدَثَتِ الفتنةُ بينَ مَغْرَاوَةَ وصِنْهَاجَةَ، وشُغِلَ(ا) مُحَمَّدُ بنُ خَزَر وابنُهُ الخَيْرُ بحُرُوبِهم. وتَغَلَّبَ يَعْلَى بنُ مُحَمَّدٍ على وَهْرَانَ وخَرَّبَهَا. وعَقَدَ النَّاصِرُ لِمُحَمَّدِ بنِ يَصَلٍ على تِلِمْسَانَ وأعْمالِها، وليَعْلَى بنِ مُحَمَّدٍ على المَغْرِبِ وأعمالِهِ. فراجَعَ مُحَمَّدُ بن خَزَر طاعَةَ الشِّيعَةِ / مِن أجلِ قَرِيعِهِ يَعْلَى [24 أ] ابنِ مُحَمَّدٍ، ووَفَدَ على المُعِزِّ بَعْدَ مَهْلَكِ أبيهِ إسْماعِيلَ سنةَ اثْنَتَيْنِ وأربعينَ فأوْلاهُ تَكْرِمَةً. ولَمْ [يَزَلْ](ب) على طَاعَاتِهم إلى أنْ حَضَرَ مع جَوْهَر في غَزاتِهِ إلى المَغْرِبِ بأعْوامِ سبعٍ وثَمَانٍ وأربعينَ. ثُمَّ وفَدَ على المُعِزِّ بَعْدَ ذلكَ سنةَ خمسينَ، وهَلكَ بالقَيْرَوَانَ وقد نَيَّفَ على المائةِ من السِّنينَ.

وهَلَكَ النَّاصِرُ المَرْوَانِيُّ عَامَئِذٍ، على حِينِ انْتَشَرَتْ دعوةُ الشِّيعَةِ بالمَغْرِبِ، وانْقَبَضَ أوْلياءُ الأُمَوِيَّةِ إلى أعْمالِ سَبْتَةَ وطَنْجَةَ، فقَامَ بأمْرِهِ بَعدَهُ ابنُهُ الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ. واسْتَأْنَفَ مُخاطَبَةَ مُلوكِ العُدْوَةِ، فأجَابَهُ مُحَمَّدُ بنُ الخَيْرِ بنِ مُحَمَّدِ بن خَزَر بما كان مِن أبيهِ الخَيْرِ وجدِّهِ مُحَمَّدٍ في وِلايَةِ النَّاصِرِ، وللوِلايَةِ التي لبَنِي أُمَيَّةَ على آلِ خَزَر بوصيةِ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانٍ لصُولَات بنِ وَزْمَار جَدِّهِم كما ذَكَرنَاهُ، فأثْخَنَ في الشِّيعَةِ ودَوَّخَ بِلادَهِم.

(ا) أ: فشغل (ب) سقط من ظ.

ورَمَاهُ مَعَدٌّ بقَريعَةِ زِيرِي بن مَنَادٍ أميرِ صِنْهَاجَةَ، فعَقَدَ لهُ على حَربِ زَنَاتَةَ، وسَوَّغَهُ ما غَلَبَ عليهِ من أعْمَالِهِم. وجَمَعُوا للحَرْبِ سنةَ ستِّينَ، وفَاوَضَ بُلُكِّينُ بن زيري جُموعَهُم بدَسِيسَةٍ مِنْ بَعْضِ أولِياءِ مُحَمَّد بن الخَيْرِ قَبْلَ أنْ يَسْتَكمِلَ تَعْبِئَتَهُم، فأبْلَى مِنهُم ثُبْتاً[1] صُبْراً[2]. واشْتَدَّت الحَربُ بَيْنَهم، وانهزَمَتْ زَنَاتَةُ. حَتَّى إذا رأى مُحَمَّدُ بن الخَيْرِ أنْ قَدْ أحِيطَ بِهِ، انْتَبَذَ إلى ناحِيَةٍ عنِ العَسْكَرِ وذَبَحَ نَفْسَهُ. واستَمرَّت الهَزِيمَةُ على قَوْمِهِ، وجَدَلَ مِنْهُم في المَعركَةِ سبعةَ عَشَرَ أمِيراً سِوى الأتْبَاعِ، وتَحيَّزَ كُلٌّ إلى فَرِيقِهِ. وَوَلِيَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ في مَغْرَاوَةَ ابنُهُ الخَيْرُ.

وأغْرى بُلُكِّينُ بنُ زِيرِي الخَليفةَ مَعَدّاً بجَعْفَرِ بنِ عَلِيِّ بنِ حَمْدُونَ صاحِبِ المَسِيلَةِ والزَّابِ / بِمُوالاةِ[أ] مُحَمَّدِ بن الخَيْرِ، فاسْتَرابَ جَعْفَرٌ، [24 ب] وبَعَثَ عَنْهُ مَعَدٌّ لوِلايَةِ إفْرِيقِيَّةَ حِينَ اعْتَزَمَ على الرَّحيلِ إلى القَاهِرَةِ، فاشْتَدَّتِ استرابَتُهُ. ولَحِقَ بالخَيْرِ بنِ مُحَمَّدٍ وقَوْمِهِ، وزَحفُوا إلى صِنْهَاجَةَ. فأُتيحَتْ لهُم علَيهِم الكَرَّةُ، وأُصيبَ زِيرِي بنُ مَنَادٍ كَبيرُ العِصابَةِ، وبَعثُوا بِرأسِهِ إلى قُرْطُبَةَ في وَفدٍ مِن وُجوهِ بَنِي خَزَر مَعَ يَحْيَى بنِ عَلِيٍّ أخِي جَعْفَرٍ. ثُمَّ اسْتَرَابَ بَعْدَهَا جَعْفَرٌ من زَنَاتَةَ، ولَحِقَ بأخيهِ يَحْيَى، ونَزَلُوا عَلَى الحَكَمِ. وعَقَدَ مَعَدٌّ لبُلُكِّينَ ابنِ زِيرِي عَلَى حَربِ زَنَاتَةَ. وأمَدَّهُ بالأمْوالِ والعَساكِرِ، وسَوَّغَهُ مَا تَغَلَّبَ[ب] عليه مِنْ أعمالِهِم. فنَهَضَ إلى المَغْرِبِ سنةَ إحْدَى وسِتِّينَ وأوْعَزَ بالبَراءةِ

(أ) في ص أ: بمولاته (ب) في ص أ: يغلب.

(1) ثبتًا: متماسكون ثابتون شجعانًا صادقون في الحملة.
(2) صُبرًا: متجلّدون غير جزعين.

مِنهم، وتَعَدَّى أعمَالَ طُبْنَةَ وبَاغَايَةَ والمَسِيلَةِ وبِسْكَرَةَ، وأجفَلَتْ زَنَاتَةُ أمَامَهُ. وتَقَدَّمَ إلى تَاهَرْتَ فَمَحَا مِنَ المَغرِبِ الأوْسَطِ آثَارَ زَنَاتَةَ، ولَحِقُوا بالمَغرِبِ الأقْصَى.

واتَّبَعَ بُلُكِّينُ أثَرَ الخَيْرِ بنِ مُحَمَّدٍ وقَوْمِهِ إلى سِجِلْمَاسَةَ فأوْقَعَ بهم. وتَقَبَّضَ عَلَيهِ فقَتَلَهُ صَبْراً، وفَضَّ جُمُوعَهم ودَوَّخَ المَغرِبَ وانكَفَأَ رَاجِعاً. ومَرَّ بالمَغرِبِ الأوْسَطِ، فَاستَلْحَمَ بَوَادِي زَنَاتَةَ ومَنْ إليهم مِنَ الخَصَّاصِينَ. ورَفَعَ الأمَانَ عَمَّنْ رَكِبَ فَرَساً أو نَتَجَ خَيْلاً مِن سَائِرِ البَرْبَرِ، ونَذَرَ دِمَاءَهُمْ. فأقْفَرَ المَغرِبُ الأوْسَطُ مِن زَنَاتَةَ، وصَارُوا إلى ما وَرَاءَ مَلْوِيَّةَ مِن بِلادِ المَغرِبِ الأقْصَى، إلى أنْ كانَ مِن رجُوعِ بَني يَعْلَى بن مُحَمَّدٍ إلى تِلِمْسَانَ ومُلْكِهِمْ إيَّاهَا، ثُمَّ مُلْكِ بَني خَزْرُون بسِجِلْمَاسَةَ وطَرَابُلُسَ، ومُلْكِ بني زِيري بنِ عَطِيَّةَ بفَاسَ، مَا نَحْنُ ذَاكِرُوهُ إنْ شَاءَ اللهُ[أ] [تَعَالَى][ب].

(أ) إلى آخر المشجر التالي تنتهي قطعة مخطوطة الأصل " ض " التي عليها خطوط المؤلف ومستدركاته (ب) من أ.

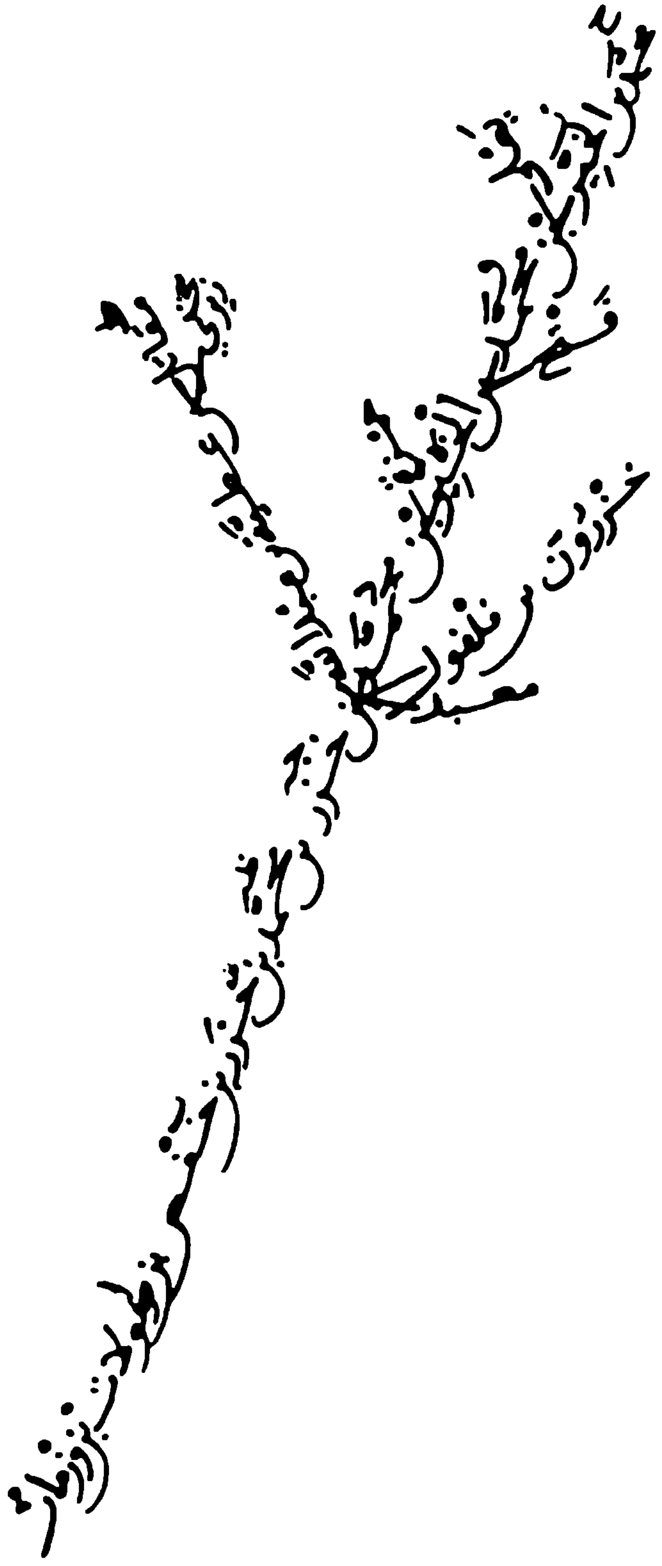

[ملوك مغراوة. من الطبقة الأولى من زناتة]

• / الخَبَرُ عَنْ آلِ زِيري بن عَطِيّة مُلوك فاسَ وأعْمالِها، من الطَّبقةِ الأُولَى مِنْ مَغرَاوة، وما كَانَ لهمْ بالمغرب الأقصَى مِن المُلكِ والدَّوْلةِ، ومَبادِيءِ ذلكَ وتصَارِيفِهُ. [25 ب]

كَانَ زِيرِي هَذا أميرَ آلِ خَزَر في وَقْتِهِ ووَارِثَ مُلكِهم البَدَوِيّ. وهُو الذِي مَهَّدَ الدَّوْلةَ بفَاسَ والمَغرِبِ الأقْصَى، وأوْرَثهَا بَنيهِ إلى عَهْدِ لَمْتُونَة، حَسْبَمَا نَسْتَوفِي شَرْحَهُ[أ]. واسْمُهُ زِيرِي بنُ عَطِيَّةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بن خَزَر، وجَدُّهُ عَبْدُ اللهِ أخُو مُحَمَّدٍ داعِيةِ النَّاصِرِ الذي هَلَكَ بالقَيْرَوانَ كَما ذَكَرْنَاهُ. وكانُوا أربعةَ إخْوةٍ: مُحَمَّدُ ومَعْبَدُ الذي قَتَلَهُ إسْماعِيلُ، وفَلْفُولُ الذي خَالفَ مُحَمَّداً إلى وِلايةِ الشِّيعَةِ، وعبدُ اللهِ هذا. وكَانَ يُعرفُ بأمِّهِ، واسْمُها تَبَادَلْتُ[ب]. وقد قيلَ إنَّ عبدَ اللهِ هذا هو ابنُ مُحَمَّدِ بن خَزَر، وأخُوهُ حَمْزَةُ ابن مُحَمَّدٍ الهَالِكُ فِي حَربِهِ معَ مَنْصُورٍ عِندَ فَتْحِ تَاهَرْت.

ولَمَّا هَلَكَ الخَيْرُ بن مُحَمَّدٍ كَمَا قُلناهُ بيدِ بُلُكِّينَ سنةَ إحْدَى وسِتِّينَ، وارْتَحَلَتْ زَنَاتَةُ إلى مَا وَرَاءَ مَلْوِيَّةَ مِنَ الغَرْبِ الأقْصَى، وصَارَ المَغْرِبُ الأوْسَط كُلُّهُ لصِنْهَاجَةَ، واجْتَمَعَ مَغْرَاوَةُ إلى بَقِيَّةِ آلِ خَزَر. وأُمَرَاؤُهُم يومَئِذٍ مُحَمَّدُ بن الخَيْرِ المذْكُورُ، ومُقَاتِلُ وزِيرِي ابْنَا مُقَاتِلِ بنِ عَطِيَّةَ بن عَبْدِ اللهِ، وخَزْرُونُ بن فَلْفُول. ثُمَّ كانَ ما ذَكَرْنَاهُ مِن وِلايَةِ بُلُكِّينَ بن زِيرِي على إفْرِيقِيَّةَ، وزَحَفَ إلى المَغْرِبِ الأقْصَى زحفَهُ المَشْهورَ سنَةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ،

(أ) ص ،أ: في شرحه (ب) الشكل من ص أ.

وأجْفَلَتْ أمَامَهُ مُلوكُ زَنَاتَةَ مِن بَنِي خَزَر وبَنِي مُحَمَّدِ بن صَالِحٍ، وانْحاشُوا جَمِيعاً إلى سَبْتَةَ.

[26 أ] وأجَازَ / مُحَمَّدُ بن الخَيْرِ البَحْرَ إلى المَنْصُورِ بن أبي عَامِرٍ صَرِيخاً. فَخَرَجَ المَنْصُورُ في عساكِرِهِ إلى الجَزِيرَةِ مُمِدّاً لهُم بنَفْسِهِ. وعَقَدَ لجَعْفَرَ بنِ عَلِيّ عَلَى حرْبِ بُلُكّينَ، وأجَازَهُ البَحْرَ وأمَدَّهُ بِمائَةِ حِمْلٍ مِنَ المالِ. فاجتَمَعَتْ إليهِ مُلوكُ زَنَاتَةَ واضْطرَبُوا(أ) مَصَافَّهُم بسَاحَةِ سَبْتَةَ، وأطَلَّ عَلَيهِم بُلُكّينُ مِنْ جَبَلِ تِيطّاوِين فرَأى مَا لا قِبَلَ لَهُ بِهِ، فارْتَحَلَ عَنْهُم، وشَغَلَ(ب) نَفْسَهُ في جِهادِ بَرَغْوَاطَةَ، إلى أنْ هَلَكَ مُنْصَرِفًا مِنَ المَغْرِبِ سنةَ اثْنَتَيْنِ وسبْعِينَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ.

وعَادَ جَعْفَرُ بنُ عَلِيّ إلى مَكَانِهِ مِنَ الحَضْرَةِ، وسَاهَمَهُ المَنْصُورُ في حَمْلِ الرِّئاسَةِ، وبَقِيَ المَغْرِبُ غُفْلاً مِنَ الوِلايَةِ. واقتَصَرَ المَنْصُورُ عَلَى ضَبْطِ سَبْتَةَ، ووَكَلَ إلى مُلوكِ زَنَاتَةَ دِفاعَ صِنْهَاجَةَ عنْهُ وسائِرِ أولياءِ الشِّيعَةِ. وأقَامَ يَبْلُو طَاعَتَهم إلى أنْ ظَهَرَ بالمَغْرِبِ الحسنُ بن كَنُّونَ مِنَ الأدَارِسَةِ، بَعَثَهُ العَزيزُ نِزَارٌ مِنْ مِصْرَ لاستِرجاعِ مُلْكِهِ بالمَغْرِبِ. وأمَدَّه بُلُكّينُ بعَسْكَرٍ مِنْ صِنْهَاجَةَ. وهَلَكَ عَلَى تَفِيئَةِ(1) ذَلِكَ بُلُكّينُ. ودَعَا الحسنُ إلى أمرِهِ بالمَغْرِبِ، وانْضَمَّ إليهِ يَدُّو بنُ يَعْلَى بنُ مُحَمَّدٍ اليَفْرَنِيّ وأخُوهُ زِيرِي وابن عَمِّهِ أبُو يَدَّاس فِيمَنْ إليهِمْ مِنْ بَنِي يَفْرَنَ. فسَرَّحَ المَنْصُورُ لحَربِهِ ابنَ عَمِّهِ أبَا

(أ) ص: اضربوا (ب) ص،أ: شغل .

---

(1) على إثره، أو على القُرب من وقته .

الحَكَمَ عَمرو بن عَبدِ اللهِ بنِ أبي عَامِرٍ المُلَقَّبَ عَسْكَلاجَة، وبَعثَهُ بالعساكِرِ والأَموَالِ. فأجَازَ البَحْرَ سنةَ خمسٍ وسَبْعِينَ، وانْحَاشَ إليهِ مُلوكُ آلِ(ا) خَزَر: مُحَمَّدُ بنُ الخَيْرِ، ومُقَاتِلُ وزِيري ابنَا عَطِيَّةَ، وخَزرُونُ بن فَلْفُول في جُمُوعِ مَغْرَاوَةَ، وظَاهَرُوهُ على شَأْنِهِ. وزَحَفَ بِهِم أبُو الحَكَمِ بنُ أبي عَامِرٍ إلى الحسنِ بنِ كَنُّونَ حتَّى أَلْجَأوهُ إلى الطَّاعَةِ وسأَلَ الأمانَ عَلَى نَفْسِهِ. فعَقَدَ لَهُ عَمْرُو بن / [26 ب] أبي عَامِرٍ ما رَضِيَهُ مِنْ ذَلِكَ وأَمْكَنَ به مِنْ قِيادِهِ، وأشْخَصَهُ إلى الحَضْرَةِ. فكَانَ مِنْ قتلِهِ وإخْفَارِ ذِمَّةِ أبي الحَكَمِ بنِ أبي عَامِرٍ، وقَتْلِهِ بَعْدَهُ مَا تَقَدَّمَ، حَسْبَما ذَكَرْنا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ قَبْلُ.

وكانَ مُقَاتِلُ وزِيري ابنَا عَطِيَّةَ مِنْ بين مُلوكِ زَنَاتَةَ أشَدَّ النَّاسِ انْحِيَاشاً للمَنْصُورِ وقِيَاماً بطَاعَتِهِ المَرْوَانيَّةِ. وكانَ يَدُّو بن يَعْلَى وقَومُهُ بنُو يَفْرَن مُنْحَرِفِينَ عَنْ طَاعَتِهِم. ولَمَّا انْصَرَفَ أبُو الحَكَمِ بن أبي عَامِرٍ مِنَ المَغْرِبِ، عَقَدَ المَنْصُورُ عَلَيْهِ للوزيرِ حسنِ بنِ أحمدَ بنِ عَبْدِ الوَدُودِ السُّلَمِيِّ، وأَطْلَقَ يدَهُ في انتِقَاءِ الرِّجَالِ والأموالِ، فأنْفَذَهُ(ب) إلى عَمَلِهِ سنةَ ستٍّ وسَبْعِينَ، واستوصَاهُ بمُلُوكِ مَغْرَاوَةَ مِنْ زَنَاتَةَ. واسْتَبْلَغَ بمُقَاتِلٍ وزِيريَ مِنْ بَيْنِهِم لحُسْنِ انْحِيَاشِهِمْ وطَاعَتِهِمْ. وأغْرَاهُ بيَدُّو بنِ يَعْلَى المُضْطَرِبِ الطَّاعَةِ(ج) الشَّدِيدِ المُرَاوَغَةِ. فنَفَذَ لعَمَلِهِ ونَزَلَ بفَاسَ وضَبَطَ أعْمَالَ المَغْرِبِ، واجْتَمَعَتْ إليهِ مُلُوكُ زَنَاتَةَ. وهَلَكَ مُقَاتِلُ بنُ عَطِيَّةَ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِينَ، واسْتَقَلَّ برِئَاسَةِ البَدْوِ الظَّوَاعِنِ مِنْ مَغْرَاوَةَ إخوةِ زِيري بنِ عَطِيَّةَ. وحَسُنَتْ مُخَالَصَتُهُ لابنِ عَبْدِ الوَدُودِ صَاحِبِ

(ا) سقط من أ   (ب) ص،أ: أنفذه   (ج) ظ: الطاقة .

المَغرِبِ وانْحِياشِهِ بقَوْمِهِ إليهِ. واستَدْعاهُ المَنصُورُ من مَحَلِّهِ بفَاسَ سنةَ إحْدَى وثَمانِينَ إشادَةً بتكْرِيمِهِ وإغراءً ليَدُّو بنِ يَعْلَى بمُنافَستِهِ في الحظِّ وإيثارِ الطَّاعَةِ. فبَادَرَ إلى إجَابَتِهِ بَعْدَ أنْ استَخْلَفَ عَلَى المَغْرِبِ ابنَهُ المعِزَّ وأنْزَلَهُ بتِلِمْسَانَ ثَغرِ المَغرِبِ. ووَلَّى على عُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ مِنْ فَاسَ عَلِيَّ بنَ مَحْمُودِ بنِ أبي عَلِيٍّ قَشُّوش(أ)، وعلى عُدْوَةِ الأنْدَلُسِيِّينَ عبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ الكَرِيمِ بنِ ثَعْلَبَة، وقَدَّمَ بينَ يَدَيهِ هدِيَّةً إلى المَنصُورِ، ووَفَدَ عليه، فاستَقْبَلَهُ / بالجَيْشِ والعُدَّةِ واحتَفَلَ لِلِقَائِهِ، وأوْسَعَ نُزُلَهُ وجِرايَتَهُ، ونَوَّهَ باسْمِهِ في [27 أ] الوِزارَةِ وأقْطَعَهُ رِزْقَهَا، وأثْبَتَ رجالَهُ في الدِّيوانِ، ووَصَلَهُ بقِيمَةِ هَدِيَّتِهِ وأسْنَى فيها، وأعْظَمَ جائِزَتَهُ وجائِزَةَ وفْدِهِ، وعَجَّلَ تسْرِيحَهُ إلى عَمَلِهِ، فقَفَلَ إلى إمَارَتِهِ مِنَ المَغْرِبِ.

ونُمِيَ عَنهُ خِلافُ مَا احْتَسَبَ(ب) فيهِ مِنْ غَمْطِ المَعْروفِ وإنكَارِ الصَّنيعِ والاستِنْكَافِ مِنْ لَقَبِ الوِزارَةِ الّذي نُوِّهَ بِهِ، حَتَّى إنَّهُ قَالَ لبَعْضِ حَشَمِهِ وقَدْ دَعَاهُ بالوَزيرِ: وَزِيرُ مَنْ يَا لُكَعُ!؟ لا واللهِ إلاَّ أميرُ ابنُ أميرٍ، وَاعَجَباً مِنَ ابنِ أبي عَامِرٍ ومَخْرَقَتِهِ، واللهِ لَوْ كانَ بالأنْدَلُسِ رَجُلٌ مَا تَرَكَهُ عَلَى حالِهِ، وإنَّ لَهُ مِنَّا لَيُوماً. و(ج) واللهِ لَقَدْ تَاجَرَني فِيمَا أهْدَيْتُ إليهِ حَطّاً للقِيَمِ، ثُمَّ غَالَطَني بِمَا بَذَلَهُ تَثْبِيتًا للكَرَمِ. إلاَّ أنْ يَحْتَسِبَ بِثَمَنِ الوِزَارَةِ التِي حَطَّني بِهَا عن رُتْبَتِي.

(أ) أ: قشوش (ب) في ص: انتسب (ج) سقط من أ.

ونُمِيَ ذَلِكَ إلى ابنِ أبي عَامِرٍ، فَصَرَّ عَلَيْهَا أُذُنَهُ وزَادَ في اصْطِناعِهِ. وبَعَثَ إلى يَدُّو بنِ يَعْلَى اليَفْرَنِيِّ قَرِيعه في مُلكِ زَنَاتَةَ يَدعُوهُ إلى الوِفَادَةِ، فَأَسَاءَ إجَابَتَهُ وقَالَ: مَتَى عَهِدَ المَنْصورُ حُمُرَ الوَحْشِ تَنْقَادُ إلى البَيَاطِرَةِ. وأَخَذَ في إفْسَادِ السَّابِلَةِ والإجْلابِ عَلَى الأحْيَاءِ والعَيْثِ في العَمَالَةِ. فأوْعَزَ المَنْصورُ إلى عامِلِهِ على المَغْرِبِ الوَزِيرِ حَسَنِ بنِ عَبْدِ الوَدُودِ بِنَبْذِ العَهْدِ إليهِ، ومُظَاهَرَةِ عدُوِّهِ زيرِي بنِ عَطِيَّةَ عليهِ. فَجَمَعُوا لَهُ سنةَ إحدَى وثَمَانِينَ ولَقُوهُ، فكانَتِ الدَّائرةُ عليهم. وتَحَرَّمَ العَسكَرُ، وأثْبِتَتِ الوَزيرَ ابنَ عَبْدِ الوَدُودِ جِرَاحَةٌ كانَ فِيها حَتْفُهُ.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى المَنْصورِ فشَقَّ عَلَيْهِ وأَهَمَّهُ شَأْنُ المَغْرِبِ. وعَقَدَ عليهِ لِوَقْتِهِ لزيرِي بنِ عَطِيَّةَ، وكَتَبَ إليْهِ بِعَهْدِهِ، وأمَرَهُ بِضَبْطِ المَغْرِبِ ومُكَاثَفَةِ جُنْدِ السُّلْطَانِ وأصْحَابِ / حَسَنِ بنِ عَبْدِ الوَدُودِ. فاضْطَلَعَ بأعْبائِهِ وأحْسَنَ الغَنَاءَ في عَمَلِهِ. واسْتَفْحَلَ شَأْنُ يَدُّو بنِ يَعْلَى وبَنِي يَفْرَن، واسْتَغْلَظُوا على زيرِي بنِ عَطِيَّةَ وأصْلَوْهُ نَارَ الفِتْنَةِ، وكانَتْ حُرُوبُهُم سِجَالاً. [27 ب]

وسَئِمَتِ الرَّعَايَا بفَاس كَثْرَةَ تَعَاقُبِهِم عَلَيْهَا وانْتِزَائِهِم عَلَى عَمَلِهَا. وبَعَثَ [الله][(أ)] لزيرِي بن عَطِيَّةَ ومَغْرَاوَةَ مَدَداً مِنْ أبي البَهَارِ بنِ زيرِي بنِ مَنَادٍ بِمَا كان انْتَقَضَ لِذَلِكَ العَهْدِ عَلَى ابنِ أخِيهِ مَنْصُورِ بن بُلُكِّينِ صاحِبِ القَيْرَوَانِ وإفْرِيقِيَّةَ. ونَزَعَ عَن دَعْوَةِ الشِّيعَةِ إلى المَرْوَانِيَّةِ، واقْتَفَى أَثَرَهُ في ذَلِكَ خَلُوفُ بنُ أبي بَكْرٍ صَاحِبُ تِيهَرْتَ[(ب)] وأخُوهُ عَطِيَّةُ لِصِهْرٍ كانَ بَيْنَهما

(أ) ط، ص: إليه (ب) ص، أ: تيهرت.

وبَيْنَ زَاوِي. فاقْتَطَعُوا أعْمَالَ المَغْرِبِ الأَوْسَطِ مَا بَيْنَ الزَّابِ ووَانْشَرِيسَ ووَهْرَان. وخَطَبُوا في سَائِرِ مَنَابِرِها باسْمِ هِشَامِ المُؤَيَّدِ.

وخَاطَبَ أبُو البَهَارِ مِنْ وراءِ البَحْرِ المَنْصُورَ بنَ أبي عَامِرٍ، وأوْفَدَ عَلَيْهِ أبَا بَكْرِ بنَ أخِيهِ حَبُوس بنِ زِيرِي في طائِفَةٍ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ ووُجُوهِ قَوْمِهِ، فَاسْتُقْبِلُوا بالجَيْشِ، ولَقَّاهُ رَحْباً وتَسْهِيلاً، وأعْظَمَ مَوْصِلَهُ وأسْنَى جَوائِزَ وفْدِهِ وصِلاتِهِم. وأنْفَذَ مَعَهُ إلى عَمِّهِ أبي البَهَارِ بخَمْسِ مائَةِ قِطْعَةٍ مِن صُنُوفِ الثِّيَابِ الخَزِّ و[العَبيد][أ]، وقِيمَةِ عَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ مِنَ الآنِيَةِ والحُلِيِّ، وبِخَمْسةٍ وعِشْرِينَ ألفاً مِنَ الدَّنانِيرِ. ودَعَاهُ إلى مُظَاهَرَةِ زِيرِي بنِ عَطِيَّةَ عَلَى يَدُّو بنِ يَعْلَى. وقَسَّمَ بَيْنَهُمَا عَمَلَ المَغْرِبِ شَقَّ الأُبُلُمَةِ[1]. حتَّى لقَدْ اقْتَسَما مَدينَةَ فَاسَ عُدْوَةً بِعُدْوَةٍ. فَلَمْ يَزَعْ ذَلِكَ يَدُّو ولا وزَعَهُ عَنْ شَأْنِهِ مِنَ الفِتْنَةِ والإجْلابِ عَلَى البَدْوِ والحَاضِرَةِ وشَقِّ عَصَا الجَمَاعَةِ.

[28 أ] وانْتَقَضَ خَلُوفُ بن / أبي بَكْرٍ عَلَى المَنْصُورِ لوَقْتِهِ، ورَاجَعَ وِلايَةَ المَنْصُورِ ابن بُلُكِّينَ. ومرِضَ أبُو البَهَارِ في المُظَاهَرَةِ عَلَيْهِ للوُصْلَةِ الَّتي بَيْنَهُمَا، وقَعَدَ عَمَّا قَامَ لهُ زِيرِي بنُ عَطِيَّةَ مِنْ حَرْبِ خَلُوفِ بنِ أبي بَكْرٍ. وأوْقَعَ به زِيرِي في رَمَضَانَ سَنَةَ إحدَى وثَمَانِينَ، واسْتَلْحَمَهُ وكَثِيراً مِنْ أوْلِيَائِهِ، واسْتَوْلَى على عَسْكَرِهِ، وانْحَاشَ إليهِ عَامَّةُ أصْحَابِهِ.

(أ) من ص، وفي ظ أ: العبيدي .

---

(1) مثل يُضرب في المشاركة والمناصفة في الأمر.

وفرّ عَطِيَّةُ شَرِيداً إلى الصَّحراءِ، ثُمَّ نَهَضَ على إثْرِها لِيَدُّو بن يَعْلَى وقومِهِ. فكَانَتْ بَيْنَهما لِقاءَةٌ صَعْبَةٌ انكَشَفَ فيها أَصْحَابُ يَدُّو، واسْتُلْحِمَ مِنْهُمْ زُهاءَ ثَلاثَةِ آلافٍ. واكْتُسِحَ مُعَسْكَرُهُ، وسُبِيَتْ حُرَمُهُ اللّاتي كانَتْ مِنْهُنَّ أُمُّهُ وأُخْتُهُ، وتَحَيَّزَ سَائِرُ أَصْحَابِهِ إلى فِئَةِ زِيرِي، وخَرَجَ شَرِيداً إلى الصَّحْرَاءِ إلى أنْ اغْتَالَهُ ابنُ عَمِّهِ أَبُو يَدَّاس بن دُوناس حَسْبَمَا ذَكَرْنَاهُ.

ووَرَدَ خَبَرُ الفَتْحَيْنِ مُتَعاقِبَيْنِ عَلَى المَنْصُورِ، فعَظُمَ مَوقِعُهُما لدَيْهِ. وقَدْ قِيلَ إنَّ مَقْتَلَ يَدُّو إنَّمَا كانَ عِنْدَ إيَابِ زِيرِي مِن الوِفَادَةِ. وذَلِكَ أنَّهُ لَمَّا اسْتَقْدَمَهُ المَنْصُورُ ووَفَدَ عَليهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، خَالَفَهُ يَدُّو إلى فَاسَ، فدَخَلَهَا وقَتَلَ بها مِن مَغْرَاوَةَ خَلْقاً [كثيراً][(أ)] واسْتَمْكَنَ بها أَمْرُهُ. فلَمَّا رَجَعَ زِيرِي مِن وِفَادَتِهِ امْتَنَعَ بها يَدُّو، فنَازَلَهُ زِيرِي وطَالَ الحِصَارُ، وهَلَكَ مِنَ الفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ، ثُمَّ اقْتَحَمَهَا عَلَيْهِ عَنْوَةً فقَتَلَهُ، وبَعثَ برأسِهِ إلى سُدَّةِ الخِلافَةِ بقُرْطُبَةَ، إلّا أنَّ رَاوِيَ هَذا الخَبَرِ يَجْعَلُ وِفَادَةَ زِيرِي على المَنْصُورِ وقَتْلَهُ لِيَدُّو، سَنَةَ ثَلاثٍ وثَمَانِينَ. واللهُ[(ب)] أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

ثُمَّ إنَّ زِيرِي فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ أبِي البَهَارِ الصِّنْهَاجِيِّ، وتَزَاحَفَا فأَوْقَعَ بِهِ زِيرِي، فانْهَزَمَ أبو البَهَارِ إلى سَبْتَةَ مُوَرِّياً بالعُبُورِ إلى المَنْصُورِ. فبَادَرَ بكَاتِبِهِ
[28 ب] / عِيسَى بنِ سَعِيدِ بنِ القَطَّاعِ في قِطْعَةٍ مِنَ الجُنْدِ إلى تَلَقِّيهِ، فَحَادَ عن لِقَائِهِ وصَاعَدَ إلى قَلْعَةِ جَرَاوَةَ، وقَدْ قَدَّمَ الرُّسُلَ إلى ابنِ أخيهِ المَنْصُورِ صاحبِ القَيْرَوَانِ مُسْتَمِيلاً إلى أنِ الْتَحَمَ ذاتُ بَيْنِهِما. ثُمَّ تَحَيَّزَ إليهِ وعَادَ إلى مَكَانِهِ مِنْ عَمَلِهِ، وخَلَعَ مَا تَمَسَّكَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ الأُمَوِيَّةِ، ورَاجَعَ طاعَةَ الشِّيعَةِ.

(أ) زيادة في أ (ب) أ: فالله.

فجَمَعَ المَنصُورُ لزِيرِي بنِ عَطِيَّةَ أعْمَالَ المَغرِبِ، واسْتَكْفَى بِهِ في سَدِّ الثَّغرِ، وعَوَّلَ عَلَيْهِ مِن بَيْنِ مُلُوكِ المَغرِبِ في الذَّبِّ عَنِ الدَّعْوَةِ. وعَهِدَ إليهِ بِمُنَاجَزَةِ أبي البَهَارِ. وزَحَفَ إليهِ زِيرِي في أُمَمٍ عَدِيدَةٍ مِن قَبَائِلِ زَنَاتَةَ وحُشُودِ البَرْبَرِ، وفَرَّ أمَامَهُ ولَحِقَ بالقَيْرَوَانِ. واسْتَوْلَى زِيرِي على تِلِمْسَانَ وسَائِرِ أعْمَالِ أبي البَهَارِ. ومَلَكَ ما بَيْنَ السُّوسِ الأقْصَى والزَّابِ، فاتَّسَعَ مُلْكُهُ وانْبَسَطَ سُلْطَانُهُ واشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ. وكَتَبَ بالفَتْحِ إلى المَنْصُورِ. وبَعَثَ إليهِ بِمائَتَيْنِ مِنْ عِتَاقِ الخَيْلِ، وخَمْسِينَ جَمَلاً مِن المَهَارِي السُّبَّقِ، وألْفِ دَرَقَةٍ مِن جُلُودِ اللَّمْطِ، وأحْمَالٍ مِن قِسِيِّ الزَّانِ، وقُطُوطِ الغَالِيَةِ، والزَّرافَةِ، وأصْنَافٍ مِنَ الوُحُوشِ الصَّحْرَاوِيَّةِ كاللَّمْطِ وغَيْرِهِ. وألْفِ جَمَلٍ مِنَ التَّمْرِ، وأحْمَالٍ من ثِيَابِ الصُّوفِ الرَّفِيعَةِ كَثِيرَةٍ. فَجَدَّدَ لهُ عَهْدَهُ عَلَى المَغرِبِ سَنَةَ إحْدَى وثَمَانِينَ. وأنْزَلَ أحْيَاؤُهُ بأنْحَاءِ فَاسَ في قَيَاطِنِهِم. واسْتَفْحَلَ أمرُ زِيرِي بالمَغرِبِ، ودَفَعَ بَنِي يَفْرَنَ عن فَاسَ إلى نَواحِي سَلَا. واخْتَطَّ مَدينَةَ وَجْدَةَ سَنَةَ أرْبَعٍ وثَمَانِينَ، وأنْزَلَهَا عَسَاكِرَهُ وحَشَمَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ذَوِيهِ، ونَقَلَ إليْهَا ذَخِيرَتَهُ، وأعَدَّهَا مُعْتَصِماً. فكَانَتْ ثَغراً لعَمَلِهِ بَيْنَ المَغرِبِ الأقْصَى والأوْسَطِ.

ثُمَّ فَسَدَ بَيْنَهُ وبَيْنَ المَنْصُورِ سَنَةَ سِتٍّ وثَمَانِينَ، بِمَا نُمِيَ عَنْهُ مِنَ التَّأَنُّفِ لِهِشَامٍ / [29 أ] باسْتِبْدَادِ المَنْصُورِ عَلَيهِ. فسَامَهُ المَنْصُورُ الهَضِيمَةَ وأبَى مِنْهَا، فبَعَثَ كَاتِبَهُ ابنَ القَطَّاعِ في العَسَاكِرِ، فَاسْتَعْصَى عَلَيْهِ، وأمْكَنَهُ قائدُ قَلْعَةِ حَجَرِ النَّسْرِ مِنْهَا، فأشْخَصَهُ إلى الحَضْرَةِ، وأحْسَنَ إليهِ المَنْصُورُ وسَمَّاهُ النَّاصِحَ. وكَشَفَ زِيرِي وَجْهَهُ في عَدَاوَةِ ابنِ أبي عَامِرٍ والإغْراءِ بِهِ والتَّشْنِيعِ

لهشام المُؤيَّدِ والامْتِعَاضِ لَهُ مِنْ هَضِيمَتِهِ وحَجْرِهِ، فَسَخَطَهُ ابنُ أبي عَامِرٍ، وقَطَعَ عَنْهُ رِزْقَ الوِزارَةِ، ومَحَا اسْمَهُ من دِيوانِهِ، ونَادَى بالبَرَاءةِ مِنْهُ.

وعَقَدَ لوَاضِحٍ مَوْلاهُ عَلَى المَغْرِبِ وعَلَى حَرْبِ زِيرِي بنِ عَطِيَّةَ. وانْتَمى لَهُ الحُمَاةُ(أ) مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ، وأزَاحَ عِلَلَهُمْ، وأمْكَنَهُ مِنَ الأموالِ للنَّفَقَاتِ وأحْمَالِ السِّلَاحِ والكُسَى. وأصْحَبَهُ طَائِفَةً مِنْ مُلُوكِ العُدْوَةِ كانُوا بالحَضْرَةِ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بن الخَيْرِ بنِ مُحَمَّدِ بن الخَيْرِ، وزِيرِي بنُ خَزَر، وابنُ عَمِّهِما تكْسَاسْ بن سَيِّدِ النَّاسِ. ومِنْ بَنِي يَفْرَن: أبو بَخْت بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ بكّار. ومن مِكْنَاسَةَ: إسْمَاعِيلُ بنُ البُورِي، ومُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مَدْيَنَ. ومِنْ أزْداجَةَ: خَزْرُونُ ابن مُحَمَّدٍ، وأمَدَّهُ بوُجُوهِ الجُنْدِ.

وفَصَلَ مِنَ الحَضْرَةِ سَنَةَ سَبعٍ وثَمَانِينَ وسَارَ في التَّعْبِئَةِ، وأجَازَ البَحْرَ إلى طَنْجَةَ فعَسْكَرَ بِوادِي ركاب(ب). وزَحَفَ زِيرِي بنُ عَطِيَّةَ في قَوْمِهِ فعَسْكَرَ إزَاءَهُ، وتَوَاقَفَا ثَلاثَةَ أشْهُرٍ. واتَّهَمَ وَاضِحٌ رِجَالاتِ بَنِي بَرْزَال بالإدْهَانِ، فأشْخَصَهُمْ إلى الحَضْرَةِ وأغْرَى بِهِمُ المَنْصُورَ، فَوبَّخَهُمْ وتَنَصَّلُوا فَصَفَحَ عَنهم، وبَعَثَهُم في غَيْرِ ذَلِكَ الوَجْهِ.

ثُمَّ تَنَاوَلَ وَاضِحٌ حِصْنَ أصِيلَا ونَكُورَ فضَبَطَهُمَا. واتَّصَلَتْ الوَقَائِعُ بَيْنَهُ وبَيْنَ زِيرِي، وبَيَّتَ وَاضِحٌ مُعَسْكَرَ زِيرِي بِنَوَاحِي أصِيلَا وهُمْ غَارُّونَ، فأوْقَعَ بهم. / وخَرَجَ ابن أبي عَامِرٍ مِنَ الحَضْرَةِ لاسْتِشْرافِ أحْوالِ وَاضِحٍ وإمْدادِه. [29 ب] فَسَارَ في التَّعْبِئَةِ، واحْتَلَّ بالجَزِيرَةِ عِنْدَ فُرْضَةِ المَجَازِ. ثُمَّ بَعَثَ عَن ابنِهِ

(أ) ص: الحمام (ب) أ: زنات.

المُظَفَّرِ مِنْ مكَانِ اسْتِخلافِهِ بالزَّاهِرَةِ. وأجازَ إلى العُدْوَةِ، واسْتَكْمَلَ معهُ أكَابِرَ أهْلِ الخِدْمَةِ وجِلَّةَ القُوَّادِ، وقَفَلَ المَنْصُورُ إلى قُرْطُبَةَ. واسْتَذَاعَ خَبَرَ عَبْدِ المَلِكِ بالمَغرِبِ، فرَجَعَ إليهِ عَامَّةُ أصْحَابِ زِيرِي مِنْ مُلُوكِ البَرْبَرِ، وتَنَاوَلَهُمْ مِنْ إحْسَانِهِ وبِرِّهِ بِمَا لَمْ يَعْهَدُوا مِثْلَهُ. وزَحَفَ عَبْدُ المَلِكِ إلى طَنْجَةَ، واجْتَمَعَ مَعَ[1] وَاضِحٍ، وتَلَوَّمَ هُنَاكَ مُزِيحاً لِعِلَلِ العَسْكَرِ.

فَلَمَّا اسْتَتَمَّ تَدْبِيرَهُ، زَحَفَ فِي جَمْعٍ لا كِفَاءَ لَهُ، فلَقِيَهُ زِيرِي بِوَادِي مِنَى مِنْ أحْوازِ طَنْجَةَ فِي شَوَّالَ من سَنَةِ ثَمَانٍ وثَمانِينَ. فدَارَتْ بيْنَهُمَا حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ هُزِمَ فِيهَا أصْحَابُ عَبْدِ المَلِكِ وثَبَتَ هُوَ. وبَيْنَمَا هُمْ في حَوْمَةِ الحَرْبِ، إذْ طَعَنَ زِيرِي بَعْضُ المَوْتُورِينَ مِنْ أتْبَاعِهِ، اهْتَبَلَ الغِرَّةَ في ذَلِكَ المَوْقِفِ، فطَعَنَهُ ثَلاثاً فِي نَحْرِهِ أشْواهُ بِهَا. ومَرَّ يشْتَدُّ إلى المُظَفَّرِ وبَشَّرَهُ، فَاسْتَكْذَبَهُ لثُبُوتِ رايَتِهِ. ثُمَّ سَقَطَ إليهِ الصَّحِيحُ، فَشَدَّ عليهم فَاسْتَوتْ الهَزِيمَةُ. وأثْخَنَ فِيهِم بالقَتْلِ، واسْتَوْلَى عَلَى مَا كَانَ في مُعَسْكَرِهِمْ مِمَّا يَذْهَبُ فيهِ الوَصْفُ. ولَحِقَ زِيرِي بفَاسَ جَرِيحاً فِي قِلَّةٍ، فامْتَنَعَ عَلَيْهِ أهْلُهَا، ودَافَعُوهُ بحُرَمِهِ، فاحْتَمَلَهُنَّ وفَرَّ أمَامَ العَسَاكِرِ إلى الصَّحْراءِ، وأسْلَمَ جَمِيعَ أعْمَالِهِ.

وطَيَّرَ عَبْدُ المَلِكِ بالفَتْحِ إلى أبِيهِ فعَظُمَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُ. وأعْلَنَ بالشُّكْرِ للهِ والدُّعاءِ، وبَثَّ الصَّدَقَاتِ وأعْتَقَ المَوَالِي. وكَتَبَ إلى ابْنِهِ عَبْدِ المَلِكِ بِعَهْدِهِ عَلَى المَغْرِبِ، فأصْلَحَ نَواحِيَهُ وسَدَّ ثُغُورَهُ، وبَعَثَ العُمَّالَ في جِهَاتِهِ، فأنْفَذَ [30أ] مُحَمَّدَ بنَ الحَسنِ بن / عَبْدِ الوَدُودِ في جُنْدٍ كَثِيفٍ إلى تَادْلَا. واسْتَعْمَلَ

(1) ص: معه .

حُمَيدَ بن يَصَلٍ[أ] الكُتَاميّ على سِجِلْمَاسَةَ. فَخرجَ كُلٌّ لِوَجْهِهِ، واقْتَضَوا الطَّاعَةَ وحَمَلُوا إليْهِ الخَرَاجَ. وأَقْفَلَ[ب] المَنْصُورُ ابنَهُ عَبْدَ المَلِكِ في جُمَادَى مِنْ سَنةِ تِسْعٍ وثَمَانِينَ. وعَقَدَ عَلَى المَغْرِبِ لِوَاضِحٍ، فضَبَطَهُ واسْتَقامَ عَلَى تَدْبيرِهِ. ثُمَّ عَزَلَهُ في رَمَضَانَ مِنْ سنَتِهِ بعُبَيدِ اللهِ ابنِ أخِيهِ يَحْيَى. ثُمَّ وَلَّى عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ إسْمَاعِيلَ بنَ البُورِي، ثم مِنْ بَعْدُ أبا الأَحْوَص مَعْنَ بن عَبْدِ العَزيزِ التُّجِيبيّ إلى أنْ هَلَكَ المَنْصُورُ، وأعَادَ المُظَفَّرُ بنَ المُعِزّ بن زِيرِي من مُنْتَبَذِهِ بالمَغْرِبِ الأوْسَطِ إلى وِلايَةِ أبِيهِ بالمَغْرِبِ فنَزَلَ بفَاسَ.

وكانَ مِن خَبَرِ زِيرِي أنَّهُ لَمَّا اسْتَقَلَّ مِنْ نَكْبَتِهِ وهَزِيمَةِ عَبْدِ المَلِكِ إيّاه، واجْتَمَعَ إلَيهِ بالصَّحْراء فَلُّ مَغْرَاوَةَ، وبَلَغَهُ اضْطِرابُ صِنْهَاجَةَ واخْتِلافُهُمْ عَلَى بَادِيسَ بنِ المَنْصُورِ عِنْدَ مَهْلَكِ أبِيهِ، وأنَّهُ خَرَجَ عَلَيْهِ عُمُومَتُه مَعَ مَاكْسَن بنِ زِيرِي، فَصَرَفَ وجْهَهُ حِينَئِذٍ إلى أعْمَالِ صِنْهَاجَةَ يَنْتَهِزُ فِيها الفُرْصَةَ. واقْتَحَمَ المَغْرِبَ الأوْسَطَ، ونَازَلَ تَاهَرْت، وحَاصَرَ بها يَطُوفَت بن بُلُكِّين. وخَرَجَ بَادِيسُ مِنَ القَيْرَوَانِ صَرِيخاً لَهُ، فَلَمَّا مَرَّ بطُبْنَةَ امْتَنَعَ عَلَيهِ فَلْفُولُ بنُ خَزْرُون، وخَالَفَهُ إلى إفْرِيقِيَّةَ فشُغِلَ بِحَرْبِهِ.

وقَدْ كَانَ أبُو سَعِيدِ بنُ خَزْرُون لَحِقَ بإفْرِيقِيَّةَ وَوَلَّاهُ المَنْصُورُ بن بُلُكِّين عَلَى طُبْنَةَ كَمَا نَذْكُرُهُ. فَلَمَّا انْتَقَضَ سَارَ إلَيْهِ بَادِيسُ ودَفَعَ حَمَّادَ بنَ بُلُكِّين في عَسَاكِرِ صِنْهَاجَةَ إلى مُدَافَعَةِ زِيرِي بنِ عَطِيَّةَ. فالْتَقَيَا بِوَادِي مِينَاس قُرْبَ تَاهَرْت. فكَانَتِ الدَّبْرَةُ عَلَى صِنْهَاجَةَ، واحْتَوَى زِيرِي عَلَى مُعَسْكَرِهِمْ،

(أ) في الأصول: بصاد في وسطها زاي (ب) ص: وأنفذ.

واسْتَلْحَمَ أُلُوفاً مِنْهُم، وفَتَحَ مَدينَةَ تاهَرْتَ وتِلِمْسَانَ وشَلْف وتَنَس. وأقَامَ / الدَّعْوَةَ فِيهَا كُلِّهَا للمُؤَيَّدِ هِشَام، ولحاجِبِهِ المَنْصُورِ مِنْ بَعْدِهِ.

ثُمَّ اتَّبَعَ آثَارَ صِنْهَاجَةَ إلى أشِيرَ قاعِدَةِ مُلْكِهِم، فأنَاخَ عَلَيْهَا. واسْتَأْمَنَ إلَيْهِ زَاوِي بنَ زِيرِي ومَنْ مَعَهُ مِنْ أكَابِرِ أهْلِ بَيْتِهِ المُنَازِعِينَ لبَادِيس، فأعْطَاهُ مِنْهُ مَا سَأَلَ. وكَتَبَ إلى المَنْصُورِ بذَلِكَ كُلِّهِ يَسْتَرْضِيهِ ويَشْتَرِطُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّهْنَ والاسْتِقَامَةَ إنْ أُعِيدَ إلى الوِلايَةِ، ويَسْتَأْذِنُهُ فِي قُدُومِ زَاوِي وأخِيهِ جَلال[أ]، وأذِنَ لَهُمَا وقَدِمَا[ب] سنةَ تِسْعِينَ. وسَأَلَ أخُوهُمَا أبُو البَهَارِ مِثْلَ ذَلِكَ، وأنْفَذَ رُسُلَهُ تُذَكِّرُ بقَدِيمِهِ فسَوَّفَهُ المَنْصُورُ لِمَا سَبَقَ مِنْ نَكْثِهِ. واعْتَلَّ زِيرِي بنُ عَطِيَّةَ وهُوَ بِمَكَانِهِ مِنْ حِصَارِ أشِير، فأفْرَجَ عَنْهَا وهَلَكَ فِي مُنْصَرَفِهِ سنةَ إحْدَى وتِسْعِينَ.

واجْتَمَعَ آلُ[ج] خَزَرَ وكَافَّةُ مَغْرَاوَةَ مِنْ بَعْدِهِ على ابْنِهِ المُعِزِّ بن زِيري فبَايَعُوهُ. وضَبَطَ أمْرَهُمْ وأقْصَرَ عَنْ مُحَارَبَةِ صِنْهَاجَةَ، ثُمَّ اسْتَخْذَى[1] للمَنْصُورِ، واعْتَلَقَ بالدَّعْوَةِ العَامِرِيَّةِ وصَلَحَتْ حَالُهُ عِنْدَهُم. وهَلَكَ المَنْصُورُ خِلالَ ذَلِكَ، ورَغِبَ المُعِزُّ مِنْ ابنِهِ عَبْدِ المَلِكِ المُظَفَّرِ أنْ يُعِيدَهُ إلى عَمَلِهِ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ إليهِ، وعَلَى أنْ يَكُونَ وَلَدُهُ مُعَنْصَر رَهِينَةً بقُرْطُبَةَ، فأجَابَهُ إلى ذَلِكَ، وكَتَبَ لهُ عَهْده، وأنْفَذَ [به][د] وزيرَهُ أبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بنِ حَذْلَم[هـ]، ونُسْخَتُه:

(أ) ص: خلال (ب) ظ، ص: فقدم (ج) سقط من أ (د) من أ ص، ظ: وأنفذه (هـ) ظ: خذلم.

(1) استخذى : خضع.

بِاسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ.

مِن الحَاجِبِ المُظَفَّرِ سَيْفِ الدَّولةِ، دَوْلَةِ الإِمَامِ الخَلِيفَةِ هِشَامِ المُؤَيَّدِ بِاللهِ أَميرِ المُؤمِنِينَ أَطَالَ اللهُ بقَاءَهُ، عَبْدِ المَلِكِ بنِ المَنْصُورِ بنِ أَبي عَامِرٍ، إِلى كَافَّةِ مَدِينَتَيْ فَاسَ وكَافَّةِ أَهْلِ المَغْرِبِ سَلَّمَهُمُ اللهُ. أَمَّا بَعْدُ، أَصْلَحَ اللهُ شَأْنَكُمْ وسَلَّمَ أَنْفُسَكُمْ وأَدْيَانَكُمْ. فالحَمْدُ للهِ عَلّامِ الغُيُوبِ، وغَفَّارِ / [131] الذُّنُوبِ، ومقَلِّبِ القُلُوبِ، ذِي البَطْشِ الشَّدِيدِ، المُبْدِيءِ المُعِيدِ، الفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، لا رَادَّ لأمْرِهِ، ولا مُعقِّبَ لِحُكْمِهِ، بَلْ لَهُ المُلْكُ والأَمْرُ، وبِيدِهِ الخَيْرُ والشَّرُّ، إِيَّاهُ نَعْبُدُ وإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة، من الآية 117]. وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وجَميعِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَجْمَعِينَ.

وإِنَّ المُعِزَّ بنَ زِيرِي بن عَطِيَّةَ أَكْرَمَهُ اللهُ، تَابَعَ لَدَيْنَا رُسُلَهُ وكُتُبَهُ، مُتَنَصِّلاً مِنْ هَنَاتٍ دَفَعَتْهُ إِلَيْهَا ضَرُورَاتٌ، ومُسْتَغْفِراً مِنْ سَيِّئاتٍ حَطَّتْهَا مِنْ تَوْبَتِهِ حَسَنَاتٌ، والتَّوْبَةُ مِحَاءٌ للذَّنْبِ، والاسْتِغْفَارُ مُنْقِذٌ مِنَ العَيْبِ، وإِذا أَذِنَ اللهُ بِشَيْءٍ يَسَّرَهُ، وعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً ولَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ. وقَدْ وعَدَ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِشْعَارَ الطَّاعَةِ ولُزُومَ [الجَادَّةِ][(أ)] واعْتِقَادَ الاسْتِقَامَةِ وحُسنَ المَعُونَةِ وخِفَّةَ المَؤونَةِ، فَوَلَّيْنَاهُ مَا قِبَلَكُم، وعَهِدْنَا إِلَيهِ أَنْ يَعْمَلَ بالعَدْلِ فِيكُم، وأَنْ يَرْفَعَ أَحْكَامَ الجَوْرِ عَنكُم، وأَنْ يُعَمِّرَ سُبُلَكُمْ، وأَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ، ويَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُم، إِلَّا فِي حُدُودِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى. وأَشْهَدْنَا اللهَ عَلَيهِ بذَلِكَ، وكَفَى به شَهِيداً.

(أ) ظ: الحادثة.

وقَدْ وجّهْنَا الوَزِيرَ أبا مُحَمّدٍ عَلِيّ بن حَذْلَم أكْرَمَهُ اللهُ، وهُوَ مِنْ ثِقَاتِنَا ووُجُوهِ رِجَالِنَا، ليَأْخُذَ مِيثاقَهُ ويُؤَكِّدَ العَهْدَ فِيهِ عَلَيْهِ بذَلِكَ، وأمَرْنَاهُ بإشْرَاكِكُمْ فِيهِ، ونَحْنُ بأمْرِكُمْ مُعْتَنُونَ، ولأحْوالِكُمْ مُطَالِعُونَ، وأنْ يَقْضِيَ عَلَى الأعْلَى للأدْنَى، ولا يَرْتَضِي فِيكُمْ بشَيءٍ مِنَ الأذَى، فثِقُوا بذَلِكَ واسْكُنُوا إلَيْهِ. وليَمْضِ القَاضِي أبُو عَبْدِ اللهِ أحْكَامَهُ مَشْدُوداً ظَهْرُهُ بِنَا، مَعْقُوداً سُلْطَانُه (ب) بسُلْطَانِنَا، ولا تَأْخُذُهُ في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ. فذَلِكَ / ظَنُّنَا بِهِ إذْ وَلَّيْنَاهُ، وأمَلُنَا فِيهِ إذْ قَلَّدْنَاهُ. واللهُ المُسْتَعَانُ وعَلَيْهِ التُّكْلانُ، لا إلَهَ إلّا هُوَ. وتَبَلَّغُوا مِنّا سَلَاماً طَيِّباً جَزِيلاً، ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ في ذِي القِعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وتِسْعِينَ وثَلاثِ مائَةٍ.

ولَمّا وَصَلَ إلى المُعِزّ بنِ زِيرِي عَهْدُ المُظَفَّرِ إليهِ بوِلايَتِهِ عَلَى المَغْرِبِ مَا عَدَا كُورَةَ[1] سِجِلْمَاسَةَ، فإنَّ وَاضِحاً مَوْلَى المَنْصُورِ عَهِدَ بِهَا في وِلايَتِهِ عَلَى المَغْرِبِ لوَانُودِين بن خَزْرُونَ بن فَلْفُول حَسْبَمَا نَذْكُرُ بَعْدُ، فَلَمْ تَدْخُلْ في وِلايَةِ المُعِزّ هَذِه. فلَمّا وَصَلَهُ عَهْدُ المُظَفَّرِ ضَمَّ نَشْرَهُ، وثَابَ إليهِ نَشَاطُهُ، وبَثَّ عُمّالَهُ في جَمِيعِ كُوَرِ المَغْرِبِ وجَبَا خَرَاجَهَا، ولَمْ تَزَلْ وِلايَتُهُ مُتَّسِقَةً وطَاعَةُ رَعَايَاهُ مُنْتَظِمَةً.

ولَمّا افْتَرَقَ أمرُ الجَمَاعَةِ بالأنْدَلُسِ واخْتَلَّ رَسمُ الخِلافَةِ وصارَ المُلْكُ فِيهَا طَوائفَ، اسْتَحْدَثَ المُعِزُّ رَأْياً في التَغلُّبِ عَلَى سِجِلْمَاسَة وانْتِزاعِهَا مِنْ أيْدِي

(1) مصطلح جغرافي يطلق على مجال ترابي محدّد له مرجع إداري. ينقل ياقوت عن حمزة الأصفهاني أنّ الكورة اسم فارسي بحت، استعارته العرب وجعلته اسمًا "للأستان"، كما استعارت الإقليم من اليونانيين وجعلته اسمًا "للكشخر". فالكورة والأستان واحد. وهي: كل صقع يشتمل على عدّة قرى، ولا بدّ لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمعها. (معجم البلدان 1: 36-٦).

بَنِي وَانُودِين بن خَزْرُون. فأجْمَعَ لذَلِكَ ونَهَضَ إليهِ سَنَةَ سَبْعٍ وأرْبَعِ مائة، وبَرَزُوا إليهِ في جُمُوعِهِم فهزَمُوهُ، ورَجَعَ إلى فَاس في فَلٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وأقَامَ عَلَى الاضْطِرابِ مِنْ أمْرِهِ، إلى أنْ هَلَكَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ.

وَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ ابنُ عَمِّهِ حَمَامَةُ بنُ المُعِزِّ بنِ عَطِيَّةَ. ولَيْسَ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ المُؤَرِّخِينَ أنَّهُ ابنُهُ، وإنَّمَا هُو اتِّفَاقٌ في الأسْمَاءِ أوْجَبَ هَذَا الغَلَطَ. فَاسْتَولَى حَمَامَةُ هَذا عَلَى عَمَلِهِم، واسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ، وقَصَدَهُ الأُمَرَاءُ والعُلَمَاءُ، وانْتَابَتْهُ الوُفُودُ ومَدَحَهُ الشُّعَراءُ. ثُمَّ نَازَعَهُ الأمْرَ أبُو الكَمَالِ تَمِيمُ بنُ زِيرِي بنِ يَعْلَى اليَفْرَنِيّ سَنَةَ أرْبعٍ وعِشْرِينَ، مِنْ بَنِي يَدُّو بنِ يَعْلَى المُتَغَلِّبِينَ عَلَى نَوَاحِي سَلَا، وزَحَفَ إلى فَاس في قَبَائِلِ بَنِي يَفْرَن ومَنِ انْضَافَ إليهِم مِنْ زَنَاتَةَ. وبَرَزَ إلَيهِ حَمَامَةُ في جُمُوعِ مَغْرَاوَةَ ومَنْ إليْهِم. فكَانَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ أجْلَتْ عَنْ هَزِيمَةِ / حَمَامَةَ، وهَلَكَ مِنْ مَغْرَاوَةَ أُمَمٌ، واسْتَولَى تَمِيمُ وبَنُو [132 أ] يَفْرَنَ عَلَى فَاس وأعْمَالِ المَغْرِبِ. ولَمَّا دَخَلَ فَاسَ اسْتَبَاحَ يَهُودَ(أ) وسَبَى حُرَمَهُمْ واصْطَلَمَ نِعْمَتَهُم. ولَحِقَ حَمَامَةُ بوَجْدَةَ، فاحْتَشَدَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ قَبَائِلِ مَغْرَاوَةَ مِنْ أنْحَاءِ مَدْيُونَةَ ومَلْوِيَّةَ وصَا(ب). وزَحَفَ إلى فَاس فَدَخَلَهَا سَنَةَ تِسْعَ وعِشْرِينَ. وتَحَيَّزَ تَمِيمٌ إلى مَوْضِعِ إمَارَتِهِ مِنْ سَلَا، وأقَامَ حَمَامَةُ في سُلْطَانِ المَغْرِبِ.

وزَحَفَ إليهِ سَنَةَ ثَلاثِينَ وأرْبعِ مائةٍ صاحِبُ القَلْعَةِ القَائِدُ ابنُ حَمَّادٍ في جُمُوعِ صِنْهَاجَةَ. وخَرَجَ إليْهِ حَمَامَةُ مُجْمِعاً حَرْبَهُ. وبَثَّ القَائِدُ عَطاءَهُ في زَنَاتَةَ، واسْتَفْسَدَهُمْ على صَاحِبِهِمْ حَمَامَةَ، فأقْصَرَ عَنْ لِقَائِهِ ولاذَ مِنْهُ بالسِّلْمِ والطَّاعَةِ. فَرَجَعَ القَائِدُ عَنْهُ، ورَجَعَ هُوَ إلى فَاس.

(أ) كذا في الأصول منكرًا (ب) في ظ بدون زاي الإشمام.

وهَلَكَ سَنةَ إحْدَى وثَلاثِينَ. فَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ ابنُهُ دُونَاس ويُكَنَّى أبَا العَطَّافِ، واسْتَوْلَى على فَاسَ وسَائِرِ عَمَلِ أبِيهِ. وخَرَجَ عَلَيْهِ لأوَّلِ أمْرِهِ حَمَّادُ ابنُ عَمِّهِ مُعَنْصَر بنِ المُعِزِّ، فكَانَتْ(أ) لهُ مَعَهُ حُرُوبٌ ووَقَائِع. وكَثُرَتْ جُمُوعُ حَمَّادٍ، فغَلَبَ دُونَاسُ عَلَى الضَّواحِي، وأحْجَرَهُ بمَدِينَةِ فَاسَ. وخَنْدَقَ دُونَاسُ عَلَى نَفْسِهِ الخَنْدَقَ المَعْرُوفَ بِسِيَاجِ حَمَّادٍ. وقَطَعَ حَمَّادُ جِرْيَةَ الوَادِي عَنْ عُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ، إلى أنْ هَلَكَ مُحَاصِراً لهَا سَنةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ. فَاسْتَقَامَتْ دَوْلَةُ دُونَاس، وانفَسَحَتْ أيَّامُهُ وكَثُرَ العُمْرانُ بِبَلَدِهِ، واحْتَفَلَ في تَشْيِيدِ المَصَانِعِ بِهَا، وأدَارَ السُّورَ عَلَى أرْبَاضِهَا، وبَنَى بِهَا الحَمَّامَاتِ والفَنَادِقَ، فَاسْتَبْحَرَ عُمْرانُهَا، ورَحَلَ التُّجَّارُ بالبَضَائِعِ إلَيْهَا.

وهَلَكَ دُونَاسُ سَنةَ إحْدَى وخَمْسِينَ، فَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ ابنُهُ الفُتُوحُ، ونَزَلَ بِعُدْوَةِ الأنْدَلُسِيِّينَ. ونَازَعَهُ الأمْرَ أخُوهُ الأصْغَرُ عَجِيسَةُ، وامْتَنَعَ / بِعُدْوَةِ [32 ب] القَرَوِيِّينَ. وافْتَرَقَ أمْرُهُمْ بافْتِرَاقِهِمَا، وكَانَتْ الحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَالاً، ومَجَالُهَا بَيْنَ المَدِينَتَيْنِ حَيْثُ يُفْضِي بَابُ النُّقْبَةِ(ب) لعُدْوَةِ القَرَوِيِّينَ لِهَذَا العَهْدِ. وشَيَّدَ الفُتُوحُ بَابَ عُدْوَةِ الأنْدَلُسِيِّينَ وهُوَ مُسَمًّى بِهِ إلى الآن. واخْتَطَّ عَجِيسَةُ بَابَ الجِيسَةِ(1)، وهُوَ أيْضاً مُسَمًّى بِهِ. وإنَّمَا حُذِفَتْ عَيْنُهُ لكَثْرَةِ الدَّوَرانِ في الاسْتِعْمَالِ(ج). وأقَامُوا على ذَلِكَ إلى أنْ غَدَرَ الفُتُوحُ بعَجِيسَةَ أخِيهِ سَنةَ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ، وبَيَّتَهُ فظَفِرَ بِه وقَتَلَهُ. ودَهَمَ المَغْرِبَ إثْرَ ذَلِكَ مَا دَهَمَهُ مِنْ أمْرِ المُرَابِطِينَ مِن لَمْتُونَةَ، وخَشِيَ الفُتُوحُ مَغَبَّةَ أحْوَالِهِم فأفْرَجَ عَنْ فَاسَ.

(أ) أ: وكانت (ب) كذا في الأصول ولعله باب القبلة. ينظر الأنيس المطرب 50 (ج) ص: استعمالهم.

---

(1) ينظر الأنيس المطرب 51

وزَحَفَ صاحِبُ القَلْعَةِ بُلُكِّين بنُ مُحَمَّد بن حَمَّادٍ إلى المَغرِبِ سَنَةَ أربَعٍ وخَمْسِينَ عَلَى عادَتِهِم في غَزوِهِ. ودَخَلَ فَاسَ واحْتَمَلَ مِن أكابِرِهِم وأشرافِهِم رُهُناً عَلَى الطَّاعَةِ وقَفَلَ إلى قَلعَتِهِ.

ووَلِيَ عَلَى المَغْرِبِ بَعدَ الفُتُوحِ مُعَنْصَرُ بنُ حَمَّادِ بنِ مُعَنْصَر. وشُغِلَ بحُرُوبِ لَمْتُونَةَ. وكانَتْ لَهُمْ عَلَيْهِ الوَاقِعَةُ المَشْهُورَةُ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ ولَحِقَ بصَدِّينَةَ. ومَلَكَ يُوسُفُ بنُ تَاشَفِينَ والمُرابِطُونَ فَاسَ، وخَلَّفَ عَلَيْها عَامِلَهُ، وارْتَحَلَ إلى غُمَارَةَ. فخالَفَهُ مُعَنْصَرُ إلى فَاسَ ومَلَكَها، وقَتَلَ العامِلَ ومَن مَعهُ مِن لَمْتُونَةَ، ومَثَّلَ بِهِمْ بالحَرْقِ والصَّلْبِ. ثُمَّ زَحفَ إلى مَهْدِيِّ بن يُوسُفَ الكَزْنَائِيِّ صاحِبِ مَدينَةِ مِكْنَاسَةَ، وقَدْ كَانَ دَخَلَ في دَعْوَةِ المُرابِطِينَ، فهَزَمَهُ وقَتَلَهُ وبَعثَ برأسِهِ إلى سَكُوت البَرْغَواطِيِّ الحَاجِبِ صاحِبِ سَبْتَةَ.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى يُوسُفَ بنِ تَاشَفِينَ فَسرَّحَ عسَاكِرَ المُرابِطِين لِحصارِ فَاسَ، فأخَذُوا بمُخَنَّقِهَا، وقَطَعُوا المَرافِقَ عَنْها حتَّى اشْتَدَّ بأهْلِهَا الحِصَارُ ومَسَّهُم الجَهْدَ. وبَرزَ مُعَنْصَرُ لإحْدَى الرَّاحَتَيْنِ فكَانَتْ الدَّبَرَةُ عَلَيْهِ، وفُقِدَ في / المَلْحَمَةِ، وذَلِكَ سَنةَ سِتِّينَ. وبَايَعَ أهْلُ فَاسَ مِن بَعْدِهِ لابْنِهِ تَمِيمَ بنَ [33أ] مُعَنْصَرٍ، فكَانَتْ أيَّامُهُ أيَّامَ حِصارٍ وفِتنَةٍ وجَهْدٍ وغَلاءٍ. وشُغِلَ يُوسُفُ بن تَاشَفِينَ عَنهُم بفَتحِ بِلادِ غُمَارَةَ. حَتَّى إذا كَانَتْ سَنةَ اثْنَتَيْنِ وسِتِّينَ، وفَرغَ مِن فَتْحِ غُمَارَةَ، صَمَدَ إلى فَاسَ لحَاصَرَها أيَّاماً ثُمَّ اقْتَحَمَهَا عَنوةً. وقَتَلَ بِها زُهاءَ ثَلاثَةِ آلافٍ مِن مَغرَاوَةَ وبَني يَفْرَنَ ومِكْنَاسَةَ وقَبائِلِ زَنَاتَةَ. وهَلَكَ تَمِيمٌ في جُملَتِهِم، حتَّى أُعْوِزَتْ مُوَارَاتُهُم فُرادَى فاتُّخِذَت لهُم الأخَادِيدُ وقُبِرُوا جَماعَاتٍ. وخَلَصَ مَن نَجَا مِن القَتْلِ مِنهُم إلى تِلِمْسَانَ. وأمَرَ يُوسُفُ بن

تَاشَفِينَ بِهَدْمِ الأَسْوارِ التي كانَتْ فَاصِلَةً بَيْنَ العُدْوَتَيْنِ، وصَيَّرَهُمَا مِصْراً، وأدَارَ عَلَيْهِمَا سُوراً واحِداً. وانقَرَضَ أمرُ مَغْرَاوَةَ مِن فَاسَ. والبَقاءُ للهِ.

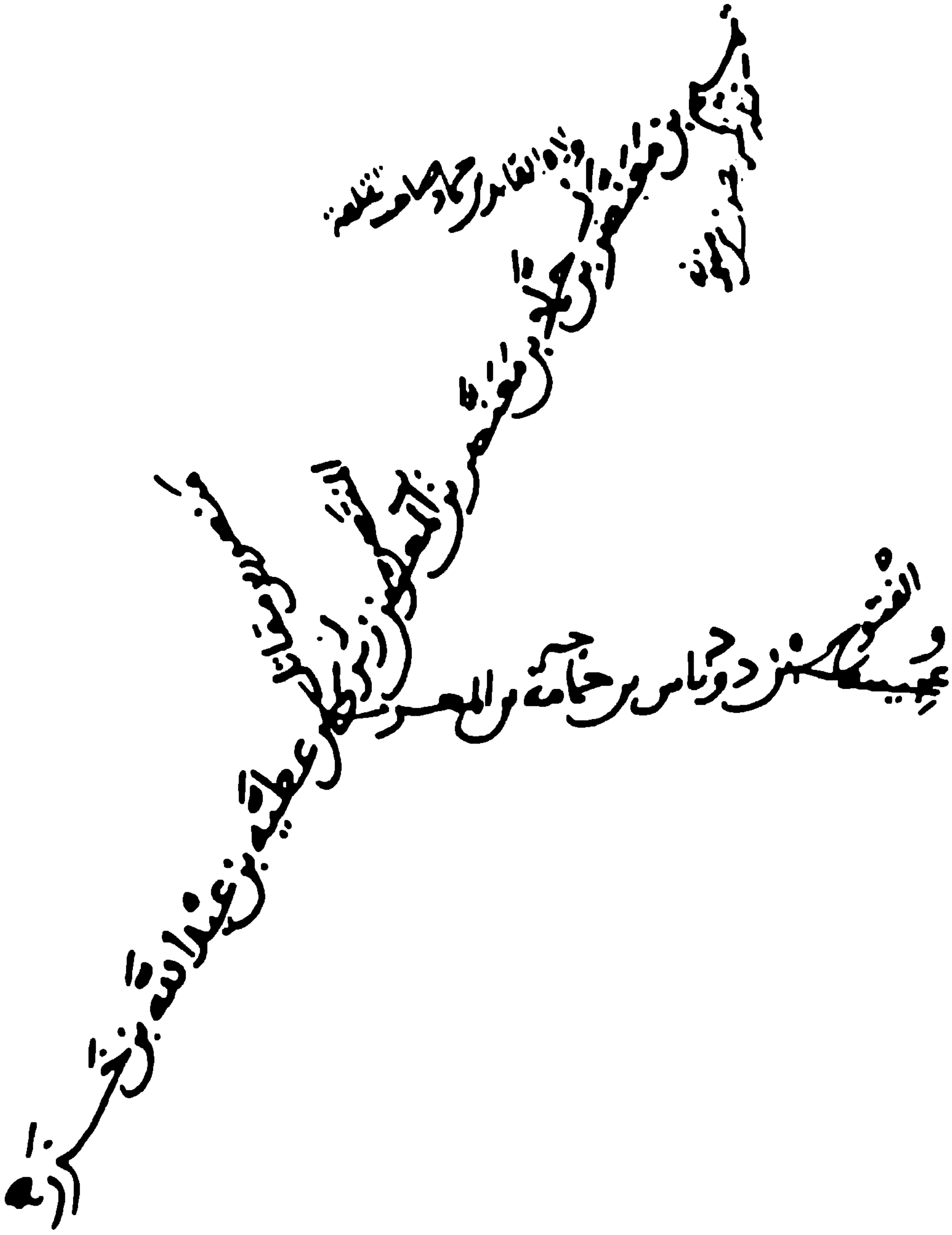

[بنو زيري بن عطية ملوك فاس وأعمالها، من الطبقة الأولى من مغراوة]

• / الخَبَرُ عَنْ بَنِي خَزْرُونَ مُلُوكِ سِجِلْمَاسَةَ مِنَ الطَّبَقَةِ الأُولَى مِنْ مَغْرَاوَةَ، وأَوَّلِيَّةِ مُلْكِهِم ومَصَائِرِه [33 ب]

كانَ خَزْرُونُ بنُ فَلْفُولَ بنِ خَزَر مِن أمَراءِ مَغْرَاوَةَ وأعْيانِ بَنِي خَزَر. ولَمَّا غَلَبَهُم بُلُكِّين بنُ زيري وصِنْهاجَةُ عَلَى المَغْرِبِ الأوْسَطِ، تَحَيَّزُوا إلى المَغْرِبِ الأقْصَى وَراءَ مَلْوِيَّةَ[ا]. وكَانَ بَنُو خَزَر يَدِينُونَ بالدَّعْوَةِ المَرْوَانِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ. وكانَ المَنْصُورُ بن أبِي عَامِرٍ القَائِمُ بدولَةِ المُؤَيَّدِ قَدْ اقْتَصَرَ لأوَّلِ حِجَابَتِهِ مِن أحْوالِ العُدْوَةِ[ب] عَلَى ضَبْطِ سَبْتَةَ برِجَالِ الدَّوْلَةِ ووُجُوهِ القُوَّادِ وطَبقَاتِ العَسْكَرِ. ودَفَعَ مَا وَرَاءَهَا إلى أمَراءِ زَنَاتَةَ مِن مَغْرَاوَةَ وبَنِي يَفْرَنَ ومِكْنَاسَةَ. وعَوَّلَ فِي ضَبْطِ كُوَرِهِ وسَدَادِ ثُغُورِهِ عَلَيْهِم. وتَعَهَّدَهُم بالعَطاءِ وأفَاضَ فِيهِم الإحْسَانَ، فازْدَلَفُوا إلَيْهِ بوُجُوهِ التَقَرُّبَاتِ وأسْبَابِ الوَصَائِلِ.

وإنَّ خَزْرُونَ بنَ فَلْفُول هَذَا زَحفَ يَوْمَئِذٍ إلى سِجِلْمَاسَةَ وبِهَا المُعْتَزُّ مِن أعْقَابِ آلِ مِدْرَارٍ، انتَزَى بِهَا أخُوهُ المُنْتَصِرُ بَعْدَ قُفُولِ جَوْهَرٍ مِنَ المَغْرِبِ وظَفَرِهِ بأمِيرِهِم الشَّاكِرِ للهِ مُحَمَّدِ بنِ الفَتْحِ. فَوَثَبَ المُنْتَصِرُ - مِن أعْقَابِهِم - بَعْدَهُ عَلَى سِجِلْمَاسَةَ وتَمَلَّكَهَا. ثُمَّ وَثَبَ بِهِ أخُوهُ أبُو مُحَمَّد سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وخَمْسِينَ وثَلاثِ مَائةٍ فَقَتَلَهُ وقَامَ بأمْرِ سِجِلْمَاسَةَ، وأعَادَ بِهَا مُلْكَ بَنِي مِدْرَارٍ وتَلَقَّبَ المُعْتَزَّ باللهِ. فزَحَفَ إليْهِ خَزْرُونُ بن فَلْفُول سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّينَ فِي جُمُوعِ مَغْرَاوَةَ. وبَرَزَ إليْهِ المُعْتَزّ، فهَزَمَهُ خَزْرُونُ واسْتَولَى عَلَى مَدِينَةِ سِجِلْمَاسَةَ. ومَحَا دَوْلَةَ آلِ مِدْرَارٍ والخَوَارِجَ مِنْهَا آخِرَ الدَّهْرِ، وأقَامَ الدَّعْوَةَ بِهَا للمُؤَيَّدِ هِشَامٍ،

(ا) أ: بضم الميم (ب) أ: الدعوة.

فكَانَتْ أوّلَ دَوْلَةٍ أُقِيمَتْ للمَرْوَانِيَّةِ بذَلِكَ الصُّقْعِ. وَوَجَدَ للمُغتَرِّ مَالاً وسِلَاحاً فاحْتَقَبَهَا، وكَتَبَ بالفَتْحِ إلى هِشَامٍ، وأنْفَذَ رَأسَ / المُغتَرِّ فنُصِبَ بِبَابِ [34 أ] سُدَّتِهِ، ونَسَبَ الأثرَ في ذَلِكَ الفَتْحِ إلى حِجَابَةِ مُحَمَّدِ بنِ أبي عَامِرٍ ويُمْنِ طَائِرِهِ. وعَقَدَ لخَزْرُونَ عَلَى سِجِلْمَاسَةَ وأعْمَالِهَا(أ)، وجَاءَهُ عَهْدُ الخَلِيفَةِ بذَلِكَ، فضَبَطَهَا وقَامَ بأمْرِهَا إلى أنْ هَلَكَ، فوَلِيَ أمْرَ سِجِلْمَاسَةَ مِن بَعْدِهِ ابنُه وَانُودِين.

ثُمَّ كَانَ زَحفُ زِيرِي بنِ مَنَادٍ إلى المَغرِبِ الأقْصَى سَنَةَ تِسْعَ وسِتِّينَ، وفَرَّتْ زَنَاتَةُ أمَامَهُ إلى سَبْتَةَ. ومَلَكَ أعْمَالَ المَغرِبِ ووَلَّى عَلَيْهَا مِن قِبَلِهِ. وحَاصَرَ سَبْتَةَ ثُمَّ أفْرَجَ عَنْهَا، وشُغِلَ بِجِهَادِ بَرَغْوَاطَةَ. وبَلَغَهُ أنَّ وَانُودِينَ بنَ خَزْرُونَ أغَارَ عَلَى نَوَاحِي سِجِلْمَاسَةَ، وأنَّهُ دَخَلَهَا عَنْوَةً، وأخَذَ عَامِلَهُ ومَا كَانَ مَعَهُ مِن المَالِ والذَّخِيرَةِ. فرَحَلَ إلَيْهَا سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعِينَ وفَصَلَ عَنْهَا فهَلَكَ في طَرِيقِهِ.

ورَجَعَ وَانُودِينُ(ب) بنُ خَزْرُونَ إلى سِجِلْمَاسَةَ؛ وفي أثْنَاءِ ذَلِكَ كَانَ تَغَلُّبُ زِيرِي بنِ عَطِيَّةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ خَزَر عَلَى المَغرِبِ ومُلْكُهُ فَاسَ بعَهْدِ هِشَامٍ. ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى المَنْصُورِ آخِراً، وأجَازَ ابْنَهُ عَبْدَ المَلِكِ في العَسَاكِرِ إلى العُدْوَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وثَمَانِينَ فغَلَبَ عَلَيْهَا بَنِي خَزَر، ونَزَلَ فَاسَ وبَثَّ العُمَّالَ في سَائِرِ نَوَاحِي المَغرِبِ لِسَدِّ الثُّغُورِ وجِبَايَةِ الخَرَاجِ. وكَانَ فِيمَا عَقَدَ عَلَى سِجِلْمَاسَةَ لحُمَيْد بنِ يَصَلْ المِكْنَاسِيّ * النَّازِعِ إلَيْهِم مِنْ أوْلِيَاءِ الشِّيعَةِ، فعَقَدَ لَهُ عَلَى *(ج) سِجِلْمَاسَةَ حِينَ فَرَّ عَنْهَا بنُو خَزْرُون، فمَلَكَهَا وأقَامَ فِيهَا الدَّعْوَةَ.

(أ) أ: وعملها (ب) في الحاشية بخط المؤلف (ج) سقط ما بين النجمين من ص. وجاء مستدركًا في حاشية ظ بخط المؤلف، ومدرجًا في متن أ.

ولمّا قفَلَ عَبْدُ المَلِكِ إلى العُدْوَةِ، وأعادَ وَاضِحاً إلى عَمَلِهِ بفَاس، اسْتَأْمَنَ إلَيْهِ كَثِيرٌ مِن وُجُوهِ بَنِي خَزَر، كَانَ مِنْهُم وَانُودِينُ بن خَزْرُون صَاحِبُ سِجِلْمَاسَةَ وابنُ عَمِّهِ فَلْفُولُ بنُ سَعِيدٍ، فأمَّنَهُمْ. ثُمَّ رَجعَ وَانُودِينُ إلى عَمَلِهِ بسِجِلْمَاسَةَ بَعْدَ أنْ تَضَامَنَ مِن أمْرِهَا وَانُودِينُ وفَلْفُولُ بنُ سَعِيدٍ عَلَى مَالٍ مَفْرُوضٍ وعُدَّةٍ مِنَ الخَيْلِ والدَّرَقِ يَحْمِلانِ إلَيْهِ ذَلِكَ كُلَّ سَنَةٍ، وأعْطَيَا في ذَلِكَ أبْنَاءَهُمَا رُهناً. فَعَقَدَ لَهُمَا وَاضِحُ / بذَلِكَ. واسْتَقَلَّ وَانُودِينُ بَعْدَ ذَلِكَ [34 ب] بِمُلْكِ سِجِلْمَاسَةَ مُنْذُ أوَّلِ سَنَةِ تِسْعِينَ مُقِيماً فِيهَا للدَّعْوَةِ المَرْوَانِيَّةِ.

ورَجَعَ المُعِزّ بنُ زِيرِي إلى وِلايَةِ المَغْرِبِ بِعَهْدِ المظَفَّرِ بنِ أبي عَامِرٍ سَنَةَ سِتٍّ وتِسْعِينَ، واسْتُثْنِيَ عَلَيهِ فِيهَا أمْرُ سِجِلْمَاسَةَ لِمَكَانِ وَانُودِينَ بِهَا. ولَمَّا انْتَثَرَ سِلْكُ الخِلافَةِ بقُرْطُبَةَ، وكَانَ أمْرُ الجَمَاعَةِ والطَّوَائِفِ. واسْتَبَدَّ أمَرَاءُ الأمْصَارِ والثُّغُورِ ووُلاةِ الأعْمَالِ بِمَا في أيْدِيهِم، اسْتَبَدَّ وَانُودِينُ هَذَا بأعْمَالِ سِجِلْمَاسَةَ، وتَغَلَّبَ عَلَى عَمَلِ دَرْعَةَ واسْتَضَافَهُ إلَيْهِ. ونَهَضَ المُعِزّ بنُ زِيرِي صَاحِبُ فَاس سَنَةَ سَبْعٍ وأرْبَعِ مائةٍ مَعَ جُمُوعِهِم مِنْ مَغْرَاوَةَ يُحَاوِلُ انْتِزَاعَ هَذِهِ الأعْمَالِ مِن يَدِ وَانُودِين؛ فبرَزَ إلَيْهِ في جُمُوعِهِ وهَزَمُوهُ، وكَانَ ذَلِكَ سَبَباً في اضْطِرابِ أمْرِ المُعِزّ إلى أنْ هَلَكَ. واسْتَفْحَلَ مُلْكُ وَانُودِينَ، واسْتَوْلَى عَلَى صَفْرُوِىْ مِن أعْمَالِ فَاس وعَلَى جَمِيعِ قُصُورِ مَلْوِيَّةَ[1]، ووَلَّى عَلَيْهَا مِن أهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ هَلَكَ ووَلِيَ أمْرَهُ مِن بَعْدِهِ ابْنُهُ مَسْعُودُ بنُ وَانُودِينَ. ولَمْ أقِفْ عَلَى تَارِيخِ وِلايَتِهِ ومَهْلَكِ أبِيهِ.

(1) أ: ضم الميم.

ولَمّا ظَهَرَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَاسِين •واجْتَمعَ إليْهِ المُرابِطُونَ مِن لَمْتُونَة ومَسُوفَة وسَائِرِ المُلَثَّمِينَ، وافْتَتَحُوا أمْرَهُمْ •(أ) بغَزْوِ دَرْعَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وأرْبعِينَ، فأغَارُوا عَلَى إبِلٍ كَانَتْ هُنَالِكَ في حِمًى لِمَسْعُودِ بنِ وَانُودِين حَمَاهُ لَهَا(ب) وهُوَ بسِجِلْمَاسَةَ. فنَهَضَ وتَوَاقَعُوا فانْهَزَمَ • مَسْعُودُ بنُ وَانُودِينَ، وقُتِلَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ في أخْبَارِ لَمْتُونَةَ. ثُمَّ أعَادُوا الغَزْوَ إلَى•(ج) سِجِلْمَاسَةَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فدَخَلُوهَا وقَتَلُوا مَنْ كَانَ بِهَا مِن فَلِّ مَغْرَاوَةَ. ثُمَّ تَتَبَّعُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ أعْمَالَ المَغْرِبِ وبِلادَ سُوسٍ وجِبَالَ المَصَامِدَةِ. وافْتَتَحُوا صَفْرُويَ(د) سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ، وقَتَلُوا مَنْ / كَان بِهَا مِن أوْلادِ وَانُودِينَ وبقِيَّةِ مَغْرَاوَةَ. ثُمَّ افْتَتَحُوا حُصُونَ [35 أ] مَلْوِيَّةَ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ. وانْقَرَضَ أمْرُ بَنِي وَانُودِين كَأنْ لَمْ يَكُن. والبَقَاءُ للهِ وَحْدَهُ، فـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص، من الآية 88].

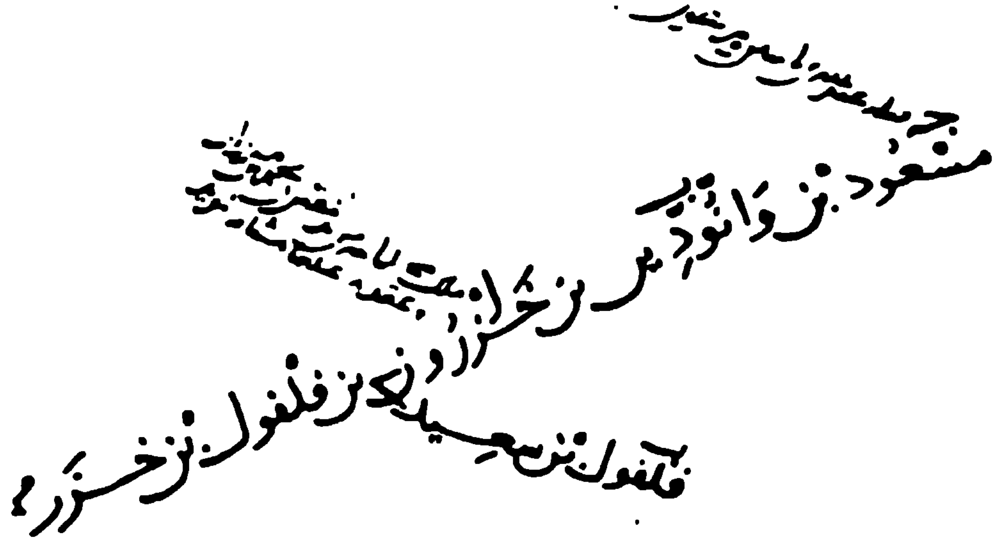

[بنو خزرون، ملوك سجلماسة، من الطبقة الأولى من مغراوة]

(أ) مستدركة في حاشية "أ" بخط ابن خلدون (ب) أ: حماه له (ج) استدراك في حاشية أ بخط المؤلف (د) أ: بضم الصاد.

• / الخَبَرُ عَن مُلُوكِ طَرابُلسِ من بني خَزْرونَ بن فَلْفُول مِن أهْلِ الطَّبَقَةِ الأولى، وأوَّلِيَّة أمْرِهم وتصاريفُ أحوالِهم [35 ب]

كَانَ مَغْراوَةُ وبَنُو خَزَر مُلُوكُهم قَدْ تَحَيَّزُوا إلى المَغرِبِ الأقْصَى أمَامَ بُلُكِّين. ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ سَنَةَ تِسْعٍ وسِتِّين في زَحْفِهِ المَشْهُورِ، وأحْجَرَهُم بِسَاحَةِ سَبْتَةَ حَتَّى بَعَثُوا صَرِيخَهُم إلى المَنْصُورِ، وجَاءَهُمْ إلى الجَزِيرَةِ مُشَارِفاً لأحْوَالِهِمْ، وأمَدَّهُمْ بجَعْفَر بن يَحْيَى ومَن كَانَ مَعَهُ مِن مُلُوكِ البَرْبَرِ وزَنَاتَةَ. فامْتَنَعُوا عَلَى بُلُكِّين، ورَجَعَ عَنْهُم فتَقَرَّى أعْمَالَ المَغْرِبِ، وهَلَكَ في مُنْصَرَفِهِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ. ورَجَعَ أحْيَاءُ مَغْرَاوَةَ وبَنُو يَفْرَنَ إلى مكَانِهِمْ مِنْهُ.

وبَعَثَ المَنْصُورُ الوَزِيرَ حَسَنَ بنِ عَبْدِ الوَدُودِ عَامِلاً عَلَى المَغْرِبِ، وقَدِمَ سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعِينَ. واخْتَصَّ مُقَاتِلاً وزِيرِي ابْنَيْ عَطِيَّةَ بن عَبْدِ اللهِ ابن خَزَر بمَزِيدِ التَّكْرِمَةِ، ولَحِقَ نُظَراءَهُمَا مِن أهْلِ بَيْتِهِمَا الغَيْرَةُ مِن ذَلِكَ، فنَزَعَ سَعِيدُ بنُ خَزْرُونَ(أ) بنِ فَلْفُول بنِ خَزَر إلى صِنْهَاجَةَ سَنَةَ [تِسْعٍ](ب) وسَبْعِينَ مُنْحَرِفاً عَن طَاعَةِ الأُمَوِيَّةِ. وَوَافَى المَنْصُورُ بن بُلُكِّين بأشِيرَ مُنْصَرَفَهُ مِن إحْدَى غَزَوَاتِهِ، فَتَلَقَّاهُ بالقَبُولِ والمُسَاهَمَةِ، واسْتَبْلَغَ في تَرْكِ الإحَنِ، وعَقَدَ لَهُ عَلَى عَمَلِ طُبْنَةَ، وعَقَدَ لابْنِهِ وَرُّو بنِ سَعِيدٍ عَلَى إحْدَى(ج) بَنَاتِهِ إحْكَاماً للمُخَالَصَةِ. فنَزَلَ سَعِيدٌ وأهْلُ بَيْتِهِ بمَكَانِ إمَارَتِهِ مِن طُبْنَةَ. وَوَفَدَ على المَنْصُورِ ثَانِيةً بالقَيْرَوانِ سَنَةَ إحْدَى وثَمَانِينَ، وخَرَجَ لِلِقَائِهِ واحْتَفَلَ في تَكْرِمَتِهِ ونُزُلِهِ، وأدْرَكَهُ المَوتُ بالقَيْرَوانِ فهَلَكَ لِسَنَتِهِ.

(أ) ص و ض: خزر (ب) سقطت من ظ و في أ: سبع والمثبت من ص (ج) سقط من ص.

وَوَفَدَ ابْنُهُ فَلْفُول مِن مَكَانِ عَمَلِهِ، فعقَدَ لَهُ عَلى عَمَلِ أبِيهِ، وخَلَعَ عَلَيْهِ، [36أ] وزَفَّ إلَيْهِ بِنْتَهُ، وسَوَّغَهُ / ثَلاثِينَ حِمْلاً مِن المَالِ وثَلاثِينَ تَخْتاً مِن الثِّيابِ. وقَرَّبَ إلَيهِ مَراكِبَ بِسُرُوجٍ مُثَقَّلَةٍ، وأعْطَاهُ عَشَرَةً مِن البُنُودِ مُذْهَبَةً، وانْصَرَفَ إلَى عَمَلِهِ. وهَلَكَ المَنْصُورُ بن بُلُكّين سَنَةَ خَمْسٍ وثَمَانِينَ، وَوَلِيَ ابْنُهُ بَادِيس، فعقَدَ لفَلْفُول عَلَى عَمَلِهِ بطُبْنَةَ.

ولَمَّا انْتَقَضَ زِيرِي بنُ عَطِيَّةَ على المَنْصُورِ بن أبي عَامِرٍ، وسَرَّحَ إلَيْهِ ابْنَهُ المُظَفَّرَ في العَسَاكِرِ كَمَا قُلْنَاهُ فغَلَبَهُ عَلَى أعْمَالِ المَغْرِبِ، ولَحِقَ زِيرِي بالقَفْرِ، ثُمَّ عَاجَ عَلَى المَغْرِبِ الأوْسَطِ، ونَازَلَ ثُغُورَ صِنْهَاجَةَ، وحَاصَرَ تِيهَرْتَ وبِهَا يَطُّوفَت بن بُلُكّين. وزَحَفَ إلَيْهِ حَمَّادُ بن بُلُكّين مِن أشِيرَ [في][أ] العَسَاكِرِ مِن تُلُكَّاتَةَ[ب]، ومَعَهُ مُحَمَّدُ بنُ أبي العَرَبِ قَائِدُ بَادِيس، بَعَثَهُ في عَسَاكِرِ صِنْهَاجَةَ مِن القَيْرَوانِ مَدَداً لِيَطُّوفَت. وأوْعَزَ إلى حَمَّاد بنُ بُلُكّين وهُوَ بِأشِيرِ أنْ يَكُونَ مَعَهُ. ولَقِيَهُم زِيرِي بن عَطِيَّةَ، فَفَضَّ جُمُوعَهُم، واسْتَوْلَى عَلَى مُعَسْكَرِهِم، واضْطَرَمَت إفْرِيقِيَّةُ فِتْنَةً. وتَنَكَّرَت صِنْهَاجَةُ لِمَنْ كَانَ بِجِهَاتِهَا مِن قَبَائِلِ زَنَاتَةَ. وخَرَجَ بَادِيس بن المَنْصُورِ مِن رَقَّادَةَ في العَسَاكِرِ إلى المَغْرِبِ. ولَمَّا مَرَّ بطُبْنَةَ اسْتَقْدَمَ فَلْفُولَ بن سَعِيد بن خَزْرُون لِيَسْتَظْهِرَ بِهِ عَلَى حَرْبِهِ، فَاسْتَرَابَ واعْتَذَرَ عَن الوُصُولِ، وسَألَ تَجْدِيدَ العَهْدِ إلَى مَقْدَمِ السُّلْطَانِ فَأُسْعِفَ. ثُمَّ اشْتَدَّت اسْتِرَابَتُهُ ومَن كَانَ مَعَهُ مِن مَغْرَاوَةَ، فارْتَحَلُوا عَن طُبْنَةَ وتَرَكُوهَا.

(أ) سقط من أ و من ظ (ب) الشكل من ظ أ. وفي ص: تلكاتة .

ولمّا أُبعِدَ بادِيس، رَجَعَ فلفولُ إلى طُبْنَة فعَاثَ في نواحِيهَا، ثُمَّ فعَلَ في تِيجِسْ كَذلِكَ، ثُمَّ حَاصَرَ بَاغَايَةَ. وانتَهى بَادِيسُ إلى أشِير، وفرَّ زِيري بن عَطِيَّةَ إلى صَحْراءِ المَغرِبِ، ورَجَعَ بَادِيسُ بَعْدَ أن وَلّى على تَاهَرت وأشِير عَمَّهُ يَطُوفت بنَ بُلُكّين، وانتَهى إلى المَسِيلَةِ فبَلَغَهُ خُرُوجُ عُمُومَتِهِ مَاكْسن وزَاوِي وعَزم ومَغنِين. / فخَافَ أبُو البَهَارِ إخَنَ زِيري، ولَحِقَ بِهِم مِن مُعَسْكَرِهِ. [36 ب] وبَعَثَ بَادِيسُ في أثَرِهِم عَمَّهُ حَمَّادَ بنَ بُلُكّين، ورَحَلَ هُوَ إلى فَلفُول بنِ سَعِيدٍ بَعْدَ أن كَانَ سَرَّحَ عَسَاكِرَهُ إلَيهِ وهُو مُحَاصِرٌ بَاغَايَةَ، فهَزَمَهُم وقَتَلَ قَائِدَهُم أبَا زَعْبَلَ[1]. ثُمَّ بَلَغَهُ وُصُولُ بَادِيس، فأفْرَجَ عَنْهَا واتَّبَعَهُ بَادِيسُ إلى مرمَاجَنَّة، فتَزَاحَفُوا وَقَدِ اجْتَمَعَ لفَلفُولَ مِن قَبَائِلِ زَنَاتَةَ والبَرْبَر أُمَمٌ، فلَمْ يَثْبتُوا لِلِقَاءِ وانكَشَفُوا عَنهُ، وانهَزَمَ إلى جَبَلِ الحنَاش، وتَركَ القَيْطُونَ بمَا فِيهِ.

وكَتَبَ بَادِيسُ بالفَتحِ إلى القَيْرَوان وقَدْ كَانَ الإرْجَافُ أخَذَ مِنْهُمْ المَآخِذَ، وفرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إلَى المَهْدِيَةِ، وشَرَعُوا في عَمَلِ الدُّرُوبِ لِمَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ مِن فَلفُولَ بنِ سَعِيدٍ حِينَ قَتَلَ أبَا زَعْبَلٍ وهَزَمَ جُيُوشَ صِنْهَاجَةَ، وكَانَتْ الوَاقِعَةُ آخِرَ سَنَةِ تِسعٍ وثَمَانِينَ. وانصَرَفَ بَادِيسُ إلى القَيْرَوان، ثُمَّ بَلَغَهُ أنَّ أوْلادَ زِيري اجْتَمَعُوا مَعَ فَلفُول بنِ سَعِيدٍ، وعَاقَدُوهُ ونَزَلُوا جَمِيعاً بحِصْنِ تِبِسَّةَ. فخَرَجَ بَادِيسُ مِن القَيْرَوانِ إلَيهِم فافتَرَقُوا. ولَحِقَ العُمُومَةُ بزِيري بنِ عَطِيَّةَ مَا خَلا مَاكْسن وابْنُه مُحْسِنٌ فإنَّهُمَا أقَامَا مَعَ فَلفُول. ورَحَلَ بَادِيسُ في أثَرِهِ سَنَةَ إحْدَى وتِسْعِينَ، وانتَهى إلَى بِسكَرَة، فَفرَّ فَلفُولُ إلى الرِّمَالِ.

وكَانَ زِيري بنُ عَطِيَّةَ مُحَاصِراً لأشِيرَ أثْنَاءَ هَذِهِ الفِتْنَةِ فأفْرَجَ عَنهَا. ورَجَعَ عَنهُ أبو البَهَارِ بنُ زِيري إلى بَادِيسَ، وقَفَلَ مَعَهُ إلى القَيْرَوان. وتَقَدَّمَ

[1] ص: زعبل.

فَلْفُولُ بنُ سَعِيدٍ إلى نَوَاحِي قَابِسَ وطَرَابُلُس فاجْتَمَعَ إليه مَنْ هُنَالِكَ مِن زَنَاتَةَ، ومَلَكَ طَرَابُلُس عَلَى مَا نَذْكُرُهُ. وذَلِكَ أنَّ طَرَابُلُس كَانَتْ مِنْ أعْمَالِ مِصْرَ، وكَانَ العَامِلُ عَلَيْهَا بَعْدَ رَحِيلِ مَعَدٍّ إلى القَاهِرَةِ عَبْدُ اللهِ بن يَخْلُف[أ] الكُتَامِيّ. ولَمَّا هَلَكَ مَعَدٌّ، رَغِبَ بُلُكِّينُ [37 أ] / مِن نِزَارٍ العَزِيزِ إضَافَتَهَا إلى عَمَلِهِ فأسْعَفَهُ بِهَا، وَوَلَّى عَلَيْهَا تَمْصُولَت بن بَكَّارٍ[ب] مِنْ خَوَاصِّ مَوَالِيهِ، نَقَلَهُ إلَيْهَا مِنْ وِلايَةِ بُونَةَ. فأقَامَ وَالِيًا عَلَيْهَا عِشْرِينَ سَنَةً إلى أيَّامِ بَادِيس، فتَنَكَّرَت لَهُ الأحْوَالُ عَمَّا عَهِدَ. وبَعَثَ إلى الحَاكِمِ بِمِصْرَ يَرْغَبُ الكَوْنَ في حَضْرَتِهِ، وأنْ يَتَسَلَّمَ مِنْهُ عَمَلَ طَرَابُلُس. وكَانَ بُرْجُوَانُ[ج] الصَّقْلَبِيّ مُسْتَبِدًّا عَلَى الدَّوْلَةِ، وكَانَ يَغُصّ بِمَكَانِ يَانِسَ الصَّقْلَبِيّ مِنْهَا، فأبْعَدَهُ عَنِ الحَضْرَةِ لِوِلايَةِ[د] بَرْقَةَ. ثُمَّ لَمَّا تَتَابَعَتْ رَغْبَةُ تَمْصُولَتَ صَاحِبِ طَرَابُلُس، أشَارَ بُرْجُوَانُ بِبَعْثِ يَانِسَ إلَيْهَا، فعَقَدَ لَهُ الحَاكِمُ عَلَيْهَا، وأمَرَهُ بالنُّهُوضِ إلى عَمَلِهَا فوَصَلَهَا سَنَةَ تِسْعِينَ.

ولَحِقَ تَمْصُولَتُ بِمِصْرَ، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى بَادِيسَ فسَرَّحَ القَائِدَ جَعْفَرَ بن حَبِيبٍ فِي العَسَاكِرِ لِيَصُدَّهُ عَنْهَا. وزَحَفَ إلَيهِ يَانِسُ فكَانَتْ عَلَيهِ الهَزِيمَةُ وقُتِلَ، وَلَحِقَ فُتُوحُ بن عَلِيّ مِنْ قُوَّادِهِ بطَرَابُلُسَ فامْتَنَعَ بِهَا. ونَازَلَهُ جَعْفَرُ بن حَبِيبٍ وأقَامَ عَلَيْهَا مُدَّةً. وبَيْنَمَا هُو مُحَاصِرٌ لَهَا إذْ وَصَلَهُ كِتَابُ يُوسُفَ بنِ عَاقِرٍ عَامِلِ قَابِسَ يَذْكُرُ أنَّ فَلْفُولَ بنَ سَعِيدٍ نَزَلَ عَلَى قَابِسَ، وأنَّهُ قَاصِدٌ إلى طَرَابُلُسَ. فرَحَلَ جَعْفَرُ عَنِ البَلَدِ إلى نَاحِيَةِ الجَبَلِ. وجَاءَ فَلْفُولُ فنَزَلَ بمَكَانِهِ. وضَاقَتِ الحَالُ بجَعْفَرَ وأصْحَابِهِ فارْتَحَلُوا مُصَمِّمِينَ عَلَى المُنَاجَزَةِ وقَاصِدِينَ قَابِسَ، فتَخَلَّى فَلْفُولُ عَنْ طَرِيقِهِم وانْصَرَفُوا إلَى قَابِس.

(أ) ص: خلف (ب) سقط من ص وضم الباء من ظ وفتحت في أ (ج) ص: مرجوان (د) ص: لولايته.

وقَصَدَ فَلْفُولُ مَدينَةَ طَرَابُلُس فتَلقَّاهُ أهْلُهَا، ونَزَلَ لَهُ فُتُوحُ بنُ عَلِيّ عَنْ إمَارَتِها فَملَكَهَا وأوْطَنَهَا مِن يَوْمَئذٍ، وذَلكَ سنةَ إحْدَى وتِسعينَ. وبَعثَ بطاعَتِه إلى الحَاكِمِ، فسَرَّحَ الحَاكِمُ يَحْيى بنَ عَلِيّ بنِ حَمْدُون، وعَقَدَ له عَلَى أعمالِ طَرَابُلُس وقَابِس. فوَصلَ إلى طَرَابُلُس، وارْتَحَل معَهُ / فَلْفُولُ بنُ سَعِيدٍ [37 ب] وفُتُوحُ بنُ عَلِيّ بنِ غَفْيَانَانٍ[1] في عَسَاكِرِ زَنَاتَةَ إلى حِصارِ قَابِس، فَحاصَروها مُدَّةً ورَجعُوا إلى طَرَابُلُس.

ثُمَّ رَجعَ يَحْيَى بنُ عَلِيّ إلى مَصْرَ، واسْتَبَدَّ فَلْفُولُ بِعَمَل طَرَابُلُس، وطَالَتْ الفِتنَةُ بَينَهُ وبَينَ بَادِيس، ويَئِسَ مِنْ صَرِيخِ مَصْر فبَعثَ بطاعَتِه إلى المَهْدي مُحمَّد بنِ عَبْد الجَبَّار بقُرْطُبَة، وأوْفَدَ عَلَيهِ رسُلَه في الصَّرِيخِ والمَدَدِ. وهَلَكَ فَلْفُولُ قَبْلَ رُجوعِهم إليهِ سَنةَ أربَعِ مائة، واجْتَمعتْ زَنَاتَةُ على أخِيهِ وَرُّو بنِ سَعِيدٍ. وزَحفَ بَادِيسُ إلى طَرَابُلُس، وأجْفَلَ وَرُّو وَمَنْ مَعَهُ مِنْ زَنَاتَة عَنْهَا. ولَحِقَ ببَادِيس مَنْ كَانَ بِها مِنْ الجُنْدِ فلَقُوهُ في طَرِيقِهِ، وتَمَادَى إلى طَرَابُلُس فدَخلَها ونَزَل قَصْرَ فَلْفُول. وبَعثَ إلَيْهِ وَرُّو بنُ سَعِيدٍ يَسْأَلُ الأمَانَ لَهُ ولِقَومِه. فَبَعَثَ إلَيْهِ مُحمَّدَ بنَ حَسَنٍ مِنْ صَنائِعِهِ، فَاسْتَقْدَم وَفْدَهُمْ بأمَانِه فوَصلَهُم، ووَلَّى وَرُّو عَلَى نَفزَاوَة والنُّعَيمَ بنَ كَنُّون عَلَى قَسْطِيلِيَّة. وشَرطَ عَلَيْهِم أنْ يَرْحَلُوا بِقوْمِهِم عَنْ أعمالِ طَرَابُلُس، وَرَجَعُوا إلى أصْحَابِهِم. وارْتَحَلَ بَادِيسُ إلَى القَيْرَوان وَوَلَّى على طَرَابُلُس مُحمَّدَ بنَ حَسَن.

ونَزَلَ وَرُّو بنَفزَاوَة والنُّعَيمُ بقَسْطِيلِيَّة. ثُمَّ انتَقَضَ وَرُّو سَنَةَ إحْدَى وأرْبَعِ مائة ولَحِقَ بِجبالِ إيدمَّر، فتَعاقَدُوا عَلَى الخِلافِ. واسْتَضَافَ النُّعَيمُ بنُ كَنُّونَ نَفزَاوَةَ إلى عَملِه. ورَجعَ خَزرُونُ بنُ سَعيد عن أخيه وَرُّو إلى السّلطانِ بَادِيس،

(1) ص: عنيانان.

وقَدِم عليه بالقَيْرَوان سنةَ اثنتَيْنِ وأربع مائةٍ، فتقَبَّله ووَصَلَه وولاه عَمَلَ أخيهِ نَفْزَاوَة. وولَّى بَنِي مُجَلِيَّةَ من قَوْمِه على قَفْصَة. وصارت مُدنُ الماءِ كلُّها لزَنَاتَة.

وزحَفَ وَرُّو بنُ سَعِيدٍ فِيمَن مَعَهُ مِن زَنَاتَة إلى طَرَابُلُس، وبرَزَ إليه [38 أ] عاملُهَا مُحمَّدُ بنُ / حَسَن. فتواقَعُوا ودَارَتْ بَيْنَهُم حَرْبٌ شديدةٌ انهزمَ فيها وَرُّو، وَهَلَكَ الكَثِيرُ مِن قَومِهِ. ثُمَّ راجَعَ حِصَارَهَا وضَيَّقَ عَلَى أهْلِهَا. فبَعَثَ بَادِيسُ إلى خَزْرُون أخِيهِ وإلَى النُّعَيْمِ بنِ كَنُّون وأُمَرَاء الجَرِيد مِنْ زَنَاتَة بأَنْ يَخْرُجُوا لِحَرْبِ صَاحِبِهِم. فَخرجوُا إلَيْهِ، وتَواقَفُوا بصَبْرَة مَا بَيْنَ قَابِس وطَرَابُلُس، ثُمَّ اتَّفقُوا. ولَحِقَ أصْحَابُ خَزْرُونَ بأخِيهِ وَرُّو، ورَجَعَ خَزْرُونُ إلى عَمَلِه. واتَّهَمَهُ السُّلطَانُ بالـمُدَاهَنَة في شَأْنِ أخِيه وَرُّو، فَاسْتَقْدَمَهُ مِن نَفْزَاوَة، فَاسْتَرَابَ وأظْهرَ الخِلافَ. وسَرَّحَ السُّلطَانُ إلَيْه فُتُوح بنَ أحمدَ في العَسَاكِر، فأجْفَلَ عَن عَمَلِه. واتَّبَعَهُ النُّعَيْم وسَائِرُ زَنَاتَة، ولَحِقُوا جَمِيعا بوَرُّو ابنِ سَعِيدٍ سَنَةَ أرْبَعٍ، وتَظَاهَرُوا عَلَى الخِلافِ، ونَصَبُوا الحَرْبَ عَلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُس. واشْتَدَّ فَسَادُ زَنَاتَة، فَقَتَل السُّلْطَانُ مَن كَانَ عِندَهُ مِن رُهُنِ زَنَاتَة. واتَّفَقَ وُصُولُ مُقَاتِل بنِ سَعِيدٍ نَازِعًا عَنْ أخِيهِ وَرُّو فِي طَائِفَةٍ مِن أبْنَائِهِ وإخوانِهِ، فَقُتِلُوا مَعَهُم جَمِيعًا. وشُغِل السُّلْطَانُ بِحَربِ عَمِّهِ حَمَّاد، ولَمَّا غَلَبَه بشَلَف سَنَةَ.....(أ) وانصَرَفَ إلى القَيْرَوان، بَعثَ إليهِ وَرُّو بِطاعَتِهِ.

ثُمَّ كَانَ مَهْلَكُ وَرُّو سَنةَ خمسٍ وأرْبَعِ مائة، وانقَسَمَ قَومُهُ عَلَى ابْنِه خَلِيفَة وأخِيهِ خَزْرُونَ بنِ سَعِيدٍ. واخْتَلَفَت كَلِمَتُهم، وَدَسَّ مُحمَّد بنُ حَسَن عَامِلُ طَرَابُلُس في التَّضْرِيب بَيْنَهُم. ثُمَّ صَارَ أكْثَرُ زَنَاتَة إلى خَلِيفَة، ونَاجَزَ عَمَّهُ خَزْرُونَ

(أ) فراغ في الأصول. ويظهر من تتابع الأحداث أن الأمر يتعلق بسنة 404 هـ. ويبدو وجود نقص غير التاريخ، لابتداء الجملة التالية بحرف العطف.

الحَرْبَ فغلَبَهُ عَلى القَيْطُون، وضَبَطَ زَنَاتَة، وَقامَ فِيهم بأمْرِ أبيهِ، وبعثَ بِطاعَتِه إلى السُّلطَان بَادِيس بمكَانِه مِنْ حِصَارِ القَلْعَة فتقبَّلَها.

ثُمَّ هَلَكَ بَادِيسُ ووَلِيَ ابنُهُ المُعِزُّ سَنَةَ سِتٍّ. وانْتَقَضَ خَلِيفَةُ بنُ وَرُّو عَلَيْهِ. وكَانَ أخُوهُ حَمَّاد/ بنُ وَرُّو يَضْرِبُ عَلى أعْمَالِ طَرَابُلُس وقَابِس ويُوَاصِلُ [38 ب] عَلَيْهَا الغَارَةَ والنَّهْبَ إلى سَنَةِ ثَلاثَ عَشْرةَ. فانْتَقَضَ عَبْدُ اللهِ بنُ حَسَن صَاحِبُ طَرَابُلُس عَلَى السُّلطَانِ، وأمْكَنَهُ مِن طَرَابُلُس. وكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أنَّ المُعِزَّ بنَ بَادِيس لأوَّلِ وِلايَتِهِ اسْتَقْدَمَ مُحَمَّد بنَ حَسَن مِن طَرَابُلُس، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا أخَاهُ عَبْدَ اللهِ بنَ حَسَن، وقَدِمَ عَلَى المُعِزِّ وفَوَّضَ إليهِ تَدْبِيرَ مَمْلَكَتِهِ، وأقَامَ عَلَى ذَلِكَ سَبْعًا، وتَمَكَّنَتْ حَالُهُ عِندَ السُّلطَانِ، وكَثُرَتِ السِّعَايَةُ فِيهِ فنَكَبَهُ وقَتَلَه.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلَى أخِيهِ فانْتَقَضَ كَمَا قُلنَاهُ، وأمْكَنَ خَلِيفَةَ بنَ وَرُّو وَقَوْمَهُ مِنْ مَدِينَة طَرَابُلُس، فَقَتَلُوا الصِّنْهَاجِيِّين واسْتَوْلُوا عَلَيهِم. ونَزَلَ خَلِيفَةُ بِقَصْرِ عَبْدِ اللهِ وأخْرَجَهُ عَنْهُ واسْتَصْفَى أمْوالَهُ وَحُرَمَه. وَاتَّصَل مُلْكُ خَلِيفَةِ بن وَرُّو وقَومِه بَنِي خَزْرُون بطَرَابُلُس. وخَاطَبَ الخَلِيفَةَ بالقَاهِرَة الظَّاهِرَ بنَ الحَاكِمِ سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ بالطَّاعَةِ وضَمَانِ السَّابِلَة وتَشْيِيعِ الرِّفَاق، ويَخْطُب عَهْدَه على طَرَابُلُس، فأجَابَهُ إلَى ذَلِكَ، وانتَظَم فِي عَمَلِه. وأوْفَدَ فِي هَذِه السَّنَةِ أخَاهُ حَمَّاداً عَلَى المُعِز بِهَدِيَّتِه، فتَقَبَّلَها وكَافَأهُ عَلَيْهَا. هَذا آخِر مَا حَدَّثَ ابنُ الرَّقِيق مِنْ أخْبَارِهِم.

ونَقَلَ ابنُ حَمَادُو[1] وغَيْرُهُ: أنَّ المُعِزَ زَحَفَ أعْوامَ ثَلاثِينَ وأرْبَعِ مائَة إلى زَنَاتَة بِجِهَاتِ طَرَابُلُس، فَبَرَزُوا إلَيْهِ وهَزَمُوه وقَتَلُوا عَبْدَ اللهِ بنَ حَمَّاد، وسَبَوْا

(1) ا: حَمَادو.

أختَهُ أمَّ العُلُوِّ بِنْتَ باديس، ومَنُّوا عَلَيْها بَعدَ حِينٍ وأطْلَقُوها إلى أخِيها. ثُمَّ زَحفَ إليهم ثانِيةً فهَزَمُوه، ثُمَّ أُتِيحَتْ لَهُ الكَرَّةُ عَلَيْهِم فغلَبَهُم، وأذْعَنُوا لسُلطانِهِ واتَّقَوْهُ بالمُهَادَنَةِ، فاسْتَقَامَ أمرُهم عَلَى ذَلكَ.

وكَانَ خَزرُونُ بن سَعِيدٍ لَمَّا غَلَبَه خَلِيفَةُ بنُ وَرُّو / عَلَى إمَارَةِ زَنَاتَة لَحِقَ بِمَصْر. فأقَامَ فِيها بِدارِ الخِلافَةِ ونَشأ بَنوهُ بِهَا، وكَانَ مِنهُم المُنْتَصِرُ بنُ خَزرُون وأخُوهُ سِعِيدٌ. ولَمَّا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ بَيْنَ التُّرْكِ والمغارِبَةِ بمَصْر، وغَلَبَهُم التُّرْكُ وأجْلَوْهُم عَنْهَا، لحِقَ المُنْتَصِرُ وسَعِيدٌ بطَرَابُلُس، وأقَامَا في نَواحِيها. ثُمَّ ولِيَ سَعِيدٌ أمْرَ طَرَابُلُس، وَلَم يَزَلْ بِهَا وَالِيًا إلى أنْ هَلَكَ سَنةَ تِسعٍ وعِشْرِين. وقَالَ أبو مُحمَّد التِّجَّاني في رِحْلَتِه[1] عِندَ ذِكرِ طَرَابُلُس: ولَمَّا قَتَلَت زُغْبَةُ سَعِيدَ بنَ خَزرُونَ سَنَةَ تِسعٍ وعِشْرِينَ، قَدِمَ خَزرُونُ بنُ خَلِيفَةَ مِنَ القَيْطُونِ بِقَوْمِهِ إلى ولايَتِهَا، فأمْكَنَه مِنْها رَئِيسُ الشُّورَى بِهَا يَوْمَئِذٍ مِنَ الفُقَهَاء أبو الحَسَنِ بنُ المُنَمَّر المُشْتَهِر بِعِلمِ الفَرائِضِ، وبَايَعَ لَهُ. وأقَامَ بِهَا خَزرُون إلى سَنَةِ ثَلاثِينَ بَعْدَهَا، فقَدِمَ المُنْتَصِرُ بنُ خَزرُونَ فِي رَبِيعِ الأوَّلِ مِنْها ومَعَهُ عَسَاكِرُ زَنَاتَة. ففَرَّ خَزرُونُ بنُ خَلِيفَةَ مِنْ طَرَابُلُس مُخْتَفِيا، ومَلَكَهَا المُنْتَصِرُ بنُ خَزرُون وَأوْقَعَ بابْنِ المُنَمَّرِ ونَفَاهُ، واتَّصَلَتْ بِهَا إمَارَتُه. انتَهَى مَا نَقَلَهُ التِّجَّاني.

وهَذَا الخَبَرُ مُشْكِلٌ مِنْ جِهَةِ أنَّ زُغْبَةَ مِنِ العَرَبِ الهِلالِيِّين، وإنَّمَا جَاؤُوا إلى إفرِيقِيَّةَ مِنْ مَصْر بَعدَ الأربَعِين مِنْ تِلكَ المائَة. فَلا يَكونُ وُجودُهُم بِطَرَابُلُس سَنَةَ تِسْعٍ وعِشْرِينَ، إلاّ إنْ كَانَ تَقَدَّم بَعضُ أحيائِهِم إلى إفرِيقِيَّة مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ. فَقَدْ كَانَ بنُو قُرَّة ببَرْقَة، وبَعَثَهُم الحَاكِمُ مَعَ يَحْيى بن عَلِيٍّ بنِ حَمْدُونَ،

(1) رحلة التجاني، 267. ونقل أكثر النص بتصرف.

حَمْدُون، إلَّا أنَّ ذَلكَ لَمْ يَنْقُلْهُ أحَدٌ. ولَمْ تَزلْ طَرَابُلُس بأيْدِي بَنِي خَزْرُون الزِّنَاتِيِّين.

ولَمَّا وَصَلَ العَربُ الهِلالِيُّونَ، وغَلَبُوا المُعِزَّ بنَ بَادِيس عَلَى أعْمَالِ إفْرِيقِيَّة واقْتَسَمُوها، كَانَتْ قَابِس وطَرَابُلُس في قِسْمَةِ زُغْبَة، وَالبَلَدُ لبَنِي خَزْرُون. ثُمَّ اسْتَولَى بَنُو سُلَيْم على / الضَّاحِيَةِ، وغَلَبُوا عَلَيْهَا زُغْبَة ورَحَّلُوهُم عَنْ تِلْكَ [39 ب] المَواطِنِ. ولَمْ تَزَلِ[1] البَلَدُ لبَنِي خَزْرُون.

وزَحَفَ المُنْتَصِرُ بنُ خَزْرُونَ مَعَ بَنِي عَدِيّ مِنْ قَبَائِلِ هِلَالٍ مُجْلِبًا عَلَى أعمالِ بَنِي حَمَّادٍ حتَّى نَزَلَ المسيلَةَ ونَزَلَ أشِيرَ. ثُمَّ خرَجَ إلَيهِمُ النَّاصِرُ ففَرُّوا أمامَهُ إلى الصَّحْراءِ، ورجَعَ إلى القَلْعَةِ فرَجَعُوا إلَى الإجْلابِ عَلَى أعْمَالِهِ. فراسَلَهُ النَّاصِرُ في الصُّلْحِ، وأقْطَعَهُ ضَوَاحِيَ الزَّابِ وريغَة. وأوْعَزَ إلى عَرُوس ابنِ سَنْدِي رئيسِ بِسْكَرَةَ لعَهْدِهِ أنْ يمْكُرَ بِهِ. فلَمَّا وَصَلَ المُنْتَصِرُ إلى بِسْكَرَةَ أنْزَلَه عَرُوس، ثُمَّ قَتَلَه غِيلَةً أعْوامَ سِتِّين وأربعِ مائَة.

ووَلِيَ طَرَابُلُسَ آخَرُ[ب] من قومِه بَنِي خَزْرُون لَم يَحْضُرنِي اسْمُهُ، واتَّصَلَ فِيهِم مُلْكُ تِلْكَ الأعمالِ إلى سَنَةِ أربعينَ وخَمْسِ مائَة • واخْتَلَّ مُلْكُ صِنْهَاجَة •[ج]. ثُمَّ نَزَلَ بِطَرَابُلُسَ ونَواحِيها في هَذِه السَّنةِ مَجَاعَةٌ وأصَابَتْهُم مِنْها شِدَّةٌ هَلَكَ فِيها النَّاسُ وفَرُّوا عَنْها، وظَهرَ اخْتِلالُ أحْوالِها وفَنَاءُ حَامِيَتِها. فجَهَّزَ إليها رُجَّار طاغِيَةُ صِقِلِّيَة[د] أسْطُولا لِحِصارِها بَعدَ اسْتِيلائِه عَلَى المَهْدِيَّةِ وصَفَاقِس، واسْتِقْرارِ وُلاتِه فِيها. ووقَعَ مِن[هـ] أهلِ طَرَابُلُس الخِلافُ، فغَلَبَ عَلَيهِم جُرْجِي بنُ ميخَائِيل قائدُ الأسْطُولِ، ومَلَكَها وأخْرجَ مِنهَا بَنِي خَزْرُون، ووَلَّى

(أ) ص: يزل (ب) ص: أحد (ج) سقط من ص (د) ص: لاجار . أ: طاغية صقلية المعروف بأجّار (هـ) في أ: بين .

عَلَى البَلَدِ شَيْخَهُم أبا يَحْيَى بن مَطْرُوحٍ التَّمِيمي. فانقَرَضَ أمرُ بَني خَزْرُون مِنْها، وبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ بالضَّاحِيَةِ إلى أنْ افْتَتَحَ المُوَحِّدُون إفْرِيقِيَّةَ. وكَانَت ثَوْرَةُ المسلِمينَ بها[1] وإخراجُ النَّصارَى مِنْ بَيْنِ أظْهُرِهِم كَمَا ذَكَرْنَاهُ في أَخْبَارِ إفْرِيقِيَّةَ آخرَ الدَّوْلَةِ الصِّنْهَاجِيَّةِ. والمُلْكُ للهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

(١) في ص: بهم.

[١٤٥]

[بنو خزرون بن فلفول، ملوك طرابلس]

[40 ب] ● / الخبرُ عن بني يَعْلَى ملوكِ تلمْسان من آل خَزَر من أهلِ الطَّبقَةِ الأولى، والإلمامُ ببعْضِ دَوْلَتِهم ومَصائِرِها

قَدْ ذَكَرْنَا في أخْبَارِ مُحمَّد بنِ خَزَر وبَنِيهِ أنَّ مُحمَّدَ بنَ الخَيْرِ الذِي قَتَلَ نفسَهُ في مَعْرَكَةِ بُلُكِّين كَانَ مِنْ وَلَدِهِ الخَيْرُ ويَعْلَى. وأنَّهم الذِينَ ثَأرُوا مِنهُ بأبِيهِ زِيرِي فَقَتَلُوه، واتَّبعَهُم بُلُكِّين مِن بَعْدِ ذَلكَ وأجلاهُم إلى المَغْرِبِ الأقْصَى، حتَّى قَتَل مُحمَّدًا منهم صَبْرًا أعْوَامَ سِتِّينَ وثَلاثِ مائةٍ بنَواحِي سِجِلْمَاسَة، قَبْلَ فُصُولِ مَعَدٍّ إلى القَاهِرةِ وولايةِ بُلُكِّين على إفريقِيَّة. وقَامَ بأمْرِ زَنَاتَة بَعْدَ الخَيْرِ ابنُهُ محمدٌ وعمُّه يَعْلَى بنُ مُحمَّد. وتكَرَّرت إجَازةُ مُحمَّدِ ابنِ الخَيْرِ هَذا وعَمِّهِ يَعْلَى [إلى](أ) المَنْصُورِ بنِ أبي عامِرٍ كمَا ذَكَرْنَا ذَلكَ مِنْ قَبْلُ. وغَلبَهُم ابْنَا عَطِيَّة بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ خَزَر، وَهُمَا مُقَاتِلُ وزِيرِي على رِئاسَةِ مَغْرَاوَة. وهَلكَ مُقَاتِلُ واخْتَصَّ المَنْصُورُ زِيرِي بنَ عَطِيَّة بأثْرَتِهِ(1) ووَلَّاهُ على المَغْرِبِ كمَا ذَكَرْنَاهُ. وقَارَنَ ذَلكَ مَهْلَكَ بُلُكِّين، وانْتِقَاضَ أبي البَهَارِ بنِ زِيرِي صَاحِبِ المَغْرِبِ الأوْسَطِ عَلَى بَادِيس، فكَانَ مِنْ شَأْنِهِ مَعَ زِيرِي ويَدُّو بنِ يَعْلَى مَا قَدَّمْنَاهُ.

ثُمَّ اسْتَقَلَّ زِيرِي وغَلَبَهُم جَمِيعًا عَلَى المَغْرِبِ. ثُمَّ انتَقَضَ عَلَى المَنْصُورِ فأجَازَ إليْهِ ابنَهُ المُظَفَّرَ، وأخْرَجَ زَنَاتَةَ مِنَ المَغْرِبِ الأوْسَط. فتَوغَّل زِيرِي في المَغْرِبِ الأوْسَط، ونَازَلَ أمصارَهُ وانتَهَى إلى المسيلَةِ وأشِير. وكَانَ سَعِيدُ بنُ خَزْرُون قَدْ نَزَعَ إلى صِنْهَاجَة ومَلَكَ طُبْنَةَ، واجْتَمَعَ زَنَاتَةُ بإفرِيقِيَّة عَلَيهِ وعَلَى

(أ) سقط في ظ .

(1) الأثْرة: المكْرمَة .

ابنِهِ فلفول مِنْ بَعدِه. وانتقَضَ فلفولُ عَلَى بادِيس عِنْدَ زَحْفِ زيري إلى المسيلَة وأشِير، وشُغِل باديس ثُمّ ابنُهُ المنصورُ عَنِ(أ) المَغرِبِ الأوسَط بحُرُوبِ فلفول وقومِهِ، ودَفَعُوا إليْهِ حَمَّادَ بن / بُلُكِّين، فكانَت بَيْنَهُ وبيْنَ زناتَة حُرُوبٌ سِجَالٌ. [41أ]

وهَلَكَ زيري بنُ عَطِيّة، واستَقَلَّ المُعِزُّ ابنه بمُلْكِ المَغرِب سَنَةَ ثلاثٍ وتِسعينَ وثلاثِ مائة، وغَلَبَ صِنهاجَة عَلَى تِلِمْسان وَمَا إليْها، واختَطَّ مَدينَةَ وَجْدَة كَما ذكرْنا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ قَبْلُ. ونزَلَ يَعلَى بنُ مُحمَّد مَدينَةَ تِلِمْسَان، فكانَت خالِصَةً لَهُ. وبَقِيَ مُلكُها وسائرُ ضَواحِيها في عَقِبِه. ثُمَّ هَلَكَ حَمَّادُ بَعْدَ استِبْدادِهِ بِبِلادِ صِنهاجَة عَلَى آلِ بُلُكِّين. وشُغِلَ بَنُوهُ بِحَرْبِ بَنِي بادِيس، فاستَوْسَقَ مُلكُ بَنِي يَعلَى خِلالَ ذَلِكَ بتِلِمْسان، واختَلَفَتْ أيّامُهُم مَعَ آلِ حَمّاد سِلْماً وحَرْباً.

ولَمّا دَخَلَ العَرَبُ الهِلاليّون إفريقيّة، وغَلَبُوا المُعِزَّ وقَوْمَهُ عَلَيْها، واقتَسَمُوا سائرَ أعْمالِها، ثُمَّ تخَطَّوا إلى أعمالِ بَنِي حَمّاد فأحْجَرُوهم بالقَلْعَةِ، وغَلَبُوهُم على الضَّواحِي، فرَجَعُوا إلى استِئْلافِهِم، واستَخْلَصُوا الأثبَجَ مِنهُم وزُغْبَة. فاستَظْهَرُوا بِهِم عَلَى زَناتَة المَغرِبِ الأوسَط، وأنزَلُوهُم بالزّابِ وأقطَعُوهُم الكَثِيرَ مِنْ أعْمالِهِ. فكانَتْ بَيْنَهُم وبَيْنَ بَنِي يَعلَى أمَراءِ تِلِمْسان حُرُوبٌ ووَقائِع. وكانَت زُغْبَةُ أقربُ إليْهِم بالمَواطِن. وكانَ أميرُ تِلِمْسانَ لِعَهْدِهِم يَحيَى مِنْ وَلَدِ يَعلَى، وكانَ وَزِيرُه وقائِدُ حُرُوبِه أبُو سَعيدِ بنُ خَلِيفَة بنِ.....(ب) اليَفرَني، فكانَ كَثِيرًا مَا يَخرُجُ بالعَساكِر من تِلِمْسان لِقِتالِ عَرَبِ الأثبَج وزُغْبَة، ويَحْتَشِدُ مَنْ إليْهَا مِنْ زَناتَة أهْلِ المَغرِبِ الأوسَط، مِثلَ مَغراوَة وبَنِي يَفرَنَ وبَنِي يَلُومُو(ج) وبَنِي عَبْدِ الوَاد وتُوجِّين وبَنِي مَرِينَ. وهَلَكَ في بَعْضِ تِلكَ المَلاحِم هَذا الوَزيرُ أبو سُعْدَي(د) أعْوَامَ خَمْسِينَ وأربعِ مائة.

(أ) أ: على (ب) ص ،أ، ظ: فراغ قدر كلمة (ج) أ: يلومي (د) الشكل من أ .

ثُمَّ مَلكَ المُرَابِطُون أعْمَالَ المَغرِبِ الأقْصَى بَعْدَ مَهْلكِ يَخْتِي وَوِلايَةِ ابنِهِ العبَّاس بن يَخْتِي بتِلِمْسَان. وَسَرَّح يُوسُفُ بنُ تَاشفِين قائدَهُ مَزْدَلِي بن.....[ا] في عَسَاكِر لَمتُونَة • لحَرْبِ مَنْ بَقِيَ بتِلِمْسَان•[ب] مِن مَغرَاوَةَ وَمَن لحِق بِهِم مِن / فَلِّ بَنِي زِيرِي وقومِهِم. فدَوَّخَ المَغرِبَ الأوْسَط، وظَفَرَ بمَعْلِي بنِ عبَّاس ابن يَخْتِي [وقد][ج] بَرَزَ لمُدافعَتِهم فهَزمه وقتلَه • وانكَفَأ راجعًا إلى المَغرِبْ. [41 ب]

ثُمَّ نهض•[د] يُوسُف بن تَاشَفِين بنَفسِه في جُمُوعِ المُرَابطِين سنة ثلاثٍ وسبعينَ • فافْتَتَح تِلِمْسَانَ•[هـ]. واستَلْحَمَ بَنِي يَعْلَى ومن كَانَ بها مِن مَغرَاوَةَ، وقَتَلَ العبَّاس بن يَخْتِي أميرَها من بَنِي يَعْلَى. ثُمَّ افْتَتَحَ وَهْرَان وتَنَس، ومَلكَ جَبَلَ وَانْشَرِيس •وشَلَف إلى الجَزَائِر، وانكَفَأ •[و] رَاجِعًا وَقَدْ مَحَا أَثَرَ مَغرَاوَة مِن المَغرِبِ الأوْسَط. وأنزَلَ مُحمَّدَ بنَ تِينَعْمَر المَسُوفِي في عَسْكَرٍ مِنَ المُرَابطِين بتِلِمْسَان. واختَطَّ مَدِينَةَ تَاكرَارت بمَكَانِ مُعَسْكَرِه، وهوَ اسْمُ المَحَلَّةِ بلِسَان البَرْبَر، وهِيَ الَّتِي صَارَتِ اليَوْمَ مَعَ تِلِمْسَان القَدِيمَةِ الَّتِي تُسَمَّى أكادِير بلداً وَاحِداً. وانقرَضَ [أمرُ] مَغرَاوَةَ مِنْ جَمِيعِ المَغرِبِ كَأنْ لَمْ يَكُن. والبَقاءُ للهِ وحْدَهُ.

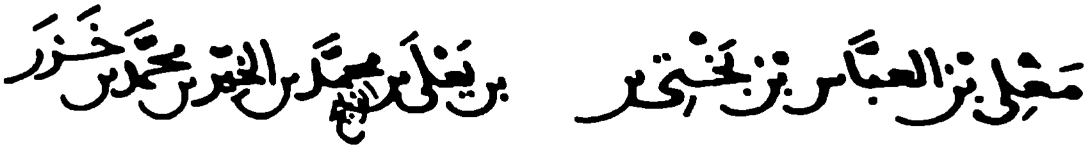

[بنو يَعْلَى ملوك تِلِمْسان من آل خزر]

(ا) ظ، ص، أ: فراغ قدر كلمة (ب) سقط من ص (ج) زيادة يقتضيها السياق (د) سقط من ص (هـ) سقط من ص (و) سقط من ص.

• / الخَبَرُ عَنْ أُمَراءِ أغماتَ من مَغْراوة [42 ب]

لَمْ أقِفْ عَلَى أسْمَاءِ هَؤُلاءِ، إلاَّ أنهم كَانُوا أمَرَاءَ بأغْمَات آخِرَ دَوْلَةِ بَنِي زيري بفَاس وبَنِي يَعْلَى اليَفْرَنِي بسَلَا وتَادْلَا، فِي جِوارِ المَصَامِدَة وبَرَغْوَاطَة. وكَانَ لَقُّوطُ بنُ يُوسُفَ بن عَلِيٍّ آخرَهُمْ فِي سنةِ الخمسينَ وأربعِ مائة. وكَانَتْ امْرَأتُه زَيْنَبُ بِنْتُ إسْحَاق النَّفْزَاوِيَّة مِنْ إحْدَى نِسَاءِ العَالَمِ المَشْهُوراتِ بالجَمَالِ والرِّيَاسَةِ. ولَمَّا غَلَبَ المُرَابطونَ عَلَى أغْمَات سَنَةَ تِسْعٍ وأرْبَعِينَ، فرَّ لَقُّوطُ هَذَا إلى تَادْلَا، ونَزَلَ عَلَى مُحمَّدِ بنِ تَمِيم اليَفْرَنِي صَاحِبِ سَلَا وأعْمَالِها، إلَى أنِ افْتَتَحَ المُرَابِطُونَ تَادْلَا سَنَةَ إحْدَى وخمسِينَ، وقُتِلَ الأمِيرُ مُحمَّد واسْتُلْحِمَ بَنُو يفْرَن، فكَانَ الأميرُ لَقُّوط هَذَا فِيمن اسْتُلْحِمَ. وخَلَفَهُ أبو بَكْرِ بنُ عُمر أميرُ المُرَابِطِين على زَيْنَب بِنْتِ إسْحَاق، حَتَّى إذا ارْتَحَلَ إلى الصَّحراءِ سَنَةَ ثلاثٍ وخمسِينَ، واسْتَعْمَلَ ابنَ عَمِّهِ يُوسُفَ بنَ تَاشَفِين عَلَى المَغْرِبِ، نَزَلَ له عَنْ زَوجِهِ زَيْنَب هَذِهِ، فكَانَ لَهَا سِيَاسَةُ أمْرِهِ وسُلْطَانِه، وَمَا أشَارَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ مَرْجِعِ أبِي بَكْرٍ مِنَ الصَّحْرَاءِ فِي إظْهَارِ الاسْتِبْدَادِ حتَّى تَجَافَى عَنْ مُنَازَعَتِهِ، وخَلَصَ ليُوسُف بنِ تَاشَفِين مُلْكُه كَمَا[1] ذَكَرْنَاهُ فِي أخْبَارِهِم. ولَمْ نَقِفْ مِن أخْبَارِ لَقُّوطَ بنِ يُوسُف وقَوْمِهِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الَّذِي كَتَبْنَاه. واللهُ وَلِيُّ العَوْن.

(1) ظ، أ: ما.

• الخبرُ عن بني سَنْجاسٍ[أ] ورِيغَةَ ولَغواط[ب] وبني وَرَّا من قبائل مَغراوَةَ من أهل الطَبَقَةِ الأولى وتصاريفُ أحْوالِهِم.

هذه البُطونُ الأربعةُ مِن بُطونِ مَغْراوَة. وقد زَعَمَ بعضُ النّاسِ أنّها[ج] [43 أ] مِن بُطونِ زَنَاتَة غير مَغراوَة. أخْبَرَني بذلكَ الثِقَةُ عن إبراهيم بنِ / عبدِ الله التِّيمزوغتي[د]. قالَ وهو نَسّابَةُ زَنَاتَةَ لعَهْدِهِ: ولَمْ تَزَلْ هَذِهِ البُطونُ الأربَعَةُ مِن أوسعِ بُطُونِ مَغْراوَة. فأمّا بَنُو سَنْجاس فَلَهُم مَواطِنُ في كلِّ عَمَلٍ مِن إفْرِيقِيَّة والمَغْرِبَيْن. فمِنهم قِبَلَةَ المَغرِبِ الأوْسَطِ بجَبَلِ رَاشدٍ وجَبلِ كَرِيْكَرَة[هـ] وبعَمَلِ الزّاب وبِبلاد شَلَف.

ومِن بُطونِهِم بنو عِيار[و] وبِبِلادِ شَلَف أيضًا. وبنو عِيار[ز] بأعمالِ قُسَنْطِينَة. وكَانَ بَنُو سَنْجاس هَؤُلاءِ مِن أوسَعِ القَبائِلِ وأكْثَرِهِم عَدَداً. وكَانَ لهُم في فِتْنَةِ زَنَاتَةَ وصِنْهَاجَةَ آثارٌ بإفْرِيقِيَّة والمَغْرِب، وأكْثَرُهَا في إفْسَادِ السَّبِيلِ[ح] والعَيْثِ في المُدنِ. ونَازَلُوا قَفْصَةَ سنةَ أربَعَ عَشرةَ وخمسِ مائَة، بَعْدَ أنْ عاثُوا بجِهاتِ القَصْرِ، وقَتَلُوا مَن وَجَدُوا هُنالِكَ مِن عَسكرِ تُلُكّاتَة[ط]. وخَرَجَتْ إليْهِم حامِيَةُ قَفْصَةَ فأثْخَنُوا فِيهِم، ثُمَّ كَثُر فَسَادُهُم، وسَرَّح السُّلطَانُ قَائدَهُ مُحمَّدَ بنَ أبي العَرَبِ[ي] في العَسَاكِرِ إلى بِلادِ الجَرِيدِ، فَشَرَّدَهُم عَنْهَا، وأصْلَحَ السَّابِلَةَ. ثُمَّ عَادُوا إلى مِثْلِهَا سَنَةَ خمسَ عَشرةَ فأوقَعَ بِهِم قَائِدُ بِلادِ الجَرِيد وأثْخَنَ فِيهِم بالقَتْلِ، وحَمَلَ رُؤوسَهُم إلى القَيْرَوانِ، فعَظُمَ الفَتحُ فِيهِم. ولَمْ تَزَل الدَّوْلَةُ تَتَبَّعُهم بالقَتلِ والإثْخانِ إلى أنْ خَضَدُوا مِنْ شَوْكَتِهِم.

(أ) في ص بحاء بدل الجيم مؤكدة بحاء صغيرة تحتها (ب) في ظ غير مشكولة، والضبط من أ، وفي ص: لغوط
(ج) أ: أنهم (د) أ: التيمزوغتي (هـ) أ: بكافين تحت كل منها نقطة (و) ص،أ: غيار (ز) أ: غيار وفي ص: عنار (ح) أ: السُّبُل (ط) الشكل من ص أ (ي) ص: العرب.

وجَاءَ العربُ الهِلَالِيُّون وغَلَبُوا عَلَى الضَّواحِي كلَّ مَن كَانَ بِهَا مِن صِنْهَاجَةَ وزَنَاتَةَ. وتَحَيَّزَ فَلُّهم إلى الحُصُونِ والمَعَاقِلِ. وضُرِبَتْ عَلَيْهِم المَغَارِمُ إِلَّا ما كَانَ بِبِلادِ القَفْرِ مِثْلَ جَبَلِ رَاشِدٍ، فإنَّهم لبُعدِهِم عَنْ مَنَازِلِ المُلْكِ لا يُعْطُونَ مَغْرَمًا، إِلَّا أنَّهم غَلَبَ عَلَيْهِم هُنالِكَ العُمُورُ مِنْ بُطونِ الهِلالِيِّينَ، ونَزَلُوا مَعَهُم، ومَلَكُوا عَلَيْهِم أمْرَهُم، وصَارُوا لَهُم فِئَةً.

ومِن بَنِي سَنجاس مَنْ نَزَلَ بالزَّابِ، وهُم لهذا العَهْدِ أهْلُ مَغَارِمَ لِمَن غَلَبَ / على ثُغُورِهِم مِن مَشايِخِهِم. وأمَّا مَن نَزلَ مِنهُم بِبِلادِ شَلِف وبِنَواحِي قُسَنْطِينَة فهُم لهذا العَهْدِ أهْلُ مَغَارِمَ للدُّوَلِ. وكَانَ دِينُهم جميعاً الخَارِجِيَّة على سَنَنِ زَنَاتَةَ في الطَّبَقَةِ الأُولَى. ومَنْ بَقِيَ اليَومَ مِنْهُم بالزَّابِ فعَلَى ذَلِكَ. [43 ب]

ومِن بَنِي سَنجاس هَؤُلاءِ بأرْضِ المُشَنْتَل[1] مَا بَيْنَ الزَّابِ وجبلِ رَاشِدٍ. أوْطَنُوا جِبَالَه في جِوارِ غُمْرَة[ب]. وصَارُوا عِنْدَ تَغَلُّبِ الهِلَالِيِّينَ في مُلْكِهِم يقْتَضُون الإتَاوَةَ مِنهُم. ونَزَلَ مَعَهُم لهَذَا العَهدِ السَّحَارَى مِنْ بُطونِ عُرْوَةَ مِن زُغْبَة، وغَلَبُوهُم على أمْرِهِم وأصَارُوهُم خَوَلاً.

وأمَّا بنُو رِيغَة فكَانُوا أحْياءً مُتَعدِّدة، ولَمَّا افتَرَقَ أمرُ زَنَاتَةَ تَحَيَّزَ مِنهم إلى جَبلِ عِيَاضٍ ومَا إلَيهِ من البَسِيطِ إلى نَقَاوُس، وأقَامُوا في قَياطِينِهم. فَمَن كَانَ بجَبلِ عِيَاضٍ مِنهم أهلَ مَغارِمَ لأُمَرَاءِ عِيَاض يقتَضُونَها مِنهُم للدَّوْلَةِ الغالِبَةِ بِبجَايَة. وأمَّا من كَانَ ببَسِيطِ نَقَاوُس فهُم في إقْطَاعِ العَرَبِ لهَذَا العَهْدِ. ونَزَلَ أيْضًا الكَثِيرُ مِنهُم مَا بَيْنَ قُصورِ الزَّاب ووَارْكَلى[ج] فاختَطُّوا قُرًى كَثِيرةً في عُدْوَتَي وادٍ يَنْحَدِرُ مِنَ الغربِ إلى الشَّرقِ، يشْتَمِلُ على المَصْرِ الكَبِيرِ والقَرْيَةِ

(ا) الشكل من ظ (ب) ص: عمرة (ج) جاء هنا بالقصر وترد بالمدّ: واركلا.

المتوسِّطَةِ والأُطُم، قَدْ زَفَّ عَلَيْها الشَّجَرُ، ونُضِّدَتْ حِفافَيْها النَّخيلُ، وانساحَتْ خِلالَها المِيَاه، وزَهَتْ بيَانِعِها الصَّحراءُ، وكَثُرَ في قُصُورِها العُمْرَانُ مِن ريغَة هَؤُلاءِ، - وبهم تُعرفُ لِهَذا العَهْدِ وهُم أكْثَرُها-، ومِنْ بَني سنجاس وبَني يفرن وغيرِهِم مِنْ قبائِلِ زَنَاتَة. وتَفرَّقَت جَمَاعَتُهم للتَّنازُعِ في الرِّئاسَةِ، فاسْتَقَلَّتْ كلُّ طائفَةٍ مِنهُم بقُصُورٍ منها أو بواحدٍ. و[لقد](أ) كَانَت فيمَا يُقالُ أكْثَرَ مِنْ هذا العَدَدِ أضْعَافاً، وأنَّ ابنَ غانِيَةَ المَسُوفِيَّ حِينَ كَانَ يُجْلِبُ على بِلادِ إفْرِيقِيَّةَ والمَغرِبِ في فتْنَتِهِ(ب) مع المُوَحِّدِين خَرَّبَ / عُمْرَانَها، واجتَثَّ شَجَرَتَها وغَوَّرَ مِيَاهَها. ويَشْهَدُ لِذَلِكَ آثارُ العُمْرَان بهَا في أطْلالِ الدِّيارِ ورُسُومِ البِناءِ وأعْجَازِ النَّخْلِ المُتَقَعِّرِ. وكَانَ هذا العَمَلُ يَرجِعُ في أوَّلِ الدَّوْلَةِ الحَفْصِيَّةِ لعَامِلِ الزَّابِ، وكَانَ مِن المُوَحِّدِين ويَنزِلُ بِسَكْرَةَ، يَتَرَدَّدُ مَا بَينَها وبَينَ مَقَّرَة. وكَانَ مِن أعْمالِه قُصُورُ وَارْكلَى أيضًا. [44 أ]

ولَمَّا فَتَكَ المُنْتَصِرُ بمَشْيَخَةِ الذَّوَاوِدَةِ كَمَا قُلْنَاهُ في أخْبارِهِ، وقَتَلُوا بَعدَ ذَلِكَ عامِلَ الزَّابِ ابنَ عتُّوا مِنْ مَشْيَخَةِ المُوَحِّدِين، وغَلَبُوا(ج) ضَواحِيَ الزَّاب وريغَةَ و وَارْكلَا(د)، وأقْطَعَتْهُم إيَّاهَا الدُّولُ بَعدَ ذَلِكَ فصَارَت في إقْطاعِهِم. ثُمَّ عَقَدَ صَاحِبُ بجَايَةَ بَعدَ ذَلِكَ على العَمَلِ كلِّه لمَنْصُور بنِ مُزْنِي واستَقَرَّ في عَقِبِهِ، فرُبَّمَا يَسُومُونَ بعضَ الأحْيَانِ أهلَ تِلْكَ القُصُورِ الغُرْمَ للسُّلطانِ بمَا كَانَ مِنَ الأمرِ القَدِيمِ، ويُعسكِرُ عَلَيْهم في ذَلِكَ كتائِبُ مِن رَجْلِ الزَّابِ وخَيَّالَةِ العَرَبِ. ويُبَذْرِقُ عَلَيهَا لأمْرِ الذَّوَاوِدَةِ ثُمَّ يُقاسِمُهم فيمَا يَمْتَرِيهِ مِنهُم.

وأكْبَرُ هَذِهِ الأمْصَار تُسمَّى تُقُّرت، مَصْرٌ مُسْتبحِرُ العُمْرَانِ، بَدوِيُّ الأحْوالِ، كثيرُ المِيَاهِ والنَّخْلِ. ورِئاسَتُه في بَني يُوسُف بن عُبَيدِ اللهِ، كَانَت

(أ) من أ ص. ظ: ولو (ب) أ: فتنه (ج) ص: فغلبوا (د) ظ: وأكلا سهوًا.

لعُبَيْدِ(أ) اللهِ بن يُوسُف ثُمَّ لابنِهِ دَاوُد ثُمَّ لأخِيهِ يُوسُف بن عُبَيْدِ(ب) اللهِ. وتَغلَّبَ على وَارْكِلَى مِن يَدِ أبي بَكْرِ بن مُوسَى لأزْمَانِ حَدَاثَتِه، وأضَافَها إلى عَمَلِهِ ثُمَّ هَلكَ وصَارَ أمرُ تُقُرْت لأخِيهِ مَسْعُود بن عُبَيْدِ اللهِ، ثُمَّ لابنِهِ حَسَن بن مَسْعُودٍ، ثُمَّ لابنِهِ أحمد بن حَسَنٍ شَيْخِها لِهَذَا العَهْدِ.

وبنُو يُوسُف بن [عبيد](ج) اللهِ هَؤُلاءِ مِنْ رِيغَة، ويُقَالُ إنَّهُم مِنْ سَنجاس. وفى أهْلِ تِلْكَ الأمْصَارِ مِن مَذَاهِبِ الخَوَارِجِ وفِرَقِهم كَثِيرٌ، وأكْثَرُهم على دِينِ العَزَّابَة(1)، ومِنهُم النَّكَّارِيَة، أقَامُوا عَلَى انْتِحَالِ هَذِهِ الخَارِجِيَّةِ لبُعْدِهِم عَنْ مَنَالِ الأحْكَامِ. / ثُمَّ بَعْدَ مَدِينَةِ تُقُرْت بلدُ تَمَاسِين، [44 ب] وهِيَ دُونَهَا فِي العُمْرَانِ والخِطَّةِ. ورِئاسَتُه لبَنِي إبراهيم ابنِ.....(د) من رِيغَة، وسَائِرُ أمْصَارِهِم كَذَلِكَ، كلُّ مَصْرٍ مِنْهَا مُستَبِدٌّ بأمْرِهِ وحَرْبٌ لجَارِهِ.

وأمَّا لغُوَاط، وهُمْ فَخِذٌ مِن مَغرَاوَةَ أيضًا، فَهُم في نَوَاحِي الصَّحراءِ مَا بَيْنَ الزَّابِ وجَبَلِ رَاشِدٍ. ولَهُم هُنَالِكَ قُصَيرٌ مَشْهُورٌ بِهِم، فِيهِ فَرِيقٌ من أعقابِهِم عَلَى سَغَبٍ(هـ) مِنَ العَيشِ لتَوَغُّلِهِ فِي القَفْرِ. وهُمْ مَشْهُورُونَ بالنَّجْدَةِ والامْتِنَاعِ مِنَ العَربِ. وبَيْنَهُم وبَيْنَ الدُّوسَنِ أقْصَى عَمَلِ الزَّابِ مَرْحَلَتَان، وتَخْتَلِفُ قُفُولُهُم إلَيهِ لتَحْصِيلِ المَرَافِقِ مِنهُ. واللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ويَختَارُ.

(أ) ص: لعبد (ب) ص: عبد (ج) أ: من أ، ظ ص: عبد (د) في جميع الأصول: فراغ قدر كلمة (هـ) أ: شظف .

---

(1) أي من الإباضية، ويعرّف الدرجيني النظام السلوكي للعزابة: بأنّه مخصص لكلّ من لازم طريقتهم وطلب العلم وسِيَرَ أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، ومن حصل له ذلك سمي عزابيا. الطبقات 1: 4 وانظر فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة. (المعهد القومي للآثار والفنون. تونس 1975).

وأمّا بنو وَرّا فهم فخذٌ مِن مَغراوة أيضًا، ويُقالُ مِن زَنَاتَة، وهُم مُنْشَعِبون ومُفْتَرِقُون بنواحِي المَغرِبِ، فمِنهُم بناحِيَةِ مُرّاكُش والسُّوس، ومِنهُم ببلادِ شَلَف، ومِنهُم بناحيةِ قُسَنْطِينَة. ولَمْ يزالُوا على حالِهِم [مُنذُ][1] انقِراضِ زَنَاتَة الأوّلِين. وهُم لهَذا العَهْدِ أهْلُ مَغارِمَ وعَسْكَرَةٍ مع الدُّولِ، وأكْثَرُ الَّذِين كانُوا بمُرّاكُش قَدْ انتَقَلَ رُؤَسَاؤُهُم إلى نَاحِيَةِ شَلَف، نَقَلَهُم يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ سُلطَانُ بني مَرِينَ في أوّلِ هَذِهِ المَائَة الثّامِنةِ، لَمّا ارْتَابَ بأمْرِهِم في تِلكَ النّاحِيَةِ، وخَشِيَ من إفسَادِهِم وعَيْثِهِم، فنَقَلَهُم في عَسكَرٍ إلى مَوطِنِ شَلَف لحمايَتِهِ فنَزَلُوا به. ولَمّا ارتَحَلَ بنُو مَرِينَ بَعْدَ مَهْلَكِ يُوسُف بن يَعْقُوبَ، أقَامُوا ببلادِ شَلَف، فأعْقَابُهُم بِهِ لهَذا العَهْدِ. وأحْوالُهُم جَمِيعًا فِي كُلِّ قُطْرٍ مُتَقَارِبَةٌ في المَغْرَمِ والعَسْكَرَةِ مَعَ السُّلطانِ. ولله الخَلْقُ والأمْرُ جَميعاً.

(أ) في ط: بياض قدر كلمة، وفي ص: منذ، وفي أ: قبل.

● / الخَبرُ عن بني يَرْنِيّان إخوةِ مَغْراوَة، وتَصَارِيفِ أحْوالهم [45 ب]

قَدْ ذَكَرْنَا بَنِي يَرْنِيَّانَ هَؤُلاءِ وأنّهُم إخوةُ مَغراوَةَ وبَنِي يَفْرَن، والكُلُّ ولد يَصْلِيتَن، ونَسبُهم جَمِيعًا إلى جَانَا مَذكُورٌ هُنالِكَ. وهُمْ مبثُوثُون كثيراً بَيْنَ زَنَاتَةَ في المَواطِنِ. وأمّا الجُمْهُورُ مِنْهُم فَمَوْطِنُهُم بمَلْوِيّة مِن المَغرِبِ الأَقْصَى مَا بَيْنَ سِجِلْمَاسَةَ وكَرْسِيف. كَانُوا هُنالِكَ مُجَاوِرِينَ لِمِكْنَاسَةَ في مَوَاطِنِهِم، واختَطُّوا حِفَافَيْ وَادِي مَلْوِيّة قُصوراً كَثِيرًا مُتَقَارِبَةَ الخِطَّةِ، ونَزَلُوهَا، وتَعدَّدَتْ بُطُونُهُم وأفخَاذُهم في تِلْكَ الجِهَاتِ. ومِنْهُم بَنُو وَطَاط مُوطِنُونَ لِهَذَا العَهْدِ بالجِبَالِ المُطِلَّةِ على وَادِي مَلْوِيّة من جِهَةِ القِبْلَةِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ تَازَى وفَاس، وبِهِم تُعْرَفُ تِلْكَ القُصورُ لِهَذَا العَهْدِ.

وكَانَ لبَنِي يَرْنِيَّانَ هَؤلاءِ صَوْلَةٌ واعتِزَازٌ. وأجَازَ الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ مِنهم والمَنْصُورُ بن أبِي عَامِر مِنْ بَعْدِهِ فِيمَن أجَازُوهُ مِن زَنَاتَةَ في المائةِ الرَّابعةِ. وكَانُوا مِنْ أفحَلِ جُندِ الأنْدَلُسِ وأشدِّهِم شَوْكَةً. وبَقِيَ أهْلُ المَواطِنِ مِنهُم في مَوَاطِنِهِم مَعَ مِكْنَاسَةَ أيّامَ مُلكِهِم، وتَجمَعُهُم مَعَهُم عَصبِيَّةُ يَحْيَى. ثُمّ كَانُوا مَعَ مَغْرَاوَةَ أيضًا أيّامَ مُلكِهِم بالمَغْرِبَ الأَقْصَى.

ولَمَّا مَلَكَ لَمْتُونَةُ والمُوَحِّدُونَ مِن بَعدِهِم لَحِقَ الظَّوَاعِنُ مِنهُم بالقَفْرِ، فاختَلَطُوا بأحْيَاءِ بَنِي مَرِينَ المُوالِينَ لتُلُولِ المَغْرِبِ مِنْ زَنَاتَةَ، وأقامُوا مَعَهُم في أحْيَائِهِم، وبَقِيَ مَنْ عَجَزَ عَنِ الظَّعْنِ مِنهُم بمَوَاطِنِهِم، مِثْلَ بَنِي وَطَاط وغيرِهِم، ففُرِضَتْ عَلَيهِم المَغَارِمُ والجِبَايَات. ولَمَّا دَخَلَ بَنُو مَرِينَ لِلمَغْرِبِ سَاهَمُوهُم في اقتِسام أعْمَالِه، وأقْطَعُوهُم البَلَدَ الطَّيِّبَ مِن ضَوَاحِي سَلَا والمَعْمُورَة زِيَادَةً إلى / وَطَنِهِم الأوّل بمَلْوِيّة، وأنزَلُوهُم بنَواحِي سَلَا بَعْدَ أنْ كَانَ مِنهُم انحِرَافٌ [46 أ]

عنهُم في سَبِيلِ المُدَافَعَةِ عَنْ أوْطَانِهم الأولى. ثُمَّ أصْحِبُوا ورَعَى لَهُم بَنُو عَبْدِ الحَقّ سابِقَتَهم مَعَهُم، فاصْطَفَوْهم للوِزارَة والتَّقَدُّمِ في الحُرُوبِ، ودَفَعُوهُم إلى المُهِمَّاتِ وخَلَطُوهم بأنفُسِهم.

وكَانَ مِنْ أكَابِرِ رِجالاتِهم لعَهْدِ السُّلطانِ أبي يَعْقُوبَ وأخِيهِ أبي سَعِيد الوزيرُ إبراهيمُ بنُ عيسَى، اسْتخلَصُوهُ للوِزارَةِ مرَّةً بَعدَ[أ] أخرَى. واسْتَعْمَلَهُ السُّلطانُ أبو سَعِيد عَلَى وِزارةِ ابنِهِ أبي عَلِيّ، ثُمَّ لوِزَارَتِهِ. واسْتَعْمَلَ ابنَهُ السُّلطانُ أبو الحَسَن أبْنَاءَ إبراهيمَ هَذَا في أكَابِرِ الخِدَمِ[ب] فعَقَدَ لمَسْعُود بنِ إبراهيم عَلَى أعْمَالِ السُّوس عِندَمَا فَتَحَها أعْوامَ الثَّلاثِينَ وسَبْعِ مائَة. ثُمَّ عَزَلَهُ بأخِيهِ حَسُّون، وعَقَدَ لمسْعُود عَلَى بِلادِ الجَرِيدِ مِنْ إفْرِيقِيَّةَ عِنْدَ فَتْحِهِ إيَّاهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وأربعِينَ، وكَانَ فِيهَا مَهْلَكَهُ. ونَظَمَ أخَاهُمَا مُوسَى في طَبَقَةِ الوُزَرَاءِ، ثُمَّ أفرَدَهُ بِهَا أيَّامَ نَكْبَتِه ولَحَاقِهِ بجَبَلِ هَنْتَاتَةَ. واسْتَعْمَلَهُ السُّلْطانُ أبُو عِنَان بَعدَهُ في العَظِيماتِ. وعَقَدَ لَهُ عَلَى أعْمَالِ سَدْوِيكش[ج] بنَواحِي قُسَنْطِينَة. ورَشَّحَ ابنَهُ مُحمَّدَ السُّبَيْعِ لوِزارتِهِ إلى أنْ هَلَكَ، وتَقَلَّبَتْ بِهِم الأيَّامُ بَعدَه. وقَلَّدَ عَبْدُ الحَلِيمُ[د] المَعْرُوفُ بحَلِّي ابنُ السُّلطانِ أبي عَلِيّ وِزَارَتَهُ مُحمَّدَ السُّبَيْعِ هَذَا أيَّامَ حِصَارِهِ لدَارِ مُلكِهِم سَنَةَ اثنَتَيْنِ وسِتِّينَ كَمَا نَذْكُرُهُ في أخْبَارِهِم، فَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُمُ الظَّفَرَ، ثُمَّ رجَعَ السُّبَيْعِ بَعدَها إلى مَحَلِّهِ من دَارِ السُّلطانِ وطَبَقَةِ الوِزَارةِ، ومَا زَالَ يَتصرَّفُ في الخِدَمِ الجَليلَةِ والأعْمَالِ الواسِعَةِ ما بَيْنَ سِجِلْمَاسَةَ ومَرَّاكُش وأعْمَالِ تازَى وتادْلاَ وغُمَارَة، وهُوَ عَلَى ذلِكَ لهَذَا العَهْدِ. واللهُ وارثُ الأرضِ ومَنْ عَلَيْهَا.

(أ) سقط من ص (ب) ص: الخدمة (ج) أ: بكاف مُثلثة بالجيم: سدويكش، وفي أ ظ بفتح الكاف
(د) ظ: عبد الحكيم، والصواب ما أثبتناه.

• / الخبرُ عن وَجْدِيجَن وأُوغَمَرْتْ من قبائلِ زَناتَة، ومَبادِئ أحوالهم وتصاريفها [46 ب]

قَدْ تَقدَّمَ أنَّ هَذَين البَطْنَين(أ) مِنْ بُطُونِ زَنَاتَة مِنْ وَلَدِ وَرْتَنِيص بن جَانَا، وكَانَ لهم [عَدَدٌ](ب) وقُوَّةٌ، ومَوَاطِنُهُم مُفتَرِقَةٌ في بِلادِ زَناتَة. فأمَّا وَجْدِيجَن فكَانَ جُمْهُورُهم بالمَغرِبِ الأَوْسَط ومَوَاطِنُهم مِنْهُ مَنْدَاس(ج)، مَا بَيْنَ بَنِي يَفْرَن مِنْ جانبِ الغَرْبِ(د)، ولَوَاتَة مِنْ جَانِبِ القِبلَةِ مِن(هـ) السَّرْسُو، ومَطْمَاطَة في جانِبِ الشَّرْقِ في وَانْشَرِيس. وكَانَ أميرُهُم لعَهْدِ يَعْلَى بن محمد اليَفْرَنِيّ رَجُلٌ مِنْهُم اسْمُه عِنَان. وكَانَتْ بَيْنَهُم وبَيْنَ لَوَاتَةَ المُوطِنِينَ السَّرْسُو فِتْنَةٌ مُتَصِلَةٌ يُذكَرُ أنَّها بِسَبَبِ إمْرأةٍ من وَجْدِيجَن نُكِحَتْ في لَوَاتَة، وتَلاحَى[1] مَعَهَا نِسَاءُ قَيْطُونِهم فعَيَّرْنَها بالفَقْرِ، فكَتَبَتْ بذلِكَ إلى عِنَانٍ تُذَمِّرُه، فغَضِبَ واستَجَاش بأهلِ عَصَبِيَّتِه مِنْ زَنَاتَةَ وجِيرانِهِ. فزَحَفَ مَعَهُ يَعْلَى في بَنِي يَفْرَنَ وكِلْمَام بن حَيَاتِي في مَغِيلَة وعَزَّانَة في مَطْمَاطَة.

ودَارَت الحربُ بينَهُم وبَيْنَ لَوَاتَةَ مَلِيًا، ثُمَّ غَلَبُوا لَوَاتَةَ على بِلادِ السَّرْسُو. وانتَهَوا بِهِم إلى كُدْيَةِ العَابِدِ مِن آخِرِها. وهَلَكَ عِنَانُ شيخُ وَجْدِيجَن في بعضِ تِلكَ الوَقَائع بمَلاكُو من جِهاتِ السَّرْسُو. ثُمَّ لَجَأت لَوَاتَةُ إلى جَبلِ كَرِيكَرَة قِبلَةَ السَّرْسُو. وكَانَ يَسكُنُه أحيَاءٌ مِنْ مَغْرَاوَةَ يُعرفُ شيخُهم لذلِكَ العَهدِ عَلَاهُم رَبِيبٌ لشَيْخِهِم عُمَر بن تَامَصَا الهَالِكِ قَبْلَهُ. ومَعنَى تَامَصَا بلِسانِ البَرْبَرِ الغُول. ولَمَّا لَجأت لَوَاتَةُ إليهِ غَدرَ بِهِم، وأغرَى قَوْمَه فوضَعُوا أَيْدِيَهُم فيهم سَلْباً

(أ) في الأصول: هنان البطنان (ب) سقط من ظ (ج) أ: بفتح الميم (د) أ: المغرب (هـ) ص: في .

---

(1) تلاحَى القومُ تلاحِيًا: تلاعنوا وتلاوموا.

وقتلاً، فلاذُوا بالفِرارِ ولَحِقُوا بجَبلِ يغود(أ) وجَبلِ دَرّاك. فاستقرّوا هُنالِكَ آخِرَ الدّهرِ. ووَرِثَتْ وَجْدِيجَن مَواطِنَهم يَتداس إلى أنْ غَلبَهُم علَيْها بَنُو يَلُومِي [147 أ] وبَنُو / وُمَانُو كلٌّ من جِهَتِهِ. [وعَلى بَنِي يَلُومِي لذلِكَ العَهْدِ سيدُ النّاس بنُ أميرِ النّاس صاحِبُ الجَعْبَات، وبنو وُمَانُو مِنَ الجانبِ الآخرِ. وعلى بَنِي مَرِينَ بنُ غَنُو، وعلى بَنِي عَبْد الوَاد، وهُم أبْت القَاسم، ءاعَدْوِي بن إكْتِيتَن. وعلى بَني رَاشدِ يُوسُف بن تَكْفَنَار](ب). ثُمّ غَلبَ الآخرِينَ عَلَيْها بنو عَبْد الوَاد وبنو [تُوجِّين](ج) إلى هَذا العَهدِ. واللهُ وارثُ الأرضِ ومَن علَيها.

و[أمّا](د) أُوغَمَّرت، ويُسَمُّونَ لهذا العَهْدِ غُمَّرت، وهُمْ إخوةُ وَجْدِيجَن مِنْ ولدِ وَرْتَنِيص بن جَانَا كما قُلْناه، فكَانُوا مِن أوفرِ القبائِلِ عَدَداً. ومَوَاطِنُهم مُتَفَرِّقَةٌ [وجُمْهورُهُم](هـ) بالجِبالِ إلى قِبلَةِ بِلادِ صِنْهَاجَةَ مِنَ المُسْتَلِ إلى الدّوسَن. وكَانَ لَهُم مَعَ أبي يَزيدِ صاحِبِ الحِمارِ في الشّيعَةِ آثارٌ، وأوقَعَ بهم إسْمَاعِيلُ عِندَ ظُهورِهِ علَى أبي يزيدِ وأثْخَنَ فِيهِم، وكذَلِكَ بُلُكّين وصِنْهَاجَةُ من بَعدِهِ.

ولَمّا افتَرَقَ أمرُ صِنْهَاجَةَ لحَمّادٍ وبَنِيهِ كَانُوا شِيَعاً لهُم على بَنِي بُلُكّين. ونَزَعَ عن حَمّاد أيّامَ فِتْنَةِ ابن أبي حَلِّي من مَشْيَخَتِهِم، وكَانَ مُخْتصّاً به، فنَزَعَ إلى بَادِيس، فوَصلَهُ وحَمَلَ أصْحابَهُ، وعَقَدَ له على طُبْنَةَ وأعْمَالِها. حتّى إذا جَاءَ العَربُ الهِلالِيّونَ وغَلبُوهُم علَى الضَّواحِي، اعتَصَمُوا بتِلكَ الجِبَالِ قِبلَةَ المْسِيلَةِ وبلادِ صِنْهَاجَة، وقَعَدُوا بِهَا عَنِ الظّعْنِ، وتَرَكُوا القَيْطُونَ إلى سُكْنَى المَدرِ. ولَمّا تَغَلّبَ الذّوَاوِدَةُ على ضَواحِي الزّابِ ومَا إلَيْها، أقْطَعَتْهُم الدّولَةُ مَغارِمَ هَذِهِ الجِبالِ التي لغَمَّرت. وهُم لهَذا العَهدِ في سُهْمَانِ أولَادِ يَحْيَى بنِ عَلِي بنِ سِبَاع مِن بُطونِهِم.

(أ) ص: لغود (ب) من حاشية أ بخط ابن خلدون، وسقطت من أ ص (ج) في الأصول: توجّن (د) ظ: ولما
(هـ) من ص، أ، وفي ظ فراغ.

وكَانَ فِي القَدِيمِ من غُمُّزت هؤلاء كاهِنُ زَنَاتَةَ مُوسَى بن صَالِح، مَشهورٌ عِندهُم حتَّى الآنَ. ويتناقلُونَ بينَهم كَلِمَاتِهِ برَطَانَتِهم على طَرِيقِ الرَّجزِ، فِيها أخبارٌ بالحِدْثَانِ فِيمَا يكونُ لهذا الجيلِ الزَّنَاتِيِّ من المُلْكِ والدَّوْلَةِ والتَّغَلُّبِ عَلَى الأحْياءِ والقَبائِلِ والبُلدَانِ، تَشهدُ كَثِيرٌ مِن الوَاقِعَاتِ عَلَى وَفْقِهَا بِصِحَّتِها، حتَّى لَقَد نَقَلُوا مِن بَعضِ كَلِمَاتِهِ مَا مَعْنَاهُ بالِلّسَانِ / العَرَبِيِّ أنَّ [47 ب] تِلِمْسَانَ يَنالُهَا الخَرابُ، وتَصِيرُ دُورُهَا فُدُناً حتَّى يُثِيرَ أرضَها حَرّاثٌ أسودُ بثَوْرٍ أسودَ أعورَ. وذَكَرَ الثِّقَاتُ أنَّهم عَايَنُوا ذَلِكَ بَعدَ انْتِشَارِ كَلِمَته[أ] هَذِهِ أيَّامَ لَحِقَهَا الخَرابُ في دَوْلَةِ بَنِي مَرِينَ الثَّانيةِ سِنِي ستِّينَ وسبع مائة. وأفرطَ الخِلافُ مِن أهْلِ هذا الجيلِ الزَّنَاتِيِّ في التَّشْبِيعِ[ب] لهُ والحَمْلِ عَلَيهِ، فَمِنْهُم مَن يَزْعُمُ أنَّه وَلِيٌّ أو نَبِيٌّ، وآخَرُونَ يقُولُونَ كَاهِنٌ شَيطَانٌ، ولَم تُوقِفْنَا الأخْبَارُ الصَّحِيحَةُ على الجَلِيِّ من أمْرِهِ، واللهُ أعلم.

• الخبرُ عن بنِي وَارَكلا[1] من بُطون زَنَاتَة والمِصْر المَنسُوب إليهم بصَحْراءِ إفرِيقِيّة، وتصارِيفُ أحوالِهم

هَؤلاءِ إحْدَى بُطُونِ زَنَاتَةَ كَمَا تَقَدَّمَ، من ولدِ فَرِينِي بن جَانَا، وقد مَرَّ ذِكْرُهُم، وأنَّ إخوتَهم يَزْمَرْتِنَ ومنجصَةَ وسَبَرْتَرَةَ ونَمَالتَة، والمَعْرُوفُونَ لهَذَا العَهْدِ مِنهُم بَنُو وَارْكَلَا. وكَانَت فِئَتُهم قَلِيلَةٌ، وكَانَت مَوَاطِنُهم قِبلَةَ الزَّابِ، واخْتَطُّوا المِصْرَ المَعْروفَ بِهِم لهذا العَهْدِ عَلَى ثَمَانِي مَرَاحِلَ [مِن][ج] بِسْكَرَةَ فِي القِبْلَةِ

(أ) أ: كلماته (ب) أ: التشيع (ج) من أ ص .

(1) وارَكلا كذا ورد ضبطها في (أ 22ب)، وتُكتب في هذا الجزء أيضا بالألف المقصورة: وارَكلى، فأبقيناها على الهيئة التي ترد بها لاحقًا.

عَنْهَا مُيَامَنَةً إلى المَغْرِبِ. بَنَوْهَا قُصوراً مُتَقَارِبَةَ الخِطَّةِ، ثُمَّ اسْتَبْحَرَ عُمْرَانُهَا فَأْتَلَفَتْ وصَارَتْ مِصْراً. وكَانَ مَعَهُم هُنَالِكَ جَمَاعَةٌ مِن بَنِي زَنْدَاكَ مِن مَغْرَاوَةَ. وإِلَيهِم كَانَ هَرَبُ أبي(أ) يَزِيدَ النُّكَّارِيِّ عِندَ فِرارِهِ مِن الاعْتِقَالِ(1) سَنَةَ خَمْسٍ وعِشْرِينَ وثَلاثِ مائَةٍ. وكَانَ مُقَامُهُ بَينَهُم سَنَةً، يَخْتَلِفُ [إلى](ب) بَنِي بَرْزَال بِسَالاَت، وإلى قَبَائِلِ البَرْبَرِ بجَبَلِ أوْرَاس، يَدْعُوهُم جَميعاً إلى مَذْهَبِ النُّكَّارَةِ، إلى أنِ ارْتَحَلَ إلى أوْرَاس. واسْتَبْحَرَ عُمْرَانُ هذا المِصْرِ، واعْتَصَمَ به بَنُو وَارْكَلا هَؤلاءِ والكَثِيرُ مِن ظَوَاعِنِ زَنَاتَةَ عِندَ / [48 أ] غَلَبِ الهِلاَلِيِّينَ إيَّاهُم عَلَى المَوَاطِنِ، واخْتِصَاصِ الأثْبَجِ بضَوَاحِي القَلْعَةِ والزَّابِ ومَا إلَيهَا.

ولَمَّا استَبَدَّ الأميرُ أبو زَكَرِيَّاءَ بنُ أبي حَفْصٍ بمُلكِ إفْرِيقِيَّةَ، وجَالَ في نَوَاحِيهَا في إتْبَاعِ ابنِ غَانِيَةَ، مرَّ بهذا المِصْرِ فأعْجَبَهُ، وكَلِفَ بالزِّيَادَةِ في تَمْصِيرِهِ، فاخْتَطَّ مَسجِدَهُ العَتيقَ ومِئْذَنَتَهُ المُرْتَفِعَةَ، وكَتَبَ عَلَيهَا اسْمَهُ وتَارِيخَ وَضْعِهِ نَقْشاً في الحِجَارَةِ. وهَذَا البَلَدُ لِهَذَا العَهْدِ بَابٌ لوُلوجِ السَّفْرِ مِن الزَّابِ إلى المَفَازَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ المُفْضِيَةِ إلى بِلادِ السُّودَانِ، يَسلُكُهَا التُّجَّارُ(ج) الدَّاخِلُونَ إلَيهَا بالبَضَائِعِ. وسُكَّانُهُ لِهَذَا العَهْدِ مِن أعْقَابِ بَنِي وَارْكَلا وأعْقَابِ إخْوانِهِم مِن بَنِي يَفْرَن ومَغْرَاوَةَ. ويُعرَفُ رئِيسُهُ باسْمِ السُّلطانِ شُهْرَةً غَيرَ نَكِيرَةٍ بَينَهُم، ورِئَاسَتُهُ لِهَذِهِ الأعْصَارِ مَخْصُوصَةٌ ببَنِي أبي غُبُول(د). ويَزْعُمُونَ أنَّهُم مِن بَنِي وَاكِين(هـ) إحْدَى بُيُوتِ بَنِي وَارْكَلا. وهُو لِهَذَا العَهْدِ أبو بَكْر بنُ مُوسَى ابنِ سُلَيْمَانَ من بَنِي أبي غُبُول، ورِئَاسَتُهُم مُتَّصِلَةٌ في عَمُودِ هَذَا النَّسَبِ.

(أ) في ص: بن أبي (ب) من أ، وسقط من ظ ص (ج) أ: التَّجْر (د) أ: غُبُولْ (هـ) الضبط من أ.

---

(1) تقدم خبر اعتقاله مفصلا في " الخبر عن أبي يزيد الخارجي" (11أ -) ص 19-.

وعَلى عِشرِينَ مَرْحَلَةً مِن هذا المِصْرِ في القِبْلَةِ مُنحَرِفاً إلى الغَرْبِ[ا] بِيَسِيرٍ، بَلَدُ تَكدَّة[ب] قاعِدَةُ وطنِ المُلَثَّمين[ج] ورِكَابُ الحَاجِّ مِن السُّودانِ. اختَطَّهُ المُلَثَّمونَ[د] مِن صِنْهَاجَةَ، وهُم سَاكنُوه لهَذا العَهدِ. وصاحِبُهُ أميرٌ مِن بُيُوتاتِهم يُعَرِّفُونَهُ باسْمِ السُّلطَان، وبَيْنَهُ وبَيْنَ أميرِ الزَّاب مُراسَلَةٌ ومُهاداةٌ. ولقَد قَدِمْتُ على بِسْكَرَة سَنةَ أربعٍ وخَمْسين أيّامَ السُّلطَانِ أبي عِنَانٍ في بَعضِ الأغْرَاضِ المُلُوكِيَّةِ، ولقِيتُ رَسُولَ صَاحِب تَكدَّة عِندَ يُوسُف بنِ مُزْنِي أميرِ بِسْكَرَة. وأخْبَرنِي عَن اسْتِبْحَارِ هذا المِصْر في العِمَارَةِ ومُرُورِ السَّابِلَةِ. وقَالَ لِي: اجْتازَ بِنَا في هَذَا العَامِ سَفْرٌ مِن تُجَّارِ المَشْرِقِ إلى بَلَدِ مَالِي كَانَت رِكَابُهم اثْنَي عَشَرَ أَلفَ / راحِلَة. وذَكَر لِي غَيرُهُ أنَّ ذَلكَ هُو الشَّأنُ في كلِّ سَنةٍ. [48 ب] وهَذَا البَلَدُ في طَاعَةِ سُلْطَانِ مَالِي مِن السُّودانِ كما في سَائِرِ تِلكَ البِلادِ الصَّحْراوِيَّةِ المَعرُوفَةِ بالمُلَثَّمينَ لهَذا العَهْدِ. واللهُ غَالبٌ عَلَى أمْرِهِ.

• الخبرُ عن دَمَّر مِن بُطون زَنَاتَة، ومن وَلِيَ منهم بالأَندَلُسِ، وأوَّليةُ ذلك ومَصايِرُه

بنُو دَمَّر هَؤلاءِ مِن زَنَاتَة، وقد تَقَدَّمَ أنَّهم مِن وَلَدِ وَرْسِيك بن أَدِّيدَت بنِ جَانَا، وشُعوبُهم كَثِيرةٌ. وكَانَت مَوَاطِنُهم بإفرِيقِيَّة في نَواحِي طَرَابُلُسَ وجِبالِها، وكَانَ مِنْهم آخَرُونَ ظَواعِنُ بالضَّواحِي مِن عَربِ إفرِيقِيَّةَ. ومِن بُطُونِ أيدَمَّر هؤلاءِ بَنُو وَرْغَمَّة، وهُم لهذا العَهدِ مع قَوْمِهِم بجِبالِ طَرَابُلُس. ومِن بُطُونِهم أيضا بَطْنٌ مُتَّسِعٌ كَثِيرُ الشُّعوبِ، وهُم بَنُو وَرْتَنَّد بن وَانْتَن بن وارْدِيرَن

(ا) ص: المَغْربْ (ب) مهملة في ظ ص، والضبط من أ (ج) ظ، ص: المتلثمين (د) ظ، ص: المتلثمون.

ابن دَمَّر. وأنَّ مِن شُعوبِهِم بَني وزتاتين وبَني غَرزُول وبَني تفُوزت. ورُبّما يُقال إنَّ هَؤلاءِ الشُّعوبَ لا ينتَسِبُون إلى دَمَّر مِن وَرزَنْد كما تَقدَّم. وبقايا بَني وَرزَنْد لِهَذا العَهدِ بالجَبلِ المُطِلِّ على تِلِمْسَان بَعْدَ أن كانُوا في البَسيطِ قِبَلتَهُ، فزَحَمَهُم بنو رَاشِدٍ حِينَ دُخُولِهِم مِن بِلادِهِم بالصَّحراءِ إلى التَّلِّ. وغَلبُوهُم عَلى تِلكَ البَسائِطِ، فانْزاحُوا إلى الجَبَلِ المَعرُوفِ بِهِم لِهَذا العَهدِ وهو المُطِلُّ على تِلِمْسَان.

وكَانَ قد أجازَ إلى الأَندَلُسِ مِن أَيدَمَّر هَؤلاءِ أعيانٌ ورِجَالاتٌ حَرْبٍ فِيمَن أجَازَ إليها مِن زَنَاتَة وسَائِرِ البَرْبَرِ أيّامَ أخْذِهِم بِدَعْوةِ الحَكَمِ المُسْتَنْصِرِ، فضَمَّهُم السُّلطانُ إلى عَسْكَرِهِ، واسْتَظْهَرَ بِهِم المَنْصُورُ بن أبي عَامِرٍ من بَعْدِ ذلكَ عَلَى شَأنِهِ، وقَرَى[1] بِهِم المُسْتَعِينُ / أديمَ دَولَتِهِ. [149أ] ولَمَّا اعْصَوْصَبَ البَرْبَرُ على المسْتَعينِ • وبَني حَمُّود مِن بَعدِهِ، وغَالبُوا جُنودَ الأَندَلُسِ من العَرَبِ، وكَانَت الفِتْنَةُ الطَّويلَةُ بَينَهُم الَّتي نَثَرتْ سِلكَ الخِلافَةِ وفَرَّقَت شَمْلَ الجَماعَةِ، واقتَسَمُوا خِطَطَ المُلْكِ ووِلاياتِ الأعْمالِ. وكَانَ مِن رِجَالاتِهِم نُوحٌ الدَّمَّري، وكَانَ مِن عُظَمَاءِ أصْحَابِ المَنْصُور، ووَلّاهُ المُستَعينُ أعْمَالَ • [أ] مَوْرُور وأُرْكُش، فَاسْتَبَدَّ بها سَنَةَ أربعٍ في غِمَارِ الفِتْنَةِ. وأقامَ بها سُلطاناً لنَفسِه، إلى أنْ هَلَكَ سَنَةَ ثلاثٍ وثلاثينَ، فوُلِّيَ ابنُه أبو مِنَاد محمد ابن نُوح، وتلقَّبَ بالحاجِبِ عِزّ الدّولةِ لِقَبَيْنٍ في قَرْنٍ شَأْنَ مُلوكِ الطَّوائفِ. وكَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ ابنِ عَبَّادٍ صَاحِبِ غَرْبِ الأَندَلُس خُطُوبٌ.

(أ) ما بين النجمين مستدرك في حاشية ظ بخط المؤلف

---

(1) قرَى يقرِي: أضاف، وعلى المجاز كأنما جمعهم وأضافهم لأرض بلاده.

ومَرَّ المُعتضِدُ فِي بَعْضِ أسفارِهِ بِحِصْنِ أُرْكُش، وتَطوَّفَ بِهِ مُختفِياً، فتقبَّضَ عليهِ بَعضُ أصْحَابِ ابْن نُوحٍ وَسَاقَهُ إِلَيْهِ، فخلَّى سَبِيلَهُ وأوْلاهُ كَرامَةً احتَسَبَهَا عِنْدَهُ يَداً، وذَلِكَ سَنَةَ ثَلاثٍ وأرْبَعِينَ، فانْطَلَقَ إلى دَارِ مُلكِهِ. وَرَجَعَ بَعْدَهَا إلى وِلايةِ المُلوكِ الّذين حَوْلَهُ مِن البَرْبَرِ، وأسْجَلَ لابْنِ نُوحٍ هَذَا عَلَى عَمَلِهِ أُرْكش ومَوْرُور فِيمَن أسْجَلَ لَه مِنهُم، فصَارُوا إلى مُخالصَتِهِ إلى أنِ اسْتدْعَاهُم سَنَةَ خمسٍ وأربعينَ بَعدَها إلى صَنيعٍ دَعَا إِلَيْه الجَفَلَى[1] مِن أهلِ أعْمالِهِ. واختصَّهُم بدُخولِ حمَّامٍ أعدَّهُ لَهُم اسْتِبْلاغاً فِي تَكْرِيمِهِم، وتَخلَّفَ ابنُ نوحٍ عِندَهُ مِنْ بَيْنِهِم. فلَمَّا حَصَلُوا داخِلَ الحَمَّامِ أطْبَقَهُ عَلَيْهِم وسَدَّ المَنافِسَ لِلْهَواءِ دُونَهُم إلى أنْ هَلَكوا. ونَجَا مِنها ابنُ نوحٍ لسَالفَةِ يَدِهِ، وطَيَّرَ فِي الحِينِ مَن تَسَلَّمَ مَعاقِلَهُم وحُصُونَهم فانْتَظمَهَا فِي أعْمالِهِ، وكَانَ مِنها رُنْدَة وشَرِيش وسائرُ أعمالِهَا.

وهَلَكَ مِن بعدِ ذلكَ الحَاجِبُ أبُو مَنَادِ بنِ نُوحٍ سنةَ.....(۱)، ووَلِي ابنُه أبُو عَبْدِ اللهِ. ولَمْ يَزَلِ المُعتَضِدُ يُضايقُهُ إلى أنِ انخَلَعَ لَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وخَمْسِينَ فانْتَظمَهَا فِي أعْمالِهِ، وَصَارَ إلَيْهِ مُحمَّدُ بنُ أبِي مَنَادٍ إلَى أنْ هَلَكَ سَنَة ثَمَانٍ وسِتِّينَ، وانقَرضَ مُلْكُ بَنِي نُوحٍ، والبَقاءُ للهِ وَحدَه.

(۱) فراغ قدر كلمتين في الأصول.

---

(1) الجفلى: أن تدعو النّاس إلى الطعام دعوة عامة من غير تخصيص.

ابو عبد الله ابن الصاحب ابي مناد محمد بن نوح الامير

[أمراء بني أيتمّر]

• / الخَبَرُ عن بَرْزال إحدى بُطونِ بني دَمَّر، ومَا كانَ لَهم مِن المُلْكِ بِقَرْمُونة وأعْمالها من الأنْدَلس أيام الطوائفِ، وأوّلية ذلك ومَصائرُهُ [150]

قَدْ تَقَدَّمَ لنا أنَّ بَني بَرْزَال هَؤلاءِ مِن ولدِ وَرْنِيدِين[أ] بنِ وَانَّتَن بن وَارْدِيرَن بنِ دَمَّر كَمَا ذَكَرَهُ ابنُ حَزم[1]، وَأنَّ إخوتَهم بَنُو يَصْدَرِين وبَنُو صَغْمَار وبَنُو يَطُوفت. وكَانَ بَنُو بَرْزَال هَؤلاء بِإفرِيقِيَّة، وكَانَت مَوَاطِنُهم مِنْها جَبَلَ سَالات ومَا إلَيْهِ مِنْ أعْمَال المَسِيلَةِ. وكَانَ لَهُم ظُهورٌ ووُفورُ عَدَدٍ، وكَانُوا نَكَّارِيَّةً مِن فِرقِ الخَوَارِجِ. ولَمَّا فَرَّ أبُو يَزِيد أمَامَ إسْمَاعِيلَ المَنْصُورِ، وبَلَغَهُ أنَّ مُحمَّدَ بنَ خَزَر يَتَرَصَّدُ لهُ، أجْمَعَ الاعْتِصَامَ بسَالات وَصَعدَ إليهِم. ثُمَّ أرْهقَتْهُ عَسَاكِرُ المَنْصُورِ فانْتَقَلَ عَنْهُم إلى كِيَانَة[ب]، وكَانَ مِن أمرِه ما قدَّمناهُ.

ثُمَّ اسْتَقَامَ بنو بَرْزَال عَلَى طَاعَةِ الشِّيعةِ، ومُوَالاةِ جَعْفَرِ بنِ عَلِيِّ بنِ حَمْدُونَ صَاحِبِ المَسِيلَةِ والزَّاب، حتَّى صَارُوا لَه شِيَعا. ولَمَّا انْتَقَضَ جَعْفَرُ عَلَى مَعَدٍّ سَنَةَ سِتِّينَ وثَلاثِ مائَة، كَانَ بَنُو بَرْزَال هَؤلاء في جُمْلتِهِ ومِنْ أهْلِ خُصُوصِيَّتِهِ. فأجَازُوا مَعَهُ البَحْرَ إلى الأنْدَلُسِ أيَّامَ الحَكَمِ المُسْتَنْصِر، فَاسْتَخْدَمَهُم ونَظَمَهُمْ في طَبَقَاتِ جُنْدِهِ، إلَى مَن كَانَ لَحِقَ بِهِ مِنْ قَبَائِلِ زَنَاتَة وَسَائِرِ البَرْبَر أيَّامَ أخْذِهِم بالدَّعْوةِ الأُمَوِيَّةِ ومُحَارَبَتِهِم عَلَيْهَا للأدارسَةِ، فَاسْتقرُّوا جَمِيعاً بالأنْدَلُسِ، وكَانَ لبَني بَرْزَالَ مِنْ بينِهِمْ ظُهُورٌ وغَنَاءٌ مَشْهُورٌ.

(أ) أ: وزبند (ب) ص: كتامة.

---

(1) الجمهرة 498

ولَمّا أرادَ المَنصورُ [بنُ][ا] أبي عامِرٍ الاستِبدادَ عَلى خَليفَتِهِ هِشام، وتَوقَّعَ النَّكيرَ مِن رِجالِ الدَّولةِ ومَوالِي الحَكَم، / اسْتَكْثَرَ بِبَني بَرْزال وغَيْرِهِم من البَرْبَرِ وأفاضَ فِيهِم الإحْسانَ، فاعْتَزَّ أمْرُهُ واشْتَدَّ أزْرُه حَتَّى أسْقَطَ رِجالَ الدَّولةِ ومَحَا رُسُومَها وأثْبَتَ أركَانَ سُلطانِهِ. ثُمَّ قَتَلَ صَاحِبَهم جَعْفَرَ بنَ يَحْيَى كَما ذَكَرناهُ خَشيةَ عَصَبِيَّتِهِ [بهم][ب]، واسْتَمالَهم مِنْ بَعدِهِ فأصْبَحُوا لهُ عَصَبِيَّةً. وكَانَ يَستعمِلُهم في الوِلاياتِ النَّبيهةِ والأعْمالِ الرَّفيعةِ. وكَانَ مِنْ أعيانِ بَني بَرْزال هؤلاءِ إسْحَاق ابن....[ج] فَوَلَّاهُ قَرْمُونَةَ وأعْمالَها، فَلم يَزَلْ وَالِيًا عَلَيْها أيّامَ بَني أبي عامِر. وجدَّدَ لهُ العَقْدَ عَلَيْها المُسْتَعِينُ في فِتْنةِ البَرابِرَةِ، ووَلِيها مِنْ بَعدِهِ ابنُهُ عَبْدُ اللهِ.

ولَمّا انْقَرضَ مُلكُ بَني حَمُّود من قُرْطُبَة، ودَفعَ أهلُها القاسِمَ المأمُونَ عَنهُم سَنةَ أرْبَعَ عَشْرةَ، أرَادَ اللَّحاقَ بإشْبِيلِيَةَ وبِهَا نَائبُه مُحَمَّدُ بنُ أبي زيري، مِنْ وُجُوهِ البَرْبَر، وبقَرمُونَةَ عبدُ اللهِ بن إسْحَاق البَرْزالِي، فدَاخَلَهُما القَاضِي ابنُ عَبّاد في خَلْعِ طَاعةِ القاسِمِ وصَدِّه عنِ العَمَلَيْنِ، فأجَابَا إلى ذَلِك. ثُمَّ دسَّ للقاسِمِ بالتَّحذِيرِ مِنْ عَبْدِ اللهِ بن إسْحَاق، فعدَلَ القَاسِمُ عَنْهُم جَمِيعاً إلى شَرِيش، واسْتَبَدَّ كُلٌّ مِنهُم بعَمَلِهِ. ثُمَّ هَلَكَ عَبْدُ اللهِ من بَعدِ ذلِكَ، ووَلِي ابنُه مُحَمَّدٌ سنةَ......[د]. وكَانَت بَيْنَهُ وبَيْنَ المُعتضِدِ بنِ عَبَّادٍ حَرْبٌ، وظَاهَرَ عَلَيْه يَحْيَى ابن عَلِي بنِ حَمُّود في مُنازَلَةِ إشْبِيلِيَّةَ سنةَ ثَمانِ عَشْرةَ، ثُمَّ اتّفَقَ مَعَهُ ابنُ عَبّادٍ بَعدَها وظَاهَرَه على عَبْدِ اللهِ بنِ الأفْطَس، وكَانَت بَيْنَهُما حَرْبٌ كَانَتِ الدَّبْرَةُ فِيهَا على ابنِ الأفْطَس، وتَحَصَّلَ ابنُهُ المُظَفَّر قَائِدُ العَسْكَرِ في قَبْضَةِ مُحَمَّد بنِ عبدِ الله بنِ إسْحاق، إلى أنْ مَنَّ عَلَيْه بَعدَ ذَلكَ وأطْلَقَهُ.

(ا) سقط من ظ ص (ب) سقطت من ظ (ج) فراغ قدر كلمة في الأصول (د) فراغ قدر كلمتين في الأصول.

ثُمّ كانت الفِتْنَةُ بَيْنَ مُحَمَّد بنِ إسْحاق وبَيْنَ المُعْتَضِد. وأغارَ إسْماعِيلُ بنُ المُعْتَضِدِ عَلَى قَرْمُونَة في بَعْضِ الأيّامِ بَعْدَ أنْ كَمَّنَ الكَمائِنَ من الخَيّالةِ والرَّجْلِ. ورَكِبَ إليه مُحَمَّدٌ في قَومِهِ، / فَاسْتَطْرَدَ لَهُم إسْماعِيلُ إلى أنْ بَلَغُوا الكَمائِنَ، [51 آ] فثارُوا بِهِم وقُتِلَ مُحَمَّدُ البَرْزالي، وذَلِكَ سَنَةَ أرْبَعٍ وثلاثينَ. وَوَلِيَ ابنُهُ العَزِيزُ ابن مُحَمَّد، وتَلَقَّبَ بالمُسْتَظْهِر مُتاغِيًا في ذَلِكَ لِمُلُوكِ الطّوائِفِ لِعَهْدِهِ. ولم يَزَلِ المُعْتَضِدُ يَسْتَولِي على غَرْبِ الأنْدَلُس شَيْئاً فَشَيْئاً إلى أنْ ضَايَقَهُ في عَمَلِ قَرْمُونَة، واقْتَطَعَ مِنْهَا [إسْتِجّة][1] والمُدَوَّر، ثُمّ انْخَلَعَ لَهُ العَزِيزُ عَن قَرْمُونَة سنةَ تِسْعٍ وخَمْسِينَ، ونَظَمَها المُعْتَضِدُ في مَمَالكِهِ. وانقَرَضَ مُلْكُ بَنِي بَرْزال مِنَ الأنْدَلُس، ثُمّ انقرَضَ بَعدَ ذَلِكَ حَيُّهُم من جَبَلِ سَالاَتِ، وأصْبَحُوا في الغَابِرِينَ، والبَقَاءُ للهِ وحْدَهُ.

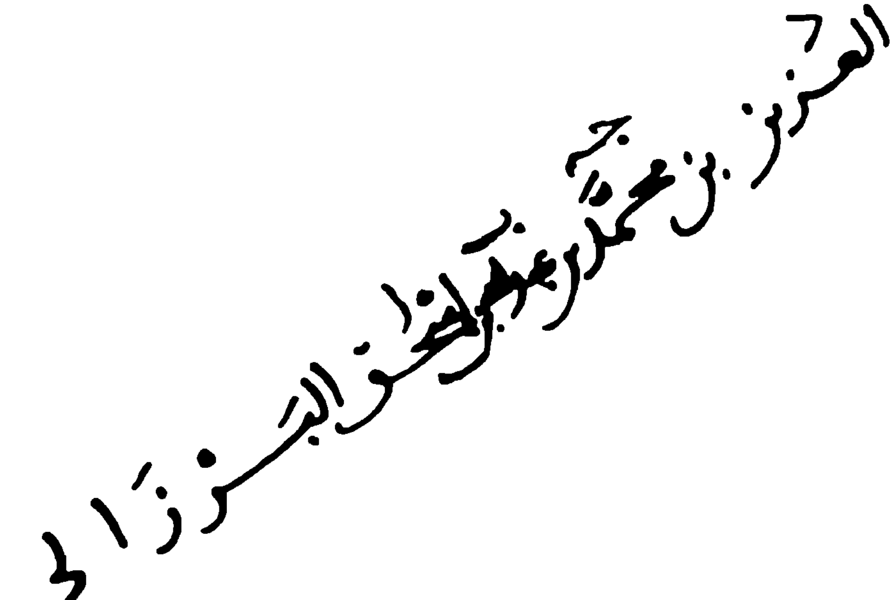

[أمراء بني برزال]

(1) من آ.

[51ب] * / الخبرُ عن بَني وَمانُو وبَني يَلُومي من الطبقَةِ الأُولَى من زَنَاتَة، وما كان لهم من الملك والدّولَة بأعمال المغربِ الأوْسَط، ومَبدأ ذلكَ وتصَارِيفه

هاتان القَبيلتان من بُطون زَنَاتَة ومن توابع الطبقة الأولى، ولم نقف على نَسبِهما إلى جَانا، إلاّ أن نسّابتَهم متّفقون على أن يَلُومي ووَرْتَاجَنْ الذي هو أبو مَرِينَ أخَوانِ، وأن مَدْيُونَ أخوهما للأمّ. ذكر لي ذلك غيرُ واحدٍ من نسّابتهم. وبنو مَرِينَ لهذا العهد يَعْرفون لهم هذا النّسبَ ويوجِبون لهم العصبيّة به. وكَانَت هاتان القَبيلتان من أوفر بُطون زَنَاتَة وأشدّهم شَوْكَةً. ومَوَاطِنهم جميعًا بالمغرِبِ الأوْسَط، وبنو وَمَانُو منهم إلى جهة الشّرق عن وادي مِينَاس في مَنْدَاس[أ] ومَرَاتْ وما إليها من أسافل شَلَف. وبنو يَلُومي بالعُدْوة الغربيّة منه بالجَعْبَات والبَطْحَاء وسِيك وسِيرَاتْ وجبل هَوَّارَة وبَني رَاشِدٍ.

وكَانَ لمَغراوَةَ وبَني يَفْرَن التقدُّم عليهم في الكثْرة والقوّة. ولمَّا غلب بُلُكّين ابنُ زِيرِي مَغْرَاوَةَ وبَني يَفْرَن على المَغرِب الأوْسَطِ وأزاحَهم إلى المَغرِب الأقْصَى بقيت هاتان القبيلتان بمَوَاطِنها، واستعملتْهم صِنْهاجَة في حُروبهم، حتّى إذا تقلّص مُلْكُ صِنْهاجة عن المَغرِبِ الأوْسَط اعتزّوا عليهم. واختصّ النّاصِرُ بن عَلَنّاس صاحبُ القَلْعَة ومختَطُّ بجَايَةَ بَني وَمَانُو* هؤلاء بالولاية، فكَانُوا شِيَعا لقومه دون بَني يَلُومي، وكَانَت رئاسةُ بَني وَمَانُو*[ب] في بيت منهم يعرفون ببَني مَاخُوخَ[ج]. وأصْهر المَنْصُورُ بن النّاصِر إلى مَاخُوخَ منهم في أخته فزوّجها إيّاه، / فكَانَ لهم بذلك مزيدُ ولايةٍ في الدّولة. [52أ]

(أ) كذا ضبطت بفتح الميم في أ ص، وجاءت مهملة في ظ (ب) سقط ما بين النجمين من أ (ج) الشكل من ظ و ص.

ولمّا مَلكَ المُرَابِطونَ تِلِمْسَانَ أعوَامَ سبعين وأربع مائة، وأنزلَ يُوسُفُ ابن تَاشفِين بها عاملَه محمّدَ بن تِينَعْمَرَ المسُوفي، ودوّخ أعمالَ المَنْصُور، ومَلكَ أمصارَها إلى أن نازَل الجزَائِرَ. وهَلكَ فوَلِيَ أخوه تَاشفِينُ على عمله، فغزَا أشِيرَ وافتتحها وخرَّبها، وكَانَ لهذين الحَيَّيْن من زنَاتَة أثرٌ في مُظاهَرته وإمْداده، أحْقَدَ عليهم المَنْصُورَ بعدها، وغزا بَنِي وَمَانُو في عساكر صِنْهَاجَة وجَشِم(1) له، وجمع له مَاخُوخُ، فهزَمه واتّبعه منهزمًا إلى بجَايَة. فقتَل لمدْخله إلى قَصْره زوجَهُ أختَ مَاخُوخ تَشَفِّيًا وضُغفًا. ثمّ نهض إلى تِلِمْسَانَ في العساكر، واحتشد العربُ من الأثْبَج ورِياحٍ وزُغْبَةَ ومن لَحِق به من زنَاتَة. وكَانَت الغَزاةُ المشهورةُ سنةَ ستّ وثمانين، أبْقَى فيها على ابن تِينَعْمَر المَسُوفِي بعد اسْتِمكانه من البلد، كما ذكرناه في أخبار صِنْهَاجَة.

ثمَّ هلك المَنْصُورُ ووَلِيَ ابنُه العزيز، وراجع مَاخُوخُ وَلايتَهم. وأصْهر إليه العزيزُ أيضًا في ابنته فزوّجها إيّاه. واعتزّ البَدْوُ في نواحي المَغْرِب الأوْسَط، واشتعلَت نارُ الفتْنة بين هذين الحَيَّيْن من بَنِي وَمَانُو وبَنِي يَلُومِي، فكَانَت بينهم حروبٌ ومَشاهد. وهلك مَاخُوخُ، وقَامَ بأمره في قومه بَنوه: تَاشفِين وعَلِيّ وأبو بَكْر، وكَانَ أحياءُ زَنَاتَة الثّانية من بَنِي عَبْد الوَاد وتُوجِّينَ وبَنِي رَاشِدٍ وبَنِي وزْسِيفَان من مَغْرَاوَة مددًا للفريقَيْن، وربما مادَّ بنو مَرِينَ إخوانَهم بَنِي يَلُومِي لقُرْبِ مَوَاطِنِهم منهم، إلاّ أنّ زَنَاتَة الثّانية لذلك العهد مُغَلَّبون لهذين الحَيَّيْن، وأمرُهم تَبَعٌ لهم. إلى أن ظهر أمرُ المُوَحِّدِين وزحَف عبدُ المؤمن إلى المَغْرِب الأوْسَط في اتّباع تَاشفِين بن عَلِيّ، وتقدّم / أبو بكر بن مَاخُوخ [52 ب]

(1) جشِم الأمرَ جشْمًا وتجشّمه: تكلّفه على مَشقّة.

ويُوسُفُ بن يَدَّرْ من بَنِي وَمَانُو إلى طاعته، ولحِقُوه بمكانه من أرض الرّيف، فسرّح معهم عساكر المُوَحِّدِين لنظر......[ا] ابن وَانُودين و......[ا] ابن يغمُور، فأثخنُوا في بلاد بَنِي يَلُومِي وبَنِي عَبْد الوَاد. ولحق صريخُهم بتاشفِين[ب] بن عليّ بن يُوسُفَ، فأمدّهم بالعساكر، ونزلُوا مَنْدَاس. واجتمع لبَنِي يَلُومِي بنو وَرْسِيفَان من مَغْراوَةَ وبنو تُوجِّينَ من بَنِي بَادِين وبنو عَبْد الوَاد منهم أيضًا، وشيخُهم حمامةُ بن مَطْهَر وبنو وَنْكاسَنْ[ج] من بَنِي مَرِينَ، وواقَعوا بَنِي وَمَانُو وقتلوا أبا بكر بنَ مَاخُوخَ في ستّ مائة منهم واسْتَنْقذوا غنائمهم.

وتحصّن المُوَحِّدُونَ وفَلُّ بَنِي وَمَانُو بجبل سِيرَاتْ. ولحق تَاشَفِينُ * بنُ مَاخُوخَ صريخًا بعبد المؤمن، وجاء في جُمْلته حتّى نازل تَاشفِينَ*[د] بنَ عليّ بتِلِمْسَانَ. ولمّا ارتحلَ في أثره إلى وَهْرَانَ كما قدّمناه، سرّح الشَيْخَ أبا حَفْصٍ في عساكرِ المُوَحِّدِينَ إلى بلاد زَنَاتَةَ، فنزلوا مَنْدَاس وسط بلادهم[هـ]، وأثخنُوا فيهم حتى أذْعنو للطّاعة ودخلوا في الدّعوة. ووفَد على عَبْد المؤمن بمكانه من حصار وَهْرَانَ بمَشْيَختهم يقْدُمُهم: سيّدُ النّاس بنُ أمِير النّاس شيخُ بَنِي يَلُومِي، وحمامةُ بنُ مَطْهَر شيخُ بَنِي عَبْد الوَاد، وعَطِيّةُ الحَيُو[و] شيخ بَنِي تُوجِّينَ، وغيرُهم، فتلقّاهم بالقَبول.

ثُمَّ انتقضَتْ زَنَاتَة بعدها وامتنع بنو يَلُومِي بحِصْنِهم الجَعْبَات، ومعهم شيوخُهم سَيّدُ النّاس وتدرجُ[ز] ابنا أمير النّاس، فحاصرَتْهم[ح] عساكرُ المُوَحِّدِينَ وغَلَبُوهم عليها وأشخَصُوهم إلى المَغْرِب. ونزل سيّدُ النّاس بمَرّاكُش وبها كَانَ مَهْلَكُه أيّامَ عبد المؤمن، وهلكَ بعد ذلك بنو مَاخُوخَ.

(ا) فراغ قدر كلمة في ظ ص أ (ب) ص: بعلي (ج) ص: بنكاسن (د) سقط ما بين النجمين من أ (هـ) ص ما: بلاد زَنَاتَة (و) ص: الحَيّر (ز) ص: بدرج وفي أ: تَدَرُّج (ح) ص: فحاصروهم.

ولمّا أخذ أمر هذين الحَيّيْن في الانتقاص، جاذبَ بني يَلُومي في تلك[أ] الأعمال بنو تُوجّينَ وشاجَروهم في أحْواله، ثُمّ واقَعُوهم الحربَ في جَوانبه، وتولّى / ذلك فيهم عَطِيَّةُ الحَيُو كبيرُ بَني تُوجّينَ، وصَلِيَ بنارها منهم معه بنو [153] مَنْكُوش من قومه، حتّى غَلبوهم على مَوَاطِنهم، وأذلّوهم وأصارُوهم جيرانًا لهم في قَياطِنهم. واستغلَى بنو عَبْد الوَاد وتُوجّينَ على هذين الحَيّيْن وغيرهم بوَلايتهم للموحّدين ومُخالَصَتهم إيّاهم، فذهب شأنُهم وافترق قَبِيطونُهم أوْزَاعًا في زَنَاتَة الوارثِين أوطانَهم من بَنِي عَبْد الوَاد وتُوجّينَ. والبقاء لله وحده.

• ومن بطون بني وَمانُو هؤلاء قبائل بني يَالَدَس

وقد يَزْعُم زاعِمون أنّهم من مَغْراوَة، ومَوَاطِنُهم متّصلة قِبلةَ المَغْرِب الأقْصَى والأوْسَط وراء العِرْقِ[1] المحيطِ بعُمْرَانهما المذكورِ قَبلُ؛ اختطّوا في تلك المَواطن القُصُورَ والأُطُمَ، واتّخذوا بها الجنّات من النّخيل والأعْناب وسائرِ الفواكه. فمنها على ثلاثة مراحل قِبلةَ سِجِلْماسةَ ويسمّى وطنَ تَوَات، وفيه قصورٌ متعدّدة تناهزُ المئين، آخذةٌ من الغرب إلى الشّرق، وآخرها من جانب المشرق يسمّى تَمَنْطِيتُ؛ وهو بلدٌ مُستَبْحِرٌ في العُمْرَان، وهو رِكاب التَّجْر المتردّدين من المَغْرِبِ إلى بلد مالي من السّودان لهذا العهد، ومن بلَد مالي إليه. وبَيْنه وبين ثَغر بلاد مالي المسمّى غَانْ[ب]، المَفَازَةُ المَجْهلَة لا يَهتدي فيها للسّبيل وثَمَدِ[2] الموارد إلاّ

(أ) ص: بنو يلومي الأعمال (ب) كذا ضُبط في الأصول.

(1) عرف ابن خلدون العرق عند العرب الرحالة البادية في حد المغرب من جهة القبلة، بأنه الرمال المتهيّلة الماثلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر، وهو سياج من جهة الجنوب يبتدئ من البحر المحيط ويذهب في جهة الشرق على سمت واحد. انظر تفصيل ذلك في العبر 11: 216

(2) الثّمَدُ: الحفرة يجتمع فيها ماءُ المطر.

الدّليلُ الخِرّيتُ[1] من المُلَثّمِينَ الظّواعِنِ بذلك القفر. يستأجرهُ التجّارُ على البَذْرقَة[2] بهم فيها بأوْفى الشّروط. ولقد كانت بلد بُودَة[أ]، وهي أعلى تلك القُصور بناحية الغرب هي الرّكابُ إلى وَلاتَن[ب] الثّغر الآخِر[ج] من أعمال مالي. ثمّ أُهمِلت لمّا صارت الأعرابُ من بادية السّوس يُغيرون على سابِلَتها ويَعْترضون رفاقَها. فتركوا تلك ونهجوا الطّريقَ إلى بلَد السّودان من عَلاَ تَمَنطِيتْ.

[53 ب] ومن هذه القُصور قِبلَة / تِلِمْسَانَ، وعلى عَشْر مراحلَ منها، قُصورُ تِيكُورَارِينَ، وهي كثيرةٌ تُقارب المائة، في بَسيط وادٍ منحدر من الغرب إلى الشّرق، اسْتَبْحَرَت في العُمْرَان وغصّت بالسّاكن، وأكثر سُكّان هذه القُصور الغربيّة في الصّحراء بنو يَالدّسِ هؤلاء، ومعهم من سائر قبائل زَنَاتَة والبَرْبَر، مثل وزتَطغير ومصَاب وبَني عَبْد الوَاد وبَني مَرِين. وهم أهلُ عَديدٍ وعُدّة وبُعْدٍ عن هَضِيمَة الأحكام وذُلّ المَغَارِم. وفيهم الرّجّالةُ والخيّالة، وأكثر مَعاشهم من فَلْح النّخْل، وفيهمُ التّجْر إلى بلَد السّودان، وضَواحيهم كلُّها مَشَاتٍ للعَرب، ومُختَصّةٌ بعُبَيْد الله من المَعْقل، عيّنتْها لهم قِسمةُ الرّحْلة، وربّما شاركهم بنو عَامِر بن زُغْبَةَ في تيكُورَارِينَ، فتصِل إليها ناجِعَتُهم بعضَ السّنين. وأمّا عُبَيْد الله فلا بُدّ لهم في كلّ سنةٍ من رحلة الشّتاء إلى قصور تَوَاتْ وبلد تَمَنْطِيتْ، ومع ناجعتهم تخرجُ قفول التّجار من الأمْصار والتّلول حتى يحطّوا بتَمَنْطِيتْ، ثمّ يُبَذْرِقُونَ منها إلى بلَد السّودان.

(أ) ص، أ: بُودِي (ج) ص: ولات (د) ص: الأخير.

---

(1) الخرّيت: الدليل الحاذق الذي يهتدي إلى أخرات المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفية.

(2) البذرقة: الخفارة، ويقال لها العصمة، لأنها يُعتصم بها. والكلمة معربة.

وفي هذه البلاد الصّحراويّة التي وراء العِرْق غريبةٌ في اسْتِنْباط المياه الجارية لا توجد في تُلُولِ المَغرب. وذلك أنّ البئر تُحْفر عميقةً بعيدةَ المَهْوَى، وتُطْوَى جوانبُها إلى أن يُوصَل بالحَفْرِ إلى حِجارةٍ صَلْدة، فتُنْحَتُ بالمعاول والفُؤوس إلى أن يَرِقّ جرْمُها. ثُمّ يصعد الفَعَلَةُ ويقْذفون عليها زُبْرةً من الحديد تُكْسِر طَبَقَها على[أ] الماء، فينبعِثُ صاعدًا فيُفْعِمُ البئرَ، ثُمّ يجري على وجه الأرض واديًا؛ ويزعُمون أن الماء ربما أعْجَلَ بسُرعتِه عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور تَوَاتْ وتِكُورَارِين ووَارْكَلَا ورِيغ، والعالَم أبو العجائب، والله الخلاّق العليم.

وهذا آخر الكلام في الطَّبَقَة الأُولى من زَنَاتَة. فلنرجع إلى أخبار الطبقة الثانية منهم / وهم الذين اتصلت دولتُهم إلى هذا العهد. [154أ]

• أخْبارُ الطّبقةِ الثّانيةِ من زناتة، وذِكْرُ أنسابِهم وشُعوبِهم، وأوّليّتهم

قد تقدّم لنا في أضْعاف الكلام قبلُ، أنّ[ب] انْقِراضَ الملّة من الطبقة الأولى من زَنَاتَة كَانَ على يد صِنْهَاجَةَ والمُرَابطِينَ من بعدهم. وأنّ عصبيّةَ أجيالهم افْتَرَقَت بانْقراض مُلكهم ودُوَلهم، وبَقِيَ منهم بطونٌ لم يُمارسوا المُلْكَ ولا أخْلَقَهم تَرَفُه، فأقاموا في قَيَاطنهم بأطْراف المَغْرِبَيْنِ يَنْتجعون جانبَي القَفْرِ والتّلّ، ويُعطون للدّول حقّ الطّاعة. وغلَبوا على بقايا الأجيال الأولى من زَنَاتَة بعد أن كَانوا مُغَلَّبين لهم، فأصبحت لهم السَّوْرَةُ والعِزّةُ، وصارت الحاجةُ من الدُّول إلى مُظاهَرتهم ومُسالمتهم حتّى انْقرضت دولةُ المُوَحِّدِينَ،

(أ) ص،أ: عن (ب) في ص، جاءت الألف بالمد، بمعنى: وقت.

فتطاوَلوا إلى المُلْك وضَرَبوا فيه مع أهْلِه بسَهْم، وكانَت لهم دولٌ نذكرها إن شاء الله[أ].

وكانَ أكثر هذه الطبقة من بَني وَاسِين بن يَصْلِيتَن[ب] إخوة مَغْراوَة وبَني يَفْرَن. ويقال إنّهم من بَني وَانْتِين بن ورسيك بن جَانا إخوة مَنْسَارَتْ وتَاجَرَةْ. وقد تقدّم ذكرُ هذه الأنساب. وكَانَ من بَني وَاسِينَ هؤلاء ببلاد قَصْطِيلِيَة.

وذكر ابن الرَّقيق أنّ أبا يزيدَ النُّكّارِي لَمّا ظهر بجبل أوْرَاس، كتب إليهم بمكانهم حول تَوْزَر يأمرهم بحصارها، فحاصَروها سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثلاث مائة. وربّما أنّ منهم ببلد الحَامَّة لهذا العهد، ويُعرفون ببَني وَرْتَاجَنْ، إحدى بُطونهم. وأمّا جمهورُهم فلم يزالوا بالمَغرِبِ الأقْصَى ما بين مَلْوِيَة إلى جبل رَاشِد. وذكَرَ مُوسَى بن أبي العَافِيَة في كتابه إلى النّاصِر الأمَويّ يُعرِّفه بحَزبه مع مَيْسُورٍ مَولى أبي / [١٨٢ب] القاسم الشّيعِيّ، وبمن صار إليه من قبائل البَرْبَر وزَنَاتَة، فذكر فيهم من كَانَ على مَلْوِيَة وصا[ج] من قبائل بَني وَاسِينَ وبَني يَفْرَنْ وبَني يَزْنَاسَنْ وبَني وَرَيَمْتْ ومَطْمَاطَة، فذكر منهم بَني وَاسِينَ لأنّ تلك المَواطن هي مَوَاطِنُهم •قبل المُلك•[د].

وفي هذه الطَبقة منهم بطونٌ، فمنهم بنو مَرِينَ، وهم أكثرهم عددًا وأقواهم سلطانًا ومُلكًا وأعظمُهم دولةً، ومنهم بنو عَبْد الوَاد تِلْوهُم في الكثْرة والقوّة، وبنو تُوجِّينَ من بعدهم كذلك. هؤلاء أهل المُلك من هذه الطَبقة. وفيها من غير أهل الملك بنو رَاشِد إخوة بَني يَادِينَ كما نذكره. وفيها أهل مُلْكٍ أيضًا من

(أ) أ: تعالى (ب) الاشام من أ (ج) في أ: وحدها بصاد مشمة بالزاي. وفي آ ضُمّت ميمُ ملوية قبلها (د) سقط من أ .

من غير نَسبهم، بَقِيَّةٌ من مَغْراوَة بمَواطنهم الأولى من وادي شَلَف، نَبضت فيهم عُروقُ المُلك بعد انقراض جيلهم الأوّل، فتجاذَبوا حَبْلَه مع أهل هذا الجيل، وكانَت لهم في مَوَاطِنهم دولةٌ كما نذكُره. ومن أهل هذه الطَبقة كثيرٌ من بُطُونها ليس لهم مُلْك، نذكرهم الآن عند تَفْصيل شُعوبهم، وذلك أنّ أحياءَهم جميعًا تشعّبت من زَجِّيك بن وَاسِينَ. فكَانَ منهم بنو يَادِينَ[ا] بن محمد، وبنو مَرِينَ بن وَرْتَاجَنْ.

فأما بنو وَرْتَاجَنْ فهم من ولد وَرْتَاجَنْ بن مَاخُوخَ بن وَجْدِيج بن فَاتن ابن يَدَّر بن يَخْفَتْ بن عبد الله بن وَرْتَنِيد[ب] بن المُعِزّ بن إبراهيم بن زَجِّيك. وأما بنو مَرِينَ بن وَرْتَاجَنْ فتعدّدت أفخاذُهم وبطونُهم - كما نذكر بعدُ- حتّى كَثَروا سائرَ شعوب بَنِي وَرْتَاجَنْ، وصار بنو وَرْتَاجَنْ مَعْدودين[ج] في جُمْلَة أفخاذهم وشُعوبهم.

وأمّا بنو يَادِينَ بن محمد، فمن ولد زَجِّيك، - ولا أذكر الآن كيف يتّصل نسبُهم به -، وتشعّبوا إلى شعوب كثيرة. فكَانَ[د] منهم: بنو عَبْد الوَاد، وبنو تُوجِّينَ، وبنو مصَاب، وبنو زَرْدَال[ه]، يجمعُهم كلهم / نسبُ يَادِين[و] [155أ] ابن محمد. وفي محمد هذا يجتمع يَادِين وبنو رَاشِد، ثُمَّ يجتمع محمد مع وَرْتَاجَنْ في زَجِّيك بن وَاسِينَ. وكانوا كلّهم معروفين بين زَنَاتَةَ الأولى ببَنِي وَاسِينَ قبل أن تَعْظُمَ هذه البطون والأفخاذ وتتشعّبَ مع الأيام.

(ا) أ: بادمن (ب) أ: ورتنيوس بصاد مشتة بالزاي (ج) ص: معدودون (د) أ: وكَانَ (ه) كذا في ظ ص، وفي أ: زروال (و) ص: بادمن.

وبأرض إفريقِيَّة وصحراء بَرْقَةَ وبلاد الزَّاب منهم طوائِفُ من بقايا زَنَاتَةَ الأولَى قبل انسياحهم إلى المَغْرِب. فمنهم بقُصُور غدَامِسَ على عشرة مراحل قِبلةَ سُرْتَ، وكانَت مختطَّة منذ عهد الإسلام، وهي خطَّة مشتملة على قُصُورٍ وآطَامٍ عديدة، وبعضها لبَنِي وَرْتَاجَنْ وبعضها لبَنِي وَاطَّاسَ من أحياء بَنِي مَرِينَ. يزعُمون أنّ أوَّلِيهم اختطّوها، وهي لهذا العهد قد استَبْحَرَت في العمارة واتَّسعت في التمدّن، بما صارت محطًّا لرِكاب الحاجّ من السّودان، وقُفُلَ التجّار إلى مِصْر والإسكندريّة، عند إراحتهم من قَطْع المفازة ذات الرّمل المعْتَرِضة أمامَ طريقهم دونَ الأرياف والتّلول، وبابًا لوُلوج تلك المفازة والحَاجِّ والتَّجْرِ في مَرْجَعهم.

ومنهم ببلد الحَمَّةِ على مَرْحلة من غربي قَابِس أُمَّةٌ عظيمة من بَنِي وَرْتَاجَنْ وَفُرَتْ[1] منهم حاميتها واشتدّت شوكتُها، ورحلَ إليها التَّجْرُ بالبَضائع لنَفاق أسْواقها وتَبحُّر عُمْرَانها. وامتنعتْ لهذا العهد على من يَرومُها ممّن يُجاورها. فهم لا يؤدّون خراجًا ولا يُسامُون بمَغْرَمٍ، حتّى كأنّهم لا يَعْرِفُونَه، عِزَّةَ جَنَابٍ وفضْلَ بأسٍ ومَنَعَةٍ. ويزعُمون أن سلَفهم من بَنِي وَرْتَاجَنْ اختطّوها. ورئاستُهم في بيت منهم يُعرفون ببَنِي وَشَّاح، ولربّما طالَ على رُؤسائهم عهدُ الخِلافة ووَطْأة الدّول، فيتطاوَلون إلى التي تُنْكَرُ على السُّوقَةِ من اتّخاذ الآلَة، ويَبْرُزونَ / [55 ب] في زِيِّ السّلطان أيام الزّينة تَهاونًا بشِعار المُلْك ونِسيانًا لمألوف الانْقياد، شأنَ جيرانهم رُؤساء تَوْزَر ونَفْطَة. وسابِقُ الغاية في هذه المُضحِكَةِ هو ابن يَمْلُولَ مُقَدَّمُ تَوْزَر. ومن بَنِي وَاسِينَ هؤلاء بقُصُور مصَابْ على خمْسِ مراحلَ من جَبل تِيطَرِي في القِبلة بما دون الرمال، وعلى ثلاث

(١) أ : توفرت ، والمُثبَت من ظ ص. ومعنى وَفُرتْ كثُرت واتسعتْ.

مراحلَ من قُصور بَني رِيغَة في الغرب. وهذا الاسمُ اسمٌ للقوم الذين اختطّوها ونزلوها من شُعوب بَني يَادِينَ حسبما ذكرناهم الآن. ووَضْعُها في أرض حَرَّةٍ على آكامٍ وضِرَاب مُتَمَنِّعَة في قُنَنِها، وبينها وبين الأرض المُحَجَّرة المعروفة بالحمادَة في سَمْت العِرق، متوسّطة فيه قُبالَة تلك البلاد فراسخ في ناحية القِبلَة. وسُكّانُها لهذا العهد شعوبُ بَني يَادِين من بَني عَبْدِ الوَاد وبَني تُوجِّينَ ومصَابْ وبَني زرْدَال، فيمن تَضَيَّفَ إليهم من شُعوب زَنَاتَة، وإن كانَ شُهرتها مختصّة بمصَابْ، وحالُها في المباني والاعتراس وتفرّقِ الجماعة بتفرُّقِ الرِّئاسة، شبيهةٌ بحال بلاد بَني رِيغَة والزَّابْ.

ومنهم بجبل أوْرَاس بإفريقِيَة[أ] طائفةٌ من بَني عَبْد الوَاد، موطّنَةٌ[ب] منذ العهد الأقدم لأوّل الفَتْح مَعروفون بين ساكنيه. وقد ذكر بعض الأخْباريّين أنّ بَني عَبْد الوَاد حضَروا مع عُقْبَة بن نافع في فتح المَغرِب عند إيغاله في ديار المَغرِبِ وانتهائِه إلى البحر المحيط بالسُّوس في ولايته الثّانية. وهي الغَزاة التي هَلَكَ فِي مُنْصَرفه منها، وأنّهم أبلَوا البلاءَ الحسنَ، فدعا لهم وأذن في رُجوعهم قبل استِتْمام الغَزاة.

ولمَّا تحيّزَت زَنَاتَةُ إلى المَغرِبِ الأقْصَى أمامَ كُتَامَة وصِنْهَاجَة، اجتمع شُعوبُ بَني وَاسِينَ هؤلاء كلُّهم ما بين مَلْوِيَّةَ وصا كما ذكرناه. وتشعّبت أفخاذُهم وبطونُهم / وانبسطوا في صَحْراء المَغرِبِ الأقْصَى والأوْسَطِ إلى بلاد الزَّاب [156أ] وما إليها من صَحارى إفريقِيَة، إذ لم يكنْ للعَرب في تلك المجالات كلِّها مذهبٌ ولا مسلَكٌ إلى المائة الخامِسة، كما سبق ذكرهُ. ولم يزالوا بتلك البلاد مُشْتَملين

(أ) أ: من إفريقية (ب) ص: موطنوه.

لَبُوسَ العِزِّ مُشْتَمِرِينَ[1] للأنَفة. وكَانَ جُلُّ مكاسِبهم الأنعامَ والماشيةَ، وابتغاؤهم الرِّزقَ من تَخيُّفِ السّابلة وفي ظلِّ الرِّماح المُشرَعَة. وكانت لهم في مُحاربة الأحياء والقبائل ومُنافَسةِ الأمَم والدّول ومُغالَبة المُلوك أيامٌ ووقائعُ تُلِمّ بها، ولم تَعْظُمِ العنايةُ باستيعابها فنأتي به.

والسّببُ في ذلك أنّ اللِّسانَ العَرَبيَّ كانَ غالبًا بغَلَبِ دولة العَرب وظُهور المِلّة العَرَبية، فالكتابُ والخطُّ بلُغَة الدّولة ولسان المُلْك، واللّسان العَجَمي مُسْتَتِرٌ بجناحه، مُندرجٌ في غِمْدِه. ولم يكن لهذا الجيل من زَناتة في الأحْقاب القَديمة مُلْكٌ يَحمل أهلَ الكِتاب على العِناية بتَقْييد أيامهم وتَدْوين أخبارهم، ولم تكن مُخالطةٌ بَيْنهم وبين أهل الأرياف والحَضَر حتّى يَشْهدوا آثارَهم، لإبْعادهم في القِفَار كما رأيتَ في مَوَاطِنهم، وتوحّشهم عن الانقياد، فبقيَتْ غُفْلاً إلى أن دَرس منها الكثير، ولم يصل إلينا منها - بعد مُلكهم - إلاّ الشّاردُ القليل، يتَتَبَّعه المؤرخُ المُضْطَلِعُ في مَسَالِكه ويَتَقرّاه في شِعابه ويَسْتَثيرُه من مَكَامِنه. وأقاموا بتلك القِفَارِ إلى أن تَسَنَّمُوا منها هَضَبات المُلِكِ على ما نَصِفُهُ.

(1) مشتمرين للأنفه : معترّين ومختالين للأنفة .

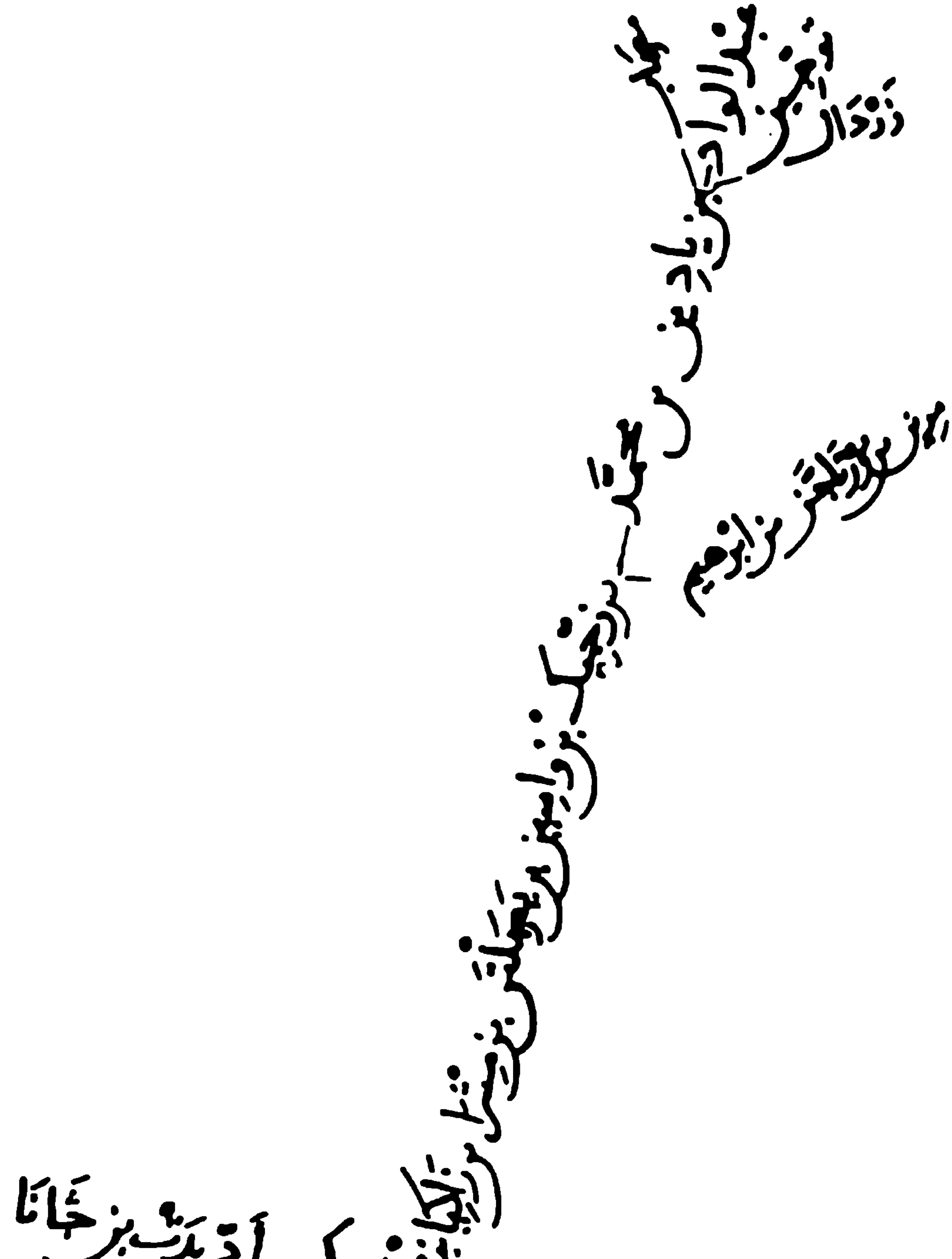

[الطبقة الثانية من زناتة]

[57 أ] • / الخبرُ عن أَحْوال هذه الطَّبقة قَبْلَ المُلك، وكيف كانت تَصاريفُ أحوالِهم إلى أن غَلَبوا على المَمالك والدُّول

وذلك أنّ أهلَ هذه الطَّبقة من بني وَاسِينَ وشُعوبهم التي سمّيناها، كانوا تَبَعا لزَنَاتَة الأُولى. ولمّا انزاحت زَنَاتَة إلى المَغرِب الأَقصى أمام كُتَامَة وصِنْهَاجَة، خرج بنو وَاسِينَ هؤلاء إلى القَفر ما بين مَلْوِيَّة وصَا، فكانوا يَرجعون إلى مُلوك المَغرِب لذلك العهد: مِكْنَاسَة أوّلاً ثُمّ مَغْرَاوَة من بَعْدهم. ثمّ حُسِرَ تَيّارُ صِنْهَاجَة عن المَغرِب وتَقَلّص مُلكُهم بعضَ الشّيء، وصاروا إلى الاسْتِجَاشَة على القاصِية بقبائل زَنَاتَة، فأومضتْ بُرُوقُهم ورَفّت في ممالك زَنَاتَة منابِتُهم كما قدّمناه، واقْتَسم أعمالَها بنو وَمَانُو وبنو يَلُومِي ناحيتين، وكانت مُلوكُ صِنْهَاجَة أهلُ القَلْعَة إذا عَسْكَرُوا للمغرب يستَنْفرونَهم لغَزْوه ويَجمعون حَشْدَهم للتوغُّل فيه، وكان بنو وَاسِينَ هؤلاء، ومن تشعّب منهم من القَبائل الشّهيرة الذِّكر، مثل بني مَرِينَ وبني عَبْدِ الوَاد وبني تُوجِّينَ ومصَابْ، قد مَلكوا القَفْرَ ما بين مَلْوِيَّة وأرض الزّاب، وامتنعت عليهم الأرياف من المَغرِبَيْن [بمن](1) مَلَكَها من زَنَاتَة الذين ذكرناهم.

وكان أهلُ الرّئاسة بتلك الأرياف والضّواحي من زَنَاتَة، مثل بني وَمَانُو وبني يَلُومِي بالمَغرِب الأَوْسَط، وبني يَفْرَنْ ومَغْرَاوَة بتِلِمْسَان، يَسْتَجِيشُون ببني وَاسِينَ هؤلاء وشُعوبهم، ويستَظْهرون بجموعهم على من زاحَمَهم أو نازَعَهم من مُلوك صِنْهَاجَة وزَنَاتَة وغيرِهم، يُجَأْجِئُون بهم من مَوَاطِنِهم لذلك،
[57 ب] ويُقْرِضونهم القرضَ الحسنَ من المال والسّلاح / والحُبوب المعْوِزة لديهم بالقِفَار،

(1) من أ ، وفي ص: تمن ، وفي ظ : بعد.

فيتأثّلون منهم ويرتاشون. وعَظُمَتْ حاجةُ بني حَمَّادٍ إليهم في ذلك عندما عصفَتْ بهم رِيحُ العَرب الطَّوالِعِ من بني هِلَالِ بن عَامِرٍ، وأَضْرَعُوا(1) دَولة المُعِزّ وصِنْهَاجَة بالقَيْرَوان والمَهْدِيّة وأَلانوا من حَدِّهِم، وزحفوا إلى المَغْرِب الأَوْسَط، فدافع بنو حَمَّادٍ عن حَوْزته، وأوعزوا إلى زَنَاتَة بمُدافعتهم أيضًا. فاجتمع لذلك بَنُو يَعْلَى مُلوكُ تِلِمْسَان من مَغْرَاوَة، وجمعوا من كان إليهم من بني وَاسِينَ هؤلاء من بني مَرِينَ وعَبْد الوَاد وتُوجِّينَ وبني رَاشِدٍ. وعقدوا على حرب الهِلَالِيّين لوزيرهم أبو سُعْدَى خَلِيفَة بن ....(أ) اليَفْرَني، فكان له مقاماتٌ في حُروبهم ودفاعهم عن ضواحي الزَّاب والمَغْرِب الأَوْسَط، إلى أن هلَكَ في بعض أيّامه معهم.

وغلَب الهِلَالِيُّون قبائلَ زَنَاتَةَ على جميع الضَّواحي وأزاحوهم عن الزَّابِ وما إليه من بلاد إفْرِيقِيَّة. وانْشَمَر(2) بنو وَاسِينَ هؤلاء من بني مَرِينَ وعَبْدِ الوَاد وتُوجِّينَ عن الزَّاب إلى مَوَاطِنِهم بصحراء المَغْرِب الأَوْسَط من مصَابْ وجبل رَاشِدٍ إلى مَلْوِيّة وفِيكيك ثم إلى سِجِلْمَاسَة، ولاذُوا ببني وَمَانُو وبني يَلُومِي مُلوكِ الضَّواحى بالمَغرِب الأَوْسَط. وتفيّأوا ظِلَّهم واقْتَسموا ذلك القَفْرَ بالمَواطن، فكان لبني مَرِينَ الناحيةُ الغربيّة منها قِبلةَ المَغْرِب الأَقْصَى تِيكورَارِينَ ودَبْدُو إلى مَلْوِيّة(ب) وسِجِلْمَاسَة. وبَعُدُوا عن بني وَمَانُو وبني يَلُومِي إلاّ في الأَحَايِين وعند الصَّرِيخ. وكان لبني يَادِينَ منها النّاحيةُ الشرقيّة، قِبلَة المَغْرِب الأَوْسَط، ما بين فِيكيك ومَدْيُونَة إلى جَبل رَاشِدٍ ومصَاب.

(أ) فراغ بقدر كلمة في الأصول (ب) ظ: مَلوية.

(1) اضْرَعوا : أذلّوا .

(2) انشمر للأمر، تهيّأ له وأسرع .

وكانت بينهم وبين بني مَرِينَ فِتَنٌ متصلة باتصال أيامهم في تلك المواطن، سبيلَ القبائل الجيران في مَوَاطِنِهم. وكان الغَلَبُ في حروبهم أكثر ما يكون / لبني يَادِينَ [58أ]، لِمَا كانت شعوبُهم أكثرَ وعدَدُهم أوفرَ، فإنّهم كانوا أربعةَ شعوبٍ: بنو[أ] عَبْدِ الوَاد وبنو تُوجِّينَ وبنو زَرْدَال وبنو مصَاب، وكان معهم شعبٌ آخر وهم إخوانُهم بنو رَاشِد، لأنّا قدّمنا أنّ رَاشِدًا أخو يَادِينَ. وكان مَوطِنُ بني رَاشِد الجبلَ المشهور بهم بالصّحراء. ولم يزالوا على هذه الحال إلى أن ظهر أمرُ المُوَحِّدِينَ، فكان لبني عَبْدِ الوَاد وتُوجِّينَ ومَغرَاوَة من المُظاهَرة لبني يَلُومِي على المُوَحِّدِينَ ما هو مذكورٌ في أخبارهم.

ثم غلبوا المُوَحِّدِينَ على المَغْرِب الأَوْسَطِ وقبائله من زَنَاتَة، فأطاعوا وانقادوا. وتَحيَّز بنو عَبْدِ الوَاد وبنو تُوجِّينَ إلى المُوَحِّدِينَ، وازدَلَفوا إليهم بإمحاضِ النّصيحة ومُشايَعة الدّعْوة. وكان التقدُّم لبني عَبْد الوَاد دون الشّعوب الأُخَر. وأَمْحَضوا النّصيحةَ للموحّدين فاصْطَنعوهم دونَ بني مَرِينَ كما نذكرُ في أخبارهم. وأقطعَهم المُوَحِّدُونَ ضواحِيَ المَغْرِب الأَوْسَطِ كما كانت لبني يَلُومِي وبني وَمَانُو فملكوها. وتفرّد بنو مَرِينَ بعد مَدْخَل[ب] بني يَادِينَ إلى المَغْرِب الأَوْسَطِ بتلك الصّحراء، لِمَا اختار الله لهم من وُفور قَسْمِهم في المُلك، واستيلائهم على سُلْطان المَغْرِب الذي غَلَبُوا به الدُّوَلَ، واشتملوا الأقطارَ، ونَظَموا المشارقَ إلى المغارب، واقْتَعَدُوا كراسيَ الدُّوَل المُسَامِيَة[ج] لهم بأجمعها، ما بين السُّوسِ الأَقْصَى إلى إفْرِيقِيَة. والمُلكُ لله يُؤتيه من يَشاءُ من عباده. فأخذ بنو مَرِينَ وبنو عَبْد الوَاد من شُعوب بني وَاسِينَ هؤلاء بحَظٍّ من المُلك،

(أ) في ظ: بني، والتصويب من حاشية مستدركة لهذه الفقرة بخط المؤلف في أ (ب) كذا في ظ . أ: بعدما رحل بنو يادين. ص: بعد ما خلى بني يادين (ج) من ص، ومهملة في ظ، وفي أ : المسامية.

أعادوا فيه لزَنَاتَة دولةً وسُلطانًا في الأرض، واقتادوا الأمَ بِرَسَنِ الغَلَبِ، وناغاهم في ذلك المُلكِ البَدَويّ إخوانُهم بنو تُوجِّين.

وكانت في هذه الطّبقة الثّانية بقيّةٌ أخرى مِمّا ترك آلُ خَزَرٍ من قبائلِ / مَغْراوَةَ الأوّل، كانوا مُوطَّنِينَ بقرار عزّهم ومَنْشأ جيلهم بوادي شَلَف. [58 ب] فجاذبوا هؤلاء القَبائلَ حَبْلَ المُلك، وناغوهم في أطوار الرّئاسة، واستطالوا بمن وصلَ جناحَهم من هذه العشائر، فتطاولوا إلى مُقاسَمتهم في المُلك ومُساهَمتهم في الأمر.

وما زال بنو عَبْدِ الوَاد في الغَضّ من عِنَانهم وجَدْعِ أُنُوفِ عصبيّتهم، حتى أَوْهَنوا من بأسهم. وحَصّت[1] الدولةُ العَبْدُ الوَاديّة ثم المَرِينيّة المسْحِتَةُ للكلّ، المُجْلِفَةُ[2] من جَناح تطاولهم. وتمحّض[أ] ذلك كلُّه عن اسْتبداد بني مَرِينَ واسْتِتْباعهم لجميع[ب] هؤلاء العَصائبِ، كما نذكُر لك الآنَ دولتَهم واحدةً بعد أخرى، ومصائرَ أُمور هؤلاء القبائل الأَرْبعة التي هي رُؤُوسُ هذه الطّبقة الثّانية من زَنَاتَة. والمُلك لله يُؤْتيه من يَشاء، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية 128].

• ولنبدأْ منها بذكر مَغْراوَة بقيّةِ الطّبقة الأُولَى، وما كان لرُؤُوسائهم أولادِ مِنْدِيلَ من المُلك في هذه الطبقة الثانية[ج].

(أ) ص: تمخض (ب) ص: بجميع (ج) سقط من أ .

---

(1) حَصّ : أذهب.

(2) قراءة تقريبية غير مؤكدة. وسَحَت الشيءَ استأصله، وجَلَف بمعنى قَشَر واستأصل، وهي صِفاتٌ للدولتين.

• الخبرُ عن أولادِ مِنْديلَ مِن الطَّبقَةِ الثّانيةِ، وما أعادوا لقَومِهم مَغْراوة من المُلْكِ[1] بمَوطِنِهِم الأوّلِ من شَلَف وما إليه من نواحي المغرِبِ الأوْسَط

لما ذهب المُلكُ عن مَغراوَة بانقراض مُلوكِهم آلِ خزرٍ، واضمحلّتْ دُوَلُهُم بتِلِمْسان وسِجِلْماسَة وفَاس وطَرَابلُس. وبقيت قبائلُ مَغراوَةَ متفرّقةً في مواطنها الأُولى بنواحي المَغرِبين وإفْرِيقِيّة بالصّحراء والتُّلُول، والكثير منهم بعُنصُرِهم ومركزهم الأوّل بوطن شَلَف وما إليه، فكان به بنو وَرْسِيفَانْ وبنو وَرْتَزْمار وبنو يَلَنْت، / [59 أ] ويقال إنّهم من ورْتَزْمار، وبنو[ب] بُوسعِيد وبنو زجّاك وبنو سَنْجَاس. وربما يُقال إنهم من زنَاتَة وليسوا من مَغراوَة. وكان بنو خَزْرُونَ المُلوكُ بطَرَابُلُس لمّا انقرض أمرُهم وافترّقُوا في البلاد، لَحِقَ منهم عبدُ الصّمد بن محمد بن خَزْرُونَ بجبل أوْرَاسَ فرارًا من أهل بَيْته - هُنالك - الذين استَوْلَوْا على الأمر. وجدُّه خَزْرُونُ بن خَلِيفَة هو السّادس من مُلوكهم بطَرَابُلُس، فأقام بجبل أوْرَاسَ مدّةً ثم انتقلَ إلى زَوَاوَة فأقام بينَهم أعوامًا. ثم ارتحلَ عنهم، فتولّى على بقايا قَوْمه مَغراوَة بشَلَف من بني وَرْسِيفَانْ وبني وَرْتَزْمِيرْ[ج] وبني بُوسعِيد وغيرهم. فتلقّوهم بالمبرّة والكرامَة، وأوْجبوا له حقّ البيت الذي ينتسب إليه فيهم. وأصهر إليهم فأنكحُوه وكثُر وَلَدُه، وعُرفوا بينهم ببني محمّد، ثم بالخَزَرِيّة نسبةً إلى سَلَفه الأوّل. وكان من ولَده الملقّب أفُوناس ابن عبد الصّمد بن وَرْجِيغ[د] بن عبد الصّمد. وكان منتحِلاً للعبادة والخَيْرِيّة، وأصهر إليه بعضُ وَلَدِ مَاخُوخ مُلوكُ بني وَمَانُو بابنته، فأنكحه إيّاها، فعظُم أمرُه عندهم بقومِه ونسبِه وصهرِه.

(ا) في ظ: ما أعادوا لقومهم من مغراوة الملك. وقُوّمت هكذا من أ ص (ب) كررت "بنو" في ظ (ج) تقدم بصيغة: بني ورتزمار وهما واحد (د) من أ، وفي ظ ص: ورجيع بالعين المهملة.

وجاءت دولةُ المُوَحِّدِينَ على إثر ذلك، فرَمَقُوه بعين التَّجِلَّة لما كان عليه من طُرق الخَيْر. فأقطعوه بوادي شَلَف، وأقام على ذلك. وكان له من الوَلَد وَرَجِّيغ[(أ)] وهو كبيرُهم وغرين ويَغْرِيَّان ومَاكُور، ومن بِنْت ابن مَاخُوخ عبدُ الرحمن. وكان أجلّهم شأناً عنده وعند قَوْمه عبدُ الرّحمن هذا، لما يوجِبون له بولادة مَاخُوخ لأمّه، ويتفرّسون فيه أنّ له ولعَقِبه مُلكًا. وزعموا أنّه لما وُلِد خرجت به أمُّه إلى الصّحراء فألقَتْه إلى شجرةٍ وذهبت[(ب)] في بعض حاجاتها، فأطاف [به][(ج)] يَعْسوبٌ من النّحل مُتواقِعِينَ عليه، وبَصُرت / به على البعد، [59 ب] فجاءت تَعْدو لِما أدْرَكها من الشّفقة. وقال بعض العَرّافين: خَفِّضِي[(د)] عليك، فوَ الله ليكوننّ له شأن.

ونَشأ[(هـ)] عبدُ الرحمن هذا [في جَوّ هذه][(و)] التَّجِلة مُدِلاً بنَسبه وبَأسه، وكَثُر عشيرُه من بني أبيه. واعْصَوْصَبَتْ عليه قبائلُ مَغْراوَة، فكان له[(ز)] بذلك شَوْكَةٌ، وفي دولة المُوَحِّدِين تَقْدِمَةٌ، لما كان يُوجِب لهم على نفسه من الانْحِياش [والمُخالصَة][(ح)] والتقدّم في مذاهب الطّاعَة. وكان السّادة منهم يمرّون به في غَزواتهم إلى إفْرِيقِيَّة ذاهبين وجائين، فينزلونَ منه خيرَ نُزُلٍ، ويَنْقلبون بحمده والشّكر لمذاهبه، فيزيدُ خُلفاؤُهم اغتباطًا به. وأدرك بعضَ السّادة، وهو بأرْض قومه، الخبرَ بمهلك الخَلِيفَة بمرّاكُش، فخلّف الذّخيرة والظَّهرَ، أسْلمها إلى عبد الرحمن هذا، ونَجا بذَمائه[1] بعد أن صَحِبه إلى تَخْم[2] وَطَنه، فكانت له فيها

(أ) في ظ ص : وارجيغ بالعين عدا أ فبالقين   (ب) في ظ ص وحدها: وذهبت به، فأسقطنا "به" المذكورة في غير موقعها   (ج) من أ، وقد خلط ناسخا ظ ص، فقدما الكلمة عن موقعها   (د) بمعنى: هوّني عليك   (هـ) أ: فنشأ   (و) من أ ص   (ز) أ: لهم   (ح) من أ ص .

---

(1) الذَّماء بقيّة النفس.

(2) التَّخم (بفتح التاء وضمّها): منتهى كل قرية أو أرض. والفصل بين الأرضين من المعالم والحدود. والجمع تُخوم.

ثروةٌ أكسبَتْه قوةً وكثرةً، فاستركَبَ من قَوْمه واستكثر من عِصابته وعَشيرته. وهلَك خلالَ ذلك وقد فشلَ ريحُ بني عبد المؤمِنِ وضَعُف أمرُ الخلافة بمَرّاكُش. وكان له من الوَلَد مِنْدِيلُ وتميمٌ(أ)، وكان أكبرَهما مِنْدِيلُ، فقام بأمر قَوْمه على حين عصَفت رِياحُ الفِتْنة. وأجلَب ابنُ غانِيَةَ على أعمال المَغرب الأوْسَط، وسَمَا لِمنْدِيلَ أملٌ في التغلّب على ما يليه، فاستأسَد في عَرينه وحامَى عن أشباله، ثم فَسَح خَطْوتَه إلى ما جاوَره من البلاد. فملك جبلَ وَانْشَرِيس والمَدِيَّة وما إلى ذلك. واختطّ قصبةَ مَرَاتْ. وكان بسيطُ مِتَّيجَةَ لعهْده مُستبحرًا بالعُمْران، آهلاً بالقُرى والأمْصار. نقَل الأخْباريّون أنّ أهلَ مِتّيجَةَ لذلك العهد كانوا يُجمعون في ثلاثين مِصْرًا، فجاسَ خلالَها وأوْطأ الغاراتِ ساحتَها وخَرّب عمرانَها حتّى تركها خاويةً على / عُروشها. وهو في ذلك يوهِم التمسُّكَ [160أ] بطَاعَة المُوَحّدِينَ، وأنّه سِلْمٌ لمن سَالَمهم حَرْبٌ على من عاداهم.

وكان ابنُ غَانِيَة مُنْذ غَلَبه المُوَحِّدُونَ عن إفْرِيقِيّة قد أزاحوه إلى قَابِس وما إليها. ونزلَ الشّيخ أبو محمد بن أبي حَفْصٍ بتُونِسَ، فدَفعه عن إفريقِيَّة إلى أن هلَكَ سنةَ ثمان عشرة، فطمع يَحْيَى بنُ غانِيَةَ في استرجاع أمْره، وأسَفَّ(1) إلى الثغور والأمصار يَعيثُ فيها ويخرّبها. ثم تجاوز إفريقيّةَ إلى بلاد زَنَاتَة، وشنّ عليها الغارات واكْتَسحَ البسائِطَ. وتكرّرتِ الوقائعُ بينه وبينهم، وجمع له مِنْدِيلُ بن عبد الرحمن ولقِيه بمِتّيجَةَ. وكانت الدَّبَرة عليه، وانفضّت عنه مَغْراوَةُ فقتلَه ابنُ غَانِيَةَ صبرًا سنَةَ اثنتين أو ثلاثٍ وعشرين. وتغلّب على

(أ) من أ والمشجر، وفي نص ط: تهم، وفي المشجر تمم كما أثبتنا.

---

(1) أسف: تتبع مدانى الأمور.

الجَزائِر إثر نكْبته، فصُلب بها شِلْوُه وصَيّره مثلاً للآخرين. وقام بأمْره في قَوْمه بَنُوه، وكان مُنجبًا، فكان لهم العدَدُ والشَّرف. وكانوا يرجعون في أمرهم إلى كبيرهم العَبَّاس، فتقَيَّل[1] من مذاهب أبيه، وأقْصَر عن بلاد مِتِّيجَة. ثم غلَبهم بنو تُوجِّينَ على جبل وَانْشَرِيس وضواحي المدِيّة وما إلى ذلك. وانقبضوا إلى مراكزهم الأُولى بشَلَف، وأقاموا بها مُلكًا بَدويًّا لم يُفارقوا فيه الظَّعْنَ والخيامَ الضَّواحي والبسائطَ. واستَوْلى على مدينة مِلْيَانَة وتَنَس وبَرِشْكَ وشَرْشَالْ مقيمِينَ فيها الدَّعوةَ الحَفْصيةَ، واختطّوا قريةَ مَازُونَة.

ولمَّا اسْتَوْسق المُلكُ بتِلِمْسَانَ ليَغَمْرَاسِنَ بن زَيّانَ واستَفْحل سلطانُه بها، وعقدَ له عليها ولأخيه من قَبْلِه بنو عبدِ المؤمنِ، سما إلى التَّغلُّب على أمْصَارِ المَغرِب الأوْسَطِ، وزاحَم [بني](أ) تُوجِّينَ وبني مِنْدِيلَ هؤلاء بمناكِبه، فلَفَتوا وجوهَهم جميعًا إلى الأمير أبي زكرياء بن أبي حَفْصٍ مُدِيلِ الدَّولة بإفريقيّة / من آل عبد المؤمن. وبَعثوا إليه الصّريخَ على يَغَمْرَاسِنَ، فاحْتَشد لها جموعَ المُوَحِّدِينَ والعرب، وأغزى تِلِمْسَانَ وافْتَتَحها كما ذكرناه. ولمّا قَفلَ إلى الحضْرة عقدَ في مَرْجِعه لأمراء زَنَاتَة،[كلٌّ يَلي](ب) قومَه ووطَنَه. فعقد للعَبَّاس بن مِنْدِيلَ على مَغْرَاوَةَ، ولعبد القَوِيّ على تُوجِّينَ، ولأولاد خَبُوزَة على مليكش(ج). وسوَّغ لهم اتّخاذ الآلَة، فاتّخذوها بمشهدٍ منه. وعقَد العَبَّاسُ السّلْمَ مع يَغَمْرَاسِن، ووفد عليه بتِلِمْسَان، فلَقَّاه مَبَرَّةً وتكريماً، وذهب عنه بعدها مُغاضِبًا. يقال إنّه تحدّث بمجلسه يومًا فزعَم أنّه رأى فارسًا [60 ب]

(أ) من ا، وفي ظ ص: بنو (ب) من ا، وفي ظ ص: على كل (ج) مهملة في ظ.

---

(1) تقيّل أباهُ: أشبَهَهُ وحاكاه.

واحدًا يقاتل مائتين من الفرسان، فنكِرَ ذلك مَن سَمِعه من بني عَبْد الوَاد، وعَرَّضوا بتكذيبه، فخرج العَبَّاس لها مغاضِبًا حتّى أتى قومَه، وأتى بِغَمْرَاسِنْ مِصْدَاق قوله، فإنّه كان يعني بذلك الفارس نفسَه.

وهلك العَبَّاس لخمس وعشرين سنة من بعد أبيه، سنةَ سَبْعٍ وأربعين، وقام بالأمر بعده أخوه محمدُ بن مِنْدِيلَ، وصَلَحت الحالُ بينه وبين يَغْمُرَاسِن. وصاروا إلى الاتّفاق والمهادَنة. ونَفَر معه بقومه مَغْرَاوَةُ إلى غَزْو المَغْرِب سنةَ كلدَامَان وهي سنةُ سبعٍ وأربعين وستّ مائة، هَزَمَهم فيها يعقوبُ بنُ عبد الحقّ، فرجعوا إلى أوطانهم، وعاوَدوا شأنَهم في العَداوة، وانتَقَض عليهم أهل مِلْيَانَة، وخلَعوا الطّاعة الحَفْصِيّة.

وكان من خَبر هذا الانتقاض أنّ أبا العَبَّاس أحمدَ المِلْيَاني كان كبيرَ وقْته علمًا ودينًا ورِوايةً، وكان عاليَ السّند في الحديث، فرحل إليه الأعْلام وأخذ عنه الأيِمّة، وأوفت به الشُّهرةُ على ثَنايا السّيادة. فانتهت إليه رئاسَةُ بلده على عهد يَعْقوبَ المَنْصورِ وبَنيه. ونَشأ ابنُه أبو عليّ في جَوّ هذه العِناية. وكان [جَمُوحًا](أ) للرّئاسة طامحًا إلى الاستبداد،/ وهو مع ذلك خِلْوٌ من [161أ] المَعارف؛ فلمّا هَلك أبوه جرَى في شَأْو رئاسته طَلْقًا، ثم رأى ما بين مَغْرَاوَةَ وبين عَبْد الوَاد من الفِتْنة، فحدّثته نفسُه بالانتِزاء بينهما ببلده، فجمع لها جَرامِيزَه(1)، وقطع الدّعاء للخَليفةِ المستَنْصرِ سنةَ تسع وخمسين. وبلغ الخبرُ

(أ) من أ، وفي ظ: خمو. وفي ص: جموعها.

---

(1) يقال جمع فلان جراميزه : إذا اجتمع ليثب. وبنو جُرْموز بن الحارث من قبائل زهران بن كعب، يقال لهم الجراميز، يقول الشاعر:

قل للمهلّب إن نابتْك نائبةٌ   فادعُ الأشاقِرَ وانهض بالجراميز

وجَرْمَز الرجلُ واجرَمّز: إذا انقبض واجتمع بعضُهُ إلى بعض.

إلى تُونِس، فسَرّح الخَلِيفَةُ أخاه أبا حَفْصٍ في عَسْكَرٍ من المُوَحِّدِينَ، في جُمْلَتِه دُنْ الرِيك بن هِرانْدَة من آل أذفُونْش مُلوكِ الجَلالِقَة، كان نازعًا إليه عن أبيه في طائفةٍ من قومه، فنازلوا مِلْيَانَةَ أيامًا. وداخل السلطانُ طائفةً من مَشْيَخَة البلَد المنحرفينَ عن ابن المِلْيَاني، فسرَّبَ إليهم جنودًا بالليل، واقتحموها من بعض المداخِل. وفَرّ أبو عَليّ المِلْيَاني تحت الليل، وخرج من بعض قَنوات البلَد، فلحِق بأحياء العرب، ونزل على يَعْقوبَ بن موسى أميرِ العَطّافِ من بُطون زُغْبَة، فأجارَه إلى أن لحِق بعدَها بيعقوبَ بن عبد الحقّ، فكان من أمْره ما ذكرناه من أخْبارهم.

وانصرف عَسْكَرُ المُوَحِّدِينَ والأميرُ أبو حَفْصٍ إلى الحَضْرَة، وعقَدوا لمحمّد بن مِنْدِيلَ على مِلْيَانَة، فأقام فيها الدَّعوةَ الحَفْصيَّةَ على سَنَن قومه. ثم هلَك محمدُ بنُ مِنْدِيلَ سنةَ اثنتَيْن وستّين لخمس عشْرة من ولايته، قتلَه أخواهُ ثابِتٌ وعَائدٌ بمنزل ظَواعِنهم بالخميس من بَسيط بلادهم. وقُتِل معه عَطِيَّةُ بن أخيه مَنِيف، وشاركه ثابِتٌ في الأمْر، واجتمع إليه قومُه، وتقَطّع بين أولاد مِنْدِيلَ وخَشُنَتْ صدورُهم، واستغلَظ يَغْمَراسِنُ بنُ زَيّانَ عليهم، وداخلَه عُمَرُ بن مِنْدِيلَ أخوهم في أن يُمَكِّنه من مِلْيانَة، ويَشدّ عضُدَه على رئاسة قومه، فشارَطَهُ على ذلك، وأمْكنه من رُمّةِ[1] البلَد سنةَ ثمانٍ وستّين. ونادَى بعزل ثابِتٍ ومُؤازرة عُمَرَ على الأمر، فتمّ لهما ما أحْكماه من أمرهما في مَغْراوَة. / [61 ب] واستمكن بها يَغْمَراسِنُ من قيادِ قومه، ثمّ تَنازع(أ) أولادُ مِنْدِيلَ في الازدلاف[2] إلى

(أ) أ: تناغى، ص: تنازعا.

---

(1) أعطاه برُمّته، أي بجُملته، وأصلُه أن رجلاً دَفَع إلى آخر بعيرًا بحبل في عنقه، فصار يقال لكل من دفع شيئًا بجملته، أعطاه برُمّته، والرمّةُ قطعة من حبْلٍ بالٍ.

(2) الازدلاف: التقرّب.

يَغمُرَاسِنَ بمثلها، نكايةً لعُمَر. فاتّفق ثابتٌ وعَائِدٌ أولادُ مِنديلَ على أن يحكّماه في تَنَس، فأمكناه منها سنة اثنتين وسبعين على اثني عشر ألفًا من الذهب. واستمرّت ولايةُ عُمَرَ إلى أن هَلَك سنةَ ستّ وسبعين. فاستقلّ ثابتُ بن مِندِيلَ برئاسة مَغراوَة. وأجار عائِدٌ

أخوه إلى الأندَلُس للرّباط والجهاد مع صاحبَيْه زيّانَ بن محمد بن عبد القويّ وعبدِ المَلك بن يَغمُرَاسِنَ، لِحُولِ زناتة. واسترجع ثابتٌ بلادَ تَنَس ومِلْيانَة من يَد يَغمُرَاسِنَ، *ونبذ إليه العهدَ. ثم استغلظَ يَغمُرَاسِنُ عليهم واستردّ تَنَس سنةَ إحدى وثمانين بين يَدَيْ مَهْلِكه. ولما هلك يَغمُرَاسِنُ*[أ] وقام بأمر[ه][ب] ابنُه عثمان، انتقَضتْ عليه تَنَس. ثم رَدّد الغَزوَ إلى بلاد تُوجِّين ومَغراوَة حتّى غَلَبهم آخِرًا على ما بأيديهم، وملَكَ المَدِينَة بمُداخلة بني المَدِينة أهلِها سنةَ سبعٍ وثمانين. وغلَب ثابِتُ بن مِندِيلَ على مَازُونَة فاستولى عليها. ثمّ نزلَ له عن تَنَس أيضًا فملكها. ولم يزل عُثمانُ مراغِمًا لهم إلى أن زَحف إليهم سنةَ ثلاثٍ وتسعين، فاستولى على أمصارهم وضَواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم إلى الجبال. ودخل ثابِتُ بنُ مِندِيلَ إلى بَرِشْك مُمانِعًا دونَها، فزحف إليه عُثمانُ وحاصَرهُ بها، حتّى إذا استَيْقن أنّه أُحيط به، ركبَ البحرَ إلى المَغرِب، ونزلَ على يُوسُفَ بن يعقوبَ سلطانِ بني مَرِينَ صريخًا سنةَ أربعٍ وتسعين، فأكرمه ووَعَده بالنُّصرةَ من عدُوّه، وأقام بفَاس، وكانت بَيْنه وبين ابنِ الأشهَبِ من رجالات بني عَسْكَر صِحابةٌ ومُداخَلَة. فجاءه بعضَ الأيّام إلى منزله ودخلَ [62أ] عليه من غير استِئذان، وكان ابنُ الأشهَبِ / ثَمِلاً، فَسَطا به وقتَله. وثأر السّلطانُ به منه وانفجع لِمَوْتِه.

(أ) سقط ما بين النجمين من أ (ب) ضمير الغائب ه مضاف في نسخة أ وحدها.

وكان ثابتُ بن مِنْدِيلَ قد أقام ابنه محمدَ للأمر في قَوْمه وولّاه عليهم لعَهْده، واستبدّ بمُلْك مَغْراوَةَ دونَه. ولمّا انصرف أبوه ثابتٌ إلى المَغْرِب، أقام هو في إمارته على مَغْراوَةَ. وهلك قريبًا من مَهلك أبيه، فقام بأمرهم من بعده شقيقُه عَلِيّ، ونازعَه الأمرَ أخواه زَحْمُونٌ ومَنِيفٌ، فقتله مَنِيفٌ، ونَكِرَ ذلك قومُهم، وأبَوْا من إمارتهما عليهم، فلحقا بعُثْمانَ بن يَغْمَراسِنَ، فأجازَهما إلى الأَنْدَلُس. وكان أخوهما مُعَمّرُ بن ثابتٍ قائدًا على الغُزاة بالبقَيْرة فنزل لمَنِيف عنها، فكانت أوّل ولاية وَلِيَها بالأَنْدَلُس. ولحِقَ[(أ)] بهم أخوهم عبدُ المؤمن، فكانوا جميعًا هنالك. ومن أعقاب عبد المؤمن يَعْقوبُ بن زَيّانَ بن عبد المؤمن، ومن أعقاب مَنِيف......[(ب)] ابن عمر بن مَنِيف، وجماعةٌ منهم، هم لهذا العَهْد بوطن الأَنْدَلُس. ولما [هلَكَ][(ج)] ثابتُ بن مِنْدِيلَ سنةَ أربعٍ وتسعين كما قلْناه، كفَلَ السّلطانُ ولدَه وأهلَه. وكان فيهم حافِدُه رَاشِدُ بنُ محمد، فأصهره إليه في أُخْته فأنكحَه إيّاها، ونهضَ إلى تِلِمْسَانَ سنةَ ثمانٍ وتسعين، فأناخَ عليها واختطَّ مدينتَه لحصارها، وسَرَّح عساكره في نواحيها، وعقد على مَغْراوَةَ وشَلَف لعُمر ابن ويغْزَنْ بن مِنْدِيلَ وبعثَ معه جيشًا. فافتتح مِلْيَانَة وتَنَس ومَازُونَةَ سنةَ تسعٍ وتسعين، ووَجَد رَاشِدٌ في نفسه إذ لم يولّه على قَوْمه. وكان يَرى أنّه الأحقّ بنسبه وصِهْرِه، فنزعَ عن السّلطان ولحق بجبال مِتّيجَة، ودَسّ إلى أوليائه في مَغْراوَة حتّى وَجَد فيهم الدّخْلَةَ، فأغَذّ السّير / ولحِق بهم، فافترقَ [62 ب] أمرُ مَغْراوَة، وداخل أهلَ مَازُونَةَ فانتقَضوا على السّلطان، وثبتَ[(د)] عُمَرُ بن .....[(هـ)] ويغْزَنْ بأزَمّوز من ضَواحي بلادهم فقَتَله[(و)]، واجتمعَ عليه قومُه.

(أ) أ: فلحق (ب) فراغ لكلمتين في ظ أ (ج) من أ ص (د) هكذا ضبطت في أ وجاءت الكلمة مهملة في ظ ص فيمكن أن تقرأ: بَيّت (هـ) فراغ بقدر كلمة في ص والاسم متصل في أ ظ (و) أمام هذا السطر في نسخة أ بخط المؤلف: "يعني راشد قتل عمر بن ويغزن".

وسرّح السلطانُ إليه الكتائبَ من بني عَسْكَرٍ لنظر الحسَنِ بن عليّ بن أبي الطَّلاَّق، ومن بني وَرْتَاجَنْ لنظر عليّ بن محمد الخَيْرِي، ومن بني تُوجِّيْنَ لنظر أبي بكر بن إبراهيم بن عبد القَوِيّ، ومن الجند لنظر عليّ بن حسّان الصّبحي من صنائعه. وعقد على مَغْراوَةَ لمحمد بن عُمر بن مِنْدِيلَ. وزحفوا إلى مَازُونَة، وقد ضبطها رَاشِدٌ وخلّف عليها عليًا وحَمُّو ابنَيْ عمّه يَحْيَى بن ثَابِت، ولحِقَ هو ببني بُوسعيد مُطِلاًّ عليهم. وأناختِ العساكرُ بمَازُونَة ووَالَوْا عليها الحصارَ سنتَيْن حتّى أجهدوهم. وبَعث عليُّ بنُ يَحْيَى أخاه حَمُّو إلى السّلطان من غير عَهْدٍ فتقبّض عليه. ثم اضطَرَّهُ الجَهْدُ إلى مَرْكَب الغرور، فخرج إليهم مُلْقِيًا بيده سنة ثلاثٍ، وأشخَصوه إلى السّلطان فعفا عنه واستَبْقاهُ، واحتَسَبَها تأنيسًا واستِمالةً لرَاشِدٍ. ثم سَرَّح العساكرَ إلى قاصية الشّرق، لنظَر أخيه أبي يَحْيَى بن يَعْقوب، فنازلَه رَاشِدُ بنُ محمد في مَعْقل بني بُوسعيد. وطال حِصارُه إيّاه، وأمكَنَتْه الغِرّةُ بعضَ الأيّام في العساكر وقد تعلّقوا بأوْعار الجبل زاحِفين إليه فهزَمَهم. وهلكَ في تلك الواقعة خلْقٌ من بني مَرِينَ وعساكِرِ السّلطان، وذلك سنة أربعٍ وسبْع مائة.

وبلغ الخبرُ إلى السّلطان فأحْفظَه ذلك عليهم، [وأمر][1] ابن عمّه عَلِيَّ ابن يَحْيَى وأخيه حَمُّو ومن معهم من قَوْمهم، فقُتِلُوا رَشْقًا بالسّهام واسْتَلْحَمَهُمْ، ثم سرّح أخاه أبا يَحْيَى بن يعقوب ثانيةً سنةَ أربعٍ، فَاسْتَوْلَى على بلاد مَغْراوَةَ. ولحِق رَاشِدٌ بجبال صِنْهَاجَة من مِتِّيجَة، ومعه عمُّه مَنيف بن ثَابِتٍ ومن اجتمع إليهم من الثّعَالِبَة، فنازلَهم أبو / يَحْيَى بن يعقوبَ. وراسَلَ رَاشِدٌ [163أ] يُوسُفَ بن يَعْقوبَ، فانعقدت بينهما السِّلْم، ورجعتِ العساكرُ عنهم. وأجاز

(أ) من ص.

مَنيف بن ثابت مع بنيه وعَشيرته إلى الأندلس، فاستقرّوا هنالك آخرَ الأيّام.

ولما هَلك يُوسُف بن يعقوبَ بمَنَاخِه على تِلِمْسَانَ آخرَ سنةِ ستٍّ، وانعقدت السّلْمُ بين حافِدِه أبي ثابتٍ وبين أبي زيّانَ بن عثمانَ، سلطانِ بني عَبْد الوَاد، على أن يُخَلّي له بنو مَرينَ عن جميع ما مَلكوه من أمصارهم وأعمالهم وثُغورهم، وبَعثوا في حاميَتهم وعُمّالهم، وأسْلموها لعمّال بني زَيّانَ. وكان رَاشِدٌ قد طمِع في استِرْجاع بلاده، وزَحف إلى مِلْيَانَةَ فأحاط بها. فلمّا نزلَ عنها بنو مَرينَ لأبي زيّانَ، وصارت مِلْيَانَةُ وتَنَسُ له، أخفق سَعْيُ رَاشِدٍ وأفْرج عن البلَد.

ثم كان مَهْلَك أبي زيّانَ قريبًا، ووَلِيَ أخوه أبو حَمُّو موسى بن عثمانَ، واستَوْلى على المَغرِب الأوْسَطِ. فَملَك تافركَنِّيت سنةَ سبعٍ. ومَلَك بعدها مِلْيَانَة والـمَدِيَةَ، ثمّ ملك تَنَس وعقد عليها لمُسَامِح مَولاه. وقارَنَ ذلك حَرَكةَ صاحبِ بِجَايَةَ السّلطان أبي البقاء خالد بن مَوْلانا[1] الأمير أبي زكرياء بن السّلطان أبي إسْحَاق إلى مِتّيجَة لاسترجاع الجَزَائِر من يَد ابن عَلّان الثائر عليهم. فلقيه هنالك رَاشِدُ بن محمد، وصار في جملته، وظاهَره على شأنه، ولَقّاه السّلطان تَكْرِمَةً وبِرًّا، وعقَد له ولقومه حِلفًا مع صِنْهَاجَة أولياء الدّولة والمتغلّبين على ضاحية بِجَايَة وجبال زَوَاوَةَ. فاتّصلت يَدُ رَاشِدٍ بيد زَعيمهم يَعْقوبَ بن خَلُوف آخرَ الدّولة.

ولما نهض السّلطان خالدٌ للاستِئْثار بمِلْك الحَضْرَة تُونِس، استَعْمل يعقوبَ بن خَلُوف على بِجَايَة، وعَسْكَرَ معه رَاشِدٌ بقومه، وأبْلَى في الحروب

(1) سقط من أ.

[63 ب] بين يديه، وأغنى في مُظاهرة أوليائه، حتّى إذا / مَلك حضرتهم، واستولى على تُراث سَلَفهم، أسِفَ حاجبُ الدّولة رَاشِدًا هذا وقومَه بإمضاء الحكم في بعض حَشَمِه، تَعرّض للحَرَابَة في السّابِلَة، فتقبّض عليه، ورُفِع إلى سُدّة السّلطان، فأمضى فيه حكمَ الله.

وذهب رَاشِدٌ مُغاضبًا ولَحِق بوَليّه ابن خَلُوف ومُضْطَرِبه من زَوَاوَة. وكان يعقوبُ بن خَلُوف قد هَلك ووَلّى السّلطانُ مكانَه ابنَه عبدَ الرّحمن، فلم يَرْعَ حقَّ أبيه في إكرام صَديقه رَاشِدٍ وتشاجرَ معه في[أ] بعض الأيّام مشاجرةً نكِرَ عبدُ الرحمن فيها ملاحاةَ رَاشِدٍ له، وأنِفَ[ب] منها، وأدَلَّ فيها رَاشِدٌ بمكانه من الدّولة وببأس قَوْمه، فلذَعَهُ بالقول. وتناولَه عبدُ الرحمن وحَشَمُه وخزًا بالرّماح إلى أن أقْعَصُوهُ، وابذَعَرّ[1] جمعُ[ج] مَغراوَة، ولحِقوا بالثّغور القاصِية، وأقْفَرَ منهم شَلَف وما إليه كأن لم يكونوا به، فأجازَ منهم بنو مَنِيف وبنو ويغزَنْ إلى الأندَلُس للمُرابطة بثُغور المسلمين، فكانت منهم حاميةٌ مُوطّنةٌ هنالك أعقابُهم لهذا العهد. وأقام في جوار المُوَحّدِين فَلٌّ آخرُ من أوسط قَوْمهم، كانوا شَوْكَةً في عساكر الدّولة إلى أن انقرضوا. ولحِق عليٌّ بن رَاشِدٍ طفلاً بعمّته في قَصْر بني يعقوبَ بن عبد الحقّ فكفَلَته. وسار أولادُ مِنديلَ غضَبًا إلى وطن بني مَرِينَ فتولّوْهم وأحسنوا جوارَهم وأصهَروا إليهم سائرَ الدّولة، إلى أن تَغلّب السّلطانُ أبو الحسن على المَغرِب الأوْسَط ومَحَا دولةَ آل زَيّانَ، وجمعَ كلمةَ زَنَاتَة، وانتظم مع بلادهم بلادَ إفْرِيقِيَة وعملَ المُوَحّدِين.

(أ) سقط من أ (ب) أ: فلف (ج) ص: جميع.

---

(1) ابذعرّ : تفرّق.

وكانت نكبتُه على القَيْرَوان صدرَ سنة تسعٍ وأربعين كما شرَحْناه قبلُ، [ونشرحُه في أخبار دَوْلتهم][أ]. فانتقضت العمالاتُ والأطرافُ، وانتزى أعياصُ المُلك بمَوَاطِنِهم الأولى، فتوثَّب عليُّ بن رَاشِدِ بن محمد بن ثَابِت بن مِنْدِيلَ على بلاد شَلَف وتملَّكها، وتغلَّب على أمصارها: مِلْيَانَة وتَنَس وبَرِشْك وشَرْشَال. / وأعادَ ما كان لسَلفه بها من المُلك على طريقتهم البدويّة، وأرهفوا حَدَّهم لمن طالبهم من القبائل، وخَلَص السّلطانُ أبو الحسن من وَرْطَتِه بإفريقيّة، ثم من وَرْطة البَحْر بمرسَى بجَايَةَ إلى الجَزَائِرِ يحاول استرجاعَ مُلكه المفترِق، فبعثَ إلى عليّ بن رَاشِدٍ وذكَّره أذِمَّتَهُمْ[1]، فتذكَّر وحَنَّ واشتَرط لنفسه التّجافي له عن مُلْك قومه بشَلَف، على أن يُظاهِرَه على بني عَبْدِ الوَاد • فأبَى السّلطانُ أبو الحسن من اشتراط ذلك، فتحيَّز عنه إلى فِئَة بني عَبْد الوَاد •[ب] التّاجمين بتِلِمْسَانَ كما ذكرناهُ قبلُ، وظاهَرَهم عليه، وبرَز إليهم السّلطان أبو الحسن من الجَزَائِرِ، والتقى الجمعان بشَرْبُوية[ج] سنةَ إحدى وخمسين. فاختلَّ مَصَافُّ السّلطانِ أبي الحسن وانهزم جَمْعُه، وهَلك ابنُه النّاصِرُ، طَاحَ دمُه في مَغراوَة هؤلاء، وخَرج إلى الصّحراء ولحِق منها بالمَغرِبِ الأَقْصَى كما نذكره بعدُ.

وتطاوَل التّاجمُونَ بتِلِمْسَانَ من آل يَغْمُرَاسِنَ إلى انتظام بلاد مَغراوَةَ في مُلكهم كما كان لسَلفهم. فنهضَ إليهم بعساكر بني عَبْدِ الوَاد رديفُ سُلْطانهم وأخوهُ أبو ثَابِت الزَّعِيمُ ابن عبد الرّحمن بن يَحْيَى بن يَغْمُرَاسِنَ، فأوطأَ قومَه بلادَ مَغراوَة

(أ) زيادة بخط المؤلف من أ (ب) سقط ما بين النجمين من أ (ج) مهملة في ظ وثانيها راء كما في ص، وفي أ: شديوية.

(1) تقدم استعمال ابن خلدون لصيغة هذا الجمع للذمّة، وهي العهد والأمان والضمان والحقّ والحرمة.

سنةَ اثنتين وخمسين، وفلَّ جموعَهم وغلبهم على الضّاحية والأمصار، وأحجر عليَّ بن رَاشِدٍ بتَنَس في شرْذمة من قومه، وأناخ بعساكره عليه. وطال الحصارُ ووقع القلبُ، ولمّا رأى عليُّ بن رَاشِدٍ أنْ قد أحيط به، دخلَ إلى زاوية من زوايا قَصْره انتبذ فيها عن الناس، وذبحَ نَفْسه بحدِّ حُسامه، وصار مثلاً وحديثًا للآخرين. واقتحم البلَدَ لحينه واستُلْحِم من عثِرَ عليه من مَغْراوَة، ونجا الآخرون إلى أطْراف الأرض ولحقوا بأهْل الدُّوَل، فاسْتُركِبوا واستُلْحِقوا وصاروا جُنْدًا للدُّول / [64 ب] وحَشَمًا وأتباعًا، وانقرض أمرُهم من بلاد شَلف.

ثم كانت لبنى مَرِينَ الكَرَّةُ الثانية إلى تِلِمْسَان. وغلَبوا آل زَيّانَ ومَحَوْا آثارَهم، ثم فاء ظِلُّهم بمَهْلَك السلطان أبي عِنان، وحُسِر تيّارُهم. وجدَّد الناجمون من آل يَغْمُرَاسِنَ دولةً ثالثةً بمكان عملهم على يد أبي حَمُّو الأخير ابن موسى بن يُوسُف كما نذكره في أخبارهم. ثم كانت لبني مَرِينَ الكَرَّة الثالثة إلى بلاد تِلِمْسَان. ونهض السّلطان عبدُ العزيز بن السّلطان أبي الحسن إليها، فدَخلها فاتحَ سنةِ اثنتَيْن وسبْعين، وسرّح عساكره في اتّباع أبي حَمُّو الناجم بها من آل يَغْمُرَاسِنَ حين فرّ أمامَه في قومه وأشياعه من العَرب كما يأتي ذلك كلُّه. ولما انتهتِ العساكرُ إلى البَطْحاء تلَوَّموا(1) هنالك أيامًا لإزاحة عِلَلِهم، وكان في جُملتهم صَبِيٌّ من ولَد عليّ بن رَاشِد الذّبيح، اسمه حَمْزة، رُبِّي يتيمًا في حِجْر دَوْلتهم لذِمام الصِّهْرِ الذي لقومه فيهم، فكَفَلَتْه نِعْمَتُهم وكَنَفَه جوُّهم حتّى شبَّ واستوَى، وسَخِط رِزْقَه في ديوانهم وحالَه بين وُلْدانهم، واعترَض بعضَ الأيّام قائدَ الجيوش الوزيرَ أبا بكر بن غازي شاكيًا، فجبهه وأساء رَدَّه، فركب

(1) تلوّموا في الأمر تلوّمًا: تمكّثوا فيه وانتظروا.

اللّيل ولحِق بمَعْقِل بني بُوسعيد من بلاد شَلَف، فأجاروهُ ومَنعوه، ونادَى بدَعْوة قومه فأجابوهُ. وسَرّح إليه السّلطانُ عبد العزيز وزيرَه عمرَ بن مسعود بن مِنْدِيل ابن حَمَامَة كبيرَ تيربيعَيْن(أ) في جَيْش كثيف من بني مَرِينَ والجنْد، فنزلَ بساحة ذلك الجبل فحاصرَهم حَوْلا كَرِيتًا(1)، ينالُ منهم وينالون منه، وامتنعوا عليه.

واتّهم السلطانُ وزيرَه بالمداهَنة، وسَعى به مُنافِسوه، فتقبّض عليه، وسرّح وزيرَه الآخرَ أبا بكر بن غازي، فنهض يجُرُّ العساكرَ الضّخمةَ والجيوشَ الكثيفةَ إلى أن نزلَ بهم وصَبَّحَهم القتالَ، / [165] فقذَف اللهُ في قُلوبهم الرُّعْبَ، وأنزلَهم من مَعْقلهم، وفرَّ حمزةُ بن عليّ في فَلّ من قَوْمِه، فلَحِق ببلاد حُصَيْنٍ المنتقِضين -كانوا- على الدّولة مع أبي زَيّانَ بن أبي سَعيدٍ التّاجِم من آل يَغمَراسِنَ حسبما نذكرُهُ. وأتى بنو أبي سَعيدٍ طَاعَتَهم وأخلَصوا الضّمائرَ في مَغَبّتِها، لحُسْنِ مَوْقِعِها. وبدَا لحمْزَة في الرُّجوع إليهم، فأغذَّ السّيرَ في لُمَّةٍ من قَوْمه، حتّى إذا ألَمَّ بهم نَكِروه لمكان ما اعتلَقوا به من حَبْل الطّاعَة، فتساهَل إلى البسائِط، وقصدَ تيمَزْوَغْتَ(ب) يظُنّ بها غِرّةً ينتهزُها، وبرزت إليه حاميتُها، ففَلُّوا حَدَّه وردُّوه على عَقِبه، وتسابقوا في اتّباعه إلى أن تَقَبّضوا عليه، وقادوه إلى الوزير بن غازي ابن الكَاسْ. وأوعَزَ إليه السّلطانُ فقتَله(ج) في جُملة أصحابه. فضرَب أعناقَهم وبعثَ بها إلى سُدَّة السّلطان، وصَلَبَ أشلاءَهم على خُشُبٍ مُسَنّدة، نصبَها لهم ظاهر مِلْيَانَة. وامّحَى أثرُ مَغراوَةَ وانقرض أمرُهم، وأصبَحوا خَوَلًا للأمراء وجُندًا في الدّول وأوزاعًا في الأقْطار، كما كانوا قبلَ هذه الدّولة الأخيرة لهم. والبقاءُ لله وَحْده، و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص، الآية 88].

(أ) كذا رسمت مهملة في ظ، ومعجمة في ص أ، ولم يتضح لنا معنى صيغتها المركبة (ب) كذا ضبطت في أ (ج) أ: بقتله.

(1) كريتًا: تامًّا كاملًا.

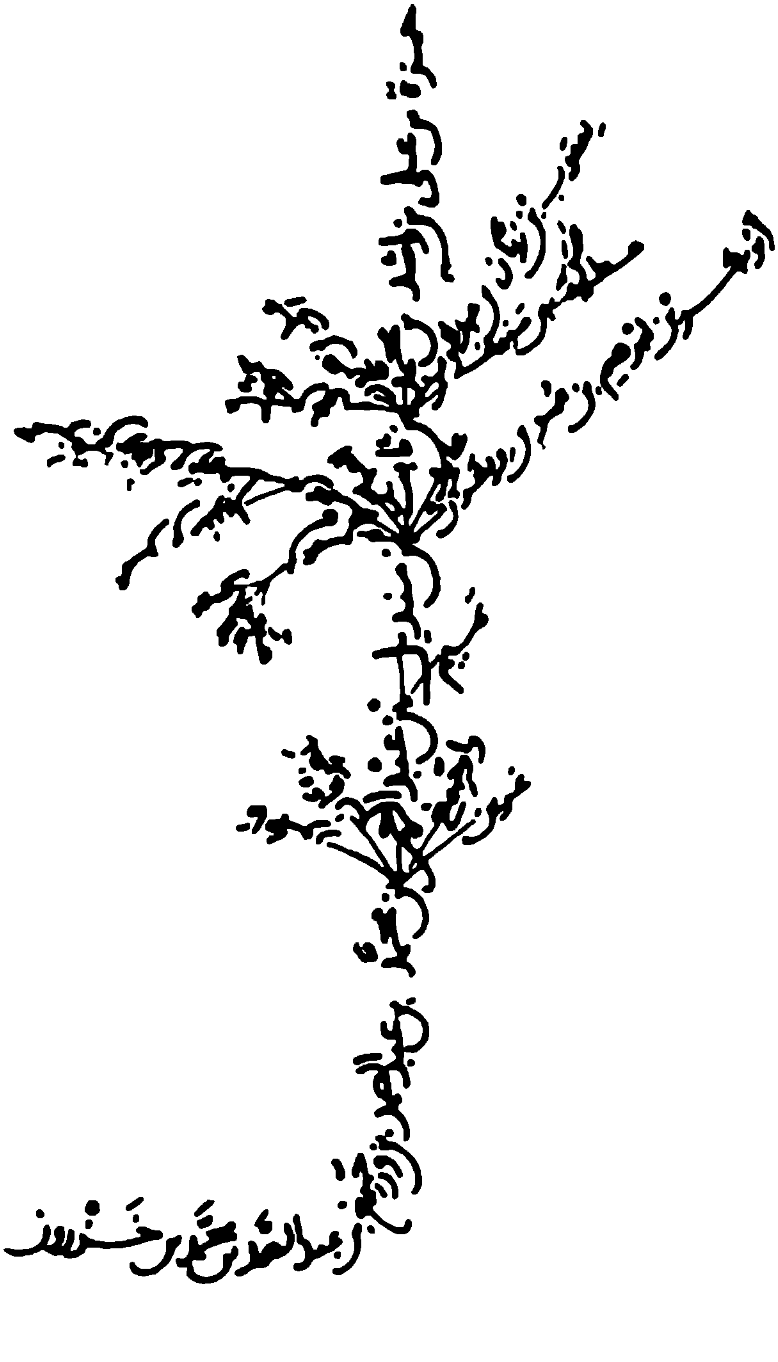

[أولاد مِنديلَ من الطبقة الثانية من مَغراوة أهل شَلَف]

● / الخبرُ عن دوْلةِ بني عَبْد الواد من هذه الطبقة الثانية، وما كان لهم بتِلِمْسَان وبِلاد المغربِ الأوْسطِ من المُلك والسُّلطان، وكيف كان مَبدَأُ أمْرِهم ومصائرُ أحوالِهم [66 أ]

قد تقدّم لنا في أوّل هذه الطّبقة الثانية من زناتة ذِكرُ بني عَبْد الوَاد هؤلاء، وأنّهم من ولَد يَادِينَ بن محمد، إخوة تُوجّينَ ومصَاب وزَرْدَال وبني رَاشِد. وأن نَسَبهم يرتفع إلى زَجِّيك بن وَاسِين بن [وَرْجيك][(أ)] بن جَانَا[(ب)]، وذكرنا كيف كانت حالُهم قبل المُلك في مَوَاطِنِهم تلك. وكان إخوانهم بمصَاب وجبل رَاشِدٍ وفِيكيك ومَلوِيّة[(ج)]. ووصَفْنا من حال فِتْنتهم مع بني مَرِينَ إخوانهم المجتمعين معهم بالنّسب في زَجّيك بن وَاسِين. ولم يزل بنو عَبْد الوَاد هؤلاء بمَوَاطِنِهم تلك، وكان إخوانهم بنو رَاشِدٍ وبنو زَرْدَال وبنو مصَاب مُنْحَرِين[(د)] إليهم بالنّسب والحِلْف، وبنو تُوجّينَ مُنابِذِينَ لهم أكثرَ أزمانهم. ولم يزالوا جميعًا متغلّبين على ضاحية المَغرِب الأوْسطِ عامّةَ الأزمان. وكانوا تَبَعًا فيه لبني وَمَانُو و[بني][(هـ)] يَلُومِي حين كان لهم التّغلُّب فيهم، وربّما يقال أنّ شيخَهم لذلك العهد كان يُعرف بيُوسُف بن تكْفَا. حتّى إذا نزل عبدُ المؤمن والمُوَحِّدُونَ نواحيَ تِلِمْسَانَ، وسارَتْ عساكِرُهم إلى بلاد زَنَاتة تحت راية الشّيخ أبي حَفصٍ، فأوقعوا بهم كما ذكرناهُ، حَسُنَتْ بعد ذلك طَاعَةُ بني عَبْد الوَادِ وانْحياشُهم إلى المُوَحِّدِين.

وكانت بطونُهم وشعوبُهم كثيرةً، أظهرُها - فيما يذكرون - ستّة: بنو يَاتْكِين وبنو وَلّلُو وبنو وَرْصَطّف[(و)] ومَصُوجَة[(ز)] وبنو تُومَرْتْ وبنو القَاسِم، / ويقولون [66 ب]

(أ) من أ جيمًا مشمة بالشين، وفي ظ: ورسيك، وفي ص بالشين (ب) الضبط من ص (ج) أ: ملوية (د) أ: متحيزين (هـ) ظ: بنو (و) ص: ورصيطف (ز) ظ ص مصوحه، بالحاء. والصاد المشمة من أ ص.

بلسانهم إيثْ القاسِمْ. وإيثْ حرف الإضافة النسبيّة عندهم. ويزعُم بنو القاسم هؤلاء أنّهم من وَلَد القاسم بن إدْريس. ورُبّما قالوا في هذا القاسِم أنّه ابن محمد ابن إدْريس، [أو ابن محمد بن عبد الله، أو ابن محمد بن القاسِم، وكلّهم من أعقاب إدْريس][أ]، مَزْعَمًا لا مُستند له إلا اتّفاق بني القاسِم هؤلاء عليه. مع أنّ الباديةَ بُعَداءُ عن معرفة مثل هذه الأنساب، والله أعلمُ بصحّة ذلك. وقد قال يَغمُرَاسِنُ بن زَيّانَ أبو مُلوكِهم لهذا العهد، لما رُفِع نسبُه إلى إدريس كما يذكروه[ب]، فقال بِرَطَانَتِهم ما معناه: إنْ كان هذا صحيحًا فينفعُنا عند الله، وأما الدّنيا فإنّما نِلْناها بسُيوفنا.

ولم تزل رئاسةُ بني عَبْد الوَاد في بني القاسِم لشدّة شَوْكتهم واعْتِزازِ عصبيّتهم. وكانوا بطونًا كثيرةً. فمنهم بنو يَكْنِيمَن بن القاسِم وكان منهم ويغْزَنْ بن مَسْعُود بن يَكْنِيمَن وأخواه يَكْنِيمَن وعمر. وكان أيضا منهم آعَذْوي[ج] بن يَكْنِيمَن الأكبر، ويُقال الأصغر. ومنهم أيضا عبد الحقّ بن مَنْغْفَاذْ من ولد ويغْزَنْ[د]. وكانت الرّئاسة عليهم لعهد عبد المؤمن، لعبد الحقّ بن مَنْغْفَاذْ وآعَذْوي بن يَكْنِيمَن. وعبد الحقّ بن مَنْغْفَاذْ هو الذي استنقذ الغنائمَ من يدي بني مَرِينَ، وقَتَل المُخَضَّبَ بمَسُونَ حين بعثه عبدُ المؤمن مع المُوَحِّدِينَ لذلك. والمؤرِّخونَ يقولون عبد الحقّ بن مَعَاد بميم وعين مهملة مفتوحتين وألف بعدها، وهو غلَط. وليس هذا اللفظ بهذا الضّبط من لغة زَنَاتَة. وإنما هو تَصحيف مَنَغْفَاذْ، بميم ونون بعدها مفتوحتين، وغين بعدهما معجمة ساكنة، وفاء مفتوحة، والله أعلم.

(أ) زيادة من أ ص (ب) ص: نذكره، أ: يذكرونه (ج) رسمها في أ: ماغنوي (د) كذا ضبطت في أ

ومن بُطون بني القَاسِم أيضا بنو مَطْهَرَ[أ] بن يَمَّلَ[أ] بن مزكَّن[أ]، بن القَاسِم. وكان حَمَامَةُ بن مَطْهَرٍ من شُيوخهم لعهد عبد المؤمن، وأبلى في حُروب زَنَاتَةَ مع المُوَحِّدِينَ، / ثم حسُنت طَاعَتُه وانحياشُه.

ومن بُطون بني القَاسِمِ أيضًا بنو عَلِيّ، وإليهم انتهت رئاستُهم، وهو أشدُّهم عصبيةً وأكثرُهم جمعًا. وهم أربعة أفخاذ: بنو طَاعَ الله، وبنو دُلُول[أ]، وبنو كَمِّي، وبنو مُعْطِي بن جَوْهَر. والأربعة بنو عليّ. ونصابُ الرِّئاسة في بني طَاعَ الله لبني محمد بن [زَكْدَاز][ب] بن يَنْدُوكْسَنْ بن طَاعَ الله. هذا ملخّص الكَلام في نسبهم.

ولما مَلَكَ المُوَحِّدُونَ بلادَ المَغرِبِ الأوْسَطِ، وَبَلَوْا من طَاعَتهم وانحياشهم ما كان سببًا لاستِخْلاصهم، فأقطعوهم عامَّة بلاد بني يَلُومِي وبني وَمَانُو، وأقاموا بتلك المواطن. وحدثت الفِتْنة بين بني طَاعَ الله وبني كَمِّي، إلى أن قتل كَنْدُوزُ ابن.....[ج] من بني كَمِّي زَيَّانَ بن ثَابِتٍ كبيرِ بني محمد ابن زَكْدَاز وشيخِهم. وقام بأمرهم بعدَه جَابِرُ بنُ عمِّه يُوسُفَ بن محمد. فثار ابنُ كَنْدُوز بزَيَّانَ بنِ عمّه وقتلَه به في بعض أيّامهم وحُروبهم. ويقال قَتله غِيلَةً، وبعث برأسه ورُؤوسِ أصحابه إلى يَغمْرَاسِن بن زَيَّانَ بن ثَابِت، فنُصبت عليها القُدور أثافِيَ، شفايةً لنُفوسهم من شَأن أبيه زَيَّان.

وافترق بنو كَمِّي وفرَّ بهم عبد الله بن كَنْدُوز كبيرُهم، فلحقوا بتُونِس. ونزل على الأمير أبي زكرياء كما سَنذكره بعدُ. واستبدّ جابرُ بنُ يُوسُف ابن محمد برئاسة بني عَبْد الوَاد. وأقام هذا الحيُّ من بني عَبْدِ الوَادِ بضَواحي

(أ) كذا مضبوطة في أ (ب) في ظ ص: زكرايا محرفًا، والتصويب من مشجّر ظ ومن أ (ج) فراغ بمقدار كلمة في الأصول، وفي المشجّر أنه ابن كمّي، وليس هو، لبعد الزمن بينه وبين زيّان (انظر المشجّر).

المَغرب الأوسَط. حتّى إذا فشلَ ريحُ بني عبد المؤمن، وانتزى يحيى بن غانِيَة على جهات قابِس وطَرابُلُس، ورَدَّدَ الغزوَ والغارات على بَسائط إفريقيَّة والمَغرب الأوسَطِ، فاكتسحَها وعاثَ فيها، وكَبَسَ الأمصارَ فاقتحمها، وانتسفَ بلاد زَناتَة وقتلَ أمراءهم، ودخلَ تِلِمسانَ ووَهْرانَ واستباحَهما وغيرَهما من بلاد المَغرِب / الأوسَطِ. وألحَّ على تاهَرْت بالغارة وإفساد السابلة وانتساف الزرْع، وحطْم النعَم إلى أن خربَت وعفَى رسمُها لسنيّ الثلاثين من المائة السابعة. وكانت تِلِمسانُ لذلك العهد نُزُلاً للحامية ومَناخا للسيّدِ من القَرابة الذي يضُمّ نشْرَها ويَذُبّ عن أنحائها.

وكان المأمونُ قد استعمل على تِلِمسانَ أخاه السيّدَ أبا سعيدٍ، وكان غُفْلاً ضعيفَ التدبير، وغلَب عليه الحسَنُ بن حَيُّون من مَشيَخةِ قومه كُومِيَّة، وكان عاملاً على الوطن، وكانت في نفسه من بني عَبْد الوَاد ضغائنُ جرّها ما كان حدَث لهم من التغلُّب على الضاحية وأهلها. فأغرَى السيّدَ أبا سعيدٍ بجماعة مَشْيَخَةٍ منهم وَفَدوا عليه، فتقبّض عليهم واعتقلهم. وكان في حامية تِلِمسانَ لَمّةٌ من بقايا لَمْتونَةَ تجافَتِ الدولةُ عنهم، وأثبتهم عبدُ المؤمن في الديوانِ وجعلهم مع الحامية. وكان زعيمُهم لذلك العهد إبراهيمَ بن إسماعيل ابن عَلّان، وشفَع عندهم في المَشْيَخَةِ المعتقلين من بني عَبْد الوَاد، فردّوه، فغَضِب وحَمي أنفُه، وأجمع الانتقاض والقيامَ بدعوة ابن غانِيَة، ليجدّد مُلْك المرابطين من قومه بقاصية الشرق. فاغتال الحسنَ بن حَيُّون لحينه، وتقبّض على السيّد أبي سعيدٍ، وأطلق المَشْيَخَةَ من بني عَبْد الوَاد، ونقض طاعةَ المأمون، وذلك سنةَ أربعٍ وعشرين. وطيّرَ بالخبر إلى ابن غانِيَة فأغذّ إليه السيرَ، ثم بدا له في أمر بني عَبْد الوَاد، ورأى أن مِلَاكَ أمره في خَضْدِ

شَوْكتهم وحَصِّ جناحِهم. فحدَّث نفسَه بالفَتْك بمشْيَختهم، ومَكَر بهم في دَعْوة واعَدهم لها، وفطِن لتدبيره ذلك جابرُ بن يُوسُف شيخُ بني عَبْدِ الوَاد، فواعَده اللّقاء والمؤازرة، وطوى / له على النثّ[1]. وخرجَ إبراهيمُ بن عَلّانَ إلى لقائه ففتك به جابرٌ، وبَادَرَ إلى البَلد فنادى بدَعْوة المأمون وطَاعَتِه. وكشف لأهلها القِناعَ عن مَكْرِ بن عَلّانَ بهم، وما أوقعهم فيه من وَرْطة ابن غَانِيَة، فحمِدوا الله وشكروا جابرًا على صَنيعه، وجدّدوا البَيْعة للمأمون.

واجتمع إلى جابرٍ في أمْره هذا كافّةُ بني عَبْد الوَاد وأحلافُهم من بني رَاشِد. وبعث إلى المأمون بطَاعَتِه واعْتماله في القِيام بدَعْوته، فخاطبه بالشّكر، وكتبَ له العهدَ على تِلِمْسَانَ وسائرِ بلاد زَنَاتَة، على رَسْم السّادة الذين كانوا يلُون ذلك من القَرابة، فاضْطلع بأمر المَغرِبِ الأوْسَط. وكانت هذه الولايةُ ركابًا إلى صَهْوة المُلك التي اقْتَعدوه من بعد. ثم انتقَض عليه أهل نَدْرُومَة(أ) بعد ذلك، فنازلَهم، وهلَك في حصارها بسَهْمِ غَرْبٍ[2] أثْبَته[3] سنةَ تسعٍ وعشرين.

وقام بالأمر بعده ابنُه الحسنُ، وجدّد له المأمونُ عهدَه بالولاية. ثم ضعُف عن الأمر وتخلّى عنه لستّة أشهرٍ من وِلايَتِه، ودفع إليه عمَّه عثمانَ بنَ يُوسُف. وكان سيّئَ المَلَكَةِ، كثيرَ العَسْفِ والجَوْر، فثارت به الرّعايا بتِلِمْسَانَ وأخرجوه سنةَ إحدى وثلاثين، وارتضَوْا مكانه ابنَ عمّه زَكَدازَ بنَ زيّانَ بن ثابِت الملقّب بأبي عَزّةَ. فاستَدْعَوْهُ لها ووَلَّوْه على أنفسهم وبلَدِهم، وسلّموا له

(أ) في أ بضم النون .

---

(1) النثّ: بثّ الخبر وإفشاء السِرّ .

(2) سهمٌ غَرْبٌ : لا يُعرف راميه .

(3) أثبته : أثخنه وجعله ثابتًا مكانه لا يفارقه .

أمرَهم. وكان مضطلعًا بأمر زَنَاتَة ومُستبِدًّا برئاستهم، ومُسْتوليًا على سائر الضَّواحي. فتنَفَّسَ بنو مَطْهَرٍ عليه وعلى قَوْمه بني عَلِيّ إخوانهم ما آتاهم الله من المُلْك وأكرمهم به من السّلطان، وحَسَدوا زَكْداز وسلَفَه فيما صار له من المُلْك، فشاقّوه ودَعَوْا / [68 ب] إلى الخروج عليه. واتّبعهم بنو رَاشِدِ بن محمد أحلافُهم منذ عهد الصَّحراء. وجمع لهم أبو عَزَّةَ سائرَ قبائل بني عَبْد الوَاد، فكانت بينه وبينَهم حربٌ سِجال هلَك في بعض أيّامها سنَةَ ثلاثٍ وثلاثين. وقام بالأمر من بَعْده أخوه يَغْمُرَاسِنُ بن زَيَّانَ، فوقع التّسليم والرِّضا به من سائر القَبيل، ودانَ له بالطّاعَة جميعُ الأمصارِ، وكتب له الخَلِيفَةُ الرّشيدُ بالعهد على عَمله. وكان له ذلك سُلَّماً إلى المُلك الذي أوْرَثَه بَنيه سائرَ الأيّام.

[169]

[بنو عَبْد الوَاد، من الطبقة الثانية من زناتة]

• / الخَبرُ عنِ تِلِمْسِانَ وما تأدَّى إلينا من أحوالها، من لَدُن الفتح إلى أن تأثل بها سلطانُ بني عَبْدِ الوَادِ ودَوْلتُهم ١٩ب

هذه المدينة قاعدةُ المَغرِب الأوْسَطِ وأمُّ بلاد زَناتَة. اختطَّها بنو يَفرَن بما كانت في مَوَاطِنِهم، ولم نقِف على أخبارها فيما قَبْل ذلك. وما يَزعُم بعضُ العَوامّ من ساكنها أنها أزليّةُ البناء، وأن الجدارَ الذي ذُكر في القرآن في قصّة الخَضِر ومُوسَى - عليهما السّلام- هو بناحية آكـادير[(أ)] منها، فأمْرٌ بَعيدُ عن التَّحصيل، لأنّ موسى عليه السلام لم يفارق المشرقَ إلى المَغرِبِ، وبنو إسرائيلَ لم يتّسع ملكُهم لإفرِيقِيَّة فضلاً عمّا وراءَها، وإنّما هي من مقالات التشيُّع المَجْبُول عليه أهلُ العالم في تَفْضيل ما يُنْسب إليهم أو ما يُنْسبون إليه من بَلَد أو أرضٍ أو عِلْمٍ أو صِناعة. ولم نقف لها على خبرٍ أقدمَ من خبر ابن الرّقيق[(1)] بأنّ أبا المهاجِر الذي وُلِّيَ إفرِيقيَّة بين وِلايَتَيْ عُقبة بن نافع الأولى والثانية، توغّل في ديار المَغْرِبِ ووَصل إلى تِلِمْسَانَ. وبه سُمّيت عيونُ أبي المهاجر قريبًا منها. وذكرها الطّبريّ[(2)] عند ذكر أبي قُرّة اليَفْرَني وإجْلابِه مع أبي حاتم والخوارج على عُمَر بنِ حَفصٍ بطُبْنَة، ثم قال: فأفرجُوا عنه، وانصرف أبو قُرّة إلى مواطنه بنواحي تِلِمْسَانَ. وذكرها ابنُ الرّقيق[(3)] أيضًا في

(أ) رسمت في أ: ماكادير.

---

(1) لا يوجد نص ابن الرقيق، والخبر ذكره المالكي: (رياض النفوس 1: 33) وابن ناجي: (معالم الإيمان 1: 48 ذكر أنها من أعظم مدائنهم) وقريب منه في القرن الأول أيضا ما رواه ابن عبد الحكم عن اتصال يُليان صاحب سبتة والمشرف على الجاز إلى الأندلس بطارق بن زياد وهو بتلمسين وأخذ منه ابنتيه رهينتين بأمر موسى بن نصير وأقرها هناك. (فتوح مصر وأخبارها 205)

(2) تاريخ الطبري8: 42 ولم يرد في حوادث سنة 153 ولم يورد الطّبري مُطلقًا اسم تلمسان (انظر الفهارس).

(3) ذكر ابن عبد الحكم عن يحيى بن بكير خبرًا يذكر المعركة بين ميسرة الفقير وأهل إفريقية التي قتل فيها إسماعيل ابن عبيد الله وخالد بن أبي حبيب سنة 123 هـ، وأن عبيد الله بن الحبحاب وَجّه إليهم حبيبَ بن أبي عبيدة فلما بلغ تلمسن أخذ موسى بن أبي خالد من موالي معاوية بن حُدَيج وكان على تلمسين وقد اجتمع إليه من تمسك بالطاعة، فاتهمه حبيبٌ أن يكون له هوًى أو قد دُسَّ للفِتْنة. فتوح مصر وأخبارها 218 .

أخبارِ إبراهيم بن الأغلب قبل اسْتِبداده بإفْرِيقِيَة، وأنّه توغّل في غَزْوه إلى المَغرِبِ ونزلَها.

واسمُها في لُغة زَنَاتَة مُركّب من كلمتَيْن: تلم[أ] سن ومعناهُما: تجمعُ اثنَيْن، يَعْنون البرَّ والبحرَ. ولما خَلُصَ إدريسُ الأكبرِ بنُ عبد الله بن الحسن إلى المَغْرِبِ الأَقْصَى واستَوْلى عليه، نهضَ إلى المَغرِبِ الأوْسَط سنةَ أربعٍ وسبعين، فتلقّاه محمدُ بن خَزَرِ بن صُولات[ب] / أميرُ زَنَاتَة وتِلِمْسَان، فدخلَ [170أ] في طَاعَتِه، وحمل عليها مَغْراوَةَ وبني يَفْرَن، وأمكنه من تِلِمْسَانَ فَملَكَها واختَطَّ مسجدَها وصنعَ مِنبَرَه، وأقام بها أشهرًا وانكفأ راجعًا إلى المَغْرِبِ. وجاء على أثَرِه من المشرق أخوه سُلَيْمَانُ بن عبد الله فنزلَها وولّاه أمرَها. ثم هلَكَ إدْريسُ وضَعُفَ أمرُهم.

ولما بويعَ لابنه إدْريس من بَعْده واجتمع إليه برابرةُ المَغْرِب، نهضَ إلى تِلِمْسَانَ سنةَ تسعٍ وتسعين ومائة، فجدّد مسجدَها وأصلَح مِنبرَها وأقام بها ثلاثَ سنينَ دَوّخ فيها بلادَ زَنَاتَة، واستَوْسَقت[1] له طَاعَتُهم، وعقد عليها لبني محمّدِ بن عَمِّه سُلَيْمَانَ.

ولما هلَكَ إدريسُ الأصْغر واقتَسم بَنوه أعمالَ المَغْرِبَيْن بإشارةِ أمّه كَنْزَةَ، كانت تِلِمْسَانُ في سَهْمَانِ عيسى[2] بن إدْريس بن محمد بن سُلَيْمَان، وأعمالُها لبني أبيه محمدِ بن سُلَيْمَان.

(أ) في ص: تيم سن، وفي أ: تيم سن (ب) كذا في أ .

---

(1) استوسق: اجتمعوا على طاعته واستقر أمر الملك فيه .

(2) انظر العبر 7: 38-

فلمّا انقَرضت دولةُ الأدَارِسَةِ من المَغربِ ووَلِيَ أمرَه مُوسَى بن أبي العَافِيَة بدَعْوة الشّيعة، نهض إلى تِلِمْسَانَ سنةَ تسعَ عشْرة، وغلب عليها أميرَها لذلك العهد الحسنَ بن أبي العَيْش بن عيسى بن إدْريس بن محمد بن سُلَيْمَان، ففرّ عنها إلى مَليلَة، وبنَى حِصْنًا لامْتِناعه بناحية نُكُور لحاصرَه مُدَّةً ثم عقَد له سِلْمًا على حِصْنه.

ولما تغلّب الشّيعةُ على المَغرِبِ الأوْسَطِ، أخرجوا أعقابَ محمد بن سُلَيْمَان من سائر أعمال تِلِمْسَانَ، فأخذوا بدَعْوة بني أميّة من وراء البحر، وأجازوا إليهم. وتغلّب يَعْلَى بن محمد اليَفْرَني على بلاد زَنَاتَة والمَغرِبِ الأوْسَط، فعقد له االنّاصِرُ الأُمَويّ عليها وعلى تِلِمْسَان أعوامَ أربعين وثلاث مائة.

ولما هلَك يَعْلَى وقام بأمر زَنَاتَة بعدَه محمدُ بن الخَيْرِ بن محمد بن خَزَر داعيةُ الحَكَمِ المُسْتَنْصِر، فملَك تِلِمْسَانَ أعوامَ ستّين. وهلك في حروب صِنْهَاجَة، وغلبوهم على بلادهم وانجلَوْا إلى المَغرِبِ الأقْصَى. / ودخل تِلِمْسَان في عمالة [70 ب] صِنْهَاجَة [حتى][أ] إذا انقسمت دولتُهم وافترق أمرُهم. واستقلّ بإمارة زَنَاتَة وولاية المَغرِبِ زيري بن عَطِيّة، وطردَه المَنْصُورُ بن أبي عَامِرٍ عن المَغرِب أعوامَ ....[ب] فصارَ إلى بلاد صِنْهَاجَة، وأجْلَب عليها ونازلَ معاقِلَهم وأمصارَهم، مثل تِلِمْسَانَ ووَهْرَانَ وتَنَس وأشِيرَ والمَسِيلَة.

ثم عقد المُظَفّرُ بعد حينٍ لابنه المُعِزِّ بن زيري •على عَمَل المَغرِبِ سنةَ ستٍّ وتِسْعين، فَاسْتعمل على تِلِمْسَانَ ابنَه يَعْلَى بنَ زيري•[ج]، واستقَرّت وِلايتُهَا في عَقِبِه إلى أن انقرض أمرُهم على يد لَمْتُونَة، وعقدَ يُوسُفُ بن تَاشفِينَ

(أ) من أ (ب) بياض في الأصول (ج) زيادة في حاشية أ بخط ابن خلدون. مدرجة في متن ظ ص.

عليها لمحمّد بن تِينَغمَرْ المَسُّوفِي وأخيه تَاشفِين من بعده. واستحكمتِ الفتنةُ بينه وبين المَنْصُورِ بن النَّاصِرِ صاحبِ القَلْعَةِ من مُلوك بني حَمَّادٍ. ونَهض إلى تِلِمْسَانَ وأخذ بِمُخَنَّقِها، وكاد يغلِبُ عليها كما ذكرنا ذلك كلَّه في مواضِعه.

ولما غلَب عبدُ المؤمن لَمْتُونَةَ وقتلَ تَاشفِينَ بن عَلِيّ بوَهْرَانَ، خرّبها وخرَّب تِلِمْسَانَ بعد أن قتل المُوَحِّدُونَ عامّةَ أهلها، وذلك أعوامَ أربعين من المائة السّادسة. ثم راجع رأيَهُ فيها، ونَدَب النّاسَ إلى عُمْرانها، وجمعَ الأيديَ على رَمِّ ما تَثَلَّمَ من أسوارها، وعقدَ عليها لسُلَيْمَان بن وانُودِينَ من مشايخ هِنتَاتَةَ، وآخَى بين المُوَحِّدِينَ وبين هذا الحَيِّ من بني عَبْدِ الوَادِ بما بَلِيَ من طَاعَتِهِم وانحياشهم. ثم عقدَ عليها لابنه السيّد أبي حَفْص. ولم يَزلْ آلُ عبد المؤمن من بعد ذلك يَسْتَعْمِلون عليها من قَرابتهم وأهل بَيْتِهم، ويُرجعون إليه أمرَ المَغْرِبِ كلِّه وزَنَاتَة أجمعَ، اهتمامًا بأمْرِها واستعظامًا لعملها.

وكان هؤلاء الأحياءُ من زَنَاتَةَ: بنو عَبْدِ الوَادِ وبنو تُوجِّين وبنو رَاشِد، قد غلَبوا على ضَواحي تِلِمْسَانَ والمَغْرِبِ الأوْسَط ومَلكوها وتَقلَّبوا في بسائطها، واحتازوا / [171أ] بإقطَاعِ الدّولة الكثيرَ من أرضها والطَّيِّبَ من بلادها والوافرَ للجباية من قَبائلها. فإذا خرجوا إلى مَشَاتِيهِم بالصّحراء، خَلَّفُوا أتباعَهم وحاشيَتَهم بالتُّلُولِ لاعتِمارِ أرْضِهم وازْدِرَاعِ فُدُنِهم وجبايةِ الخراج من رعاياهم. وكان بنو عَبْد الوَادي[أ] من ذلك فيما بين البَطْحَاءِ ومَلْوِيَّة[ب]، ساحلِه وريفِه وصَحْرائِه. وصرفَ ولاةُ المُوَحِّدِينَ بتِلِمْسَانَ من السّادة نظَرَهم واهتمامَهم إلى تحصينِها وتَشْييدِ أسوارِها، وحَشد الناسَ إلى عُمْرانها والتّناغي في تَمْصيرها واتّخاذ الصُّروح والقُصور بها، والاحتفال في مَقَاصِر المُلْك، واتّساع خِطَّة الدُّور.

(أ) جاءت في الأصول الثلاثة بإثبات الياء الأخيرة (ب) ضبطت في أ بضم الميم.

وكان من أعظمِهم اهتمامًا بذلك وأوسعِهم فيه نظرًا، السيّدُ أبو عِمْران مُوسَى بن أمير المؤمنين يُوسُفُ العَسْري وَلِيَها سنةَ ستٍّ وخمسين على عهد أبيه يُوسُف بنِ عبد المؤمن، •واتّصلت أيّامُ ولايته فيها، فشيّد بناءها وأوسع خِطّتها وأدارَ سِياجَ الأسوار عليها. ووَلِيَها من بعده السيّدُ أبو الحسن بن السيّد أبي حَفْص بن عبد المؤمن•[أ]، وتَقَيَّلَ[1] فيها مذهبَه. ولمّا كان من أمر بني غَانِيَة وخُروجهم من مَيُورْقَةَ سنةَ إحدى وثمانين ما قدّمناه، وكَبَسُوا بِجَايَةَ فملكوها، وتخطَّوْا إلى الجزَائِرِ ومِلْيَانَة فغلَبوا عليها، تلافَى السيّدُ أبو الحسن أمرَه بإنْعام النّظر في تَشْييد أسوارها، والاسْتِبْلاغ في تحصينِها وسَدّ فُروجها، وإعْماق الحفائر نِطاقًا عليها، حتّى صيّرها أمنَعَ معاقلِ المَغْرِب وأحصنَ أمْصارِه. وتقبّلَ وُلاتُها هـذا المذهبَ من بعده في المعتَصَم بها. واتّفق من الغَريب أنّ أخاه السيّدَ أبا زَيْد هو الذي دُفِع لحرب بني غَانِيَة، فكان[ب] لهما في رَقْعِ الخَرْقِ والمدافَعة عن الدّولة آثارٌ.

وكان ابنُ غَانِيَة قد اجتمع إليه ذوبانُ[2] [العَرب][ج] من الهِلاليّين بإفْرِيقِيَة، وخالَفَهم / زُغْبَةُ إحدى بُطونهم إلى المُوَحِّدِينَ، وتحيّزوا إلى زَنَاتَة المَغْرِبِ الأوْسَط. وكان مَفْزَعُهُم جميعًا ومرجعُ نَقْضِهم وإبرامِهم إلى العامل بتِلِمْسَانَ من السّادة أبي مثواهم وحامي حَقيقتهم. وكان ابنُ غَانِيَةَ كثيرًا ما يُجْلِبُ[3] على ضواحي تِلِمْسَانَ وبلاد زَنَاتَة ويطرُقُها بمن معه من ناعِقِ الفتْنة،

[71 ب]

(أ) حاشية في أ بخط المؤلف أدرجت في متن ظ ص (ب) أ ص: وكان (ج) من أ ، وفي ظ ص: المغرب .

(1) أشبَه وجارَى سيرة أبي عمران موسى بن أمير المؤمنين يوسف في نَشْر العُمْران كما يرد.
(2) الذّوبان: الصعاليك واللّصوص .
(3) أجلبَ القومُ : ضجّوا وتجمعوا من كل صَوْبٍ للحرب .

إلى أن خَرَّب الكثيرَ من أمصارها، مثل تَاهَرْت وغيرها. فأصبحت تِلِمْسَانُ قاعدةَ المَغرِبِ الأوْسَط وأمَّ هؤلاء الأحياء من زَنَاتَة والمَغرِب، الكافلةَ لهم المهيِّئةَ في حِجْرِها مِهادَ نومَتهم لمَّا[أ] خَرِبت المدينتان اللتّان كانتَا من قبلُ قواعدَه في الدُّوَل السالفةِ والعصور الماضية، وهما أرْشكول بسِيفِ البحر، وتَاهَرْت فيما بين الرّيف والصّحراء من قِبْلَة البَطْحَاء. وكان خرابُ هاتين المدينتَيْن فيما خَرِب من أمصار المَغرِبِ الأوْسَطِ في فِتْنة ابن غَانِيَة، وبإجْلاب هؤلاء الأحياء من زَنَاتَة وطُلوعِهم على أهلها بسَوْم الخسْفِ والعَيْث والنّهب وتخطُّفِ النّاس من السّابِلةِ وتخريب العُمْران، ومغالَبتِهم حاميتَها من عساكر المُوَحِّدِينَ، مثل قصر عَجِيسَة وزَرْفَة والخَضْرَاء وشَلَف ومِتِّيجَة وحَمْزَة ومَرْسَى الدَّجَاج والجَعْبَات والقَلْعَة. فلم تَبِصّ[1] بها نارٌ ولا لَفَحتْ بها لنافخٍ ضِرْمَةٌ، ولا صَرَخَتْ لها آخرَ الدّهر دِيكَة.

ولم يزل عُمران تِلِمْسَانَ يتزايدُ، وخِطَّتُها تتّسع، والصّرُوح بها[ب] بالآجُرِ والقِرْمِدِ تعالَى بها وتُشاد، إلى أن نزلَها آل زَيّانَ واتّخذوها دارًا لمُلكهم وكرسيًّا لسُلطانهم، فاختَطّوا بها القصورَ المُونقةَ والمنازلَ الحافلَةَ، واغترسُوا الرّيَاض والبساتينَ، وأجرَوْا [خلالَها][ج] المياهَ، فأصبحت أعظمَ أمصارِ المَغرِبِ، ورحلَ إليها النّاسُ من القاصِية، ونَفَقت بها أسواقُ العُلوم / والصّنائع، فنَشأ بها العُلماء، واشتَهر فيها الأعْلام، وضاهَتْ أمصارَ الدّول الإسلاميّة والقواعدِ الخلافيّة. والله وارثُ الأرضِ ومَن عليها. [72 أ]

(أ) في أ: بما (ب) عليها في أ إشارة إلغاء (ج) من أ وفي ظ بخلالها، وفي ص: لخالها.

(1) تبَصّ: برق ولمع.

• الخبرُ عن اسْتِقلال يَغمْراسِنَ بن زَيّانَ بالمُلك والدّولة بتلمْسانَ وما إليها، وكيف مَهّد الأمرَ لقوْمه وأصارهُ تراثا لبَنيه

كان يَغمْرَاسِنُ بنُ زَيّانَ بنِ ثابِتِ بن محمدٍ من أشدّ هذا الحَيّ بأْسًا وأعظمِهم في النفوس مَهابةً وإجلالاً وأعرفِهم بمصالح قَبيله، وأقوامِ كاهلاً على حَمْل المُلك، واضطلاعًا بالتّدبير والسّياسة. شهِدَتْ له بذلك آثارٌ قبلَ المُلك وبعدَه، وكان مرموقًا بعين التَّجِلّة، مُؤمَّلاً للأمر عند المَشْيَخَةِ، وتُعظِمه(أ) من أمره الخاصّة، وتَفْزَع إليه من نوائبها(ب) العامّةُ.

فلما وَلِيَ هذا الأمرَ بعد مَهلك أخيه أبي عَزّة زَكْداز بن زَيّانَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين، فأقام به أحسنَ قيامٍ واضْطلع بأعْبائه. وظهر على بني مَطْهَرٍ وبني رَاشِدٍ الخارجين على أخيه، وأصارَهم في جُملَته وتحت سُلطانه. وأحسنَ السِّيرَةَ في الرّعية، واستمال عشيرَهُ وقبيلَه وأحلافَهم من زُغْبَةَ بحُسْن السّياسة والاصْطِناع وكَرَمِ الجوار. واتّخذ الآلَةَ ورتّب الجنودَ والمَسالِحَ، واستَلْحق العساكرَ من الرُّوم والغُزّ رَامِحَةً ونَاشِبَةً، وفرضَ العطاء، واتّخذ الوزراءَ والكتّاب، وبعثَ في الجهات العمالَ، ولَبِس شارَةَ المُلك والسّلطان، واقتعدَ الكرسيَّ، ومَحا من آثار الدّولة المُؤمنيّة، [72 ب] / وعطّل من الأمر والنّهْي دَسْتَها، ولم يترك من رُسوم دَوْلتهم وألقابِ مُلكهم إلاّ الدّعاء على منابره للخَلِيفَةِ بمَرّاكُش. وتناول التّقليدَ والعهدَ من يَده تأنيسًا للكافّة ومرضاةً للأكْفاء من قومه.

ووفَد عليه لأوّل دَوْلته ابنُ وَضّاحٍ إثر دَوْلة المُوَحِّدِينَ، أجاز البحرَ مع جالية المسلمين من شرق الأنْدَلُس، فآثره وقرّب مَجلسَه وأكرم نُزُلَه وأحلّهُ من الخِلّة والشّورى بمكانٍ اصْطفاه له.

(أ) سقطت واو العطف من أ (ب) ظ ص: نوائبه، والتصويب من أ .

ووفَد في جُملته أبو بكر بن خطّاب المبايع لأخيه بمرسيّة، وكان مُرَسِّلا بليغًا وكاتبًا مُجيدًا وشاعرًا محسنًا، فَاستكْتَبه. وصدَر عنه من الرّسائل في خِطاب خُلفاء المُوَحِّدِينَ بمَرّاكُش وتُونِس في عهود بَيْعَاتِهم ما تُنُوقِل وحُفِظَ.

ولم يزل يَغمُرَاسِنُ محاميًا عن غِيلِهِ مُحاربًا لعدوّه. وكانت له مع مُلوك المُوَحِّدِينَ من آل عبد المؤمن، ومُدِيلِهم آلِ أبي حَفْصٍ، مواطنُ في التمرُّس به ومُنازَلَةِ بَلَده نحنُ ذاكروها. وكذلك بَيْنه وبين أَقْتَالِه[1] بني مَرِينَ قَبلَ مُلكهم المَغْرِبَ وبَعد مُلكه وقائعُ مُتعدّدة. وله على زَنَاتَة المشرق من تُوجِّينَ ومَغْراوَةَ في فَلِّ جُموعهم وانْتِساف بلادهم وتخريب أوطانهم أيّامٌ مذكورةٌ وآثارٌ معروفةٌ، نُشير إلى جميعها إن شاء الله.

• الخبرُ عن اسْتِيلاء الأمير أبي زَكَرِيّاءَ على تِلِمْسانَ، ودخولُ يَغمُراسِنَ في دَعْوته

لما استقلَّ يَغمُرَاسِنُ بن زَيَّانَ بأمر تِلِمْسَانَ والمَغْرِبِ الأَوْسَطِ، وظَفِر بالسّلطان وعلا كَعْبُه على سائر أحياء زَنَاتَة، نَفَسُوا عليه ما آتاه الله من العِزّ وكَرَّمَه به من المُلك، فنابَذوه العهد وشاقُّوه الطّاعةَ وركبوا له ظهرَ الخِلاف والعداوة، فشمَّر لحربهم ونازلَهم / في ديارهم وأحجرهم في حُصونهم ومُعْتَصماتهم [173أ]
من شَواهِق الجِبال ومُتَمَنِّع الأمصار. وكانت له عليهم أيامٌ مشهورة ووقائع معروفة. وكان متولّي كِبْر هذه المُشاقّة عبدُ القَوِي بن عَبّاس شَيْخُ بني تُوجِّينَ

(1) مفرده قِتْلٌ بالكسر: العدوّ، والقِرنُ في قتالٍ وغيره .

أقتالِهم من بني يَادِينَ، والعَبّاسُ بنُ مِنْدِيلَ بنِ عبد الرّحمن وإخوتُه أمراءُ مَغراوَة. وكان المولى الأميرُ أبو زكرياءَ بن أبي حَفْصٍ منذ استقل بأمر إفريقيّة، واقتطعها عن الإيالة المُؤمِنِيّةِ سَنَةَ خمسٍ وعشرين كما ذكرناه، متطاولاً إلى اختيازِ المَغرِب، والاستيلاء على كرسيّ الدّعوة بمَرّاكُش. وكان يَرى أنّ بمظاهَرة زَنَاتَة له على شأنه يتمّ ما يَسْمُوا إليه من ذلك. [فكان][أ] يُداخِل أمراءَ زَنَاتَة، فيُرَغِّبُهُم ويراسلُهم بذلك على الأحيان من بني مَرِينَ وبني عَبْدِ الوَادِ وتُوجِّينَ ومَغراوَةَ. وكان يَغْمُرَاسِنُ منذ تقلّد طَاعَةَ آل عبد المؤمن، أقامَ دعوتَهم بعمله، متحَيِّزًا إليهم سِلْمًا لوَليِّهم وحَرْبًا على عدُوّهم. وكان الرشيدُ منهم قد ضاعف له البِرَّ والخُلوصَ، وخطب منه مزيدَ الوَلايَة والمصافاة، وعاودَه الإتحافَ[ب] بأنواع الألْطَاف والهدايا عام سبْع وثلاثين، تَقَمُّنا[1] لمسرّاته ومَيْلاً إليه عن جانب أقتاله بني مَرِينَ المُجْلِبين على المَغرِب والدّولة. وأحفَظَ[2] الأميرَ أبا زكرياء يَحْيَى بن عبد الواحد صاحبَ إفريقيّة، ما كان من اتّصال يَغْمُرَاسِنَ بالرّشيد، وهو من جواره بالمحلّ القريب، واستَكْرَه ذلك. وبينما هو على ذلك إذ وفَد عليه عبدُ القَوِيّ بن العَبّاسِ وولدُ مِنْدِيلَ بن محمّدٍ صريخًا على يَغْمُرَاسِن، فسهّلوا له أمرَه وسَوّلوا له الاستيلاءَ على تِلِمْسَانَ وجَمْعِ كلمةِ زَنَاتَة، واعتدادَ ذلك ركابًا لما يَرومُه من امتطاء مُلْك المُوَحِّدِين، وانتظامَه في أمره، وسُلَّمًا لارتقاء ما / [73 ب] يَسْمو إليه من مُلكه، وبابًا للوُلوج على أهله. فحرّكه إملاؤُهم وهزّه إلى النُّعرة صريخُهم، وأهابَ بالمُوَحِّدِينَ

(أ) من ظ ص   (ب) أ: عاود بالإتحاف .

---

(1) تقمّن: توخّى.

(2) أحفظ: أغضب.

وسائِرِ الأولياء والعَساكِرِ إلى الحركة على تِلِمْسَانَ، واستنفرَ لذلك سائـرَ البَدْوِ من الأعْراب الذين في عَمَلِه من بني سُلَيْمٍ ورِياحٍ بظَعْنهم، فأهْطعوا[1] لداعيهِ. ونهضَ سنةَ تسعٍ وثلاثين في عساكـرَ ضخمةٍ وجيوشٍ وافرة، وسرَّحَ أمامَ حَركته عبدَ القَوِيّ بن العَبّاسِ وأولادَ مِنْدِيلَ بن محمد لحشْد مَن بأوْطانهم من أحياء زَنَاتَة وأتْباعِهم وذُوبانٍ[أ] قبائلهم وأحياءِ زُغْبَةَ أحلافِهم من [العَرب][ب]، وضربَ معهم موعدًا لموافاتهم في تُخُوم بلادهم.

ولما نزلَ راعز[ج] قِبْلَةَ تِيطَرِي مُنتهَى مجالاتِ رِياحٍ وبني سُلَيْمٍ في المَغْرِب، وافتْه هنالك أحياءُ زُغْبَةَ من بني عَامِرٍ وسُوَيْدٍ، وارتحلوا معه حتى نازلَ تِلِمْسَانَ بجمْع[د] عساكِرِ المُوَحِّدِينَ، وحشدَ زَنَاتَة وظُعُنَ العَرب بعد أن قدَّم إلى يَغْمُرَاسِنَ الرّسلَ من مِلْيَانَةَ والإعْذارَ والبراءةَ والدّعاءَ والطّاعَة، فرجّعهم بالخَيْبة.

ولما حلّت عساكـرُ المُوَحِّدِينَ بساحة البلَد وبرزَ يَغْمُرَاسِنُ وجموعُه للّقاء، نَضَحَتْهُمْ ناشبةُ السّلطان بالنَّبْل فانكشفُوا ولاذوا بالجُدرات وعَجزوا عن حمايَة الأسْوار، فاسْتمكنتِ المقاتلةُ من الصّعود. ورأى يَغْمُرَاسِنُ أنْ قد أُحيط بالبلد، فقصد بابَ العقبة من أبواب تِلِمْسَانَ ملتفًّا على ذَويه وخاصَّته، واعترضَتْه عساكـرُ المُوَحِّدِينَ فصَمّم نحوَهم، وجدَّلَ بعض أبْطالهم فأفرجوا له، ولحق بالصَّحْراء.

وتسلّلت الجيوشُ إلى البلد من كل حَدْب، فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النّساء والصّبيان واكْتساح الأموال. ولما تجلّى عشيّ تلك الهَيْعَة وحُسر تَيّارُ

(أ) كذا في ظ ص، وفي أ: دوان (ب) ظ: المغرب، والتصويب من أ ص (ج) ص: داعر، أ: زاغز (د) أ: بجميع.

(1) أهطع: أسرع مقبلاً خائفًا.

الصَدْمة وخمَدَت نارُ الحرب، راجعَ المُوَحِّدُونَ بصائرَهم، وأنعم الأميرُ أبو زكريَّاء نظرَه فيمن يقلِّدُه أمرَ / [174أ] تِلِمْسَانَ والمَغْرِبِ الأَوْسَط ويُنْزِلُه بثغرها، لإقامة دَعْوته النّائِلَة من دعوة بني عبد المؤمن، والمدافعةِ عنها. واستكْبر ذلك أشرافُهم وتَدافعوه، وتَبَرّأ أمراءُ زَنَاتَة منه ضَعْفًا عن مُقاومة يَغْمُرَاسِنَ، وعلْمًا بأنّه الفَحْلُ الذي لا يُقْذَعُ[1] أنفُهُ ولا يُطْرق غيلُه، ولا يُصَدُّ عن فريسته. وسرّحَ يَغْمُرَاسِنُ الغاراتِ في نَواحي المُعَسْكَر، فاختَطَفوا النّاس من حوله، وأطلّوا من المراقِب عليه.

وخاطب يَغْمُرَاسِنُ خلالَ ذلك الأميرَ أبا زكريّاء راغبًا في القيام بدَعْوته بتِلِمْسَانَ، فراجَعه بالإسْعاف واتّصال اليَد على صاحب مَرّاكُش، وسَوَّغَه على ذلك جبايةً اقتطعَها له، وأطلَق أيدي العُمّال ليَغْمُرَاسِنَ على جِبَايَتِها. ووفَدت أُمّه سَوْط النِّسَاء للاشْتراط والقبول، فأكرم موصلَها وأسنَى جائزتَها وأحسَن وفادَتَها ومنقلَبَها. وارتحل إلى حَضْرته لسبعَ عشْرة ليلةٍ من نُزوله. [و] في أثناء طريقه وَسْوَسَ[(١)] إليه بعضُ الحاشية باستِبْداد يَغْمُرَاسِنَ عليه، وأشاروا بإقامة مُنافسيه من زَنَاتَة وأمراء المَغْرِبِ الأَوْسَطِ، شَجًا في صَدْره ومعترِضًا عن مَرامه، وإلباسِهم ما لَبِس من شارة السّلطان وزِيّه. فأجابهم، وقلّد عبدَ القَوِيّ بن عَطِيّة التُوجِّيني والعَبّاس بن مِنْدِيلَ المَغْرَاوِيَّ وعليَّ بن مَنْصُور المَلِيكشِي من قومِهم ووَطَنِهم. وعهِد إليهم بذلك وأذِن لهم في اتّخاذ الآلَة والمراسِيم السّلطانية على سَنَنِ يَغْمُرَاسِنَ قريعِهم. فاتّخذوها بحَضْرته وبمشهدٍ من مَلَإِ المُوَحِّدِينَ. وأقاموا مراسمَها ببابه. وأغذّ السَيْرَ إلى تُونِسَ قريرَ

(١) أ: ووسوس .

(1) قذعه: رماه بسوء القول وشتمه، وقذع أنفه ضربه بالعصا. وهو معنى الإهانة عند العرب .

العين بامتداد مُلكه وبلوغ وَطَرِه والإشراف على إذعان المَغرِب لطَاعَتِه وانقياده لحُكْمه، وإدالة دَعْوة [بني][أ] عبد المؤمن فيه بدَعْوته.

ودخل يَغمْرَاسِنُ بن زيّانَ / [إلى تِلِمْسَانَ][ب]، ووَفَى للأمير أبي [74 ب] زكرياء بعهده، وأقام له الدَّعوة على سائر مَنابِره. وصرف إلى مَشاتِيهِ من زَنَاتَة وجوهَ عزائمه، فأذاق عبدَ القَوِيّ بنَ العَبَّاسِ وأولادَ مِنْدِيلَ نَكَالَ الحرب، وسامَهم سُوءَ العذاب والفتْنة، وجاسَ خِلال ديارهم، وتوغّل في بلادهم، وغلّبهم على الكثير من مَمالكهم، وشرّد من الأمْصار والقواعد وُلاتهم وأشياعَهم ودُعاتَهم، ورفع عن الرعيّة ما نالَهم من عُدْوانهم وسوءِ مَلَكَتِهم وثَقِيل عسْفِهم وجَوْرهم. ولم يزل على تلك الحالِ إلى أن كان من حَرَكة صاحبِ مَرَّاكُش بسَبَب أخذِ يَغمْرَاسِنَ بالدّعوة الحَفْصِيَّة ما نذكرهُ.

• الخبرُ عن نُهوض السَّعيد صاحب مَرّاكُشَ، ومُنازلَته يَغمْراسِنَ بجبل [تامْزيزدَكت][ج]، ومَهْلِكِه هنالك

لما انقضَتْ[د] دولةُ بني عبد المؤمن، وانتزَى الثوّارُ والدّعاةُ بقاصية أعْمالهم وقَطعوها عن ممالكهم، فاقتطعَ ابنُ هُودٍ ما وراءَ البحْر من جزيرة الأنْدَلُس، واستبدَّ بها وورّى بالدّعاء للمُسْتَنْصِر بنِ الظَّاهِر خَلِيفَةِ بَغْداد من العَبَّاسِيِّينَ لعهده. ودعا الأميرُ أبو زكرياءَ بن أبي حَفْصٍ بإفْرِيقِيَّة لنفْسه، وسَما إلى جمع كلمة زَنَاتَةَ والتغلُّبِ على كرسيّ الدّعوة بمَرَّاكُش، فنازلَ تِلِمْسَانَ وغَلَب عليها سنةَ أربعين. وقارنَ ذلك ولايةُ السّعيد عَلِيّ بنِ المأمون إدريسَ

(أ) من أ ص (ب) زيادة من حاشية أ (ج) في أ: تامرزددكت، وفي ظ: تامزرددكت. ص: تامرردكت، وقد وثقنا هنا، ثم التزمنا بما تكرر بعد حسب المثبت هنا (د) أ: انقضت

ابن المَنْصُورِ يعقوبَ بن يُوسُف بن عبد المؤمن، وكان شهمًا حازمًا يقظًا بعيدَ الهمّة، فنظر في أعْطَافِ دَولته [وفاوَض][أ] الملأ في تثقيف أطرافها وتقويم مائلِها، وأثار حفائظهم ما وقعَ من بني مَرِينَ في ضواحي المَغرِب / ثمّ في [175 أ] أمصاره، واستيلائِهم على مِكْنَاسَةَ وإقامتهم الدّعوةَ الحَفْصِيّةَ فيها كما نذكرُهُ. فجهّز العساكرَ وأزاح عِلَلهم، استَبْقى عربَ المَغرِبِ وقبائلَه، واحتشد كافّةَ المصامِدة، ونهض من مَرّاكُش آخر سنةِ خمسٍ وأربعين يُرِيد القاصِيةَ، ويُشرّدُ بني مَرِينَ عن الأمصار الدّانية، واعترض العساكرَ والحشودَ بوادي بَهْتَ، وأغذَّ السّير إلى تَازَى فوصلَتْه هناك طَاعَةُ بني مَرِينَ كما نذكره، ونفَر[1] معه عَسْكَرٌ منهم، ونهض إلى تِلِمْسَان وما وراءَها، ولَجأ يَغْمَرَاسِنُ بنُ زَيّانَ وبنو عَبْدِ الوَاد بأهْليهم وأوْلادهم إلى قلعة [تامزيزدكت] قِبلةَ وَجْدَة، فاعتصموا بها.

ووفَد على السَّعِيد الفقيهُ عَبْدونُ وزيرُ يَغْمَرَاسِنَ مؤدّيًا للطَّاعَةِ ثابتًا في مذاهب الخِدْمة، ومتوليًا من حاجات الخَلِيفَة بتِلِمْسَانَ ما يدعوه إليه ويُصَرّفه في سَبيله، ومعتذرًا عن وصول يَغْمَرَاسِنَ؛ فلَجَّ الخَلِيفَةُ في شأنه ولم يَعْذِرْه، وأبَى إلاّ مُباشرةَ طَاعَتِه بنَفْسه، وساعدَه في ذلك كَانُونُ بن جَرْمُون السُّفْيَانِي صاحبُ الشّورى بمجلسه، ومن حضر من المَلإ. ورجَّعُوا عبدونَ لاستقدامه، فتثاقلَ خشيةً على نَفْسه. واعْتمد السّعيدُ الجبلَ في عَساكره، وأناخ بها في ساحةٍ، وأخذ بِمُخَنّقهم ثلاثًا، لرابعَتِها ركب مهجّرا على حين غَفْلةٍ من النّاس في قائِلتهم ليتطوّف على المُعْتَصَم ويتقرّى مكامِنَه. وبَصُر به فارسٌ من القوم

(أ) من أ ص، وفي ظ: فارض .

(1) نفر إلى الشيء أسرع إليه، وللأمر والقتال نفارًا، ذهب.

يُعرف بيُوسُف بن عبد المؤمن الشَّيْطان، كان أسفلَ(أ) الجبل للاحْتراس، وقريبًا منه يَغْمَراسِنُ بن زَيّانَ وابنُ عمّه يَعْقُوبُ بن جَابِر، فانقضّوا عليه من بَعْض الشِّعاب، وطعنَه يُوسُفُ فأكَبّه عن فرسه، وقَتَلَ يَعْقُوبُ بن جَابِر وزيرَه يَحْيَى بن عَطُوش، ثم استَلْحموا لوقتهم مَوْلَيَيْه ناصِحًا مِن / المَغْلُوجَى، [75 ب] وعنبرًا من الخِصْيان، وقائدَ جند النّصارى أخو القُمط، ووليدًا(ب) يافعًا من وَلَد السّعيد.

ويقال إنّما كان ذلك يوم عَبّأ العساكرَ وصعِد الجبلَ للقتال وتقدّم أمامَ النّاس، اقتطعَتْه بعضُ الشّعاب المتوعّرة في طريقه، فتواثَب به هؤلاء الفرسان، وكان ما ذكرناه؛ وذلك لصفر من سنة ستٍّ وأربعين. ووقعت النَّفرةُ في العساكر لطائر الخَبَرِ فأجْفَلوا. وبادرَ يَغْمَراسِنُ إلى السَّعيد وهو صريعٌ بالأرض، فنزلَ إليه وحيّاه وفدّاه، وأقسمَ له على البراءة من هَلَكَتِه، والخَلِيفَةُ وَاجِمٌ بمَصْرَعه يجود بنَفْسه إلى أن فاظَ(1). وانتُهِبَ المَعْسكَرُ بجملته. وأخذ بنو عَبْد الوَادِ ما كان به من الأخْبِيَة الفازات. واختصَّ يَغْمَراسِنُ بفُسْطَاطِ السّلطان فكان له خالصةً دون قومه، واستَوْلَى على الذّخيرة التي كانت فيه.

منها: مصحفُ عُثْمَانَ بن عَفّانَ، يزعُمون أنّه أحدُ المصاحِف التي انتُسِخَت لعهد خلافَتِه، وأنّه كان في خزائن قُرْطُبَةَ عند وَلَد عبد الرحمن الدّاخِلِ، ثم صار في ذَخائر لَمْتُونَةَ فيما صار إليهم من ذَخائر مُلوك الطّوائف بالأنْدَلُسِ، ثم إلى خزائن المُوَحِّدِينَ من خزائن لَمْتُونَةَ. وهو لهذا العهد في خزائنِ بني مَرِينَ بفَاس فيما استَوْلَوْا عليه من ذخيرة آل زَيّانَ حين غَلَبِهِم إيّاهم

(أ) ص: انتقل (ب) أ: ولما .

(1) فاظ الرجل يفيظ فيظًا وفاظت نفسه: مات.

على تِلِمْسَانَ واقْتِحامِها عَنْوَةً على مَلِكِها منهم عبدِ الرّحمن بن مُوسَى بن عُثْمَانَ بن يَغْمَرَاسِنَ، فريسةِ السّلطان أبي الحسن، مُقْتَحِمِها غِلَابًا سنةَ سبع وثلاثين، كما نذكره.

ومنها العَقْدُ المنتظمُ من خَرَزَات الياقوت الفاخِرةِ الدُّرر، المشتملُ على مئين متعدّدة من حَصْباته[أ] يُسمّى بالثّعبان، وصار في خزائن بني مَرِينَ منذ ذلك الغِلابِ فيما اشتملوا عليه من ذَخيرتهم، إلى أن تَلِف في البَحْر عند غَرَق / الأسطول بالسّلطان أبي الحسن بمراسي بِجَايَةَ مَرْجِعَهُ من تُونِس حسبما نذكره بعدُ، إلى ذَخائر من أمْثاله، وطُرَفٍ من أشْباهه، مما يستَخْلصُه الملوكُ لخزائِنهم، ويَغْتَنُونَ به من ذَخائرهم. [176]

ولما سَكَنَت النَّفْرَةُ وركَدَ عاصِفُ تلك الهَيْعَة، نظر يَغْمَرَاسِنُ في شأن مُواراة الخَليفَةِ، فَجُهِّز ورُفِع على الأعْواد إلى مَدْفَنِه بالعُبّاد، بمقْبرة الشّيخ أبي مِدْيَنَ عفا الله عنه. ثم نَظر في شأن حُرَمِه وأُخْتِه تَاعَزُّونَتْ[ب] الشّهيرةِ الذِّكر، بعد أن جاءَهَا واعتذر إليها مما وَقَع، وأصْحَبَهُنَّ جملةً من مَشْيَخَةِ بني عَبْد الوَاد إلى مَأْمَنِهِنّ، وألْحَقُوهنَّ بدَرْعَةَ من تُخوم طَاعَتِهم، فكان له بذلك حديثٌ جميلٌ في الإبْقاءِ على الحُرَمِ ورَعْي مَوَاتِ المَلِك. ورجع إلى تِلِمْسَانَ وقد خُضِدَت شَوْكَةُ بني عبد المؤمن وأمِنَهُم على سُلْطانه.

(أ) أ: حصباه (ب) كذا ضبطت في ظ، وفي أ: تاعزّونت. ومهملة من النقط والحركات في ص .

• الخبرُ عمّا كان بين [يَغمْراسِنَ](أ) وبين بني مَرِينَ من الأحْداث سائرَ أيامه

قد ذكرنا ما كان بَيْن هذين الحيَّيْن من المُناغاة والمنافسةِ منذُ الآماد المتطاولةِ بما كانت مجالاتُ الفريقين • بالصحراء مُتجاورة، وكان التَّخم بين الفريقين•(ب) من وادي صَا إلى فِيكِيك . وكان بنو عَبْد المُؤمن عند فشل الدّولة وتغلّب بني مَرِينَ على ضاحية المَغرِب، يسْتَجيشون بني عَبْد الوَاد مع عساكر المُوَحِّدِينَ على بني مَرِينَ، فيجوسونَ خِلال المَغرِبِ ما بين تازَى إلى فَاس إلى القَصْر[1] في سبيل المُظاهرةِ للمُوَحِّدِينَ والطَّاعة لهم، وسنَذكُر في أخبار بني مَرِينَ كثيرًا من ذلك.

فلمّا هلكَ السَّعِيدُ وأَسِفَ[2] بنو مَرِينَ إلى مُلك المَغرِب، سَما ليَغمْرَاسِن أملٌ في مُزاحَمتهم. وكان أهل فَاس بعد تَغَلُّب أبي يَحْيَى بن عَبْد الحَقّ / عليهم [76 ب] قد نقَموا على قَوْمِه سوءَ السّيرة. وتَمشَّت رجالاتُهم في اللِّياذِ بطاعة الخليفة المُرْتَضَى، ففعلوا فَعْلَتَهم في الفَتْك بعامل أبي يَحْيَى بن عَبْد الحَقّ والرّجوع إلى طاعَة الخَليفة. وأغَذَّ أبو يَحْيَى السَّيْرَ إلى مُنازلتهم، فحاصرَهم شهورًا. وفي أثناء هذا الحصار اتّصلت المخاطَبَةُ بين الخليفة المُرْتَضَى ويَغمْرَاسِن بن زَيَّانَ في الأخذ بحُجْزَة أبي يَحْيَى بن عَبْد الحَقّ عن فَاس. فأجابَ يَغمْرَاسِنُ داعِيَهُ، واستَنْفَر

(أ) من أ، وفي ط ص: عما كان بينه وبين، فاعتمدنا أ للتوضيح (ب) سقط ما بين النجمين من أ .

(1) يعني قصر كُتامة الذي يعرف أيضا باسم قصر عبد الكريم، ويعرف اليوم باسم القصر الكبير تمييزا له عن القصر الصغير الذي يعرف في المصادر باسم قصر المجاز.

(2) أسِفَ : تلهّف .

لها إخوانه من زَنَاتَةَ، فنفر معه عبدُ القَوِيّ بنُ عَطِيَّةَ بقَوْمِه من بني تُوجِّينَ وكافَّةُ القبائلِ من زَنَاتَةَ [والعَرَبِ][ا]، ونَهضوا جميعًا إلى المَغْرِبِ.

وبلَغ خبرُهم إلى أبي يَحْيَى بن عَبْد الحَقّ بمكانه من حِصار فَاس، فَجمَّرَ[1] كتائِبَه عليها ونهَض للقائهم في بقيّة العساكر، والتقى الجمعان [بإسْلِيِ][ب] من ناحية وَجْدَةَ. وكانت هنالك الواقعةُ المشهورة بذلك المكان، انكشفَتْ فيها جُموع يَغْمَرَاسِن، وهلَك منهم يَغْمَرَاسِنُ بنُ تَاشفِينَ وغيرُه، ورَجعوا في فَلِّهِم إلى تِلِمْسَانَ. واتَّصلت بعد ذلك بَيْنهم الحروب و[اللّقاءات][ج] سائرَ أيّامه، وربّما تخلّلَتْها المُهادنات قليلاً. وكان بينه وبين يَعْقُوبَ بن عَبْد الحَقّ ذِمَّةُ مُواصَلةٍ أوْجَب له رَعْيَها. وكثيرًا ما كان يَثْني عنه أخاه أبا يَحْيَى من أجْلِهَا.

ونهَض أبو يَحْيَى بنُ عَبْد الحَقّ سنةَ خمسٍ وخمسين إلى قِتاله، وبَرز إليه يَغْمَرَاسِنُ. وتزاحفت جُموعُهم بأبي سَلِيطٍ فانهزم يَغْمَرَاسِنُ، واعتَزم أبو يَحْيَى على اتّباعه، فثَناه عن ذلك أخوه يَعْقُوبُ بن عَبْدِ الحَقّ. ولما قَفَلوا إلى المَغْرِبِ صَمَدَ يَغْمَرَاسِنُ إلى سِجِلْمَاسَةَ، لمُداخَلةٍ كانت بينه وبين المُنَبَّاتِ من عَرب المَعْقِلِ أهلِ مَجالاتها وذئابِ فَلاتها، حدّثَتْه نفسُه اهتبالَ الغِرّة في سِجِلْمَاسَةَ من أجْلها، وكانت قد صارت إلى إيالة أبي يَحْيَى بن عَبْد الحَقّ منذ ثلاثٍ كما ذكرناهُ في / أخبارهم. ونُذِر بذلك أبو يَحْيَ فسابق إليها يَغْمَرَاسِنَ [177أ]
بمَن حضره من قومِه، فثقّفها[د] وسدّ فَرْجَها. ووصلَ يَغْمَرَاسِنُ عُقَيْبَ ذلك بعساكره وأناخَ بها، وامتنعت عليه، فأفرج عنها قافلاً إلى تِلِمْسَانَ.

(ا) في ظ وص: المغرب (ب) في ظ: بابلا. ص: باملي وجاءت محققة في حاشية أ، فاعتمدتها (ج) ظ اللفات (د) ظ ص: فنفها والتصويب من أ.

(1) جمّر الجيش تجمعوا، وجمّر الجيش حبسه في أرض العدو ولم يقفلهم من الثغر.

وهلَك أبو يَحْيَى بن عَبْدِ الحَقّ إثر ذلك مُنقَلَبه إلى فَاس. فَاسْتَنْفر يَغمْرَاسِنُ أولياءه من زَنَاتَة وأحياء زُغْبَة. ونهض إلى المَغرِب سنة سبعٍ وخمسين. وانتهى إلى كَلْدَامَان، ولقيه يَعْقُوبُ بنُ عَبْدِ الحَقّ في قَوْمه فأوقَع به. ووَلّى يَغمْرَاسِنُ منهزمًا، ومَرّ في طريقه بتَافرْسِيتْ فانتَسَفها وعاث في نواحيها. ثم تداعَوْا للسِّلم ووَضْعِ أوْزار الحَرْب. وبعث يَعْقُوبُ بن عَبْدِ الحَقّ ابنَه أبا مالكٍ بذلك، فتولّى عقْدَه وإبرامَه. ثم كان التقاؤُهما سنةَ تسعٍ وخمسين [بوَاجَز][(أ)] قُبَالَة بني يَزْنَاسَنْ. واستَحكم عقدُ الوِفاق بينَهما بعد ذلك، واتّصلت المُهادنة إلى أن كان بينهما ما نذكره.

• الخبرُ عن كائنة النَّصارَى[(ب)] وإيقَاعِ يَغمْراسِنَ بهمْ

كان يَغمْرَاسِنُ بن زَيّانَ بعد مَهْلك السَّعِيدِ، وانفِضَاض عساكر المُوَحِّدِينَ، قد استَخْدم طائفةً من جند النَّصَارَى الذين كانوا في جُمْلته، مُسْتكثِرًا بهم، معتدًّا بمكانهم، مُباهيًا بهم في المواقف والمشاهد. وناوَلَهم طَرَفا من حَبْلِ عِنايته، فاعتَزّوا به واستَفْحل أمرُهم بتِلِمْسَانَ. حتى إذا كانت سنةُ اثنتَيْن وخمسين بعد مَرْجَعه من بلاد تُوجِّينَ في إحدى حَرَكَاتِهِ إليها، كانت قصّة غَدْرهم الشَّنْعاء التي أحسن الله في دفاعها عن المسلمين. وذلك أنّه ركِبَ في بَعْض أيّامه لاعتِرَاض الجنود بباب القَرْمَادِينَ من أبواب تِلِمْسَانَ، وبينما هو واقفٌ في موكبه عند قائلة الضُّحَى، عَدَا[(ج)] عليه[(د)] قائدُهم، وبادَر النَّصارَى إلى محمّد بن زَيّانَ أخي يَغمْرَاسِن / فقتَلوه [أمامَه][(هـ)] وأشار له بالنّجيّ، فبرزَ من [77 ب]

(أ) ظ ص: بواحر، وموقعها فراغ في أ وفي التعريف ما يدلّ على إشمام الجيم بالشين: بوَاجْز (ب) ظ ص: النصراني
(ج) أ: غدا (د) ص: إليه (هـ) من ص، وسقط من ظ أ

الصفَّ لسِرَارِه، وأمْكنَهُ من أُذنِه فتنكَّبهُ النصرانيُّ وقد خالطَتْهُ[(أ)] روعةٌ [أحسَّ][(ب)] منها يَغمْرَاسِنُ بمكْرِه فامَّلَصَ[(1)] منه، وركَضَ النصرانيُّ • أمامه يطلب النّجاةَ، وتبيَّن الغَدْرُ[(ج)]، وثارت بهم الدَّهْماءُ من الحامِيَة والرَّعايا، فأُحيط بهم من كلِّ جانبٍ، وتَناولَهم أيْدي الهلاكِ في كلّ مَهلَكٍ، فُعِصُوا[(2)] بالرِّماح، وهُبِرُوا[(3)] بالسّيوف، وشُدِخُوا بالعِصِيّ والحجارة، حتى استُلْحِموا؛ وكان يومًا مشهورًا. ولم يُستخدم من بعدها جُنْدُ النّصارى بتِلِمْسانَ حذرًا من غائلتهم، ويُقال إنَّ محمدَ بن زيّانَ هو الذي داخَلَ القائدَ في الفتك بأخيه يَغمْرَاسِنَ، وإنّه إنّما قتلَه عندَما لم يتمّ لهم الأمرُ [بشيء][(د)] يأمَنُ مُداخلته، فلم يُمهِلْه غاشِي الهَيْعَة للتّثبُّت في شأنها، واللهُ أعلم.

• الخبرُ عن تغلُّب يَغمْرَاسِنَ على سِجِلْماسةَ، ثمّ مصيرُها بعدُ إلى إيالةِ بني مَرِينَ

كان عربُ المَعْقِلِ منذ دُخول العَرَبِ الهِلَاليّين إلى صحراء المَغْرِبِ الأقْصَى أحلافًا وشِيَعًا لزَنَاتَةَ، وأكثرُ انْحياشِهم إلى بني مَرِينَ، إلاّ ذَوِي عُبَيْدِ الله منهم، بما كانت مجالاتُهم لصيقَ مجالاتِ بني عَبْدِ الوَادِ، أو مُشاركةً لهَا. ولمّا

(أ) ظ: خالطه (ب) ظ: أحسن (ج) جاء سياق هذه الكائنة مختصرًا وغمض عائد ضمائره. وأضافت نسخة ظ جملةً في هذا الموقع انفردت بها، فحوّلناها - درءًا للتكرار - من المتن إلى حاشية، وهي: وبادر النّصراني إلى محمد بن زيّان أخي يغمراسن فقتله (د) قراءة تقريبية لكلمة متشابهة في الأصول الثلاثة؛ قد تكون الكلمة الواضحة المخرجة في حاشية أ ولم يحدّد موقعها من النص.

---

(1) امَّلَصَ: أفلت.

(2) فَعَصَهُ فَعْصًا: قتلَه مكانَه.

(3) هَبَرَهُ بالسّيف: قطعه قِطعًا.

استفحل شأنُ بني عَبْدِ الوَاد بين يدَيْ مُلكهم زحَموهم عنها بالمناكِب، ونبذوا إليهم العهدَ، واستخْلَصوا دونَهم المنبَّاتَ من ذَوِي مَنْصُورٍ أقتالِهم. فكانوا حِلفًا وشِيعَةً ليَغمْرَاسِنَ ولقومِه. وكانت سِجِلْمَاسَةُ في مجالاتهم ومُنقلَبِ رِحْلتهم. وكانت قد صارت إلى مُلك بني مَرِينَ. ثمّ استبدَّ بها القَطْرَانيُّ، ثم ثاروا به ورَجعوا إلى طاعة المُرْتضَى. وتولّى كِبْرَ ذلك عَلِيُّ ابنُ عُمَرَ كما ذكرناهُ في أخبار بني مَرِينَ.

ثم تغلَّب المَنبَّاتُ على سِجِلْمَاسَةَ وقتلوا عاملَها عَلِيَّ بن عُمَرَ سنةَ / اثنتَيْن [178]
وستّين. وآثروا يَغمْرَاسِنَ بمُلكها، وداخَلوا أهلَ البلد في القيام بدَعْوته، وحَملوهم عليها، وجَأْجَأوا بيَغمْرَاسِنَ فنهضَ إليها في قَوْمه وأمكَنوهُ من قِيادِها، فضبطَها وعقدَ عليها لوَلَده يَحْيَى، وأنزل مَعه ابنَ أخْته حَنِينَةَ، واسمُه عَبْدُ المَلِك بنُ محمد بن عَلِيّ بن قَاسِم بن دَرَّعْ، من ولَد محمد. وأنزل مَعها يَغمْرَاسِنَ ابن حَمَامَةَ فيمن معَهم من عَشائرهم وحَشَمِهِم.

فأقام ابنُه يَحْيَى أميرًا عليها إلى أن هَلَك، فأدَالَ منه بعَبْدِ المَلِك ابن أُخْته. فلم يزل واليًا عليها إلى أن غلَب يَعقُوبُ بنُ عَبْدِ الحَقّ المُوَحِّدِينَ على دار خِلافَتهم، وأطاعَته طَنْجَةُ وعامّةَ بلاد المَغرِبِ، فوجَّه عَزْمَه إلى انتزاع سِجِلْمَاسَةَ من طاعة يَغمْرَاسِنَ. وزحَف إليها في العساكرِ والحشود من زَنَاتَةَ والعَرَبِ والبَرْبَر، ونَصَبَ عليها آلاتِ الحِصار إلى أن سقَط جانبٌ من سُورها، فاقتحَموها منه عَنْوَةً في صَفَر سنةَ ثلاثٍ وسبعين. واستَباحوها، وقُتِل القائدان عَبْدُ المَلِك بن حَنِينَة ويَغمْرَاسِنُ بن حَمَامَةَ ومن معهم من بني عَبْدِ الوَادِ وأمراءِ المنبَّاتِ، وصارت إلى طاعة بَني مَرِينَ آخرَ الأيّام. والمُلك بيد(1) الله ﴿يُؤْتِيه من يَشاء﴾ [سورة آل عمران، الآية 73].

(1) ص: والملك لله.

• الخبرُ عن حُروبِ يَغمْراسِن مع يعقوبَ بن عبدِ الحَقِّ

قد ذكرنا ما كان من شأْن بني عَبْد المُؤمِنِ عند فَشَل دَوْلتهم واسْتِطالة بني مَرِينَ عليهم في الاسْتظهار ببني عَبْدِ الوَادِ، واتّصال اليَد بهم في الأخْذ بحُجْزَة عَدُوّهم من بَني مَرِينَ عنهم. ولما هلَكَ المُرْتَضَى ووَلِيَ أبو دَبُّوس سنَة خمس وستّين، وحَمِيَ وَطيسُ فتْنته مع يَعْقُوبَ بن عَبْدِ الحَقّ، فراسَل يَغمْرَاسِنَ في مُدافَعته، وأكّد العهدَ / وأسْنَى الهديّة، وأجابَهُ[أ] إليها يَغمْرَاسِنُ، [78 ب] وشَنَّ الغاراتِ على ثُغور المَغرِب وأضْرَمَها نارًا. وكان يَعْقُوبُ بنُ عَبْدِ الحَقِّ مُحاصِرًا لمَرَّاكُش فأفرجَ عنها ورجع إلى المَغرِبِ. فاحتَشَد جموعَه، ونهَض إلى لقائه. وتزاحف الفَريقان بواد تلَاغ، وقد استَكْمل كلٌّ تعبِئَته. وكانت الوقيعةُ على يَغمْرَاسِنَ، اسْتُبيحَتْ[ب] فيها حُرُمُه، واستُلْحم قومُه وهلَكَ ابنه عُمَرُ أبو حَفْصٍ، أعزُّ وَلَده عليه، في أترابٍ له من عَشيره، مثل ابن عَبْد المَلِك ابن حَنينَة وابن يَحْيَى بن مكنّ وعُمَر بن إبراهيم بن هِشَام.

ورَجَعَ[ج] عنه يَعْقُوبُ بن عَبْدِ الحَقّ إلى مَرَّاكُش حتّى انقضَى شأنُه في التغلُّب عليها، ومَحى أثَرَ بني عَبْدِ المُؤمِنِ منها، وفرغَ لمحاربة بني عَبْد الوَاد. وحشَد كافَّةَ أهل المَغرِبِ من المَصَامِدة والجُمُوع والقَبائل، ونَهض إلى بني عَبْد الوَاد سنةَ سَبْعين. فبرزَ إليه يَغمْرَاسِنُ في قَومه وأوليائهم من مَغْرَاوَة والعَرَبِ، وتزاحَفوا بإيسْلِي من نَواحي وَجْدَةَ. فكانت الدَّبَرة على يَغمْرَاسِنَ، وانكشفَتْ جموعُه، وقُتِل ابنُه فَارِسُ، ونَجا بأهلِه بعد أن أضْرَم مُعَسكَرَه نارًا تفاديًا من مَعَرَّة اكْتِساحه، ونَجا إلى تِلِمْسَانَ فانْحجر بها. وهدَم يَعْقُوبُ بن

(أ) أ ص: فأجابه (ب) أ: فاستبيحت (ج) ص: فرجع.

عَبْدِ الحَقّ وَجْدَةَ ثمّ نازلَه بتِلِمْسَانَ. واجتمع إليه هنالك بنو تُوجِّينَ مع أميرهم محمّد بن عَبْدِ القَوِيّ، وصَلَ يدَه بيد السّلطان على يَغْمُرَاسِنَ وقومِه، وحاصَروا تِلِمْسَانَ أيامًا فامتنعَت عليهم فأفْرجوا عنها. ووَلّى كلٌّ إلى عَمله ومكان مُلكه حَسْبما نذكره في أخبارهم. وانعقدت بينهما المهادَنةُ من بعد ذلك، وفَرَغ يَعْقُوبُ ابن عَبْدِ الحَقّ للجهاد، ويَغْمُرَاسِنُ لمُغالبة تُوجِّينَ ومَغْرَاوَةَ على بلادهم، إلى أن كان من شأنهم ما نذكره.

• / الخبرُ عن شأن يَغْمُراسِنَ مع مغْراوةَ وبني تُوجّينَ، وما كان بينهم من الأحْداث [179 أ]

كانت أحياءٌ من مَغْرَاوَةَ في مَوَاطِنِهم الأُولَى من نواحي شَلَف قد سالَمتْهم الدُّوَل عند تلاشي مُلكهم، وسَامُوهم الجِبَايَةَ فرضَوْا بها، مثل بني وَرْسِيفَلين(ا) وبَنِي يلَنْت وبني وَرْتزْمِير. وكان فيهم سلطانٌ لبني مِنْدِيلَ بن عبد الرحمن، من أعقاب آل خَزَر مُلوكِهم الأُوَلِ منذ عهد الفتح وما بعده على ما ذكرناه في خبرهم. فلمّا انتثَر عقدُ الخلافة بمَرّاكُش وتَشظَّتْ عَصَاهَا، وكثُر الثوّار والخوارجُ بالجهات، استقلّ(ب) مِنْدِيلُ بن عَبْدِ الرَّحْمَن وبنوه من بَعْده بتلك النّاحية، ومَلكوا مِلْيَانَةَ وتَنَس وبَرِشْك وشَرْشَالَ وما إليها، وتَطاوَلوا إلى مِتّيجَةَ فتغلّبوا عليها، ثمّ مَدّوا أيديَهم إلى جبل وَانْشَرِيس وما إليه، فتناولوا الكثيرَ من بلاده، ثمّ أزاحَهم عنها بنو عَطِيّةَ الحَيُو(ج) وقومُهم من بني تُوجّينَ، المجاورون لها في مَوَاطِنِهم بأعالي شَلَف شرقيّ أرض السَّرْسُو. وكان ذلك

(ا) كذا في ظ ص، وفي أ: ورسيفان (ب) أ: واستقلّ (ج) من أ، مهملة في ظ ص .

لأوّل دخولِ أحياء زَناتَةَ الناجعةِ بأرض القِبْلَة إلى التُّلُولِ. فتغلّب بنو عَبْد الوَاد على نَواحي تِلِمْسَانَ إلى وادي صا، وتغلّب بنو تُوجِّين على ما بين الصّحراء والتلّ من بلد المَدِيَة إلى جبل وَانْشَرِيس إلى مَرَاتْ إلى الجَعْبَات؛ وصار التَّخْمُ لمُلك بني عَبْد الوَاد سِيك والبَطْحَاء، فمن قِبْلِيِّها مَواطنُ بني تُوجِّين، ومن شَرْقِيِّها مواطنُ مَغْرَاوَة.

وكانت الفِتْنَةُ بين بني عَبْد الوَادِ وبين هذين الحَيَّيْن منذُ أوّلِ دُخولهم إلى التُّلُولِ. وكان المَولَى[ا] الأمير أبو زَكَرِياء بنُ أبي حَفْصٍ يستظهر بهذين الحَيَّيْن على بني عَبْد الوَاد، ويُراغِمُهم بهم، حتَّى كان من فتح تِلِمْسَانَ ما قدّمناهُ، وألبسَ جميعَهم شَارَةَ المُلْك على ما ذكرناه ونذكُره في أخبارهم، فزاحَمُوا يَغْمُرَاسِنَ بَعْدَها بالمَنَاكِب، وصرفَ / هو إليهم وَجْهَ النَّقْمات والحروب. [79 ب] ولم يزلِ الشأنُ ذلك حتّى انقرض مُلك الحَيَّيْن لعهد ابنه عُثْمَانَ بنِ يَغْمُرَاسِنَ وعلى يَده، ثمّ على يَدِ بني مَرِينَ من بَعْدهم كما يأتي ذكرهُ.

ولما رجع يَغْمُرَاسِنُ بن زَيَّانَ من لِقاءة[ب] بني مَرِينَ بإيسْلِي من نَواحي وَجْدَةَ التي كانت سنة سبعٍ وأربعين، وكان معه فيها عبدُ القَوِيّ بنُ عَطِيَّة بقَوْمه من بني تُوجِّينَ، وهَلَك مَرْجِعَه منها، فنبذَ يَغْمُرَاسِنُ العهدَ إلى ابنه مُحَمَّد الأميرِ بعدَه، وزحفَ إلى بلاده لجَاس خلالَها ونازلَ حُصونَها فامتنعَتْ عليه، وأحسَن مُحَمَّدُ بن عبد القَوِيّ في دفاعه. ثم زحفَ ثانيةً سنةَ خمسين إليهم، فنازلَ حصنَ تافرَكِنِيتَ من حُصونهم، وكان به عَلِيُّ [بن][ج] زَيَّانَ حافِدُ محمد بن عبد القَوِيّ، فامتنعَ به في طائفةٍ من قومه، ورحلَ عنه يَغمُرَاسِنُ كَظِيمًا.

(ا) سقطت في ا (ب) ا: لقائه (ج) ظ ص: بني.

ولم يزل يَغمْرَاسِنُ بعدها يشنُّ الغارةَ على بلادهم، ويُجمّر الكتائبَ على حصونهم. وكان بتافرݣنيت صنيعةٌ من صَنائع [بني][أ] عبد القَوِيّ، ونسبُه في صِنْهَاجَةَ أهلِ ضاحية بِجَايَة، اختَصَّ بهذا الحِصْن، ورسَخَتْ قدمُه فيه، واعتزّ بكثرةِ مالِه ووَلَدِه، فأحسنَ الدفاعَ عنه. وكان له مع يَغمْرَاسِنَ في الامْتناع عليه أخبارٌ مذكورةٌ، حتى سَطَا به بنو محمد بن عبد القَوِيّ حين شَرِهوا إلى نِعمته، وأنِفوا من استِبْداده، فأتْلفوا نفسَه، وتَخَطَّفُوا نِعْمَتَه، فكان حَتْفُ ذلك الحصنِ في حَتْفِهِ، كما يأتي ذكره.

وعندما شبَّت نارُ الفِتْنَة بين يَغمْرَاسِنَ ومحمد بن عبد القَوِيّ، وصلَ محمدٌ يَدَه بيَعقُوبَ بن عَبْد الحَقّ. فلمّا نازَل يَعقُوبُ تِلِمْسَانَ سنةَ سبعين، بعد أن هدَم وَجْدَةَ، وهَزَمَه يَغمْرَاسِنُ بإيسلي. جاءَه محمد بن عبد القَوِيّ بقَوْمه من بني تُوجِّينَ، وأقام معه على حِصارها، ورَحلوا بعد الامْتِناع عليهم، فرجع محمّدٌ إلى مكانه. ثم عاود يَعقُوبُ بنُ عَبْد الحَقّ منازلةَ تِلِمْسَانَ / سنةَ [180أ] ثمانين وستّ مائة، بعد إيقاعه بيَغمْرَاسِنَ في خَرْزُوزَةَ[ب]. فلَقيه محمد بن عبد القَوِيّ بالقَصَباتِ[ب]، واتّصلت أيديهم على تَخريب بلاد يَغمْرَاسِنَ مَلِيًّا. ونازلوا تِلِمْسَانَ أيامًا، ثم افترقوا ورجع كلٌّ إلى بلَده. ولما خَلَص يَغمْرَاسِنُ بن زَيَّانَ من حِصاره، زَحف إلى بلادهم وأوطأ عساكرَهُ أرضَهم، فغلَب على الضَّاحية وخَرّب عُمرانَها، إلى أن تملَّكها بعدَه ابنُه عُثْمَانُ كما نذكر.

وأما خَبرهُ مع مَغْرَاوَةَ، فكان عمادُ رأيه فيهم التَّضْرِيبَ بين بني مِنْدِيلَ بن عبد الرّحمن للمُنافَسة التي كانت بينهم في رئاسة قَوْمهم. ولمّا رجع من واقعة تلاغْ سنةَ ستٍّ وستّين، وهي الوقيعة التي هلَك فيها ولَدُه عُمَرُ، زحف بعدها

(أ) من أ ص، في ظ: ابني (ب) الضبط من أ .

إلى بلاد مَغْرَاوَةَ فتوغّل فيها وتجاوزها إلى مَن وراءهم من مليكش[ا] والثُّعَالِبَة. وأمكنه عُمَرُ من مِلْيَانَةَ سنةَ ثمانٍ وستّين، على شرط المؤازرة والمُظاهرة على إخوته. فملكها يَغْمَرَاسِنُ يومئذٍ، وصار الكثيرُ من مَغْرَاوَةَ إلى ولايته، ورَجعوا[ب] معه إلى المَغْرِب سنةَ سبعين. ثم زحف بعدها إلى بلادهم سنةَ اثنتَيْن وسبعين، فتجافَى له ثَابِتُ بن مِنْدِيلَ عن تَنَس بعد أن أثخن في بلادهم، ورجَع عنها فَاسْترجعها ثَابِتُ، ثم نَزلَ له عنها ثانيًا سنةَ إحدى وثمانين بين يدي مَهْلَكِه عندما تمّ له الغَلَبُ عليهم والإثخانُ في بلادهم، إلى أن كان الاستيلاءُ عليها لابنه عُثْمَانَ على ما نَذكره.

• الخبرُ عن انتِزاء الزَّعِيم بن مَكَّنَ ببلَد مُسْتَغانم

كان بنو مَكَّنَ هؤلاء من عِلْيَة القَرابة من بني زَيَّانَ، يُشاركونهم في نسب محمد بن [زَكْداز][ج] بن يندُوكَسَن بن طَاعَ الله. وكان لمحمد هذا أربعة من الولَد، كبيرُهم يُوسُفُ، ومن ولده جَابِرُ بن يُوسُفَ أوّلُ مُلوكِهم، وثَابِتُ بن محمد، ومن ولَده زَيَّانُ بن ثَابِت أبو المُلوك من بني / عَبْدِ الوَاد، [80 ب] ودَرَغ بن محمد، ومن ولَده عَبْدُ المَلِك بن محمد [بن عليّ][د] بن قَاسِم بن دَرَغ المشتهر بأمّه حَنِينَةَ أخت يَغْمَرَاسِنَ بن زَيَّانَ، ومَكَّنَ بن محمد. وكان له من الوَلَد يَحْيَى وعَمُوش، وكان من ولَد يَحْيَى الزَّعِيمُ وعَلِيّ. وكان يَغْمَرَاسِنُ بنُ زَيَّانَ كثيرًا ما يستَعْمل قرابتَه في المَمَالك ويُوَلِّيهم على العَمَالاتِ. وكان قد استوحش من يَحْيَى بن مَكَّنَ وابنه الزَّعِيمِ وغرَّبهما إلى الأَنْدَلُس. فأجازا

(ا) ص: تهليكش (ب) ص: زحفوا (ج) ظ ط: ركدان وفي أ: محمد زكداز (د) سقط من ظ، والتكملة من أ ص.

من هنالك إلى يَعْقُوبَ بن عَبْد الحَقّ [سنةَ ثمانين، ولقياه بطَنْجَةَ في إحدى حَرَكَاتِ جهاده. وزحف يَعْقُوبُ ابن عَبْد الحَقّ][أ] إلى تِلِمْسَانَ عامَئذٍ، وهما في جملته. فأدركتْهما النُّفرة على قَوْمهما، وآثرا مُفارقة السّلطان إليهم، فأَذِن لهم في الانطلاق، ولحقا بيَغْمُرَاسِنَ بن زَيَّان، حتّى إذا كانت الواقِعةُ عليه بخَرزوزةَ سنةَ ثمانين كما قدّمناه، وزحف بعدها إلى بلاد مَغْرَاوَةَ، وتجافَى له ثَابِتُ بنُ مِنْدِيلَ عن مِلْيَانَةَ [كما قدّمناه، وزحف بعدها إلى بلاد مَغْرَاوَةَ][ب]، وانكفأ راجعًا إلى تِلِمْسَانَ، [استعْمَلَ على ثغر مُسْتغانم الزَّعِيمَ بن يَحْيَى بن مَكْنَ، فلمّا وصلَ إلى تِلِمْسَانَ][ج]، انتقَضَ عليه ودعا إلى الخِلاف، ومَالأَ عدوَّه من مَغْرَاوَةَ على المُظاهرة عليه. فَعَمَد إليه يَغْمُرَاسِنُ وأَحْجَرَهُ بها، حتّى لاذَ منه بالسِّلم على شَرْط الإجازة إلى العُدْوة، فعقَد له وأجازَه، ثمّ أجازَ على إثْره أباهُ يَحْيَى، واستَقرّا بالأنْدَلُسِ إلى أن هَلَكَ يَحْيَى سنةَ اثنتَيْن وتسْعين. ووفَد الزَّعِيمُ بعد ذلك على يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ، وسَخِطَه لبعض النَّزَعات فاعْتقَلَه، وفرّ من مَحْبَسه. ولم يزل الاغْتراب مُطَوِّحًا به إلى أن هلَكَ، والبقاءُ لله.

ونشأَ ابنُه النَّاصِرُ بالأنْدَلُسِ فكانت مثواهُ وموقفُ جِهاده إلى أن هلَكَ.

وأمّا أخوه عَلِيّ بن يَحْيَى فأقام بتِلِمْسَانَ، وكان من ولَده دَاوُدُ بن عَلِيّ كبيرُ مَشْيَخَة بني عَبْدِ الوَاد وصاحبُ شُورَاهُمْ[د]. وكان منهم أيضًا إبراهيمُ بن عَلِيّ، عقدَ له أبو حَمُّو الأَوْسَطُ على ابنته، فكان له منها وَلَدٌ[هـ] ذكَرٌ. وكان لداودَ ابنَه يَحْيَى بن دَاوُد، استعملَه أبو سَعِيدِ بن عبد الرحمن في دولتهم الثّانية على وِزَارَتِه، فكان من شَأْنه ما نذكُره في أخبارهم. / والأمر لله. [181أ]

(أ) من أ وحدها (ب) من ص (ج) من أ ص (د) أ ص: شوارهم (هـ) من ص، وفي ظ أ: فكان له منها ولد لهم ذكر.

• الخبرُ عن شأنِ يَغمُراسِنَ في مُعاقَدته مع ابنِ الأَحْمَرِ والطَّاغِية على فِتنة يعقوبَ بن عَبْدِ الحقّ، والأخذِ بحُجْزته

كان يَعقُوبُ بن عَبدِ الحَقّ لما أجازَ إلى الجهاد، وأوقع بالعدوّ وخرّب حصونَهم، ونازلَ إشبيلِيَّةَ وقُرْطُبَةَ، وزلزلَ قواعدَ كُفرهم. ثم أجاز ثانيةً، وتوغّل في دار الحرب وأثخن فيها، وتخلّى له ابن أشقَيْلُولَةَ عن مَالَقَةَ فملكها. وكان [سلطانُ][أ] الأندلُسِ يومئذٍ الأميرَ محمد المَدعُوّ بالفقيه، ثاني مُلوك بني الأحْمَرِ، مَلِكِهم هو الذي استدعى يَعقُوبَ بنَ عَبدِ الحَقّ للجهاد [بما][ب] عهِد له أبوه الشّيخ بذلك. فلمّا استفحلَ أمرُ يَعقُوبَ بالأَندَلُسِ، وتعاقَب الثّوارُ إلى اللّياذ به، خَشِيَهُ ابنُ الأحْمَرِ على نفسه، وتوقّع منه مثلَ فَعْلَةِ يُوسُفَ بن تاشفِين بابن عَبّادٍ، فاعْتَمل في أسباب الخلاص مِمّا تَوهَّم، وداخلَ الطَّاغِيَةَ في اتّصال اليَدِ والمُظاهَرة عليه. وكان بمَالَقَةَ [عمر بن يَحْيَى][ج] بن عليّ، استَعمله عليها يَعقُوبُ بن عَبْد الحَقّ حينَ مَلَكَها من يد ابن أشقَيْلُولَةَ، فاستمالَه ابنُ الأحْمَر وخاطبَه مُقاربةً ووعْدًا وإدالةً بشَلَوْبانِيَة من مَالَقَةَ طُعمَةً خالصةً له، فتخلّى عن مَالَقَةَ إليها وأرسلَ الطَّاغِيَةُ أساطيلَه في البحر لمنع الزُّقَاق من إجازة السّلطان وعساكِره. وراسَلوا يَغمُراسِنَ من وَراء البحر في الأَخْذ بحُجْزَة يَعقُوبَ وشنّ الغاراتِ على ثُغوره ليكونَ ذلك شاغلاً له عنهم. فبادَر يَغمُرَاسِنُ بإجابتهم، وتردّدت الرّسلُ منه إلى الطَّاغِيَةِ ومن الطَّاغِيَةِ إليه كما نَذكُره. وبثَّ السرايا والبعوثَ في نواحي المَغرِب، فشُغِل يَعقُوبُ عن شأن الجِهاد، حتّى لقد سأله المهادنةَ / وأن يَفرَغَ لجهاد العدوّ فأبَى عليه. وكان ذلك [81 ب]

(أ) من أ ص (ب) من أ ص، ظ: لما (ج) فراغ في الأصول بمقدار كلمتين.

مّا دعا يَعْقُوبَ إلى الصُّمُودِ إليه ومواقَعَتِه بخَرْزُوزَةَ كما ذكرناه. ولم يزلْ شأنُهم ذلك مع يَعْقُوبَ بن عَبْدِ الحَقّ، وأيديهم متّصلة عليه من كلّ جهة، وهو يَنْتهز الفرصَ في كلّ واحدٍ منهم متّى أمْكنه، حتّى هَلَكَ وهَلَكُوا. والله وارث الأرض[ومن عليها](أ).

• الخبرُ عن شأنِ يَغْمُراسِنَ مع الخُلفاء من بني أبي حَفْص الذين كان يُقيمُ بتِلْمسانَ دعوتهم ويأخذ قومَه بطاعتِهم

كان زَنَاتَةُ يَدينون بطاعة خُلفاء المُوَحِّدِينَ من بني عَبْدِ المُؤمِنِ أيّامَ كونهم بالقِفار وبعد دخولهم إلى التُّلُولِ. فلمّا فشلَ أمرُ بني عَبْدِ المُؤمِنِ، ودَعا الأميرُ أبو زكرياء بن أبي حَفْصٍ بإفْرِيقِيَّةَ لنفسه، ونصَبَ كرسيَّ الخِلافة للمُوَحِّدِينَ بتُونِس، انصرفَت إليه الوجوهُ من سائر الآفاق بالعُدْوتين، وأمَّلوه للكَرَّة، وأوفدَ زَنَاتَةُ عليه رسلَهم من كلّ حيّ بالطّاعة، ولاذَ مَغْرَاوَةُ وبنو تُوجِّينَ بظلِّ دَعْوته، ودخلوا في طاعته، واستَنْهضوه لتِلِمْسَانَ فنهضَ إليها، وافتتَحها سنةَ أربعين. ورجَع إليها يَغْمُرَاسِنُ واستَعْمله عليها وعلى سائر ممالِكها، فلم يزل مقيمًا لدَعْوته. واتّبع أثرَهُ بنو مَرِينَ في إقامة الدّعوة له فيما غَلَبُوا عليه من بلاد المَغْرِبِ. وبعثوا إليه ببَيْعة مِكْنَاسَةَ وتَازَى والقَصْر كما نذكرُهُ في أخبارهم، إلى ما دانوا [له](ب) به ولابنه المُسْتَنْصِرِ من بعده من خطاب التّمويل والإشارة(ج) بالطّاعة والانقياد، حتّى غلَبوا على مَرّاكُش وخَطبوا باسم المُسْتَنْصِرِ على مَنابرها حينًا من الدّهر، ثمّ تبيّن لهم بُعْدُ مُتَنَاوَلِ تلك القاصية عليه، فعطّلوا منابرَهم من أسماء أولئك وأقْطَعُوهم جانبَ

(أ) من أ (ب) من أ، وسقط من ظ ص (ج) أ: الإشادة .

الوِداد والموالاة [فقط](أ). ثم سَمَوْا إلى اللّقب والتفنّن في الشّارة الملوكيّة كما تقتضيه طبيعة الدّول.

[182] وأمّا / يَغْمُرَاسِنُ وبَنوه، فلم يَزالوا آخذينَ بدَعْوتهم واحدًا بعد واحدٍ، مُتجافين عن اللّقب أدبًا معهم، مجدّدينَ البيعةَ لكلّ من يتجدّد قيامُه بالخلافة منهم، يُوفِدون بها كبارَ أبنائهم وأُولِي الرّأي من قومهم، ولم يزلِ الشّأنُ ذلك. ولمّا هَلك الأميرُ أبو زكريّاء وقام ابنه محمد المُسْتَنْصِرُ بالأمر من بعده، وخرج عليه أخوه الأمير أبو إسْحاق في أحْياء الدَّوَاوِدَة من رِياحٍ. ثم غلبهم المُسْتَنْصِرُ جميعًا. ولَحِق الأميرُ أبو إسْحَاق بتِلِمْسَانَ في أهْله. فأكرم يَغْمُرَاسِنُ نُزُلَهُم، وأجاز إلى الأنْدَلُس للمُرابطة بها والجهاد. حتّى إذا هلَك المُسْتَنْصِرُ سنةَ خمسٍ وسبعين، واتّصل به خبر مَهْلكه، ورأى أنّه أحقُّ بالأمر. فأجاز البحرَ من حينه، ونزلَ بمرسى هُنَيْنٍ سنةَ سبعٍ وسبعين. ولَقّاه يَغْمُرَاسِنُ مَبَرَّةً وتوقيرًا، واحتفلَ بقدومه(ب) وأركب النّاس لتَلَقِّيه، وأتاه ببَيْعته على عادته مع سلَفه، ووعَده النُّصْرةَ من عدوّه والمؤازرةَ على أمره، وأصهَر إليه يَغْمُرَاسِنُ في إحدى بناتِه المَقْصُورَات في خيام الخِلافة بابنه عُثْمَانَ وَليّ عَهْده، فأسْعَفه وأجْمل في ذلك وَعْدَه.

وانتقض محمدُ بن أبي هِلَالٍ عاملُ بِجَايَةَ على الوَاثِقِ، وخلَع طاعتَه ودعا للأمير أبي إسْحَاق، واستَحَثّهُ للقُدوم، فأغذَّ إليه السَّيْرَ من تِلِمْسَانَ، وكان من شأنه ما قدّمناه في أخباره.

فلمّا كانت سنةُ إحدى وثمانين، وزحف يَغْمُرَاسِنُ إلى بلاد مَغْرَاوَةَ وغلَبهم على الضّواحي والأمْصار، بعثَ من هنالك ابنَه إبراهيمَ، وتسميه زَنَاتَةُ بَرْهُومَ، ويكنى أبا عَامِر، أوْفَده [في](ج) رجالٍ من قومه على الخليفة أبي إسْحَاق

(أ) من أ (ب) أ: لقدومه (ج) في ظ ص: من.

لإحكام الصِّهْر بينهما، فنزلوا منه على خير نُزُل من إسْناء الجراية ومُضاعفة الكرامَة والمبرّة. وظهر من آثاره في حُروب ابن أبي عُمارَةَ ما مدَّ الأعناق إليه، وقَصَر الشِّيَم الزَّنَاتِيَّة على بَيْته؛ ثم انقلَب آخرًا بظعينته مَحْبُوّا مَحْبُورا، / وابتَنَى [82 ب] بها عُثْمَانُ لحين وُصولها، وأصبحَتْ عقيلةَ قصره، فكان ذلك مفخرًا لدَوْلته، وذكرًا له ولقَوْمه.

ولحِق الأميرُ أبو زكرياءَ بنُ الأمير أبي إسْحَاق بتِلِمْسَانَ بعد خُلوصه من مَهلكة قومِه في واقعة الدَّعِيّ[1] ابن أبي عُمَارَةَ عليهم بمَرْمَاجَنَّة سنةَ اثنتين وثمانين. فنزلَ من عُثْمَانَ بن يَغمُرَاسِنَ صِهْرِهِ خيرَ نُزُل، بِرًّا واحتفاءً وتكريمًا ومُلاطفةً. وسَرَّبت إليه أختُه من القصر أنواعَ التُّحف والأُنس. ولحِق به أولياؤُه من صَنائع دولتهم، وكبيرُهم أبو الحسن محمدُ بن الفقيه المحدِّث أبي بكر ابن سَيِّد النَّاس اليَعْمُرِيّ. فتفيّأوا من كرامة الدَّوْلة بهم ظِلاً وارِفًا. واستَنْهضوهُ إلى تُراث مُلكه، وفاوضَ أبا مَثْواه عُثْمَانَ بن يَغمُرَاسِنَ في ذلك، فنكِرَهُ لما كان قد أخذ بدَعْوة صاحب الحَضْرة؛ وأوفدَ عليه رجالَ دولته بالبَيْعة على العادة في ذلك. فحدَّث الأميرُ أبو زكرياءَ نفسَه بالفِرار عنه، ولحق بداوُد بن هِلَال بن عَطَّافٍ أميرِ البَدْو من بني عَامِر، إحدى بُطون زُغْبَةَ. فأجازَه وأبلَغه مأمنه بحَيّ الدَّوَاوِدَة أُمراء البَدْو بعمل المُوَحِّدِينَ. نزلَ منهم على عَطِيَّةَ ابن سُلَيْمَانَ بن سِبَّاع كما قدّمناه. واستَوْلَى على بِجَايَةَ سنةَ أربعٍ وثمانين بعد خُطوب ذكرناها، واقتطَعها وسائرَ عملها عن مُلْك عَمِّه صاحبِ الدّعوة بتُونِس أبي حَفْص. ووَفَى لداوُد بن عَطَّافٍ، وأقطَعه بوطن بِجَايَةَ عملاً كبيرًا أفردَهُ لجِبايته، كان فيه إيقْدَارَن[ب] بالخَميس من واد بِجَايَةَ. واستقلَّ الأميرُ

(أ) من أ، وهو الأشهر، وفي ظ ص: الداعي (ب) كذا في الأصول، وفي حاشية أ أمام الاسم: يسمّى لمكنازن .

أبو زكرياءَ بمملكة بُونَة وقُسنطِينة وبِجَايَة والجَزائِرِ والزَّاب وما وراءه. وكان هذا الصِّهرُ وُصْلةً له مع عُثْمَانَ بن يَغمُرَاسِنَ وبَنيه.

ولما نازل يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ تِلِمْسَانَ سنةَ ثمانٍ وتسعين، بَعث الأميرُ أبو زكرياءَ المددَ من جُيوشه إلى عُثْمَانَ بن يَغمُرَاسِنَ، وبلَغ الخبرُ بذلك إلى يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ، فبعثَ أخاه أبا يَحْيَى في العساكر لاعْتِراضهم، والتقَوْا / [183أ] بجَبَلِ الزَّان، فكانت الدَّبَرة على عسكر المُوَحِّدِينَ واستُلْحِمُوا هنالك، وتُسَمّى المعركةُ لهذا العهد بمَرْسَى الرُّوش[1]، واستَحْكمت من أجل ذلك صاغيةُ الخليفة بتُونِسَ إلى بني مَرِينَ. وأوْفد عليهم مَشْيَخَةً من المُوَحِّدِينَ [يُخَالِصُونَهم][أ] ويَدْعونَهم إلى حصار بِجَايَة، وبعثَ معهم الهديَّةَ الفاخِرةَ. وبلَغ خَبَرُهم إلى عُثْمَانَ بنِ يَغمُرَاسِنَ من وراء جُدرانه، فتنكَّر لها وأسقَط ذكرَ الخَليفةِ من مَنابره ومَحاهُ من عَمله، فنُسِيَ لهذا العهد. والله مالك الأمور.

• الخبرُ عن مَهلك يَغمُرَاسِن بن زَيَّانَ، وولايةِ ابْنه عُثْمانَ، وماكان في دَوْلَته من الأحْداث

كان السّلطانُ يَغمُرَاسِنُ قد خرج من تِلِمْسَانَ سنةَ إحدى وثمانين، واستَعْمل عليها ابنَه عُثْمَانَ، وتوغّل في بلاد مَغْرَاوَةَ وملَكَ ضواحيَهم. ونزلَ له ثَابِتُ بن مِنْدِيلَ عن مدينة تَنَس فتناولَها من يَده. ثم بلَغه الخبرُ بإقبال أخيه أبي عَامِر بَرْهُومَ من تُونِس بابنة السّلطان أبي إسْحَاقَ عِرس ابنِه عُثْمَانَ. فتلَوَّم

(أ) من حاشية أ بخط المؤلف .

(1) صيغة عامية لجمع رَأس، رُؤوس = رَاس / رُوش.

هنالك إلى أن لَحِقه بظاهر مِلْيَانَة، فارتحل إلى تِلِمْسَان، وأصابه الوجَعُ في طَريقه. وعندما احتلّ شَرِيوية(أ) اشتدَّ به وجَعُه، فهلكَ هُنالك آخرَ ذي قعْدة من سَنَته، والبقاء لله. لحمله ابنُه أبو عَامِرٍ على أعْواده، ووَاراهُ في خِدْرٍ مُوَرِّيًا بمرضِه إلى أن تجاوزَ بلاد مَغْرَاوَةَ إلى سِيك. ثمّ أغذّ السَّيْرَ إلى تِلِمْسَان، فلَقِيَهُ أخوه عُثْمَانُ بن يَغمْرَاسِنَ وَلِيُّ عهد أبيه في قَوْمِه، فبايَعه النّاس وأعطَوْه صفقةَ أيمانِهم. ثم دخلَ إلى تِلِمْسَان فبايَعه العامّةُ والخاصّةُ، وخاطَب لحينه الخليفةَ بتُونِس أبا إسْحَاق، وبعثَ إليه ببَيْعتِه، فراجَعه بالقَبول وعَقد له على عَمله على الرَّسْم؛ ثمّ خاطبَ يَعْقُوبَ بن عَبْدِ الحَقّ / يخطب [83 ب]
منه السِّلْمَ لما كان أبوه يَغمْرَاسِنُ أوصاهُ به.

حدّثنا شيخُنا العلاّمةُ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبِلِيّ(1) قال: سمعتُ من السّلطان أبي حَمّو مُوسَى بن عُثْمَانَ، وكان قَهْرَمَانًا بداره، قال: أوصَى دَادًا يَغمْرَاسِنَ لدَادًا عُثْمَانَ، - ودَادًا حرفُ كنايةٍ عن غاية التّعظيم بلُغتهم،- فقال له: يا بُنَيّ، إنّ بني مَرِينَ بعد اسْتفحال مُلكهم واستيلائهم على الأعمال الغربيّة وعلى حضْرَة الخِلافة بمَرّاكُش، لا طاقةَ لنا بلقائهم إذا جَمعوا، لوُفُور مَدَدِهم؛ ولا يُمْكِنُنِي أنا القعودُ عن لقائهم لمَعَرَّةِ النُّكُوصِ عن القِرْن التي أنت بعيدٌ عنها. فإيّاك واعتمادَ لِقائهم، وعليك باللّياذ بالجُدران متَى دَلِفوا إليك، وحاولْ ما استَطعتَ في الاستيلاء على ما جاورَك من عَمالات المُوَحِّدِينَ وممالِكهم، يَسْتفحلْ به مُلكُك، وتكافِئ حَشْدَ العدوّ بحَشْدِك، ولعلّك تصيّر بعضَ الثُّغور الشرقيّة معقلاً لذَخيرتك.

(أ) في أ: شدبويه .

(1) أستاذ ابن خلدون، لزمه وأخذ عنه المنطق وعلوم الحكمة وتأثر به. انظر عنه، ابن خلدون: التعريف 33- ابن حجر: الدرر الكامنة 3: 288 ، الغبريني : البستان 214 .

فعَلِقَتْ وصيَّةُ الشَّيخ بقَلْبه، واعتقدَ عليها ضمائرَه، وجنَح إلى السِّلْم مع بَني مَرِينَ ليتفرّغ - زعموا- لذلك. وأوفدَ أخاه محمدَ بن يَغمُراسِنَ على يَعقُوبَ بن عَبْدِ الحَقّ بمكانه من العُدْوَةِ الأنْدَلُسيَّة في إجازته الرّابعة إليها، فخاضَ إليه البحرَ، ووصلَه بأرْكُش. فلقَّاه بِرًّا وكرامةً، وعقَد له من السِّلْم ما أحبَّ، وانكفأَ راجعًا إلى أخيه. فطابَتْ نفسُه، وفرغَ لافْتتاح البِلاد الشَّرقية كما نَذكُره.

•الخبرُ عن شأْنِ عُثْمانَ بن يَغمُراسِنَ مع مَغْراوةَ وبني تُوجِّينَ، وغَلَبه على مَعاقِلهم والكثيرِ من أعمالهم

لما عقدَ عُثْمَانُ بن يَغمُرَاسِنَ السِّلْمَ مع يَعقُوبَ بن عَبْدِ الحَقّ، صرَفَ وجهَهُ إلى الأعمال الشرقيّة من بلاد تُوجِّينَ ومَغْرَاوَةَ وما وراءَها من / عمل المُوَحِّدِينَ، فتغلَّب أولاً على ضواحي بني تُوجِّينَ ودَوَّخ قاصِيَتَها. وسار إلى بلاد مَغْرَاوَةَ كذلك، ثمّ إلى مِتِّيجَةَ فانتَسف نِعَمَها وحَطَّم زُروعَها، ثم تجاوزَها إلى بِجَايَةَ فحاصرَها كما نذكره بعدُ، وامتنعَتْ عليه فانكفأَ راجعًا. ومرَّ في طريقه بمَازُونَةَ فحاصرَها وأطاعتْهُ، وذلك سنةَ ستٍّ وثمانين، ونزلَ له ثَابِتُ ابن مِنْدِيلَ أميرُ مَغْرَاوَةَ عن تَنَس فَاسْتَوْلَى عليها، وانتظمَ سائرَ بلاد مَغْرَاوَةَ في إيالَتِه. ثم عطَف في سنَته على بلاد تُوجِّينَ فاكْتَسحَ حُبوبَها واحتكَرَها بمَازُونَةَ استِعْدادًا لما يَتوقَّعُ من حِصار مَغْرَاوَةَ إيّاها. ثمّ دَلَف إلى تَافرْكِنِيتَ فحاصَرها وأخذ بمخَنَّقها، وداخلَ قائدَها غَالِبًا الخَصِيَّ من مَوالى بني محمد بن عبد القَوِيّ، كان مَولَى سيِّد النَّاس منهم، فنزلَ له غالبٌ عنها، فَاسْتَوْلَى عليها وانكفأَ إلى تِلِمْسَانَ.

ثم نهضَ إلى بلاد بني تُوجِّينَ سنةَ سبعٍ وثمانين، فغلَبهم على وَانْشَرِيسَ مَثْوَى مُلْكهم ومَنْبَتُ عِزِّهم. وفرّ أمامَه أميرُهم مَوْلى[أ] بني زُرَارة من وَلَد محمد بن عبد القَوِيّ. وأخذ الحِلْف منهم، فلحِقَ بضواحي المَدِيّة في الأَعْشَارِ وأولاد عَزِيزٍ من قومه. واتّبع عُثْمَانُ بن يَغْمَرَاسِنَ آثارَهم وشرَّدهم عن تلك القاصِيَة. وهلكَ مَوْلَى زُرَارَة في مَفَرّة. وكان عُثْمَانُ قبلَ ذلك قد دَوَّخ بلادَ بنى يَدْلَلْتَنْ.....[ب] من بني تُوجِّينَ. ونازَل رؤساءهم أولادَ سَلامَةَ بالقَلْعة المنسوبة إليهم مَرَّاتٍ فامْتنعوا عليه، ثم أعْطَوْه أيديَهم على الطّاعة ومُفارقة قَوْمهم [من][ج] بني تُوجِّينَ إلى سُلطان بني يَغْمَرَاسِنَ، فنَبَذوا العهدَ إلى بَنِي محمد بن عبد القَوِيّ أمرائهم منذ العَهْد الأوّل. ووَصَلوا أيديَهم بعُثْمَانَ، وألزموا رَعاياهم وأعمالَهم المَغَارِمَ له، إلى أن ملك وَانْشَرِيسَ من بعدها، [و][د] نذكر ذلك في أخبارهم. / [84 ب] وصارتْ بلادُ تُوجِّينَ كلُّها من عَمَله، واستعملَ الحَشَمَ بجبل وَانْشَرِيسَ، ثم نَهض بعدها إلى المَدِيّة وبها أولادُ عَزِيزٍ من تُوجِّينَ فنازلَها، وقام بدَعْوته فيها قبائلُ من صِنْهَاجَةَ يُعرفون بلَمَدِيّة[هـ] وإليهم تُنْسب، فأمْكنوه منها سنةَ ثمانٍ وثمانين، وبقِيَتْ في إيالَته سبعةَ أشهرٍ، ثمّ انتقضَت عليه. وزحفَ إلى إيالةِ أولاد عَزِيزٍ، وصالَحوه عليها وأعطَوْه من الطّاعة ما كانوا يُعْطونَه لمحمد بن عبد القَوِيّ وبَنيه، فَاسْتقامَ أمرُه في بني تُوجِّينَ ودانَتْ له سائرُ أعمالهم. ثمّ خرجَ سنةَ تسعٍ وثمانين إلى بلاد مَغْرَاوَةَ لما كانوا إلبًا عليه لبني مَرِينَ في إحْدى حَرَكَاتِهم على تِلِمْسَانَ، فدوَّخها، وأنزلَ ابنَه أبا حَمُّو بشَلَف مركزِ عملِهم، فأقامَ به وقفلَ هو إلى الحضْرة، وتحيَّزَ فَلُّ مَغْرَاوَةَ إلى

(أ) كذا في ظ ص، وفي أ: موسى بن زرارة (ب) فراغ بقدر كلمتين في الأصول الثلاثة (ج) زيادة في أ (د) واو العطف مقحمة في أ (هـ) الضبط من أ.

نَواحي مِتّيجَةَ وعليهم ثابِتُ بن مِنْدِيلَ أميرُهم فلَم يزالوا بها. ونهض عُثْمَانُ إليهم سنةَ ثلاثٍ وتسعين من بَعْدها فانْحجَرُوا بمدينة بَرِشْك وحاصَرهم بها أربعينَ يومًا ثمّ افتتَحَها. وخاض ثابِتُ البحرَ إلى المَغْرِبِ. فنزلَ على يُوسُفَ ابن يَعْقُوبَ كما ذكرناه ونذكرُه.

واستوْلَى عُثْمَانُ على سائرِ عَمَلِ مَغْرَاوَةَ، كما استوْلَى على عمل بني تُوجِّينَ، فانْتظَمَ بلادَ المَغْرِبِ الأوْسَطِ(أ) كلّها وبلادَ زَنَاتَةَ الأُولَى، ثم شُغِل بفِتْنَةِ بني مَرِينَ كما نَذكُره بَعْدُ.

• الخبرُ عن مُنازلَةِ بِجايةَ وما دَعا إليها

قد ذكرنا أنّ المولَى(ب) أبا زكريّاء الأوْسَطَ ابنَ السّلطان أبي إسْحَاق من بَني أبي حَفْصٍ، لحِق بتِلِمْسَانَ عندَ فِراره من بِجَايَةَ أمامَ شيعة الدَّعِيّ ابن أبي عُمَارَةَ، فنزلَ على عُثْمَانَ بنِ يَغْمَرَاسِنَ خيرَ نُزُل. ثم هَلَكَ الدَّعِيُّ(ج) ابنُ أبي عُمَارَةَ واستقلَّ عَمُّه الأميرُ أبو حَفْصٍ بالخلافة، وبعثَ إليه عُثْمَانُ بنُ / يَغْمَرَاسِنَ بطاعَته على العادَة. وأوفَد عليه وجوهَ قَوْمه، ودَسَّ الكثيرَ من [185]
أهل بِجَايَة إلى المَوْلَى(د) أبي زكريّاء يستحِثّونَه للقُدوم، ويعِدونَه(هـ) إسْلامَ البلَد إليه. وفاوضَ عُثْمَانُ بنُ يَغْمَرَاسِنَ في ذلك فأبَى عليه، وفاءً بحقّ البَيْعة لعَمّه الخليفةِ بالحَضْرة. فطُوِيَ عنه الخبرُ وتردّد في القَبْض [عليه](و) أيامًا، ثمّ لحِق بأحياء زُغْبَةَ في مجالاتهم بالقَفْرِ. ونزلَ على داودَ بنِ هِلَالِ بن عَطّافٍ. وطلبَ عُثْمَانُ بن يَغْمَرَاسِنَ من داودَ إسْلامَه فأبَى عليه، وارْتَحل معه إلى

(أ) سقط من ص (ب) شطبت في أ واستبدلت في حاشيتها بالأمير (ج) ص: الداعي (د) أ: الأمير (هـ) أ: يدعونه
(و) من أ مضافة في حاشيتها. وسقطت من ص .

أعمال بجَايَةَ ونزلوا على أحياء الدَّوَاوِدَةِ كما قدّمناه. ثم استَوْلى المؤلى[أ] أبو زكرِيّاءَ بعد ذلك على بجَايَةَ في خبرٍ طويلٍ ذكرناهُ في أخباره. واستَحْكمتِ القَطيعةُ بينَه وبين عُثْمَانَ • وكانت سببًا لاستحكام الموالاة بين عُثمانَ •[ب] وبَيْن الخليفةِ بتُونِس. فلمّا زحفَ إلى عمل مَغْرَاوَةَ سنةَ ستٍّ وثمانين، وتوغَّل في قاصِية الشّرق[ج]، أعملَ الرّحلَةَ إلى عمل بجَايَةَ، ودوّخَ سائرَ أقطارها، ثمّ نازلَها من بَعْدُ يَرومُ كيدَها بالاعْتِمال في مَرْضاة خَليفتِه بتُونِس، ويُسِرُّ بذلك حَسْوًا في ارْتِغاء. فأناخَ عليها بعساكِره سَبْعًا، ثم أفرجَ عنها مُنقَلِبًا إلى المَغْرِبِ الأوْسَطِ، فكان من فَتْح مَازُونَةَ وتَافرْكَنِيتَ[د] ما قدّمناه.

• الخبرُ عن مُعاوَدة الفِتْنة مع بني مَرِينَ، وشأنِ تلمْسانَ في الحصار الطويل

لما هلكَ يَعْقُوبُ بنُ عَبْدِ الحَقّ سُلطانُ بَني مَرِينَ على السِّلْم المنعقدةِ بَيْنه وبين بني عَبْدِ الوَادِ لشُغْله بالجهاد. قامَ بالأمر من بَعْده في قومه ابنُه يُوسُفُ كبيرُ وَلَده، على حين أتعَبهم شأنُ الجهاد وأسِفَهم يَغْمَرَاسِنُ / وابنُه [85 ب] بمُمالأة الطَّاغِيَةِ وابن الأحْمَرِ. فعقدَ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ السِّلْمَ مع الطَّاغِيَةِ لحينه، ونزلَ لابن الأحْمَرِ عن ثُغور الأنْدَلُس التي كانت لهم. وفرغَ لحرب بني عَبْدِ الوَادِ، واستَتَبَّ له ذلك لأربعٍ من مَهْلك أبيه. ودَلَفَ إلى تِلِمْسَانَ سنةَ تسعٍ وثمانين، ولاذَ منه عُثْمَانُ بالأسْوار، فنازلَها أربعين صباحًا، وقطع شَجْراءَها[1]، ونَصَب عليها المَجَانيقَ والآلاتِ، ثمّ أحسَّ بامْتِناعها فأفرجَ عنها، وانكفأ راجعًا.

(أ) أ: الأمير (ب) سقط ما بين النجمين من ص (ج) ص: المشرق (د) الشكل من أ، وتقدّم.

(1) واحدتها شجرة، ومن الجمع النادر على هذا المثال: قَصبةٌ وقصْباء، وطَرْفَةٌ وطرْفاء، وحَلْفَةٌ وحَلْفاء.

وتقبّلَ عُثْمَانُ بنُ يَغْمُرَاسِنَ مذهبَ أبيه في مُداخلةِ ابن الأحْمَرِ والطَّاغِيَة، وأوفدَ رُسُلَه عليها فلم يغنِ ذلك عنه شيْئًا. وكان مَغْرَاوَةُ قد لحِقوا بيُوسُف بن يَعْقُوبَ على تِلِمْسَانَ فنالوا مِنها أعظمَ النيْل. فلمّا أفرجوا عن تِلِمْسَانَ نهضَ عُثْمَانُ إلى بلادهم فدَوَّخها، وغلَبهم[أ] عليها وأنزلَ بها ابنَه أبا حَمُّو كما قدّمناه. فلمّا كانت سنة خمسٍ وتسعين، نهضَ يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ حركتَه الثانية، فنازلَ نَدْرُومَةَ، ثم ارتَحل منها إلى ناحية وَهْرَانَ، وأطاعَه أهلُ جبل كَيدَزَةَ[ب] وتَاسَكْدَلْتَ[ب] رباطِ عبد الحميد بن الفقيه أبي زَيْد اليَزْنَاسني ثم كَرّ راجعًا إلى المَغْرِبِ. وخرج عُثْمَانُ بن يَغْمُرَاسِنَ فأثخن في تلك الجبال لطاعتهم عَدوَّه واعتراضِهم جنْدَه، واستَباح رباطَ تَاسَكْدَلْتَ. ثم أغزاه يُوسُفُ ابنُ يَعْقُوبَ ثالثةً سنةَ ستّ وتسعين ورجع إلى المَغْرِبِ. ثم أغْزاهُ رابعةً سنةَ سبعٍ وتسعين، [فنازل][ج] تِلِمْسَانَ، وأحاط بها معسكرهُ، وشرعوا في البناء. ثم أفرجَ عنها لثلاثةِ أشهرٍ، ومرَّ في طريقه بوَجْدَةَ فأمر بتَجْديد بنائها وجَمَعَ الفعَلَةَ عليها، واستَعْمل أخاه أبا يَحْيَى بنَ يَعْقُوبَ على ذلك، فأقام لشأنه، ولحِق يُوسُفُ بالمَغرِبِ.

وكان بنو تُوجِّينَ قد نازلوا تِلِمْسَانَ مع يُوسُفَ بنَ يَعْقُوبَ، وتولّى كِبْرَ
[186] ذلك / منهم أولادُ سَلامَةَ أمراءُ بني يدَلّلتنَ منهم، وأصحابُ القَلْعة المنسوبةِ إليهم. فلمّا أفرجَ عنها خرج إليهم عُثْمَانُ بن يَغْمُرَاسِنَ، فدَوَّخ بلادَهم وحاصرَهم بالقَلْعة، ونالَ منهم أضعافَ ما نالوا منه، وطالَ مغيبُه في بلادهم. فخالَفه أبو يَحْيَى بنُ يَعْقُوبَ إلى نَدْرُومَةَ فافتتَحها بعسكره بمُداخَلةٍ من قائِدها زكرياءَ بنِ يَخْلَفْتَن المَطْغَرِي صاحب تَاوَنْت[د]. فاستولى بنو مَرينَ على نَدْرُومَةَ وتَاوَنْت،

(أ) أ: وغلب (ب) الضبط من أ (ج) من أ، وفي ظ ص: قبائل (د) الضبط من أ.

وجاء يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ على أثرها فَوافاهم، ودلِفوا جميعًا إلى تِلِمْسَانَ. • وبلغ الخبر إلى عُثْمَانَ بمكانه من حصار القلعة فَطَوَى المراحلَ إلى تِلِمْسَانَ•[(أ)] فسبَق إليها يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ بعضَ يوم، ثمّ أشرفَتْ طلائعُ بني مَرِينَ عشِيَّ ذلك اليوم، فأناخوا بها في شعبان سنةَ ثمانٍ وتسعين، وأحاطَ المعسكرُ بها من جميع جِهاتها، وضرَب يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ عليها سِياجًا من الأسوار مُحيطًا بها، وفتحَ فيه أبوابًا مداخلَ لحزبها. واختطَّ لنُزُله إلى جانب الأسوار مدينةً سمّاها المَنْصُورَةَ، وأقام على ذلك سِنينَ يُغاديها بالقتال ويُراوِحُها، وسرَّح عساكره لافتتاح أمصار المَغرِب الأوْسَطِ وثُغورِه، فملَك بلاد مَغْرَاوَةَ وبلادَ بني تُوجِّينَ كما ذكرناه في أخْباره. وجثَم[(ب)] هو بمكانه من حِصار تِلِمْسَانَ لا يعدُوها كالأسد الضّاري على فَريسته، إلى أن هلَك عُثْمَانُ، وهلَك هو من بَعْده، كما نذكرهُ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة النور، من الآية 42] .

• / الخبرُ عن مَهْلك عُثْمانَ بن يَغمْراسِنَ، وولايةِ ابنه أبي زيّانَ، وانتهاءِ الحِصار من بَعْده إلى غايته [86 ب]

لما أناخ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بعساكره على تِلِمْسَانَ، انْحجرَ بها عُثْمَانُ وقومُه واستَسْلموا والحصارُ آخذٌ بمخنّقهم. وهلَك عُثْمَانُ لخامسةِ السّنين من حِصارهم سنةَ ثلاثٍ وسَبْع مائة. وقام بالأمر من بَعْده ابنُه أبو زيَّانَ محمد.

أخبرني شيْخُنا العلاّمة محمّد بن إبراهيم الآبِليّ، وكان في صباه قَهْرَمَانَ دارهم، قال: هلَك عُثْمَانُ بن يَغمْرَاسِنَ بالدِّيمَاسِ، وكان قد أعدَّ لشُرْبه لبنًا.

(أ) سقط ما بين النجمين من أ (ب) واضحة في أ وفي ص: ختم، وجاءت مهملة في ظ تحتمل القراءتين .

فلمّا أخذَ منه الدِّيمَاسُ وعَطِش، دَعَا بالقَدَح فشرِب اللّبنَ ونامَ، فلم يكن بأوْشكَ من أن فاضَتْ نَفْسُه. وكنّا نَرى معشرُ الصّنائع أنّه ذاقَ فيه السمَّ تفاديًا من مَعَرَّة غَلَبِ عدُوّهم إيّاهم. قال: وجاء الخادمُ إلى قَعيدةِ[أ] بَيْته • زوجتِه بنتِ السّلطان أبي إسْحَاق بن الأمير أبي زكرياءَ بن عبد الواحِد بن أبي حَفْصٍ صاحبِ تُونِس •[ب] وخبَّرها الخبرَ، فجاءت ووَقَفَتْ عليه واسترجعت، وختَمَتْ على الأبواب بسَدَادها، ثم بعثَتْ عن ابنَيْه: محمد أبي زيّانَ ومُوسَى أبي حَمُّو، فعزَّتْهما عن أبيهما، وأحضرَا مَشْيَخَةَ بني عَبْدِ الوَاد، وعرَّضوا لهم بمرض السّلطان، فقال أحدُهم مُستفهمًا عن الشأْن ومُتَرْجِمًا عن القَوم: السّلطانُ مَعنا آنفًا ولم يمتدَّ الزمنُ لوقوع المرض، فإن يكنْ هلَكَ فخبّرونا. فقال له أبو حَمُّو: وإذا هَلَكَ فما أنت صانعٌ؟ فقال: إنما نَخْشى من مُخالَفتك، وإلاّ فسُلطانُنا أخوك الأكبرُ أبو زَيّانَ. فقام أبو حَمُّو من مكانه وأكبَّ على يَد أخيه يُقَبِّلُها، وأعطاه [187أ] صَفْقَةَ يَمينه؛ واقتدَى / به المَشْيَخَةُ، فانعقدَتْ بيعَتُه لوقْته. واشتملَ بنو عَبْد [الوَاد][ج] على سُلطانهم واجتمعوا إليه، وبَرزوا لقتال عدُوّهم على العادَة، فكأنَّ عُثمَانَ لم يمتْ.

وبلَغ الخبرُ إلى يُوسُفَ بنِ يَعقُوبَ بمكانه من حِصارهم، فتفجَّع له وعَجِب من صَرامة قومه من بعده. واستمرَّ حصارُه إيّاهم إلى [تمام][ج] ثماني سنين وثلاثة أشهرٍ من يوم نُزوله؛ نالَهم فيها من الجَهْد والجوع ما لم ينلْ أمّةً من الأُمَم.

واضطُرّوا إلى أكل الجِيَف والقُطوط والفِئْران، حتّى - لَزعموا- أنّهم أكلوا فيها أشلاءَ الموْتَى من الأناسي، وخربوا السُّقُفَ للوَقود. وغلَتْ أسعارُ الأقْوات والحبوبِ وسائر المرافقِ بما تـجاوزَ حدودَ العوائدِ وعجزَ وُجْدُهم عنه. فكان

(أ) أ: إلى زوجته وقعيدة بيته (ب) سقط ما بين النجمين من ص (ج) سقط من ظ .

ثمنُ مِكْيال القَمح - الذي يسمّونه البَرْشَالَةَ[أ]، ويتبايعون به، مقدارُه اثنا عشر رِطْلاً ونصف- مثقالَيْن ونصفًا من الذّهب العَيْن، وثمنُ الشّخص الواحد من البَقر ستِّين مثقالاً، ومن الضّأن سبعةُ مثاقيلَ ونصف، وأثمانُ اللّحمان من الجِيَف، الرّطلُ من لَحم البِغال والحُمُرِ بثمن المِثقَالِ، ومن الخَيْل بعَشرةِ دراهمَ صغارٍ من سِكّتِهم، [تكون عُشْر المِثقَالِ][ب]، والرّطلُ من الجلْد البقريّ ميّتة أو مُذكّي بثلاثين درهمًا، والهِرُّ الدّاجنُ بمثقالٍ ونصف، والكلبُ بمثله، والفأر بعشرة دَراهم، والحيّة بمثله. والدّجاجة بستّة عشر درهمًا، والبيضُ واحدة بستّة دراهمَ، والعصافيرُ كذلك. والأوقية من الزّيت باثنَيْ عشرَ درهمًا، ومن السّمْن بمثلها، ومن الشّحم بعشرين، ومن الفُول بمثلها، ومن المِلْح بعشرة، ومن الحَطَب كذلك. والأصلُ الواحِدُ من الكرُنْب بثلاثة أثمان المِثقَالِ، ومن الخَسّ بعشرين درهمًا، ومن اللّفت بخمسة عشر درهمًا. والواحدة من القثّاء الفقّوس بأربعين / درهمًا. والخيار بثلاثة أثمان الدّينار. والبطيخ بثلاثين درهمًا. والحبّة من التين [الأخضر][ج] أو من الأجّاص بدِرْهَمين. واستهلكَ النّاس أموالَهم وموجودَهم، وضاقت أحوالُهم. [87 ب]

واستَفْحَل مُلكُ يُوسُفَ بن يَعْقُوبَ بمكانه من حِصارها، واتّسعتْ خِطّةُ مدينة المَنْصُورَة المشيّدةِ عليها، ورحلَ إليها التُّجرُ[د] بالبضائع من الآفاق، واستَبْحرت في العُمران بما لم تبلغه مدينةٌ. وخطَب الملوكُ سِلْمَه ووِدَّه، ووَفدَتْ عليه رسلُ المُوَحِّدِين وهداياهم من تُونِس وبِجَايَةَ، وكذلك رُسلُ صاحبِ مِصْرَ والشّام وهديّتُه. واعتزَّ اعتزازًا لا كَفاءَ له، كما يأتي في أخباره.

(أ) في أ ص: البرشَلَة (ب) سقط من ص ظ، والتكلمة من أ (ج) من حاشية أ بخط المؤلف، وسقط من ظ ص
(د) ص: التجّار .

وأنهك الجَهْدُ حامية بني يَغمُرَاسِنَ وقبيلَهم(ا)، وأشرفوا على الهلاك. فاعتزموا على الإلقاء باليد والخروج بهم للاستماتة. فكيَّف الله لهم الصُّنع الغريب، ونفَّس من مختنقهم بمَهْلك السّلطان يُوسُف بن يَعقُوبَ على يَد خَصِيٍّ من العِبِدِّي، أسخَطَتْه بعضُ النَّزَغاتِ الملوكيّة، فاعتمده في كَسْرِ بَيْته ومَخْدع نَوْمه، وطعَنه بخنجرٍ قطع أمعاءَه، وأُدْرِكَ فَسِيقَ إلى وُزَرائه، وَمزّقوا أشلاءَه فلم يَبُؤْ بِشِسْعٍ من نِعالِ عبيدِهم[1]، كما ذكرناه. والأمرُ لله وَحْده. وأذهب الله الغَيَايَةَ[2] عن آل زَيَّانَ وقومِهم وسَاكِنِي مَدينتهم، فكأنّما نُشروا من الأجْداث، وكَتبوا لها في سِكّتِهم: ما أقربَ فَرَجُ الله. اسْتِغرابًا لحادثتها.

حدّثني شيخُنا محمد بن إبراهيم الآبِليّ قال: جلَس السّلطانُ أبو زيَّانَ صبيحةَ يومِ ذلك الفَرجِ، وهو يومُ الأربعاء، في خَلْوة من زَوايا قَصْره، واستَدْعى ابنَ حَجَّافٍ خازنَ الزَّرْعِ، فسَأله: كم بَقِيَ من الأهْراء[3] والمَطامير المَختومَة، فقال له إنّما بَقِيَ عُولَةُ اليوم وغدٍ، فاسْتَوْصاه بكِتْمانها، وبينما هم في ذلك دَخلَ عليه أخوه أبو حَمُّو، فأخبروه، فوجَم لها، وجلَسوا سُكوتًا / [188] لا يَنطِقون، وإذا بالخادمِ دَعْدٍ قَهْرَمَانَةِ القَصْرِ، من وَصَائِف بَيْت السُّلطان أبي إسْحَاقَ حظيّةِ أبيهم، خرجَتْ من القَصْرِ إليهم، فوقَفَتْ وحَيَّتْهم تحيّتَها، وقالت: تقول: لكم حَظايا قَصْركم وبناتُ زَيَّانَ حُرَمُكم: مالَنا وللبقاء وقد أُحيطَ بكم، وأَسِفَ لالتهامِكم عَدُوُّكم، ولم يَبْقَ إلاّ فُواقُ[4] بَكِيئَةٍ[5] لمَصارِعِكم، فأريحونا

(ا) أ: قبيلتهم.

---

(1) أي عدَل دَمَه بدمه، وقُتِل به، ومنه قول المهلهل لبُجير: بُؤْ بشِسْع نَعْل كُلَيب
(2) كل ما أظلّ الإنسان من فوق رأسه، كالسحابة والغبرة ونحوها.
(3) جمعٌ مفرده هُرْيٌ: بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان.
(4) ما يأخذ المحتضرُ عند النّزع.
(5) البَكِيئة: الكثيرة البكاء.

من مَعرَّة السَّبي، وأريحوا فينا أنفسَكم، وقرّبونا إلى مَهالِكنا. فالحياةُ في الذُلّ عذابٌ والوجودُ بعدَكم عَدَمٌ. فالتفَتَ أبو حَمُّو إلى أخيه، وكان من الشُفَقة بمكان، وقال: قد صَدَقَتْكَ الخبرَ فما تَنْتَظِر بهنّ؟ فقال: يا مُوسَى، أرْجِئْني ثلاثًا لعلّ اللهَ يجعلُ بعد عسرٍ يُسْرا، ولا تُشاوِرْني بعدَها فيهنّ، بل سَرّح اليهودَ والنَّصارَى إلى قَتْلِهِنّ[(أ)] وتعالَ إليّ نخرجْ مع قومنا إلى عدوّنا فنَسْتَميتَ ويقضيَ اللهُ ما يَشاء! فغَضِب له أبو حَمُّو ونكِر الإرْجاءَ في ذلك، وقال: إنّما نحنُ والله نَتَربَّصُ المعَرّةَ بهنّ وبأنفُسِنا. وقام عنه مُغْضَبا، وجَهِش السُلطان أبو زَيّانَ بالبكاء. قال: ابن جَحّاف: وأنا بمكاني بين يدَيْه واجِمٌ لا أملِكُ متأخّرا ولا متقدّمًا إلى أن غلَب عليه النومُ[(ب)]. فما راعَني إلاّ حَرَسِيُّ الباب يُشير إليّ أنْ آذِنَ السّلطانَ بمكانِ رسولٍ من مُعَسكر بني مَرِينَ بسُدّة القَصْر، فلم أُطِقْ رجْعَ جوابه إلاّ بالإشارَة، وانتبهَ السّلطانُ من خَفيف إشاراتنا[(ج)] فَزِعًا، فأذنته واسْتَدْعاه، فلمّا وقفَ بين يدَيْه قال: إنّ يُوسُفَ بنَ يَعْقُوبَ هَلَكَ السّاعةَ، وأنا رسولُ حافِده أبي ثابِتٍ إليكم. فاسْتَبْشر السّلطانُ، واستَدْعى أخاه وقومَه حتّى أبلغَ الرّسولُ رسالَتَه بمسمَعٍ منهم، وكانت إحْدَى المُغَرّبات في الأيّام!

وكان من خَبر هذه الرّسالة أنّ يُوسُفَ بن يَعْقُوبَ لما هَلكَ، / تَطاوَلَ [88 ب] للأمر الأغياصُ من إخْوته ووَلَده وحفَدَتِه، وتحيّزَ أبو ثابِتٍ حافِدُه إلى بني وَرْتاجَنْ لخؤولةٍ كانت له فيهم فاستجاشَ بهم واعصَوْصَبوا[(1)] عليه. وبعثَ إلى أولاد عُثْمَانَ بنِ يَغْمَراسِنَ بتِلِمْسانَ أن يُعطوهُ الآلَةَ ويكونوا مَفْزَعًا [له][(د)]

(أ) ص: قتلهن (ب) أ: غلبه (ج) أ: إشارتنا (د) ط ص: لهم .

---

(1) اعصَوْصَبَ القومُ: اجتمعوا وصاروا عصائب .

ومأمنًا إن أخفَق مَسْعاهُ، على أنّه إن تمّ أمرُه فَوَّض عنهم معسكرَ بني مَرِينَ، فعاقَدوه عليها، ووَفِيَ لهم لَمّا تمَّ أمرُه، ونزلَ لهم [عن][1] جميع الأعمال التي كان يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ استَوْلى عليها من بلادهم. وجاجأ بجميع الكتائِب التي أنزلها في ثُغورهم وقَفَلوا إلى أعمالهم بالمَغرِبِ الأقْصَى. واستَمْكَن السّلطانُ أبو زَيّانَ من ثُغور المَغرِبِ الأوْسَطِ كلِّها، إلى أن كان من أمْره ما نَذكُر.

• الخبرُ عن شأن السّلطان أبي زَيّانَ من بعْد الحِصار إلى حين مَهْلَكِه

كان من أوّل ما افتتحَ به السُّلطانُ أبو زَيّانَ أمرَه بعد الخُروج من هُوَّة الحِصار، وتَناوُلِه الأعمالَ من أيْدي بني مَرِينَ، أنْ نَهَض من تِلِمْسَانَ ومعهُ أخوه أبو حَمُّو آخرَ ذي الحجّة من سنةِ ستٍّ وسبْع مائة. فقصَد بلادَ مَغْرَاوَةَ، وشرَّدَ مَنْ كان هُنالك منهم في طاعةِ بني مَرِينَ، واحْتازَ الثغورَ من أيدي عُمّالهم، ودَوَّخ قاصِيَتَها، ثمّ عقَدَ عليها لمُسَامِحٍ مَوْلَاه ورجع عنها. فنَهض إلى السَّرْسُو، وكان العَرَبُ قد تملّكوهُ أيامَ الحصار وغلَبوا زَنَاتَةَ عليه، من سُوَيْدٍ والدَّيَالِمِ ومن إليهم من بَني يَعْقُوبَ بنِ عَامِرٍ، فأجْفلُوا أمامَه واتّبع آثارَهم إلى أن أوْقع بهم، وانكفأ راجعًا. ومرّ ببلاد بني تُوجِّينَ، فاقْتضى طاعةَ من كان بَحِيَ بالجبل من بَني عبد القَوِيّ والحَشَم، فأطاعوهُ، ورئاسَتُهم يومئذٍ لمحمد بن عَطِيَّةَ الأصَمّ من بَني عبد القَوِيّ. وقَفلَ إلى / تِلِمْسَانَ لتسْعة أشهرٍ من خُروجه، وقد ثَقَّفَ أطرافَ مُلْكه، ومسَحَ أعْطَافَ دولَته، فنظَر في إصْلاح قُصوره ورياضِه ورَمّ ما تَثَلَّمَ من بلَده، وأصابَهُ المرضُ خلاَل ذلك، فاشتدّ وجَعُه سَبْعًا، ثمّ هلَكَ أُخْرَيات شوّال من سنة سبعٍ. والبقاءُ لله.

(1) سقط من ظ.

• الخبرُ عن مَحْوِ الدّعوة الحَفْصيّة من مَنابِرِ تلمْسانَ

كانت الدّعوةُ الأحَفْصِيّةُ بإفريقِيّةَ قد انقسمَتْ بين أعْياصِهم في تُونِس وبِجَايَةَ وأعمالِها. وكان التّخْم بَيْنهما بلد عَجِيسَة ووَشْتاتَة. وكان الخليفَةُ بتُونِس الأميرُ أبو حَفْصٍ بنُ الأمير أبي زكرِيّاء الأوّلِ منهم، وله الشُفوفُ على صاحب بِجَايَةَ والثّغور الغربيّة بالحَضْرة. فكانَتْ بيعَةُ بني زَيّانَ له ودعاؤُهم على مَنابرِهم باسْمِه. وكانت لهم مع المَولَى الأميرِ أبي زكرِيّاء الأوْسَطِ صاحبِ بِجَايَةَ وُصْلَةٌ لمكان الصِّهْر بَيْنهم وبَيْنه. وكانت الوحْشَة قد اعترَضَت ذلك عِنْدما نازَل عُثْمَانُ بِجَايَةَ كما قدّمناه. ثمّ تراجَعوا إلى وُصْلَتِهم، واستَمَرّوا عليها إلى أن نازل يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ تِلِمْسَانَ، والبيعةُ يومئذٍ للخليفة بتُونِس السّلطانِ أبي عَصِيدَةَ بنِ الوَاثِقِ، والدّعوةُ على مَنابِر تِلِمْسَانَ باسْمه، وهو [حاقِدٌ](أ) عليهم وَلايتَهم للأمير أبي زكرِيّاء الأوْسَطِ صاحبِ الثّغر. فلمّا نزل يُوسُفُ بن يَعْقُوبَ بأعْلَى تِلِمْسَانَ، وبعث عساكِرَه في قاصِية الشّرق، اسْتَجاش عُثْمَانَ ابن يَغْمَرَاسِنَ بضاحية بِجَايَةَ، فسَرّح عَسْكرًا من المُوَحِّدِينَ لمُدافَعتهم عن تلك القاصِية، والتقَوْا معهم بجبل الزّان، فانكشَف المُوَحِّدُونَ بعد مُعْتَرَكٍ صَعْب، واستَلْحَمَهم(ب) بنو مَرِينَ، ويسمّى المَعْرَكُ(ج) لهذا العهد / [89 ب] بمَرْسَى الرُّوس، لكَثْرة ما تَساقطَ في ذلك المجال من [الرّؤوس](د). واستَحْكمَتِ المُنافَرةُ لذلك(هـ) بين يُوسُفَ بن يَعْقُوبَ وصاحبِ بِجَايَةَ، فأَوْفَدَ الخليفةُ بتُونِس علَى يُوسُفَ ابنِ يَعْقُوبَ مَشْيَخَةً من المُوَحِّدِينَ تَجْديدًا لوُصْلَةِ سَلَفِهم مع سَلَفِه، وإغراء

(أ) من ص أ، وفي ظ: ناقد (ب) ص: واستلحم (ج) أ: المعترك، وهما واحدٌ، بمعنى العراك والقتال (د) ظ ص: الروس، وفي أ: لكثرة ما تساقط في ذلك المجال منها، وعربناها للتوضيح وقد تقدم مثل ذلك (هـ) ص أ: بذلك .

بصاحب بِجَايَةَ وعَمله، فساء مَوْقِعُ ذلك من عُثْمَانَ بن يَغْمَرَاسِنَ، وأحفَظَهُ مُوَالَاةُ[أ] خليفَتِهِ لعَدُوِّه، فعطَّل منابِرَه من ذِكْرِه، وأخرجَ قومَه وإيالَته عن دَعْوته، وكان ذلك آخرَ المائة السّابعة.

• الخبرُ عن دَوْلة أبي حَمُّو الأَوْسَط موسى بنِ عُثْمانَ، وما كان فيها من الأَحْداث

لما هلك الأميرُ أبو زَيَّانَ، قامَ بالأمر من بعده أخوه السّلطانُ أبو حَمُّو في أُخْريات سنةِ سبعٍ كما قدّمناه. وكان صارمًا، يَقِظًا، حازمًا، داهيةً، قَوِيَّ الشَّكيمةِ، صعبَ العريكة، شَرِسَ الأخْلاق، مُفْرِطَ الذّكاء والحِدَّة، وهو أوّل مُلوك زَنَاتَةَ. رتّبَ مراسِمَ المُلْك وهذَّب قواعدَه، وأرْهفَ في ذلك لأهل مُلْكه[ب] حَدَّهُ، وقَلَبَ لهم مِجَنَّ بأسه، حتّى ذَلُّوا لعِزِّ المُلْك، وتأدّبوا بآداب السّلطان.

سمعت عَريف بن يَحْيَى أميرَ سُوَيْدٍ من زُغْبَةَ، وشيخَ المجالس المُلوكيّة لزَنَاتَةَ يقول، ويَعْنيه مُوسَى بنَ عُثْمَانَ: هو معلِّمُ السّياسة المُلوكيّة لزَنَاتَةَ، وإنّما كانوا رؤساءَ باديةٍ، حتّى قام فيهم موسى بنُ عُثْمَانَ، فَحَدَّ حدودَها وهذّب مراسِمَها، ولَقِنَ عنه ذلك أقتالُه وأنْظارُه[ج] منهم، فتقيَّلُوا مذهبَه واقْتَدَوْا بتعليمه. انتهى كلامه.

ولما استقلّ بالأمر، افتتحَ شأنَه بعَقْد التّسليم مع سُلطان بني مَرِينَ [90أ] لأوّل دَوْلته، فأوفَد كبراءَ دولَته على السّلطان أبي ثَابِتٍ. وعقدَ له / السِّلْمَ كما رَضِيَ، ثمّ صَرفَ وَجْهَه إلى بني تُوجِّينَ ومَغْرَاوَةَ، فردّد إليهم العساكر حتّى

(أ) ص: مُمالاه، وفي أ: واحفظه ممالاة (ب) أ ص: مَلَكَتِه (ج) ص: أنصاره.

دوّخ بلادَهم وذلّل صِعابَهم؛ وشرّدَ محمدَ بن عَطِيّةَ الأصَمَّ عن نَواحي وَانْشَرِيس، وراشِدَ بنَ محمد عن نواحي شَلِف. وكان قد لَحِق بها بعد مَهْلك يُوسُف بن يَعْقُوبَ، فأزاحَه عنها، واستَوْلَى على العملَيْن واستَعْملَ عليهما، وقفل إلى تِلِمْسَانَ. ثمّ خرج سنةَ عشْرٍ في عساكره إلى بلاد بني تُوجِّينَ. ونزل تافَرْكِينِيتْ وسَط بلادهم، فشرّد الفَلَّ من أعْقاب محمد بن عبد القَوِيّ عن وَانْشَرِيس، واحتازَ رئاستَهم في بني تُوجِّينَ دونَهم، وأدال منهم بالحَشَم وبني تِيغْرِينَ وعقَد لكبيرهم يَحْيَى بن عَطِيّةَ على رئاسة قومِه في جَبل وَانْشَرِيس، وعقَد ليُوسُف ابنِ حَسَنٍ من أولاد عَزِيزٍ على المَدِيّةِ وأعمالِها، وعقَد لسَعِيدٍ من بني سَلامَةَ ابنِ عَلِيّ على قومِه من بنى يدللتن إحدى بُطُون بني تُوجِّينَ وأهل النّاحية الغربية من عَمَلهم. وأخذ من سائر بُطون بني تُوجِّينَ الرُّهُنَ على الطّاعَة والجِبَايَةِ، واستَعْمل عليهم جميعًا من صنائِعه قائدَه يُوسُف بنَ حَيُّونٍ الهَوّارِيّ، وأذِن له في اتّخاذ الآلة. وعَقَدَ لمولاه مُسَامِحٍ على بلاد مَغْرَاوَةَ، وأذِن له أيضًا في اتّخاذ الآلةِ. وعقَد لمحمد بن عمّه يُوسُف على مِلْيَانَةَ، وأنزلَه بها وقفلَ إلى تِلِمْسَانَ.

• الخبرُ عن اسْتِنزَال زِيرِمْ بن حمّادٍ من ثَغر بَرِشْك، وما كان من قبلِه

كان هذا الغَمْرُ(1) من مَشْيَخةِ هذا المِصْر، لوُفُور عَشيره من مِكْلَاتَة داخِلَه وخارِجَه، واسمُه زيري، بالياء [بعد الراء][أ]، فتصرّفت فيه العامّةُ وصارَ صيرم[ب] بالميم. ولما غَلَبَ يَغْمُرَاسِنُ على بلاد مَغْرَاوَةَ، دخلَ أهلُ هذا

(أ) من أ   (ب) لعلاقة الإشمام بين الصاد والزاي، وفي أ ص: زيرم.

---

(1) الغَمْر (مثلّثة): الجاهل الأبله، من لم يُجرب الأمور.

[90 ب] المِصْرِ / في طَاعَتِه. حتَّى إذا هلَك، حدَّثتْ هذا الغَمْرَ نفسُه بالانتِزاء والاستبداد بمُلك بَرِشْك ما بين مَغْرَاوَةَ وبني عَبْدِ الوَاد، ومُدافعةِ بعْضِهم ببعضٍ. فاعتَزَم على ذلك وأمضاهُ، وضَبَط بَرِشْكَ لنَفْسه سنةَ ثلاثٍ وثمانين. ونَهض إليه عُثْمَانُ بن يَغْمَرَاسِنَ سنةَ أربعٍ بعدَها، ونازلَه فامْتنعَ. ثمّ زَحف سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ إلى مَغْرَاوَةَ، فلَجأ ثَابِتُ بن مِنْدِيلَ إلى بَرِشْكَ، وحاصرَه عُثْمَانُ بها أربعينَ يومًا. ثمّ ركبَ البحرَ إلى المَغْرِبِ كما قلْناه، وأخذَ زيري بعده بطاعةِ لعُثْمَانَ بنِ يَغْمَرَاسِنَ، دافَعه بها، وانتقَضَ عليه مرجِعَه إلى تِلِمْسَانَ. وشُغِل بنو زَيَّانَ بعدها بما دَهَمهم من شأن الحِصار، فَاسْتبدّ زيري هذا بِبَرِشْكَ، واستَفْحَل شأنهُ بها. واتَّقَى بَني مَرِينَ عند غَلَبِهم على أعْمال مَغْرَاوَةَ، وتَرَدُّدِ عساكِرهم فيها بإخلاصِ الطّاعة والانقياد. فلمّا انقشعَتْ(أ) إيالةُ بني مَرِينَ بمَهْلك يُوسُف بن يَعْقُوبَ. وخَرج بنو عُثْمَانَ بن يَغْمَرَاسِنَ من الحصار، رجعَ إلى دينه من التّمريض في الطّاعة ومُنَاوَلة(ب) طَرَفِها على البُعْد. حتّى إذا غَلَبَ أبو حَمُّو على بلاد مَغْرَاوَةَ، وتجاوزَت طاعَتُهُ هذا المِصْرَ إلى ما وراءَه، خشِيَه زيري على نَفْسه، وخطَب منه الأمانَ على أن ينزلَ له عن المِصْرِ، فبعثَ إليه صاحبَ الفُتْيا بدوْلَته أبا زيدٍ عبدَ الرحمن بن محمد الإمام(1)، كان أبوه من أهْل بَرِشْكَ، وكان زيري قد قتلَه - لأوّل ثوْرته - غِيلةً، وفرّ ابنُه عبدُ الرحمن هذا وأخوه عيسى ولحقا بتُونِس، فقرآ بها ورجَعا إلى الجَزائِرِ فأوْطناها، ثمّ انتقلا إلى مِلْيَانَةَ. واستَعْملَهما بنو مَرِينَ في خطّة القَضاء بمِلْيَانَةَ، ثمّ وفدَا بعد

(أ) في الأصول الثلاثة: انقشع، والتصويب من حاشية أ (ب) ص: متاولة .

---

(1) ارتحل إلى تونس وأخذ العلم مع أخيه عيسى عن تلاميذ ابن زيتون، وتفقها عن أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ثم عادا إلى الجزائر يبثّان العلم. انظر ابن خلدون : التعريف 29 – ابن فرحون: الديباج المذهب 1: 486، الغبريني: البستان 125

مَهْلَكَ يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ على أبي زَيَّانَ وأبي حَمُّو مع عُمَّالِ بني مَرِينَ وقُوَّادِهم بِمِلْيَانَة. وكان فيهم مِنْدِيلُ بنُ محمد الكِنَاني صاحبُ أشغالهم المذكورُ في أخبارهم. وكانا يُقْرِآن ولدَه محمدًا، فأشادَ [عند][(أ)] أبي زَيَّانَ وأبي حَمُّو / بمكانهما [191أ] من العلْم، ووقع ذلك من أبي حَمُّو أبلغَ المواقع. حتّى إذا استقلَّ بالأمر، ابتنى المدرسةَ بناحية المَطْمَرِ[(2)] من تِلِمْسَانَ لطلبة العلْم، وابتنَى لهما دارَيْن على جانِبَيْها، وجعل لهما التَّدْرِيسَ فيها من إيوانَيْن مُعَدَّيْن لذلك. واختَصَّهما بالفُتْيا والشّورى، فكانت لهما في دَوْلَته قَدَمٌ عالية. فلمّا طلبَ زيري هذا الأمانَ من أبي حَمُّو، وأن يَبْعثَ إليه من يأمَنُ معه في الوصول إلى بابه، بعثَ إليه أبا زيدٍ عبدَ الرحمن الأكبرَ منهما، فنهضَ لذلك بعد أن استأذنه في أن يَثْأرَ منه بأبيه إن قَدَر عليه، فأذِن له. فلما احْتلّ ببَرِشْكَ، أقامَ بها أيّامًا يُغاديه فيها زيري ويُراوِحُه بمكان نُزُلِه، وهو يَعْمل الحيلةَ في اغْتياله، حتّى أمكنَتْهُ فقَتَله بعضَ تلك الأيّام سنةَ ثمانٍ وسبع مائة. وصارَ أمرُ بَرِشْكَ إلى السّلطان أبي حَمُّو، وامّحَى منه أثر المَشْيَخَة والاسْتِبْداد. والأمورُ بِيَدِ الله.

(أ) من أ، وفي ظ: عن وفي ص: على.

---

(1) كذا في الأصول محققة، وهو موضع ظَفرِ الجبوب، وجاءت في مطبوعة بولاق محرفة إلى المطهر.

• الخبرُ عن طاعةَ الجزائر واستِنزال ابن عَلّانَ منها، وذكرُ أوّليتِه

كانت مدينة الجَزَائِرِ هذه من أعمال صِنْهَاجَةَ، ومُختطّها بُلُكّين بنُ زيري، ونزلها بَنُوه من بعده. ثم صارتْ إلى المُوَحِّدِينَ، وانتظمَها بنو عَبْد المُؤمِنِ في أمْصار المَغرِبَيْن وإفريقِيَّة. ولما استبدَّ بنو أبي حَفْصٍ بأمر المُوَحِّدِينَ، وبلَغت دعوتُهم بلادَ زَنَاتَة، وكانت تِلِمْسَانُ ثغرًا لهم، واستعملوا عليها يَغْمُرَاسِنَ وبَنيه من بَعْده، وعلى ضواحي مَغْرَاوَةَ بني مِنْدِيلَ بنِ عبد الرحمن، وعلى وَانْشَرِيسَ وما إليه من عمل بني تُوجِّينَ محمدَ بن عبد القَوِيّ وبَنيه، وبَقِيَ ما وراءَ هذه الأعمال إلى الحضْرَة لولاية المُوَحِّدِينَ من أهْل دَوْلته، فكان العاملُ على الجَزَائِرِ من/ المُوَحِّدِينَ أهلِ الحضْرَة. وفي سنة أربعٍ وستّين انتَقضوا على المُسْتَنْصِرِ، ومَكثوا في ذلك الانتقاضِ سبعًا، ثمّ أوعزَ إلى أبي هِلَالٍ صاحبِ بِجَايَةَ بالنُّهوض إليها في سنةِ إحدى وسبعين، فحاصرَها أشهرًا وأفرجَ عنها. ثمّ عاوَدها بالحصار سنةَ أربعٍ وسبْعين أبو الحسنِ بن يَاسِينَ بعساكر المُوَحِّدِينَ فاقْتَحمها عليهم عَنْوَةً واستَباحَها، وتَقبَّضَ على مَشْيَختِها. فلم يزالوا مُعْتقلين بها إلى أن هلَكَ المُسْتَنْصِرُ. ولما [انقسم][أ] أمرُ بني أبي حَفْصٍ واستقلّ الأميرُ أبو زكريّاءَ الأوْسَطُ بالثغور الغربيّة وأبوه، وبَعثوا إليه بالبَيْعة، ووَلّى عليهم ابنَ أُكْمَازِيرَ[ب] وكانت ولايتُها لسِبْطه من قَبْل، فلم يَزلْ هو واليًا عليها إلى أن أسنَّ وهَرِمَ. وكان ابنُ عَلّانَ من مَشْيَخَةِ الجَزَائِرِ مختصًّا به ومتصرّفًا في أوامِره ونواهيه ومصْدَرًا لإمارته. وحصلَ له بذلك الرِّئاسةُ على أهل الجَزَائِرِ سائرَ أيّامه. فلمّا هلَكَ ابنُ أُكْمَازِيرَ، حدّثته نفسُه بالاستبداد

(أ) من أ ص (ب) أ: أوكمانير.

والانتزاء بمدينته. فبعث عن أهل الشوكة من نظائره ليلةَ هلاك أميره، وضربَ أعناقَهم وأصبح مُناديًا بالاستِبْداد، واتخذ الآلةَ واستَرْكب واستَلْحَق من الغُرباء والثَّعالِبَةِ عربَ مِتِّيجَةَ، واستَكْثَر من الرَّجْل والرُّماة، ونازلَتْه عساكرُ بجَايَةَ مرارًا فامْتنع عليهم. وغلَب مَليكش على جِبايَة الكثير من بلاد مِتِّيجَةَ، ونازلَه أبو يَحْيَى بن يَعْقُوبَ بعساكر بني مَرِينَ عند استيلائهم على البلاد الشرقيّة وتوغُّلِهم في القاصِية، فأخذَ بمخنّقها وضَيّق عليها. ومرَّ بابن عَلّانَ القاضي أبو العَبّاس الغُمَارِي رسولُ الأمير خالد إلى يُوسُفَ بنِ يَعْقُوبَ، فأوْدَعه الطاعةَ للسّلطان، والضَّراعةَ إليه في الإبقاء. فأبلَغ ذلك عَنْهُ وشفَع له، فأوْعز إلى أخيه أبي يَحْيَى بمسالَمته. ثمّ نازلَه الأميرُ خالدٌ من / بعد [192أ] ذلك فامْتَنعَ عليه، وأقام على ذلك أربعَ عشْرة سنة، وعيونُ الخُطوب تَخْزُرُه[1]، والأيامُ تستَجْمِعُ لحَرْبه، فلما غلَب السُّلطانُ أبو حَمُّو على بلاد تُوجِّينَ، واستَعْمل يُوسُفَ بنَ حَيُّونَ الهَوَّارِي على وَانْشَرِيسَ، ومولاه مُسَامِحًا على بلاد مَغْرَاوَةَ، ورَجع إلى تِلِمْسَانَ، ثمّ نهضَ سنةَ اثنتي عشْرة إلى بلَد شَلَف فنزلَ بها، وقدّم مولاه مُسَامِحًا في العَساكر، فدوّخَ مِتِّيجَةَ من سائر نواحيها، وتَمَرَّسَ بالجَزائِرِ وضيّق حِصارها حتّى مَسَّهُمُ الجَهْدُ. وسألَ ابنُ عَلّانَ النزولَ على أن يَشْترِطَ لنفسه. فتقبَّلَ السّلطانُ اشتراطَه. وملكَ السّلطانُ أبو حَمُّو الجَزَائِر وانتظَمها في أعماله. وارتحلَ ابنُ عَلّانَ في جُملة مُسَامِحٍ ولَحِقوا بالسُّلْطان بمكانه من شَلَف، فانكفأَ راجعًا إلى تِلِمْسَانَ وابنُ عَلّانَ في ركابه، فأَسْكَنهُ هنالِك ووَفِيَ له بشَرْطه إلى أن هَلَك. والبقاء لله.

(1) تخزُره: تلحَظُه.

• الخبرُ عن حرَكةِ صاحبِ المَغربِ إلى تِلِمْسانَ، وأوليَّةِ ذلك

لما خرجَ عَبْدُ الحَقّ بنُ عُثمانَ من أعْيَاصِ المُلكِ على السّلطانِ أبي الرَّبيعِ بفَاسَ. وبايَع له الحسنُ بن عليّ بن أبي الطَّلاق شيخُ بني مَرينَ بمداخَلةِ الوزيرِ رَحُّو بنِ يَعْقُوبَ كما قدّمناه في أخبارِهم. ومَلكوا تَازَى، وزحفَ إليهم السّلطانُ أبو الرَّبيع، فبَعثوا وَفْدَهم إلى السّلطانِ أبي حَمُّو [صَرِيخًا، ثم أعْجَلهم أبو الربيع وأجْهَضَهم إلى تازَى، فلحِقوا بالسّلطانِ أبي حَمّو وَ][1] دَعَوْه إلى المُظاهَرة على المَغرِبِ، ليكونوا رِدْءًا له دون قَوْمِهم. وهلَكَ السّلطانُ أبو الرَّبيعِ خلالَ ذلك، واستقلّ بمُلْكِ المَغرِبِ [عمُّه][ب] أبو سَعِيدٍ عُثمانُ بنُ يَعْقُوبَ ابن عَبْدِ الحَقّ. فطالَب السّلطانُ أبا حَمُّو بإسْلامِ أولئك النّازعين إليه، فأبَى من إسْلامِهم وإخْفارِ ذِمّتِه فيهم. وأجازَهم البَحْرَ / [92 ب] إلى العُدْوة، فأغْضَى له السّلطانُ أبو سَعِيدٍ عنها، وعقدَ له السِّلْمَ. ثمّ اسْتَرابَ يعيشُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ عَبْدِ الحَقّ بمكانه عند أخيه السّلطانِ أبي سَعِيد، لِمَا سعَى فيه عنده. فنزعَ عنه إلى تِلِمْسَانَ، وأجَازَه السُّلْطانُ أبو حَمُّو على أخيه، فأحْفَظه ذلك.

ونهضَ إلى تِلِمْسَانَ سنةَ أربعَ عشْرَةَ، وعقدَ لابْنه الأميرِ أبي عليّ وبَعَثه في مقدِّمته وسار هو في السَّاقةِ. ودخلَ أعمالَ تِلِمْسَانَ على هذه التَّعْبِئة، فاكْتَسحَ بسائِطَها، ونازلَ وَجْدَةَ فقاتَلَها وضَيّق عليها. ثم تخطّاها إلى تِلِمْسَانَ فنزل بساحَتِها، وانْحَجَرَ موسى بن عُثمانَ من وراءِ أسْوارِها، وغَلب على ضَواحيها ورَعاياها.

وسارَ السّلطانُ أبو سَعِيدٍ في عساكِرِه يتقَرَّى [شِعابَها][ج] وبِلادَها بالحَطْمِ والانْتِساف والعَيْث، فلمّا أُحيط به، وثقُلَت وطأةُ السّلطان عليه، وحَذِرَ

(ا) من أ ص، وسقط من ظ، لانتقال النظر (ب) زيادة مقحمة في أ (ج) من أ، وفي ظ ص: شعارها.

المغبّة منهم، ألْطَف الحيلةَ في خطابِ الوُزراء الذين كان يُسرّب أموالَه فيهم، ويُخادِعُهم عن نصائحِ سُلطانهم، حتّى اقتضى مُراجعَتهم في شأن جاره يَعيش ابنِ يَعْقُوبَ وإدالَتِه من أخيه. ثمّ بَعث خطُوطَهم بذلك إلى السّلطان أبي سَعِيدٍ، فامتلأ قلبُه منها خَشيةً ورَهْبَةً. واسترابَ بالخاصّة والأَوْلياء، ونَهض إلى المَغْرِبِ على تَعْبِئَته. ثمّ كان خروجُ ابنِه عمرَ عليه بعد مَرْجِعه، وشُغِلوا عن تِلِمْسَانَ وأهلِها بُرْهَةً من الدّهر، حتّى تمّ أمرُ الله في ذلك عندَ وَقْته.

• الخبرُ عن مَبْدإِ حِصَارِ بِجايةَ وشرْحُ الدّاعية إليْه

لما رجعَ السّلطانُ أبو سَعِيدٍ إلى المَغْرِبِ وشُغِل عن تِلِمْسَانَ، فَزِع أبو حَمُّو لأهْل القاصِية من عَمله. وكان رَاشِدُ بنُ محمد بن ثَابِتِ بن مِنْدِيلَ قد جاء من بلاد زَوَاوَةَ أثْناء هذه الغَمْرة [فاحتلَّ بوطَن شَلَف واجتمع إليه أوْشَابُ(1) قَـوْمِه. وحينَ تَجلّت الغَمْرةُ](أ) عن السلطان أبي حَمُّو، نَهَض إليه [193أ] / بعد أن اسْتَعمل ابنَه أبا تَاشفِينَ على تِلِمْسَانَ، وجمعَ له الجُموعَ، ففرّ أمامَه ناجيًا إلى مَثْوى اغْترابه بِبجَايَة. وأقام بَنو أبي سَعِيدٍ بمَعْقِلهم من جبال شَلَف على دَعْوته. فاحتلّ السّلطان أبو حَمُّو بوادي نَهَل، فخيّم به. وجمعَ أهلَ أعْماله لحصار بني أبي سَعِيدٍ شيعةِ رَاشِدِ بنِ محمد، واتّخذ هنالِك قصْرَه المعروفَ باسْمه، وسرّح العساكرَ لتَدْويخ القاصِية، ولَحِق به هنالك الحاجبُ ابنُ أبي [حيّ](ب) مرجِعَه من الحجّ سنةَ إحدى عشْرة وسبع مائة، فأغراه بمُلْك بِجَايَةَ

(أ) زيادة من أ ص. وسقطت من ظ لانزلاق نظر الناسخ (ب) من أ. ظ: حص، ص: حني.

---

(1) واحدها وِشْبٌ: الأوباش من النّاس والأخلاط، وهم الضّروب المتفرّقة .

ورغّبَه فيه. وكان قد ثابَ له فيها طَمَعٌ منذُ رسالة مولانا[أ] السّلطان أبي يَحْيَى إليه. وذلك أنّه لما انتقّض على أخيه خالدٍ ودعا لنَفْسِه بقُسَنْطِينَة، ونَهَض إلى بِجَايَةَ فانهَزم عنها كما قدّمناه في أخباره، أوفَد على السّلطان أبي حَمُّو بَعْضَ رجال دوْلَته مُغْرِيًا له بابن خَلُوفٍ وبِجَايَةَ، ثمّ بعثَ إليه ابنُ خَلُوفٍ أيضا يَسْأله المظاهرَة والمدَد، فأطمَعَه ذلك في مُلْك بِجَايَةَ.

ولما هلَكَ ابنُ خَلُوفٍ كما قدّمناه، لحِقَ به كاتِبُه عبدُ الله بنُ هِلَالٍ، فأغْراه واستَحَثَّه، وعَداهُ عن ذلك شأنُ الجَزَائِرِ. فلمّا استَوْلَى على الجَزَائِرِ بعثَ مُسَامِحًا موْلاه في عسكرٍ مع ابن أبي حيّ، فبلَغوا إلى جَبل الزّان. وهلك ابنُ أبي حيّ، ورجَع مُسَامِحٌ. ثمّ شغلَه عن شأنها زَحْفٌ، وفرغَ من أمر عدُوّه ونزلَ بلَد شَلَفَ كما ذكرناه آنِفا ولَحِق به عُثْمَانُ بن سِبَاع بن يَحْيَى وعُثْمَانُ بن سِبَاع بن شِبْل أميرُ الذّوَاوِدَةِ يستَحِثّانه لمُلْك الثّغور الغربيّة من عَمل المُوَحِّدِينَ. فاهتزَّ لذلك وجَمع له الجموعَ، فعقَد لمَسْعُودِ بن عَمّه أبي عَامِرٍ بَرْهُومَ على عسكرٍ، وأمرهُ بحصار بِجَايَةَ. وعقَد لمحمدِ بنِ عمّه يُوسُفَ قائدِ مِلْيَانَةَ على عسكرٍ، ولمَوْلاه مُسَامِحٍ على عسكرٍ آخر، / [93 ب] وسرّحَهم إلى بِجَايَةَ وما وراءَها لتَدْوِيخ البلاد. وعقدَ لموسى بن عليّ الكُرْدِي على عَسْكرٍ ضَخْمٍ، وسرّحه مع العَرَبِ من الذّوَاوِدَةِ وزُغْبَةَ على طريق الصّحْراء، فانطَلقوا إلى وَجْههم ذلك، وفعلوا الأفاعيلَ كلٌّ فيما يَليه، وتوغّلوا في البلاد الشّرقيّة حتّى انتهَوْا إلى بلد بُونَةَ. ثم انقَلبوا من هنالك، ومَرّوا في طريقهم بقُسَنْطِينَةَ ونازَلوها أيّامًا، وصَعِدوا جبلَ ابن ثَابِتٍ المطلّ عليها فَاسْتَبَاحوهُ. ثمّ مَرّوا ببني يَاوَرَار[ب] فاسْتَبَاحوها وأضْرموها واكْتَسحوا سائرَ ما مَرُّوا عليه. وحدَثَتْ بينهمُ المُنافَرة حسدًا ومُنافسةً، فافْتَرقوا ولَحِقوا بالسّلطان.

(أ) شطبت في أ (ب) الضبط من أ، وفي ظ ص مهملة بلا نقط ولا حركات.

وأقام مَسْعُودُ بن بَرْهُومَ مُحاصِرًا لبِجَايَةَ، وبَنَى حِصْنًا بأَصْفون[١] لِمُقامَتِه، وكان يُسرِّح الجيوش لِقِتالها فتجولُ في ساحَتِها ثم ترجعُ إلى الحِصْن. ولم يَزلْ كذلك حتّى بلَغه خروجُ محمدِ بن يُوسُف، فأجْفَل عنها على ما نذكُره الآن. فلم يَرْجِعوا لحصارها إلاّ بعد مُدّةٍ.

• الخبرُ عن خُروج محمّد بن يُوسفَ ببلاد بني تُوجّينَ، وحروبِ السّلطان معه

لما رجعَ محمّد بن يُوسُف من قاصِية المشْرقِ كما قدّمناه، وسابَقَهُ إلى السّلطان مُوسَى بنُ عليّ الكُرْدِي، وجوانِحُه تلْتهبُ غيظًا وحقْدًا عليه. وسعَى به عند السّلطان فعَزَله عن مِلْيَانَةَ فوجَم لها، وسأَله زيارة ابْنه الأمير أبي تاشَفِينَ بتِلِمْسَانَ وهو ابنُ أختِه، فأذن له، وأوْعَز إلى ابنه بالقَبْض عليه، فأبى من ذلك وأرادَ هو الرجوعَ إلى مُعسكر السّلطان فخلّى سبيلَه. ولما وصل إليه تنكّر له وحَجَبه، فَاسْترابَ وملأ قلْبَه الرّعبُ، وفرّ من المُعَسْكر ولحق بالمَدِيَّة، ونزلَ على يُوسُف بن حسنِ بن عَزِيزٍ عاملِها للسّلطان من بني تُوجِّينَ. فيُقال إنّه أوْثَقه / اعْتقالاً حتّى غلَبه قومُه على بُغْيته من الخروج [194أ] مَعه، لما كان السّلطانُ أبو حَمُّو يوسِفُهم به من نزعاته. فأخذَ له البيعةَ على قَوْمه ومن إليهم من العَرَبِ. وزَحَفوا إلى السّلطان بمَعَسْكره من تَهَلْ، فلَقِيهم في عساكِره. فكانت الدَّبَرَةُ على السّلطان، ولَحِق بتِلِمْسَانَ. وغلَب محمد بن يُوسُف على بلاد بني تُوجِّينَ ومَغْرَاوَةَ. ونزلَ مِلْيَانَةَ.

(١) الضبط من أ.

وخرجَ السّلطان من تِلِمْسَانَ لأيامٍ من دُخولها، وقد جَمع الجموعَ وأزالَ العِلَلَ، وأوْعزَ إلى مَسْعُودِ ابن عَمّه بَزْهُومَ بمكانه من حِصار بجَايَة بالوُصول إليه بالعَساكر، ليأخذ بحُجْزَتِهم من وَرَائهم. وخرج محمدُ بن يُوسُف من مِلْيَانَة لاعْتِرَاضِه، واستَعمل على مِلْيَانَة يُوسُفَ بنَ حَسَنِ بن عَزيزٍ، فلقيه ببلاد مَليكش. وانهزَم محمدُ بن يُوسُف، ولجأ إلى جَبل مُوصَايَة، وحاصَره بها مَسْعُودُ ابن بَزْهُومَ أيامًا، ثم أفرج عنه ولَحق بالسّلطان، فنازلوا جميعًا مِلْيَانَة، وافتَتَحها السّلطانُ عَنْوَةً. وجيء بيُوسُف بن حسن أسيرًا من مَكْمنه ببعض المسارِبِ، فعفَا عنه وأطْلقه. ثم زَحف إلى المدينة فملكها، وأخذ الرُّهُنَ من أهل تلك النّواحي وقَفل إلى تِلِمْسَانَ. واستطالَ محمدُ بن يُوسُف على النّواحي، ففَشَتْ دعوتُه في تلك القاصِية. وخاطبَ مولانا(أ) السّلطانُ أبا يَحْيَى بالطّاعة، فبعثَ إليه بالهديّة والآلَة، وسَوّغه سِهامَ يَغمْرَاسِنَ بن زَيّانَ بإفريقِيَّة ووَعَده بالمُظاهَرة. وغلَب سائرَ بلادِ بني تُوجِّينَ، وبايع له بنو تِيغرِينَ أهلُ جَبل وَانْشَرِيسَ، فاستَوْلَى عليه.

ثم نَهض السّلطانُ إلى الشّرق سنةَ سبْعَ عَشْرة، ومَلك المَدِيَّة، واستَعْمل عليها يُوسُفَ بن حَسَنٍ لمُدافعة محمد بن يُوسُف. واستَبْلغ في أخْذ الرُّهُن منه ومن أهل العَمالات وقبائِل زَنَاتَةَ والعَرَبِ، حتّى منْ قومِه بني عَبْد الوَاد. ورجعَ / [94 ب] إلى تِلِمْسَانَ وأنزلَهم بالقصَبة(ب)، وهي الغُورُ الفسيحةُ الخِطّة، تماثلُ بعضَ الأمصار العظيمة، اتخذَها للرُّهُن. وكان يُبالغ في ذلك حتّى كان يأخذُ الرُّهُن المتعدّدة من البَطْن الواحِد والفَخِذ الواحِد والرَّهْط، وتجاوزَ ذلك إلى أهل الأمْصار والثّغور من المَشْيَخَة والسُّوقَة. فملأ تلك القَصَبة بأبْنائهم

(أ) شُطبت في أ   (ب) أ: القصبة .

وإخوانهم، وشحنَها بالأُمَم[1] بَعْد الأمم. وأذن لهم في ابتناء المَنازل واتّخاذ النّساء، واختطّ لهم المساجدَ، فجَمَعُوا بها لصلاة الجُمُعَة، ونَفَقت بها الأسواق والصَّنائع. وكان حال هذه البِنْيَة من أغرب ما حُكِيَ في العُصور عن سِجْنٍ. ولم يزلْ محمّد بن يُوسُف بمكانٍ خُروجه من بلاد بني تُوجِّينَ إلى أن هَلَك السّلطان. والبقاءُ لله.

● الخبرُ عن مَقْتَل السّلطان أبي حَمُّو وولايةِ ابْنه أبي تَاشَفِينَ من بَعْده

كان السّلطانُ أبو حَمُّو قد اصْطفَى مَسْعُودَ بنَ عَمّه بَزْهُومَ، وتَبنّاه من بين عَشيره وأُولِي قُرْباه، لمكان صَرامَته ودَهائه، واختصاصِ أبيه بَزْهُومَ المكنّى أبا عَامِرٍ بعُثْمَانَ بن يَغمْرَاسِنَ شقيقِه من بَيْن سائرِ إخوتِه، فكان يُؤْثِرهُ على بَنِيه ويُفاوِضُه في شُؤونه، ويَصِلُه إلى خَلَواته. وكان قد دفع إلى ابْنِه عبدِ الرّحمن أبا تَاشفِينَ أتْرَابًا له من المَعْلُوجَى يقومونَ بخدْمته في مَرْباهُ ومَنْشَئِه، كان منهم هِلَالُ المعروفُ بالقَطْلَانِي، ومُسَامِحُ المسمّى بالصَّغِير، وفَرَجُ بنُ عبد الله، وظَافِرٌ ومَهْدِيّ وعَلِيٌّ بن تَاكَرزتَ، وفَرَجُ الملقّب شَقُّورَةَ، وكان أَلْصَقَهم وأعقلَهم بنَفْسه تِلادٌ له منهم يسمّى هِلَالاً. وكان أبو حَمُّو أبوهُ كثيرًا ما يُقَرِّعُه ويُوبِّخُه إزهاقًا لحَدِّه في اكْتِساب الخِلال، وربّما / يُقْذِعُ في تَقْريعه لما [195أ] كان - عفا الله عنه - فحّاشًا فيخطفَه بذلك. وكان مع ذلك شديدَ السّطْوة، مُتجاوزًا بالعِقاب حدودَه في الزّجْر والأدب؛ فكان أولئك المَعْلُوجَى تحتَ رَهَبٍ منه، وكانوا يُغْرُون لذلك مولاهم أبا تَاشفِينَ بأبيه ويَبْعثون غيرتَه بما

(أ) ص: بالاسم بعد الاسم .

يَذكُرون له من اصطفاء ابن أبي عَامِرٍ دونَه، وقارَنَ ذلك أنّ مَسْعُودَ بن أبي عَامِرٍ أبْلَى في لقاء محمد بن يُوسُفَ الخارجِ على أبي حَمُّو البلاءَ الحَسَنَ عندما رجعَ من حِصار بِجَايَةَ، فاستَحْمد له السّلطانُ ذلك، وعَيَّرَ ولَدَه عبدَ الرّحمن بمكان ابن عمّه هذا من النّجابة والصّرامة، يسْتَجِدّ له بذلك خِلالاً ويُغرِيه بالكَمال. وكان عمُّه أبو عَامِرٍ إبراهيمُ بنُ يَغمُرَاسِنَ مُثْرِيًا بما نالَ من جَوائز المُلوك في وِفاداتِه، وما أَقْطعَ له أبوه وأخوه سائرَ أيّامهما. ولمّا هَلكَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ استَوْصَى أخاه عُثْمانَ بولده، فضمَّهم إليه ووَضَعَ تُراثَهم بمودَع ماله حتّى يُؤْنِسَ منهم الرّشْدَ في أخوالهم. حتّى إذا كانَتْ غَزاةُ ابنه أبي سَرْحَانَ مَسْعُودٍ هذه، وعَلاَ فيها ذِكرُهُ وبَعُدَ صيتُه، رأى السّلطانُ أبو حَمُّو أن يَدْفَعَ إليه تُراثَ أبيه لاستِجْماع خِلاله، فاحْتَمل إليه من المُودَع. ونَمى الخبرُ إلى وَلَده أبي تَاشفِينَ وبطانَتِه السّوءِ من المَعْلوجَى، فحَسِبُوه مالَ الدّولة قد احْتُمِل إليه، لبُعْد عَهْدهم عمّا وقعَ في تُراث أبي عَامِرٍ أبيه. واتّهموا السّلطانَ بإيثاره بولاية العَهْد دونَ ابنه، فأغْرَوْا أبا تَاشفِينَ بالتَوثُّب على الأمر، وحَملوه على الفَتْك بمَشْنُوئِهِ مَسْعُودِ بن أبي عَامِرٍ، واعْتقال السّلطان أبي حَمُّو، ليتمّ له الاستبداد. وتَحيَّنوا لذلك قائِلةَ الهاجرة عندما انصرف السّلطانُ من مَجْلسه، وقد اجتمع إليه ببعْض حُجَر القَصْر خاصّتُه من البِطانة، وفيهم [95 ب] مَسْعُودُ بن / أبي عَامِرٍ والوزراءُ من بني المَلاّحِ.

وكان بَنو المَلاّحِ هؤلاء قد استَخْلَصهم السّلطان لحِجابته سائرَ أيّامه، وكان مُسمّى الحجابةِ عندَه قَهْرَمَةَ الدّار، والنّظرَ في الدَّخْل والخَرْج، وهم أَهْلُ بيتٍ من قُرْطُبَةَ كانوا يتَحرَّفُون فيها بسِكّة الدّنانير والدّراهم. ولما دُفعوا إلى النّظر في ذلك ثقةً بأمانتهم، نزلَ أوّلُهم بتِلِمْسَانَ مع جالية قُرْطُبَةَ. فاحترفوا

بجزلتهم الأولى، وزادوا إليها الفِلاحَةَ، واتّصلوا بخِدمة عُثمَانَ بن يَغمْرَاسِنَ وابنِه. وكان لهم في دَوْلة أبي حَمُّو مزيدَ حُظْوةٍ وعِناية. فوَلِّي على حِجابتِهِ منهم لأوّل دَوْلَته محمّدَ بن مَيْمُون بن المَلّاح، ثم ابنَه محمّدَ الأشقَرَ من بَعْده، ثم ابنه إبراهيمَ بنَ محمّد من بعدهما. واشترك مَعه من قَرابته عليُّ بنُ عبد الله بن المَلّاح فكانَا يتولّيان مُهِمَّهُ بداره، ويَحضُران خُلْوته مع خاصّته. فحضروا يومئذٍ مع السّلطانِ بعد انفِضاض مجْلِسِه كما قُلْناه، ومعه من القَرابة مَسْعُودُ القَتِيلُ وحَمّامُوش بنُ عَبْدِ المَلك بن حَنِينَة، ومن المَوالي معَرّفُ الكبيرُ بن أبي الفُتُوحِ ابن عَنْتَر، من وَلَد نَصْر بن عليّ أميرِ بني يَزْنَاتَنْ من تُوجِّينَ، وكان السّلطان قد اسْتَوْزَره.

فلمّا علِمَ أبو تَاشفِينَ باجتماعهم هَجَم ببطانَته عليهم، وغلَبوا الحاجبَ على بابه حتّى ولَجوهُ مُتَساتِلِين[1] بعد أن [اسْتَمْكَنُوا][أ] من أغلاقِه، حتّى إذا توسّطوا الدّار اعْتَوَروا السّلطانَ بأسْيافهم فقتلوه. وخامَ[2] أبو تَاشفِينَ عنْها فلم يُعَرِّجُوا عليه ولا[ذَ أبو][ب] سَرْحَانَ منهم ببعض زَوايا الدّار، واستَمْكَن من غَلْقها دونَهم، فكسَروا البابَ وقَتلوه. واستلْحَموا من كان هُنالك من البِطانة، فلم يُفْلِتْ إلاّ الأقلُّ. وهلَكَ الوُزراءُ بَنو المَلّاحِ، واسْتُبيحَتْ مَنازِلُهم، وطافَ الهاتِفُ بسِكَكِ المدينة بأنّ أبا سَرْحَانَ غَدَر بالسّلطان، وأنّ ابنَه أبا تَاشفِينَ ثأر منه، فلم يَخْفَ على النّاس الشّأنُ.

(أ) من أ، وفي ظ ص: استمسكوا (ب) سقط من ظ .

---

(1) تساتل القوم: جاء بعضهم في إثر بعض.

(2) خامَ : نكَص وجبُنَ .

وكان مُوسَى بن عَلِيّ / الكُرْدِي قائدَ العساكِرِ قد سَمِع الصَّيْحَة، وركبَ إلى القَصْر فوجَدَه مُغلَقًا دونَه، فظنّ الظُّنون وخَشِيَ استيلاء مَسْعُودٍ على الأمر، فبعثَ [عن][(1)] العَبّاسِ بن يَغْمَراسِنَ كبيرِ القَرابَة فأحْضَرَه عند باب القَصْر، حتّى إذا مرّ بهم الهاتِفُ، واستيقن مَهْلِكَ أبي سَرْحَان، ردَّ العَبّاسَ على عَقِبِه إلى مَنْزِله، ودخَل إلى السّلطان أبي تاشفِينَ، وقد أدْرَكه الدَّهْش من الواقِعة، فثبَّتَهُ ونَشَّطه لحَقِّهِ وأجْلَسَه بمجْلِس أبيه، وتولّى له عَقْدَ البَيْعة على قَوْمه خاصَّة وعلى النّاس عامَّةً، وذلك آخرَ جُمادى الأولى من تلك السّنة. وجَهّز السّلطانَ إلى مَدْفنه بمقْبَرة سَلَفِه من القَصْر القَديم، وأصبحَ مثلاً في الآخَرين. والبقاءُ لله.

وأشْخَص السّلطانُ لأوّل بَيْعته سائرَ القَرابة الذين كانوا بتِلِمْسَانَ من وَلَد يَغْمَراسِنَ، وأجازهم إلى العُدْوَة، حذرًا من مَغَبّةِ تَرْشيحهم وما يُتَوقّع من الفِتَن على الدّولة من قِبَلِهم. وقلّد حِجابَته مولاهُ هِلالاً، فاضطلع بأعْبائها واستَبَدَّ بالعَقْد والحلّ والإبْرامِ والنّقض صَدْرًا من دَوْلته، إلى أن نكَبَه حسبما نذكُره. وعقّد ليَحْيَى بن مُوسَى السَّنُوسِيّ من صَنائع دَوْلَتهم على شَلَفَ وسائرِ أعْمال مَغْرَاوَةَ. وعَقَد لمحمد بن سَلامَةَ بن عَلِيّ على عَمَله من بلاد بني يَدْلَلْتَنَ من تُوجِّينَ. وعزلَ أخاهُ سَعْدًا فلَحِق بالمَغْرِب. وعقّد لمُوسَى بن عَلِيّ الكُرْدِيّ على قاصِية الشَّرْق، وجعلَ إليه حِصار بجَايَةَ. وأغْرَى دولَتَهُ بتَشْييد القُصور واتّخاذ الرّياض والبساتين، فاسْتَكْمل ما شَرَع فيه أبوه من ذلك وأرْبأ عليه، فاحتفلَت القُصور والمصانعُ في الحُسْن ما شاءَتْ، واتَّسَقَتْ أخبارُه على ما نذكُر.

(1) من ص أ. ظ: على.

• / الخَبَرُ عن نُهوضِ السُّلْطَانِ أبي تَاشَفِينَ إلى[أ] مُحَمَّدِبن يُوسُفَ بِجَبَل وانْشَرِيسَ، واستِيلائِهِ عليه [ومقتله][ب] [96 ب]

كان مُحَمَّدُ بن يُوسُف بَعد مَرْجِع السُّلْطَان أبي حَمُّو عنه -كما ذكرناه- قد تَغلَّب على جَبَل وَانْشَرِيس ونَواحيه، واجتمع إليه الفَلُّ من مَغْرَاوةَ. فَاسْتفحَل أمْرُهُ، واشتدَّتْ في تلك النواحي شَوكتُهُ، وأهَمَّ السُّلْطانَ أبا تَاشَفِينَ أمرُهُ، فاعتزم على النُّهوض إليه، وجمع لذلك، وأزاحَ العِللَ، وخرج من تِلِمْسانَ سنةَ تسعَ عشْرة واحْتَشَد سَائِرُ القَبَائل من زَنَاتَةَ والعَرَبِ، وأناخَ على وانْشَرِيسَ وقد اجتمع به تُوجِّينُ ومغراوةُ مع مُحَمَّد بن يُوسُف، وكان بنو [تِيغَرِينَ][ج] من بني تُوجِّينَ بِطانةُ ابن عبد القوي يَرْجعُونَ في رئاستهم إلى عُمَرَ بن عثمانَ ابن عطيَّةَ حَسْبما نذكُره. وكان قد استَخْلَص سواهُ من بني تُوجِّينَ دونَه فَأَسِفَهُ ذلك، وداخل السُّلْطَانَ أبَا تَاشَفِينَ وواعَدَه أن يَنْخَزِلَ[1] عنه، فاقتحم السُّلْطَانُ عليهم الجبَلَ، وانحجروا جميعا بحصن توكَال فَخَالَفَهُم عُمَرُ بنُ عُثْمَانَ في[د] قومه إلى السُّلْطَان بعد أن حاصرهم ثمانياً، فتخرَّمَ الجمْعُ واختلَّ الأمرُ وانفضَّ الناسُ، فاقتحم الحصنَ، وتُقُبِّضَ على مُحَمَّد بن يُوسُف وجِيءَ به أسيراً إلى السُّلْطَان وهو في مَوْكِبِه، فعدَّد عليه ثم وَخزَهُ برُمْحه، وتناولهُ الموالي برماحِهم فأقْعَصُوهُ، وحُمِلَ رَأْسُهُ على القناة إلى تِلِمْسَان فَنُصِبَ بشُرُفات البلَد، وعقد لعمرَ بنِ عثمانَ على جَبَل وَانْشَرِيسَ وأعمالِ بَني عبد القويّ، ولسَعيد العربيّ - من مواليه- على عمل المدِيَةِ.

(أ) من أ، لي ظ ص: أبي (ب) من أ وحدها (ج) من أ. ظ ص: تيفر (د) ظ: في قومه إلى قومه، خطأ.

---

(1) انخزل: تراجعَ في تثاقُلٍ، وتقرأ: يتخذل، أي يتخلّى عن المُناصَرة.

وزَحَفَ إلى الشرق فأغار على أحياء رِيَاحٍ وهم بوادي الجِنانِ، حيثُ [97أ] الثنيّةُ المُفْضية من بِلادِ حَمْزةَ / إلى القِبْلة، وصبّح أحْياءهم فاكْتَسح أموالَهُم، ومضى في وَجْهه إلى بِجَايَة فعرّس[1] بِسَاحَتِها ثلاثاً، وبها يومئذٍ الحاجبُ يَعْقُوبُ ابن عُمَرَ فامْتَنَعت عليه، وظهر له وَجْه [المعذرةِ][أ] لأوْلِيَائهم في استِخصانها [لهم][ب]، وقفل إلى تِلِمْسَان إلى أن كان من أمْره ما نذكرُهُ.

• الخَبَرُ عن حصَار بجايَةَ، والفِتْنةُ الطَّوِيلَةُ مع المُوحّدِينَ التي كَانَ فيهَا حَتْفُهُ وذهَابُ سُلطانه وانقراضُ الأمرِ عن قومه بُرْهَةً من الدّهْرِ

لما رَجَعَ السُّلْطَانُ أبُو تَاشفِينَ من حِصَار بِجَايَة سنة تِسْع وَعِشْرِينَ، اغْتَمل في تَرْديد البُعُوثِ إلى قاصِية الشّرق، والإلحاحِ بالعدّو على بِلاَد المُوَحّدِينَ، فأغْزَاها جُيوشَهُ سنةَ عشرين فدَوَّخوا ضواحيَ بِجَايَة، وقَفلوا. ثمّ أغزاهُم ثانيةً سنةَ إحْدى وعشرينَ، وعليهم موسى بن عليّ الكُرْديّ، فانتهى إلى قُسَنْطِينَة وحاصَرَهَا فامتنعَتْ عليه، فأفْرجَ عنها وابتَنى حصْنَ بَكْر[2] لأوّل مَضيق الوادي، وادي بِجَايَة، وأنزلَ به العسكَرَ لنظر يَحيى بن موسى قائد شَلْف، وقفل إلى تِلِمْسَان. ثم نَهَضَ مُوسَى بن عليّ ثالثةً سنة ثِنْتَين وعشْرينَ فدَوّخَ نَواحي بِجَايَة ونازَلَها أيّاماً وامتنعت عليه فأفْرجَ عنها.

(أ) من أ ص، في ظ: المعدة (ب) من ص، وفي أ: عليهم.

---

(1) عرّس القوم: نزلوا من السّفر للاستراحة ثم يرتحلون.

(2) يصفه الإدريسي بأنه حصنٌ حصين على مراعٍ ممتدة، والوادي الكبير يجري مع أصلها وبجنوبها وفيه سوق وبيع وشراء. نزهة المشتاق 1: 262

ووفدَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين على السُلْطَان حَمْزَةُ بنُ عمرَ بنِ أبي اللّيلِ كبيرُ البَدْوِ بإفريقيَّةَ صريخًا على صاحبِ إفريقيةَ مولانا السُلْطَانِ أبي يَحْيى، فبَعَثَ معهم العَسَاكِرَ من زَناتة وعَامَّتُهم من بني تُوجّينَ وبني راشِدٍ، وأمّر عليهم القُوّادَ وجعلهم لنظر قائده موسى بن عليّ الكُرْديّ، ففصلوا إلى إفريقيّة وخرج السُلْطَانُ للقائهم، فانهزموا / بنواحي مَزماجنةَ[أ] وتخطّفتْهُمُ الأيْدي فاستُلْحِموا، وقُتِلَ مُسَامِحٌ مَولَاه، ورجعَ موسى بن عليّ بالفَلِّ، فاتّهمه السُلْطَانُ بالإذهان[1]، وكان من نكبته ما نذكره في أخباره. و[سرّح][ب] العَسَاكِرَ سنةَ أربعَ وعِشْرينَ فدوّخت نَوَاحيَ بِجَايَةَ، ولقيهُمُ ابنُ سيّد الناس فهَزَمُوهُم، ونجا إلى البلَد. ووفدَ على السُلْطَان سنةَ خمس وعشرين مَشْيخَةُ سُليم، حَمْزَةُ بنُ عمرَ بن أبي اللّيل، وطَالبُ بن مُهَلْهَل، الفَحْلان المُتَزاحمان في رئاسة الكُعُوبِ، ومحمد بن مِسْكينَ من بني القَوْسِ كبراءِ حَكيمٍ فاستحَثّوه للحركة، واستَصْرخوه على إفريقيةَ، وبَعث معهم العَسَاكِرَ لنظر قَائِده مُوسَى بن عليّ، ونصبَ لهم إبراهيمُ بنُ أبي بكرٍ الشهيد من أغياص الحفصِيّين، وخرج مولانا[ج] السُلْطَان أبُو يَحْيَى من تونِس للقائهم، وخشيهم[د] [فسابقهم إليها، فأقام موسى بن عليّ عساكره على قُسَنطِينَة]، وتقدّم إبراهيمُ بن أبي بكر الشهيد من[هـ] أحياء سُليم إلى تونِسَ فملكها كما ذكرنا في أخبارهم. [97 ب]

وامْتنعَتْ قُسَنْطِينَةُ على موسى بنِ عليّ فأقلع عنها لخمس عشْرَة ليلةٍ من حِصارها، وعاد إلى تِلِمْسَانَ. ثم أغزاه السُلْطَانُ سنةَ ستّ وعشرين في الجيوشِ، وعهد إليه بتدويخِ الضَاحيةِ ومُحاصَرة الثّغور، فنزلَ[و] قُسَنْطِينَة

(أ) في أ: مرطاجنة (ب) ظ: عرج (ج) شطبت في أ (د) من أ و ص (هـ) في أ و ص: في (و) في أ وص: ونازل، فنازل.

---

(1) أدهن: خدع وختل، وأظهر خلاف ما يضمر.

وأفسدَ نَواحيها، ثمّ رجع إلى بجَايَة لحاصَرها، حتّى إذا اعتزم على الإقْلاع ورأى أن حصنَ بَكْر غيرُ صالحٍ لتَجْمير الكتائِب عليها لبُعْده، وارْتاد للبناء عليها فيما هو أقربُ منه، فاختطّ بمكان سوق الخميس على وادي بجَايَة مدينةً لتَجْميرِ الكتَائِبِ بها على بجَايَة، وجمعَ الأيدي على بنائها من الفَعَلةِ والعَسَاكِر، فتمّتْ لأربعينَ يوماً، وسَمّوْها تَامْزِيزْدَكْت[أ] باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الوادِ قبل المُلْك بالجبل قِبْلةَ وَجْدة، وأنزل بها عَسْكَرًا يُناهز ثلاثةَ آلاف، وأوْعزَ السُلْطَانُ إلى جميع عُمّاله بِبِلَاد المَغرب الأوْسَط [98 أ] بِنَقْل الحُبُوبِ إليها حيث/ كانت، والأُدْمِ، وسائِر المَرافق حتّى المِلْح. وأخذوا الرُّهُنَ من سائر القَبائل على الطّاعة واسْتَوفوا جِبايتهم، فثَقُلَتْ وَطْأتهم على بجَايَة، واشتدَّ حِصارُها وغلَتْ أسْعارُها. وبعثَ مولانا[ب] السُلْطان أبُو يَحْيَى جُيُوشَهُ وقُوادَهُ سنة سبع وعشرين فسلكوا إلى بجَايَة على جَبلِ بني عبد الجبّارِ، وخرج بهم قائِدُها أبو عبد الله بنُ سيّد النّاس إلى ذلك الحصْن، وقد كان موسى بنُ عليّ عند بُلوغ خبرهم إليه استَنْفر الجنودَ من وَرائِه، وبعثَ إلى القواد قِبلَه بالبِدَار[1]، فالتقى الجمعان بضاحية تَامْزِيزْدَكْتْ فانكشفَ ابنُ سيّدِ النّاسِ، ومات ظافرُ الكبيرُ مُقدّمُ الموالي من المعْلُوجي بباب السُلْطَان وأستُبيحَ مُعَسْكرُهم. ولمّا سَخِطَ السُلْطَانُ قائدَهُ موسى ابنَ عليّ ونَكبَه -كما نذكرُه في أخْباره- أغْزا بيَحْيى بن موسى السَنوسيّ في العَسَاكِرِ إلى إفريقيّة ومعه القُوّادُ، فعاثوا في نواحي قُسَنْطِينَة، وانتَهَوْا إلى بلَد بونَةَ، ورَجَعوا.

(أ) كذا في ظ، وفي أ: تامزِزْدكث، ويرد الشكلان للاسم في أ ص (ب) طمست كلمة " مولانا" في نسخة أ وكلما وردت.

---

(1) البدار : المعاجلة.

وفي تسعٍ وعشرين بعدَها وفد حَمْزَةُ بنُ عُمرَ على السُّلْطان أبي تاشفينَ صريخًا، ووفدَ معه أو بعدَه عبدُ الحقّ بن عثمان فَحْلُ الشُّوْل من بَني مَرينَ، وكان قد نَزل على مولانا السُّلْطانِ أبي يحيى منذ سنين فَسَخِطَ بَعْضَ أحواله، ولَحِق بتِلِمْسَان، فبعث السُّلْطانُ معهم جميعَ قوّاده بجُيوشه لنظر يحيى بن موسى، ونصب لهم مُحَمَّدَ بنَ أبي بكر بن أبي عمرانَ من أعْياصِ الحفصيّينَ، ولقيهم مولانا السُّلْطانُ أبُو يَحْيَى بالرّيَاس من نواحي بلادِ هَوّارَة، وانْخَزَلَ عنه أحياءُ العربِ من أولادِ مهلهل الذين كانوا معه، وانكشفَ جُموعه واستولوا على ظَعائنهِ[1] بما فيها من الحُرَمِ، وعلى ولَدَيْه[أ] أحمدَ وعمرَ، فبعثوا بهم إلى تِلِمْسَانَ.

ولَحِق مولانا السُّلْطانُ أبُو يَحْيَى بقُسَنْطِينَةَ، وقد أصابهُ بعضُ الجراحةِ في حَوْمةِ الحربِ، وسارَ يَحيى بن موسى وابنُ / أبي عِمرانَ إلى تونِسَ [98 ب] فاستولَوْا عليها، ورجعَ يَحيى بنُ مُوسى عنهم بجُموعِ زَناتَةَ لأربعين يوماً من دُخولها، فقفل إلى تِلِمْسَان، وبلغ الخَبَرُ إلى مولانا السُّلْطان أبي[ب] يحيى بقُفول زَناتَة عنهم فنهض إلى تونِسَ، وأجْهَضَ عنها ابنَ أبي عِمْرانَ بعد أن كان أوْفَدَ من بِجَايَة على مَلِكِ العربِ ابنَه أبا زكرياء يَحيى، ومعه أبو مُحَمَّد بن تافْرَاكِينَ من مشيخةِ الموحّدين صريخاً على أبي تاشَفينَ، فكانَ ذلك داعيةً إلى انتقاض مُلكه كما نذكُره بعدُ.

وداخل السُّلْطانُ أبو تاشَفينَ بعضَ أهل بِجَايَةَ ودلُّوهُ على عورتها، واستقدموه، فنهض إليها، ونذر بذلك الحاجبَ ابن سيّد النّاس فسابقه إليها

(أ) أ: على ولدي السلطان (ب) ظ: أبو.

---

(1) الظّعائن: جمع ظعينة، الهودج فيه امرأة.

ودخلها يوم نُزوله عليها، وقَتل من اتّهمه بالمُداخلةِ فانحسم الدّاء، وأقلع السُّلطَان أبو تاشَفينَ عنها، وولّى عيسى بنَ مَزروع -من مَشْيخة بني عبد الواد- على الجيش الذي بتامزيزدكْت، وأوْعز إليه ببناء حصنٍ أقربَ إلى بجَايَة [من تامزيزدكْت، فبناه بالياقوتة من أعْلى بني وادي قُبالة بجاية][(أ)] فأخذ بمُخَنّقها، واشتدَّ الحِصارُ إلى أن أخذ السُّلطَانُ أبُو الْحَسَن بحُجْزتهم فانْجَفلوا جميعًا إلى تِلِمْسَانَ، وتَنفّسَ مُخَنّقُ الحِصار عن بجَايَة، ونَهَض مولانا السُّلْطَان أبُو يَحْيَى بجُيوشهِ من تونسَ إلى تامْزيزْدكْت[(ب)] سنة ثنْتَين وثلاثين، فخربها في ساعةٍ من نَهارٍ ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [سورة يونس، من الآية 24] حسبما ذكَرْنا ذلك في أخبارهِ.

• الخَبَرُ عن مُعاودة الفِتْنة مع بني مَرِينَ وحِصَارِهم تلمْسَانَ، ومَقتَلُ السُّلطَانِ أبي تاشَفينَ

كان السُّلْطَان أبو تاشَفينَ قد عقد السّلْمَ لأوّل دَوْلته مع السُّلْطَانِ أبي سَعيدٍ ملكِ المَغرب، فلمّا انتقضَ عليه ابنهُ عمرُ سنةَ ثنْتَين وعشرينَ بعد المُهادنة الطّويلة من لَدنِ استِبْداده بسِجلْماسَةَ، بعثَ ابنَه/ القعقاعَ إلى أبي تاشَفينَ في الأخْذ بحُجْزَة أبيه عنه، ونهَض هو إلى مَرّاكُش فدخلَها، وزحف إليه السُّلْطَانُ أبو سعيدٍ، فبعث أبو تاشَفينَ قائدَه موسى بنَ عليٍّ في العَساكِر إلى نَواحي تازَى فاستباح عمل كارَتْ[(ج)]، واكْتَسح زُروعَه وقَفلَ، واعتدَّها عليه السُّلْطَان أبو سعيدٍ.

(أ) من أ ص، وفي أ: تامززدكت (ب) أ: تامززدكت (ج) كذا ضبطت في أ.

وبعث أبو تاشفين وَزيرَهُ داودَ بنَ عليِّ بنِ مَكَّن رسولاً إلى السُّلْطان أبي عليّ بسِجِلْماسَة، فرجعَ عنه مُغاضبًا، وجَنحَ أبو تاشَفينَ بعدَها إلى التمسك بسِلْمِ السُّلْطان أبي سعيدٍ فعقَد لهم ذلك، وأقاموا عليها مدّة، فلمّا وفَد ابنُ مولانا السُّلْطَانِ أبي يَحيى على السُّلْطَانِ أبي سَعيد ملكِ المغرب، وانعقدَ الصِّهرُ بينهم كما ذكرناه في أخبارهم، وهَلكَ السُّلْطَانُ أبو سَعيد، نَهَضَ السُّلْطَانُ أبُو الحَسَن إلى تِلِمْسَان بعد أن قَدّم رسلَه إلى السُّلْطان أبي تاشَفينَ في أن يُقْلِعَ جيوشَهُ عن حِصار بِجَايَة، ويَتَجافَى للموحّدينَ عن عمل [تدلّس][أ] فأبى وأساء الردّ، وأسْمَعَ الرُّسُلَ بمَجْلِسه هُجْرَ القَوْل، وأقْذَعَ لهم الموالي في الشَّتم لمُرْسِلهم بمَسْمعٍ من أبي تاشَفينَ، فأحفَظَ ذلك السُّلْطَانَ أبا الحَسن، ونهض في جُيوشهِ سنة ثنْتَين وثلاثين إلى تِلِمْسَان، فتخطّاها إلى تاسَالَةَ وضَرَبَ بها مُعَسْكَرَهُ وأطالَ المُقامةَ، وبعثَ المَدَدَ إلى بِجَايَة مع الحَسن البَطُّوِيي من صَنائِعه، وركبوا في أساطيله من سَواحِل وَهْرانَ، ووَافاهُمُ مولانا السُّلْطَانُ أبُو يَحْيَى ببِجايَة، وقد جمع لحَرْب بَني عبد الوادِ، وهدّم تامْزِيزدَكِت[ب]، وجاء لمَوْعِد السُّلْطَانِ أبي الحَسن معه أن يجتمِعا بعَساكِرِهِما لِحِصار تِلِمْسانَ، فنَهَد[1] من بِجَايَة إلى تامْزِيزدَكِت، وأجفلَ منها عسكرُ بني عبد الواد وتركوها قِواءً[2]، ولحقَت بها عساكرُ الموحدين فعاثوا فيها تخريبًا ونَهْبًا، وانطلقت الأيدي على اكْتِساحِ ما كان فيها من الأقْوات والأُدْمِ، فَنُسِفَت نسْفًا وأُلْصِقَتْ/ جُدرانُها بالأرضِ، وتنفّسَ مُخْتَنَق بِجَايَة من الحِصار، [99 ب] وانكمَش بنو عبد الواد إلى ما وراء تُخومهم.

(أ) في ظ تدلين، مهملة (ب) أ: تامززدكت.

(1) نهد للعدوّ وإلى العدوّ، نهْدًا ونَهَدًا: صمد لهم وأسرع في قتالهم.
(2) القواء (بفتح القاف وكسرها) : قفر الأرض، والخلاء.

وفي خلال ذلك انتقض أبو عليّ بن السُلْطان أبي سعيد على أخيه، فصَمد[أ] من مَقَرّه بسِجلْماسَةَ إلى دَرْعةَ، وفتك بالعامِل، وأقامَ فيها دَعْوَتَهُ كما نذكرُ ذلك بعدُ.

وطار الخَبَرُ إلى السُلْطان أبي الحَسن بمحلّتِه من تاسَالة فتكَصَ راجعاً إلى المغربِ لحَسْم دائِه، وراجعَ السُلْطانُ أبو تاشَفينَ عِزّهُ، وانبسطَتْ عساكِرُهُ في ضواحِي عَمَلِه، وكَتّبَ الكتائبَ، وبعثَ بها مَددًا للسّلطان أبي عَليّ. ثم استَنْفر قبائلَ زَناتَةَ، وزحفَ إلى تُخومِ المغربِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين ليأخُذَ بحُجْزَةِ السُلْطان أبي الحَسَن على أخيه، وانتهى إلى الثّغر من تاوْريرْت، ولقيه هنالك تاشَفينُ بنُ السُلْطان أبي الحسَن في كَتيبةٍ جَمّرها أبوهُ معَه هنالك لسَدّ الثُغور، ومعه مِنْديلُ بن حَمامةَ شيخُ تِيربيغينَ من بَني مَرينَ في قَوْمه. فلمّا برزُوا إليه انكَشَفَ ورجَع إلى تِلِمْسَانَ. ولَمّا تغلّبَ السُلْطانُ أبُو الحَسَن على أخيه وقَتلَه سنةَ أربعٍ وثلاثينَ، جمع [الغزو][ب] تِلِمْسَان وحِصارها، ونهض إليها سنةَ خمْسٍ وقد اسْتَنفدَ وُسْعَهُ في الاحتفال لذلك، وأحاطت بها عساكِرُه، وضَربَ عليها سياجَ الأسْوار، وسُرادِقاتُ الحَفائِرِ أطبَقَتْ عليهم حتّى لا يكادُ الطّيْفُ يخلُصُ منهم ولا إليهم. وسَرّح كتائبَه إلى القاصِية من كلّ جهةٍ فتغلّبَ على الضّواحي وافتتح الامصارَ جميعًا، وخرّب وَجْدَةَ كما يأتي ذكرُ ذلك كُلُّه. وألحّ عليها بالقِتالِ يُغاديها ويُراوِحُها، ونَصبَ المجانيقَ، وانْحَجَر بها مع السُلْطان أبي تاشَفينَ زعماءُ زَناتَةَ من بني توجّينَ وبني عبد الواد، وكان عليهم في بعض أيّامِها اليومُ المشهُور الذي استُلْحِمت فيه أبطالُهم

(أ) أ ص : وصمد (ب) أ ص، في ظ: لعوم.

وهَلكَ أُمراؤهم، وذلك أنّ السُلطانَ أبا الحسنِ كان يُباكرهم في الأسحار فيطوف من وراء/ أسواره التي ضَرَب عليهم شَوطاً يرتّب فيه المُقاتِلةَ، [100 أ] ويثقّفُ الأطرافَ، ويَسُدُّ الفروجَ ويُصلحُ الخَللَ. وأبو تاشفينَ يَبُثُّ العيونَ في ارتِصادِ فُرصةٍ فيه.

وأطافَ في بَعْضِ الأيّامِ منتبِذاً[1] عن الجُمْلَةِ فكَمَنوا له، حتّى إذا سلَكَ ما بين البَلد والجَبَل انفَضّوا[أ] إليه يحْسَبونها فرصةً قد وَجدوها، وضَايَقوه حتى كاد سَرَعَانُ[2] النّاس أن يَصِلوا إليه، وأحسّ أهلُ المُعَسكرِ بذلك فَرَكِبُوا زَرافاتٍ ووِحْداناً، وركب ابْناهُ الأميران أبو عَبْد الرّحمان، وأبُو مالِكٍ جَناحا عَسْكره وعِقابا جَحافله، وتَهاوَت إليهم صُقُور بَني مَرينَ من كلّ جوّ، فانكَشفَ[ب] عسكرُ البلد، ورَجعوا القَهقَرى ثمّ ولّوا الأدْبارَ مُنْهزمينَ لا يَلوي أحدٌ منهم على أحَد، واعْتَرضَهم مَهْوَى الخَنْدق فتطاوحوا[3] فيه وتهافَتوا على رَدْمِه، فكان الهالكُ يومئذٍ بالرّدْمِ أكثَرَ من الهالكِ بالقَتْل، وهلَكَ من بني توجّينَ يومئذٍ عمرُ ابنُ عثمانَ كبيرُ الحَشَمِ، وعاملُ جَبَل وَانْشَريسَ، ومحمدُ بن سَلامةَ بنِ عليّ كبيرُ بني يَدْلَلتَن[ج] وصاحب القَلعة تاوَغزَوتْ وما إليها من عملهم، وهُما ما هُما في زَناتة، إلى أشْباهٍ لهما وأمثالٍ. استُلْحِمُوا في هذه [الوقائع][د] لَحَصّ هذا اليومُ جناحَ الدّولة، وحطّم منها. واستَمرّت مُنازَلةُ السُلْطان أبي الحَسَن إيّاها إلى آخر شَهْر رمضانَ من سنة سبْعٍ وثلاثين،

(أ) ص: انفضوا (ب) ظ: فانكشفت (ج) صحف الاسم في ظ: يد للين. وفي ص: يدللين (د) ظ: الواقع.

---

(1) منتبذاً: معتزلاً عن رفقته وجماعته.

(2) سَرَعان النّاس: أوائلهم المستبقون إلى الأمر.

(3) تطاوحوا فيه: سقطوا .

فاقتحمها يومَ السّابع والعشرين منه غِلابًا، ولجأ السُّلْطان أبو تاشفين إلى باب قَصْره في لُمّةٍ من أصْحابه، ومَعه ولَداهُ: عثمانُ ومسعودُ، ووزيرُهُ موسى بنُ عليّ، وعبدُ الحقّ بنُ عثمانَ بنِ محمَّدِ بنِ عبد الحقّ من أعْياص بَني مَرين، وهو الذي لحِق بهم من تونِسَ كما ذكرناهُ، وسيأتي ذكْرُه وخبرُه، ومعه يومئذٍ ابنا أخيه: أبو زُرَيْن وأبو ثابت، فمانَعوا دونَ القَصْر مُسْتميتين إلى أن استُلْحِمُوا[1]، ورُفعَتْ رؤوسُهم على عِصِيّ الرّماح فطيف بها. / وغَصّتْ سِكَكُ البلَد من خارجها وداخِلها بالعَساكِر، وكظّت أبوابُها بالزّحام حتّى لقد كُبّ الناسُ على أذْقانهم، وتواقَعوا فوُطِئُوا بالحوافِر، وتراكَمت أشلاؤُهم ما بَيْن البابَيْن حتّى ضاقَ المذهبُ بين السّقف ومَسْلَكِ الباب وانْطلقَتِ الأيْدي على المنازل نَهْبًا واكْتِساحًا، وخلَص السُّلْطانُ إلى المَسْجد الجامع، واستدْعى رؤساءَ الفُتْيا والشّورى؛ [أبا][أ] زيد عبد الرّحمن، و[أبا][أ] موسى عيسى ابني الإمام، قدّمها[ب] من أعْماله لمَكان مُعتقَدة في أهل العِلْم، فحَضروهُ، ورَفَعوا إليه أمرَ النّاس ومانابَهم من مَعَرّةِ[2] العَسْكر، ووَعَظوه فأناب، ونادى مُناديه برَفْع الأيْدي عن ذلك فسَكَن الاضْطرابُ وأُقْصِرَ العَيْثُ.

[100 ب]

وانتَظم السُّلْطانُ أبُو الحَسَنِ أمصارَ المغرب الأوْسَطِ وعَمَلَه إلى سائر أعْماله، وتاخَم الموَحّدين بثُغوره، وطَمَس [رُسُومَ][ج] المُلْك لآل زيّانَ ومَعالِمَهُ، واستَتْبع زَناتَةَ عُصَبًا تحْت لِوائِه من بَني عبد الواد وتُوجّينَ ومَغْراوَة،

(أ) ظ: أبو (ب) كذا في الأصول الثلاثة، ولعل الأولى: قدّمها، إلا إن كان العائد عنده: رؤساء الفتيا والشورى

(ج) من أ، في ظ ص: رؤوس.

---

(1) استُلْحِمو: نشبوا في الحرب فلم يجدوا مَخلصًا.

(2) المعرّة: الأذى والعيب.

وأقْطَعهم ببلاَد المَغْرب أسهامًا أدالَهم بها من تُراثِهم بأعْمال تِلِمْسَان، فانقرَض مُلكُ آل يَغْمَراسِن بُرْهةً من الدّهر، إلى أن أعادَهُ منهم أغْـياصٌ سَمَوْا إليه بَعْد حين، عند نَكْبَة السُّلْطَان أبي الحَسن بالقَيْروانِ كما نَذْكرُه، فأوْمَض بَارِقُهُ، وهبّت رِيحُهُ، ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 247].

• الخَبَرُ عن رِجَال دَوْلَته، وَهُم: مُوسَى بنُ عَليّ، وَيَحْيَى بنُ مُوسَى، ومَوْلاه هلاَل، وَأوَّلِيّتهم ومَصَائرِ أمورِهم

واختَصَصْناهُم بالذِّكر لِمَا طار من شُهْرتِهم وارْتَفع من صيتِهم، فأمّا موسى ابن عليّ الحاجبُ الهالكُ مع السُّلْطَان، فأصْلهُ من قَبيلة الكُرْد من أعاجِم المَشْرق، وقد أشَرْنا إلى الخِلاف في نَسبهم بين الأمم، وذكر / المَسْعودي(1) منهم أصنافاً سَمّاهم في كِتابه من الشّاهِجان، والبرْسان، والكيكلان(أ) إلى آخَرين منهم، وأن مَواطِنَهم ببلاد أذْرَبيجَانَ والشّام، والمَوْصل، وأنّ منهم نَصارى على رَأْي اليَعْقوبيّة، وخوارِجُ على رَأْي البراءَة من عُثمانَ وعَليّ. انتهى كلامه. [101 أ]

وكان منهم طوائفُ بجَبل شَهْرَزور(2) من عراق العرب، وعامّتهم يتقلّبون في الرّحلة، ويَنْتجِعونَ لسائِمَتِهِم مواقِعَ الغَيْث، ويتّخذون الخيامَ لسُكْناهم من

(أ) في أ و ص : الكيكان .

---

(1) لم يرد هنا في مروج الذهب، ولا ذُكر فيه أيٌّ من الأسماء التالية بَعْده، عدا اسم الشوهجان التي قد تكون الشاهجان. وانظر عن أسماء شعوب الكرد: المروج 2: 251 (1118)، 249 – (1113 – 1115) وربما ذكر ذلك في بعض كتبه، فهو يقول: وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها فمنعنا ذلك عن إعادته في هذا الكتاب. المروج 2: 243 (1101).

(2) يذكر ياقوت أنها كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان، وأن أهل تلك النواحي كلهم أكراد. معجم البلدان 3: 375

اللّبود، وَجُلُّ مَكاسِبِهم الشاءُ والبقرُ من الأنعام، وكانت لهم عِزّةٌ وامتناعٌ بالكَثْرةِ، ورئاساتٌ ببَغْدادَ أيّامَ تَغَلُّبِ الأعاجمِ على الدّولة، واسْتِبْدادِهم بالرّئاسة. ولمّا طُمِسَ مُلْكُ بني العبّاس، وغلَب الطَّطَرُ على بَغْدادَ سنةَ ستٍّ وخمسين وستّمائةٍ، وقَتلَ مِلِكُهم هَلاوُنْ[ا] آخرَ خُلفاءِ العبّاسيينَ وهو المُعْتصِمُ، ثم ساروا في مَمالكِ العراقِ وأعْمالِه، فاستَوْلوا عليها، وعَبر[ب] الكثيرُ من الكُرْد نهرَ الفُرات فرارًا أمام الطَّطَر لِما كانوا يَدينون به من المَجوسِيّة، وصاروا في إيالَة التُّرك، فاسْتَنْكف أشرافُهم وبُيُوتاتُهم من المُقامِ تحت سُلْطانهم، وأجاز منهم إلى المَغْربِ عَشيرتان يعرفون[ج] ببني لُوَيْنَ، وبني بابير، فمن إليهم من الأتْباع، ودخلوا المغربَ لآخر دولة الموحدينَ، ونزلوا على المُرْتَضَى بمَرّاكُش، فأحْسنَ تلقّيهم وأكْرمَ مَثْواهم وأسْنَى لهم الجِرايَةَ والإقطاعَ، وأحلّهم بالمحلِّ الرّفيع من الدّولة، ولما انتقَضَ أمرُ الموحدينَ بحِدْثان وُصولِهم صاروا إلى مَمْلكة بَني مَرينَ، ولحِق بعضُهم بيغمراسِن بن زيّانَ، ونزع [البعض إلى][د] المستَنْصِر[هـ] صاحبِ إفريقيّة يومئذٍ .....[و] بيتٌ من بني بابير لا أعْرِفُهم، كان منهم محمدُ بن عبد العزيز المعروفُ بالمِزْوار صاحبُ مولانا السُّلْطان أبي يحيى، وآخرون غيرُه منهم. وكان/ من أشهر من بَقِيَ في إيالة بَني مَرينَ منهم، [101 ب] ثم من بني بابِيرَ[ز] عليُّ بنُ حسن بنِ صاف وأخُوه سَلْمَانُ، ومن بني لُوَيْنَ خِضْرُ بنُ مُحَمّدٍ ثم بنو محمود، ثم بنو بوصة. وكانت رئاسةُ بني بابِيرَ[ز] لسَلْمان وعليّ، ورئاسةُ بني لُوَيْنَ[ح] لخِضْر بن محمد، وكانت تكونُ الفِتْنةُ بينهم

(ا) كذا في الأصول وكذا ضُبطت حركاتها في أ، وتقدم تسميته في الجزء 10 هلاوو (ب) في ص: وفر (ج) كذا ولعله: يُعرفان (د) من أ (هـ) في أ: إلى المستنصر إلى صاحب إفريقية، فأسقطنا حرف الجر الثاني المكرر سهوًا. ويعني المستنصر الحفصي وهو محمد بن أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد ابن أبي حفص (647-675 هـ/ 1249 – 1277 م) انظر عنه الزركشي: تاريخ الدولتين 69- (و) فراغ لكلمة في الأصول الثلاثة (ز) كذا ضبطت في أ (ح) كذا ضبطت في أ.

كما كانت في مَواطِنهم الأولى، فإذا اتَّعَدوا للحرب توافَتْ إليهم أشياعُهم من تِلِمْسَان، وكان نِضَالُهم بالسّهام لما كانت القِسِيُّ سِلاَحَهم، وكانت من أشهر الوَقائع بَيْنهم وقيعةٌ بفاسَ سنةَ أربعٍ وسبعين وستمائة، جمعَ لها خِضْرٌ رئِيسُ بني لُوَيْن، وسَلْمان وعليّ رئيسا بني بايِر، واقْتَتلوا خارجَ باب الفُتوح، وتركهم يعقُوب بنُ عبد الحقّ لشأنهم من الفِتْنة حياءً منهم، فلم يَعرِضْ لهم. وكان مَهْلَكُ سَلْمانَ منهم بعد ذلك مُرابِطًا بثغر طَريف عام تسعين وستمائة. وكان لعليّ بن حسن ابنُهُ موسى، اصطفاه السُّلْطانُ يوسفُ بنِ يعقُوبَ، وكشفَ لهُ الحِجابَ عن داره، ورَبِيَ بين حُرُمه، فتمكّنت له دَالّةٌ سَخِطَ بسَببها بعضَ الأحوال مما لم يَرْضَه، فذهب مُغاضِبًا، ودخلَ إلى تِلِمْسَان أيّامَ كان يوسفُ بنُ يعقُوبَ مُحاصِرًا لها، فتلقّاه عثمانُ بنُ يَغمَرَاسِن من التّكرِمةِ والتّرحيبِ بما يُناسِبُ محلّه من قومه ومنزلَتَهُ من(أ) اصطِناع السُّلْطان. وأشار يُوسُفُ بنُ يعقُوبَ على أبيه باسْتِمالَته، فلَقِيَه في حَوْمة القِتال وحادَثه فاعْتَذر له بكرامة القوم إيّاه [لحَضّه](ب) على الوفاء لهم، ورجع إلى السُّلْطان فخبّره الخَبَرَ فلم يُنْكِرْ عليه، وأقام هو بتِلِمْسَان، وهلَكَ أبوه عليٌّ بالمغرب سنةَ سبع وسَبْعمائة. ولما هلَكَ عثمانُ بن يَغمَرَاسِن زادَه بنوه اصْطناعًا ومُداخَلةً، وخَلَطوه بأنْفُسِهم، وعقدوا له على العَساكِر لمُحارَبة أعدائهم، ووَلَّوْه الأعمالَ الجليلةَ والرُّتَب الرفيعةَ من [القِيادَة و](ج) الوزارةِ والحِجابةِ.

ولما هَلكَ/ السُّلْطَانُ أبو حَمُّو، وقام بأمره ابنُه أبو تَاشَفينَ، وكان هو [102أ]
الذي تَولّى له أخْذَ البَيْعة على النّاس، غَصَّ(د) بمكانه مولاهُ هِلالُ، فلمّا استبدَّ عليه وكان كثيرًا ما يُنافِسُ موسَى بنَ عليّ ويُناقِشُهُ، فَخَشِيَهُ على نَفْسه، وأجْمَع

(أ) ظ: مع اصطناع (ب) ظ: لحظه (ج) مستدرك في حاشية أ (د) ظ ص مصحفة إلى: عض.

على إجازة البَحْر للمُرابَطة [بالأندلس، فبادَره هِلالٌ وتَقَبَّض عليه وغَرّبَهُ إلى العُدْوة، ونَزلَ بغَرْناطَة][(أ)] وانتظم في الغُزاة المُجاهِدينَ، وأمسك عن جِرايةِ السُلْطان فلَمْ يَمُدَّ إليها يدًا أيّام مُقامهِ، وكانت من آثر ما جاء به، وتحدّث بها النّاس فأغْرَبوا، واتّقدت جوانحُ هلالٍ لها حسدًا[(ب)] وعداوةً. فأغْرى سلطانَه بخِطاب ابْنِ الأحْمر في استِقْدامه فأسْلَمه إليه، واستَعْمله السُلْطان في حُروبه وعلى قاصِيته، حتّى كان من نُهوضه بالعَساكِر إلى إفريقيّة للقاء مولانا السُلْطان أبي يَحْيى سنةَ سبعٍ وعشرين، وكانت الدَّبْرَةُ عليه، واسْتُلْحِمت زناتةُ ورجعَ في الفَلِّ، فأغْرَى هلالٌ السُلْطانَ، وألقَى في نفسه التُّهمةَ به، ونُمِيَ ذلك إليه، فلحِق بالعربِ الذَّواوِدَة وعُقِدَ مكانه على مُحاصرة بجَايَة ليَحْيى بن موسى صاحبِ شَلَف، ونزلَ هو على سَلْمانَ ويَحْيى ابنَيْ عليّ بن سِبَاع بن يحيى من أُمَراء الذّواودة المذكورينَ في أخْبارهم، فلَقَّوْه مَبَرّةً وتعظيمًا، وأقام بين أحيائهم مُدّة، ثم استقدَمَهُ السُلْطانُ ورَجّعه إلى محلّه من مَجْلسه، ثم تقبّض عليه لأشْهر وأشْخَصَه إلى الجزائر، فاعْتقلَه بها وضَيّقَ عليه مَحْبِسه ذهاباً مع أغْراض مُنافِسه هِلالٍ، حتّى إذا سَخِطَ هلالاً استدْعاه من مَحْبِسه أضيقَ ما كان، فانْطلق إليه، ولما تَقَبّض على هلالٍ قلّد موسى بنَ عليّ حِجابتَهُ، فلم يزلْ مقيماً لرسْمها إلى يوم اقتحَم السُلْطانُ أبُو الْحَسَن تِلِمْسَانَ، فهلك أبو تاشَفينَ وبَنوه في ساحَة قَصْرهم كما قُلْناهُ، وانقَضى أمرُهم، والبقاء لله.

[102 ب] وانتظم بَنوه بعد مَهْلَكه في جُملة / السُلْطان أبي الحسن، وكان كبيرَهم سعيدٌ قد خلَص من بين القَتْلَى في تلك المَلْحَمة بباب القَصْر بعد هدءٍ من اللّيل مُثْخنًا بالجِراح، وكانت حياتُه بعدها تُعَدُّ من الغرائب، ودخلَ في عَفْو

(أ) من أ ص   (ب) في ظ: حدا.

السُّلْطَان، إلى أن عادَت دولةُ بني عبد الواد، فكان له في سُوقها نفاقٌ حَسْبما نذكرُه. والله غالب على أمره.

وأما يَحيى بن موسى فأصلهُ من بني سَنُوس، إحدى بُطُون كُومية ولهم ولاءٌ في بني كُمّي بالاصْطناع والتَّربية، ولما فَصَلَ بنو كُمّيَ إلى المغرب قَعَدوا عنهم واتّصلوا ببني يَغمْرَاسِنَ فاصْطَنَعُوهم، ونشأ يَحيى بن موسى في خدمة عُثمانَ وبَنيه واصْطناعهم، ولمّا كان الحصارُ تولّى أبو حَمُّو مُهمّهُ [من][أ] التَّطوافِ باللّيل على الحرسِ بمقاعِدهم من الأسْوار، وقَسْم القُوتِ على المقاتِلة بالمقْدارِ، وضَبْط الأبواب والتقدّم في حَوْمَة القتالِ، وكان له أعوانٌ على ذلك من خُدّامه قد لزموا الكَوْنَ معه في البُكَرِ والآصَالِ، واللّيل والنّهار، وكان يَحْيى هذا منهم، فعرفوا له خِدْمَتهُ، وذهبوا إلى اصْطناعه، وكان من أول تَرْشيحِه تَرْديدُه إلى يوسفَ بنِ يعقُوبَ بمكانه من حِصَارِهم فيما يدور بينهم من المُضاربة، فكان يُجلّي في ذلك ويوفي من غرض مُرْسِلهِ. ولمّا خرجوا من الحِصار أوفوْا به على رُتَبِ الاصْطناع والتّنويه. ولمّا ملكَ[ب] أبو تاشُفينَ استَعْمله بشَلَف مستبدّاً بها، وأذن له في اتّخاذ الآلة. ثمّ [لما][ج] عُزل موسى ابنُ عليّ عن حَرْب الموحّدينَ وقاصِية الشرق، عَزَلَه به، وكانت المدِيّة وتَدلّس من عَمَله، فلما نازل السُّلْطَانُ أبُو الحَسَن تِلِمْسَانَ راسَلَه في الطّاعة والكَوْن معه، فتقبّله، وجَاْجأ به من مكان عمله، فقدِم عليه بمخيّمه على تِلِمْسَان فاختصّه بإقْباله ورَفع مجلِسَه من بِساطه، ولم يَزلْ عنده بتلك الحال إلى أن هلَك بعد افتتاح تِلِمْسَان. والله/ مصرّف الأقدار. [103 أ]

(أ) من أ و ص، في ظ: في (ب) في ص: هلك (ج) من أ ص، ظ: إلى .

وأما هلالٌ فأصْله من سَبْيِ النّصارى القَطَلونيّين، أهداه السُّلْطانُ ابن الأحمر إلى عثمان بن يَغْمَرَاسِن، وصار إلى السُّلْطان أبي حَمُّو فأعطاه ولَدَهُ أبا تَاشَفِينَ فيما أعطاه من موالي المَعْلوجي، ونشأ معه تِرْبًا، وكان مختصًا عنده بالمُداخَلة والدّالّة، وتَوَلّى كِبْرَ تلك[أ] الفَعْلةِ التي فعلوا بالسُّلْطانِ أبي حَمُّو، ولمّا وليَ بعده ابْنُه أبو تَاشَفِينَ ولاّهُ على حِجابَتِهِ، وكان مَهيبًا، فظًا، غليظًا، فقعَد مقعد الفَصْل ببابه وأرْهَب الناسَ بسَطْوِه، وزحزح المرشّحينَ عن رُتَب المماثلة إلى التعلّق بأهْدابه، فاسْتَوْلَى على الأمر، واستبدّ على السُّلْطان ثم حَذَر مَغَبّةَ المِلك وَسُوءَ العواقبِ، واستَأْذَنَ السُّلْطانَ في الحجّ، وركب إليه من هُنَيْنَ بعضَ السُّفُنِ اشتَراها بماله، وشَحنَها بالعديد والعُدّةِ، والأقواتِ، والمقاتِلةِ، وأقام كاتِبَهُ الحاجَ محمد بن حُوَيْتة[ب] بباب السُّلْطانِ على رسم النّيابة عنه، وأقْلع سنةَ أربع وعشرين فنزَل بالإسكندريّة، وصَحِبَ الحاجّ من مِصْرَ في جُملة الأمير عليهم، وَلقِيَ في طريقه سُلطانَ السّودانِ من مالي مَنْسَا مُوسَى واسْتَحكمت بينهما[ج] المَودّةُ.

ثم رجَع بعد قَضاء فَرْضه إلى تِلِمْسَان فلم يجد مكانَهُ من السُّلْطان مكانَهُ[د]. ولم يزل من بعد ذلك يتنكّر له وهو يُسايِسُه بالمُداراة والاسْتِخْذاء[هـ] إلى أن سَخِطَه فتقبّضَ عليه سنة تسعٍ وعشرين وأودعَهُ سِجْنه، فلم يزل معتقَلاً إلى أن هَلَكَ من وَجَع أصابَه قُبَيل فَتْح تِلِمْسَان ومَهْلِكِ السُّلْطانِ بأُوَيّام، فكان آيةً عجبًا في تقارُبِ مَهْلِكهما، واقْتِرَان سعادَتِهما ونُحوسِهما. وقد كان السُّلْطانُ أبُو الْحَسَن تتبّع الموالِيَ الذين شَهِدُوا مَقْتَل/ السُّلْطان أبي حَمُّو، [103 ب]
وأفلت هلالٌ هذا من عِقابه بموته، والله بالغٌ حكمه[و].

(أ) من أ و ص، ظ: ذلك (ب) كذا ضبطت حركات الاسم في أ (ج) من أ وفي ص ظ: فيهم (د) كذا في الأصول، ولعلها مكررة (هـ) كذا في أ محققة، ومهملة في ظ ص. والاستخذاء هو الخضوع (و) في أ بالغ أمره.

• الخبر عن انتِزاءِ [1] عُثمانَ بن جرّار عَلى مُلك تلمْسان بعد نَكْبَةِ السُلطانِ أبي الحسَن بالقَيْرَوانِ، وعوْدِ الملكِ بذلك لبني زَيّانَ

وكَانَ بَنُو جَرّارٍ هؤلاء من فصائل يَندوكَسَن[أ] بن طاعَ الله وهم بنو جرّار ابن يَعْلى بن يَندوكَسَن، وكان بنو محمد بن زكداز[ب] يَغُضُّونَ بهم من أوّل الأمر حتّى صار المُلكُ إليهم، واستبدُّوا به فجرّوا على جميع الفصائل من عشائرِهم ذيْلَ الاحْتِقار، ونشأ عثمانُ بنُ يَحيى بن محمد بن جرّار هذا من بينهم مَزموقًا بعين التَجلّة والرئاسة، وسُعيَ عند السُلْطان أبي تاشفينَ بأنّ في نَفسه تطاوُلاً للرّئاسة فاعْتقله مدّةً، وفرّ من مَحْبِسه فلحق بِمَلِكِ المغرب السُلْطانِ أبي سَعِيدٍ، فآثرَ محلّهُ وأكرم نُزُلَه واستقرّ بمثواه، فنسَك وزَهَدَ، واستأْذن السُلْطانَ عند تغلّبه على تِلِمْسَان في الحجّ بالنّاس فأذِن له. وكان قائدَ الرَّكْب من المغرب إلَى مَكّة سائرَ أيّامه، حتّى إذا اسْتَوْلَى السُلْطانُ أبُو الْحَسَنِ على أعْمال الموحدينَ، وحشَر أهلَ المغربِ من زَنَاتَةَ والعَرب لدُخول إفريقية، اندَرَج عثمانُ هذا في جُملته واستأذنه قُبيل القَيْروانِ في الرّجوع إلى المغْرب فأذِن له، ولَحِق بتِلِمْسَان فنزلَ على أميرها من ولَده، الأميرِ أبي عِنانٍ، كان قد عَقَد له على عَملها، ورَشّحه لولاية العَهْد بولايتها. فازْدلَف إليه بما بثّهُ [له][ج] من الخَبَرِ عن أحوال أبِيه، وتَلَطّف فيما أوْدع سَمْعَهُ من تورّط أبيه في مَهالك إفريقية، وأيْأسَهُ من خَلاصه، ووَعده بمصير الأمْر إليه على ألسِنة الحُزَى[2]

(أ) كذا ضبط في المشجّر وفي متن أ، وفي ظ ص: يندوكس (ب) كذا في أ، وجاءت الحروف مهملة في ظ ص (ج) من أ وسقطت من ظ ص.

---

(1) من نزو، بمعنى الوثوب والتسرّع إلى الشرّ.

(2) من حزا الطّيْرَ حَزْوًا: زجَرها. والحُزَى: جمع حازي وهو الّذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهّن.

[104 أ] / والكُهّانِ، وكان يَتَظَنَّنُ فيه أن لديه من ذلك عِلْمًا، وعلى تَفيئةِ ذلك كانت نكبةُ السُّلْطان أبي الحسنِ بالقَيْروان، وظهرَ مِصْداقُ ظَنّهِ وإصابةُ قياسه، فأغْراه بالتوثّب على مُلك أبيه بتِلِمْسَان، والبدارِ(أ) إلى فاس لغلَب مَنصور ابن أخيه أبي مالكٍ عليها، كان استعمله جدّه أبُو الْحَسَن هنالك، وأراه آيةَ سُلطانهِ وشَوَاهِدَ مُلكه، وتحيّل في إشاعة مَهْلِك السُّلْطان أبي الحسن، وإلقائه على الألْسِنة حتّى أوْهَمَ صِدْقَهُ، وتصدّى الأميرُ أبو عنانٍ للأمْر، وتسايَل إليه الفَلُّ من عساكرِ بَني مَرِينَ، فاسْتَلْحق وبثّ العَطاء وأعلنَ بالدّعاء لنفسه في ربيع سنة تسعٍ وأربعين، وعَسْكرَ خارجَ تِلِمْسانَ للنّهوضِ إلى المغربِ، ثمّ استَعْملَ عثمانَ بن جرّارٍ على تِلِمْسانَ وعَمَلِها وارتحل إلى المغرب كما نذكره في أخْبارهم.

ولما فصل دعَا عثمانُ لنفسه وانْتَزى على كرسيّه واتّخذ الألةَ، وأعاد من مُلْك بني عبد الواد رَسْمًا لم يكن لآل جرّار، واستبدَّ أشهرًا قَلائلَ إلى أن خلَص إليه من آل زيّانَ من ولد عبد الرحمن بن يَحيى بن يَغمَرَاسِن من طَمَس معالِمَهُ، وخَسَفَ به وبدَارِه، وأعاد أمْرَ بني عبد الوادِ إلى نِصابه حَسْبما نذكره.

● الخبَرُ عن دَوْلة أبي سعيدٍ وأبي ثابت [ابني عبد الرحمن بنِ يَحيى بن يَغمْرَاسِن](ب)، وما كان فيها من الأحْداثِ

كان الأميرُ يحيى جدُّهما من أكبر وَلَد يَغْمَرَاسِن بن زيّانَ، وكان وليَّ عهده بعد مَهْلِك أخيه [أبي حَفْص](ج) عُمَرَ الأكبر. ولما تغلّب يَغْمَرَاسِن على سجِلْماسةَ سنة إحدى وستّين وستّمائة، استعمله عليها فأقام بها أحوالاً، ووَلَدَ

(أ) من أ ص، ظ: البنار (ب) إضافة من أ، في ظ ص: وأبي ثابت من آل يغمراسن (ج) من أ .

له هنالك ابنُه عبدُ الرّحمن، ثم رَجع إلى تِلِمْسَان فهلَك بها. ونشأ / عبدُ الرّحمن بسِجِلْماسَةَ، [104 ب]

ولَحِق بتِلِمْسانَ بعد أُمّه، فأقام مع بَني أبيه إلى أن غصّ السُلْطَان بمكانه وغرّبه إلى الأندلس، فمكث بها حينًا وهَلَك في مُرابَطته بثَغر فَرَنْتُوتَة[أ] في بعض أيّام الجهاد، وكان له بَنُونَ أربعةٌ: يوسفُ، وعثمانُ، والزعيمُ، وإبراهيمُ، فرجعوا إلى تِلِمْسَان وأَوْطنوها أعوامًا. حتّى إذا استولى السُلْطَانُ أبُو الحَسَن على مُلكهم، وأضاف إلى دولته دولتَهم، نقلَهم من تِلِمْسانَ إلى المغربِ في جُملة أغياصهم، ثمّ سألوا إذْنه في المُرَابطة بثُغور الأندلس التي في عمله فأذِن لهم، وفرضَ لهم العطاءَ وأنزَلهم بالجزيرة، فكانت لهم بالجِهاد مواقفُ مذكورةٌ، ومواطنُ معروفةٌ. ولما استَنْفرَ السُلْطَان أبُو الْحَسَن زَناتَةَ لغَزْو إفريقيّة سنة ثمانٍ وأربعينَ، كانوا في جُمْلته مع قَوْمهم بني عبد الواد وفي رَايَتِهم، ومكانُهم معلومٌ بينهم. فلمّا اضطرب أمرُ السُلْطَانِ أبي الحسن، وتألّب عليه الكُعُوبُ من بَني سُليمٍ أعرابُ إفريقية ووَاضَعوه الحربَ بالقَيْرَوان، كان بَنو عبد الوادِ أوّلَ النّازِعينَ عنه إليهم، فلمّا كانت النَّكْبةُ وانْحَجَر بالقَيْرَوانِ، وانطلقت أيدي الأعراب على الضّواحي، وانتفض المغربُ من سائر أعمالِهِ، أَذِنوا لبني عبد الوادِ في اللّحاق بقُطْرهم ومكان عملهم، فمرّوا بتونِسَ وأقاموا بها أيّامًا، وخَلَصَ الملأُ منهم نَجِيّاً في شَأْن أَمْرهم ومن يُقَدّمُون عليهم، فأَصْفَقوا بعد الشّورى على عثمانَ بن عبد الرّحمن، واجْتَمعوا عليه لعَهْدي بهم يومَئذٍ، وقد خَرجوا به إلى الصّحراء، وأجْلَسوه بباب مصَلَّى العيدين[ب] من تونِسَ على دَرَقَةٍ[ج] ثمّ ازْدَحَموا

(أ) كذا ضُبطت في أ، وجاءت حروفها مهملة في ظ ص (ب) ص أ: مصلى العيد (ج) كذا في أ، والقاف مهملة في ظ، وفي ص درفة

عليه بحيث توارى شخصُهُ عن النّاس يُسلّمون عليه بالإمارةِ، ويُعطونه الصّفقةَ علىَ الطّاعةِ والبيعةِ حتّى استكملوا جميعًا، ثم انطلقوا به إلى رجالهم.

[105 أ] / واجتمع مَغرَاوَةُ أيضًا إلى أميرهم عليّ بن راشدِ بن محمد بن ثابتِ بنِ مَنديلَ الذي ذكرناه من قبلُ، وتعاهدوا على الصِّحابَة إلى أعمالهم والمهادنةِ آخرَ الأيّام، واستِئثار كلٍّ بسُلطانِهِ وتُراثِ سَلَفه، وارتحلوا على تفيئةِ ذلك جميعا إلى المغرب، وشنّت البوادي عليهمُ الغاراتِ في كلّ وجهٍ فلم يَظفَرُوا منهم بقُلاَمَةِ الظُّفر، مثل ونَيفن، وتوبةَ، وأهل جَبل بني ثابِت، ولما مرّوا بِبجَايَة، وكان بها فَلٌّ من مَغرَاوَة وتوجّينَ، نزلوا بها منذ غُلبوا على أعمالهم، وصاروا في جند السُّلطَانِ فارتحلوا معهم، واعترضَتْهم بجبل الزّانِ برابِرةُ زواوةَ، فأوقعوا بهم، وظهر من نَجْدتهم وبلائهم في الحروب ما هو مَعروف لأوّليهم، ثم لحقوا بشَلَف[أ] فتلَقَّتهم قَبَائلُ مَغرَاوَةَ، وبايَعوا لسُلطانهم عليّ بن راشِدٍ، فاستَوْسق مُلكُهُ، وانصرف بنو عبد الوادِ والأميران أبو سعيدٍ وأبو ثابتٍ بعد أن أحْكَمُوا العهدَ وأبرموا الوثائق مع عليّ بن راشدٍ وقَوْمِه، وكان في طريقهم بالبطحاء أحياءُ سُويدٍ ومن مَعهم من أحلافهم قد نزلوا هنالك مع شيخهم وَنْزمَار بن عَريف مُنْهَزَمَهم من تاسَالَة أمامَ جُيوشِ السُّلْطَان أبي عِنانٍ، فأجْفَلُوا من هُنالك، ونزلَ بنو عبد الواد مكانَهم، وكان في جملتهم جماعةٌ من بني جَرّار بن يَندوكَسَن، كبيرُهم عمرانُ بن موسى، ففرّ إلى ابن عمه عثمانَ بن يحيى بن جَرّار بتِلِمْسَان، فعقَد له على حرب أبي سعيد وأصْحابه، فنَزع الجندُ الذين خَرجوا معه إلى السُّلطَان أبي سعيدٍ، وانقلَب هو

(أ) الكلمة مصحفة في جميع النسخ بسلف.

إلى تِلِمْسان، والقومُ في إثره، فأُدْرِكَ بطريقه وقُتل، ومرّ السُّلْطان إلى البلَد فثارت العامّة بعُثمانَ بنِ جَرّار فاستأمن لنفْسه من السُّلْطان فأمّنهُ، ودخل إلى قَصْره / آخرَ جُمادى الآخرة من سنة تسعٍ وأربعين، فاقتعد أريكَتَهُ، وأصدر [105 ب] أوامرَه، واستوْزرَ، واستكْتَبَ، وعقَد لأخيه أبي ثابتٍ الزّعيم على ما وَراءَ بابه من شؤون ملكها، وعلى القَبيل والحُروب، واقتُصر هو على ألقاب المُلْك وأسمائه، ولَزِم الدّعَةَ. وتقبّض لأوّل دُخوله على عثمانَ بن يحيى ابن جَرّار فأودعه الطِّبَقَ[1] إلى أن مات في رمضانَ من سنَته، ويقال قتيلاً.

وكان من أول غزوات السُّلْطان أبي ثابتٍ غَزاتُه إلى كُوميةَ، وذلك أنّ كبيرَهُم إبراهيمُ بن عبد الملك كان شَيْخاً عليهم منذ حين من الدّهر، وكان ينتَسِبُ في بني عابدٍ وهم قومُ عبد المؤمن بن عليّ من بُطون كُوميةَ، فلمّا وقَع هذا الهَرَجُ بتِلِمْسانَ حُسِب أنّه لا تَنجلي غيايَتُه[أ]، وحَدّثته نفسُه بالانتزاء فدَعا لنفسه، وأضرَمَ بلادَ كوميةَ وما إليها من السّواحل نارًا وفِتْنةً، فجمعَ له السُّلْطان أبو ثابت، ونهض إلى كومية فاستَباحهم[ب] قَتْلاً وسَبْيًا، واقتحم هُنَيْنَ ثم نَدْرومةَ بعدَها، وتقبّض على إبراهيم بن عبد الملك الخارج فجاء به مُعتقَلاً إلى تِلِمْسَان وأودَعَه السّجنَ، فلم يزلْ به إلى أن قُتل بعد أشهر، وكانت أمصارُ المغرب الأوسط وثغورُه لم تزل على طاعة السُّلْطان أبي الحسن، والقيامِ بدَعْوته، وبها عُمّاله وحاميتَهُ، وأقربُها إلى تِلِمْسانَ مدينةُ وهرانَ كان بها القائدُ عبُّو بن سعيد ابن أجّانا من صنائع بَنِي مَرينَ قد ضَبطها، وثَقَّفها، وملأها أقواتاً ورَجْلاً وسِلاحاً، وملأ مَرْساها أساطيلَ، فكان أوّلَ ما قدّموه من أعْمالهم النهوضُ إليه.

(أ) في ص: غيابته. جمع غيايات: كلّ ما يظلّ الإنسان من سحاب وغيره (ب) ظ: استبادهم.

(1) الطِّبَقُ والمطْبقُ: السجن تحت الأرض.

فنهضَ السُّلْطَانُ أبو ثابتٍ بعد أن جمع قبائلَ زَناتةَ والعَرب، ونزلَ على وَهْرانَ وحاصَرهَا أيامًا، وكان في قُلوب بني راشدٍ أحلافِهم مَرَضٌ، فداخَلوا قائدَ البلَد في/ الانفضاض عن السُّلْطَان أبي ثابتٍ ووَعَدوه الوفاءَ بذلك عند المُناجَزة، [106أ] فبَرَزَ وناجَزهم الحرب، فانهزم بنو راشدٍ وجرّوا الهزيمةَ على من مَعهم. وقُتلَ مُحَمَّدُ ابن يُوسُفَ بن عنان بن فارس أخي يَغمُرَاسِن بن زيّانَ من أكابر القَرابة، وانتُهِبَ المعسكرُ، ونجا السُّلْطَان أبو ثابتٍ إلى تلمسانَ إلى أن كان ما نذكره.

• الخَبَرُ عن لِقاءَةِ أبي ثابتٍ مع النّاصر بن السُّلْطان أبي الحسنِ، وفَتحِ وَهْرانَ بَعْدها

كان السُّلْطَانُ أبُو الْحَسَن بعد واقعةِ القَيْروانِ قد لَحِقَ بتونِس، فأقام بها والعربُ مُحاصِرون لهُ، ينصّبُون الأعياصَ من الموحّدينَ لطلب تونِس واحدًا بعد آخر كما ذكرناه في أخبارهم. وَبيْنما [هو][1] يُؤمّل الكَرّةَ ووصولَ المَدَد من المغرب الأقصى، إذ بلَغه الخَبَرُ بانتثارِ السِّلْك أجمعَ، وبانتقاض ابنه وحافِده، ثم استيلاءِ أبي عنانٍ على المغرب كلِّهِ، ورُجوعِ بني عبد الوادِ ومَغْرَاوَةَ وتوجّينَ إلى مُلكهم بالمغرب الأوْسط. ووَفَد عليه يَعقُوبُ بنُ عليّ أميرُ الذّواوِدَة، فاتفق مع عَريفِ بن يَحيى أميرِ سُوَيْد وكبيرِ مَجْلس السُّلْطَان، على أن يُغْرياه ببعث ابنه النّاصر إلى المغرب الأوْسط للدّعوة التي كانت قائمةً له بأمصارِه في الجزائرِ ووهرانَ وجَبل وانْشَرِيسَ، وكان به نصرُ بنُ عمرَ بنِ عثمانَ بنِ عَطيّةَ قائمًا بدعوته، وأنْ يكونَ عريفُ بنُ يحيى في جُملة النّاصر لمكانه من السُّلْطَان،

(1) من أ ص، وفي ظ: هم .

ومكان قَوْمه من الوِلاية، وكان ذلك من عَريف تفادياً من المُقام بتونِس، فأجاب إليها السُلْطَانُ، وبعثَهم جميعاً. ولحق النّاصر ببلاد حُصَيْن فأعْطَوْهُ / الطّاعةَ، [106 ب] وأرتحلوا معه، ولقيه العَطّاف والدّيالمُ وسُوَيْدٌ فاجتمَعُوا إليه وتألّبوا معه، وارتحلوا يُريدون مَنْدَاسَ.

وبَيْنما الأميرُ أبو ثابتٍ يرومُ مُعاوَدةَ الغَزْو إلى وَهْرانَ، إذ فاجأه الخَبَرُ بذلك فطيّرَ به إلى السُلْطان أبي عنانٍ، وجاءه العسكرُ من بَني مَرينَ مددًا صُحْبَةَ أبي زيّانَ ابن أخيه أبي سعيدٍ، كان مستقرًا بالمغرب منذ نُهوضِهم إلى القَيْروانِ، وبعثَ عنه أبوه لجاء مع المَدَدِ من العَسَاكِرِ والمال، ونهض أبو ثابتٍ من تِلِمْسانَ أوّلَ المحرّم سنة خمسين،وبعث إلى مَغْرَاوَة بالخَبر فقَعَدوا عن مُناصَرته. ولحِقَ ببلاد العَطّاف فلقِيَهُ الناصرُ هنالك في جُموعه بوادي وَزْلِكٍ(ا) آخرَ شهر ربيع الأول، فانكشفَت جموعُ العَرب وانهزَموا، ولحق النّاصرُ بالزّاب فنزَل على ابن مُزْني ببِسْكَرَةَ إلى أن أصْحَبهُ من رجالاتِ سُلَيم من أوْصلَه إلى أبيه بتونِسَ.

ولحق عريفُ بن يحيى بالمغرب الأقصى، واختلّ عند السُلْطان أبي عنانٍ بمكانه من مَجْلِسهم، فحصلَ على البُغْيةِ، ورجع العربُ(ب) كلُّهم إلى طاعة أبي ثابتٍ وخدمته، واستَرَاب بصُقير بن عامر بن إبراهيم، فتقَبّض عليه وأشْخَصه معتقَلاً مع البريد إلى تِلِمْسَان، فاعْتُقِل بها إلى أن أُطْلِق بعد حينٍ. وقفلَ أبو ثابتٍ إلى تِلِمْسَان فتلَوّم بها أيّاما ثمّ نهَضَ إلى وَهْرانَ في جمادى من سَنَته، فحاصرها أيّاما ثم افتتحها عَنْوةً، وعفا عن عليّ بن أجّانا القائمِ بها بعد مَهْلكِ

(ا) كذا ضُبطت في أ   (ب) من أ، وفي ظ ص: العربا.

أخيه عبُو وعلى من معه، وأطلق سبِيلَهُم، واستولى على ضواحي وهرانَ وما إليها، ورجع إلى تلمسانَ وقد استحكمت العداوةُ بينه وبين مغراوةَ، وقد كان استجرّها ما قدّمناه من قُعودهم عن نَصْرِه، فنهض إليهم في شوّال من سَنَتِه، والتقَوْا عُدْوةَ وادي رَهِيوْ فاقْتتلوا مَلِيّاً، ثمّ /انكشفَتْ مَغْرَاوَةُ ولَحِقوا بمعاقِلِهِم، [107أ] واستَوْلى أبو ثابتٍ على مُعسكرهم، ومَلَكَ مَازُونَةَ، وبعث بِبَيْعتها إلى أخيه السُلْطَان أبي سعيدٍ، وكان على أثرِ ذلك وصولُ السُلْطَان أبي الحسنِ من تونِسَ كما نذكره.

• الخَبَرُ عن وُصُول السُلْطان أبي الحسنِ من تونس، ونُزوله بالجزائر، وما دارَ بَينه وبين أبي ثابتٍ من الحروب، ولحاقِه بعد الهزيمةِ بالمغرب

كان السُلْطَان أبُو الْحَسَن بعد واقعةِ القَيْروانِ قد طال مُقامُه بتونِس، وحصارُ العَرب إيّاهُ، واستَدْعاه أهلُ المغرب الأقصى على حين انتَقَض عليه أهلُ الجريدِ وبايَعوا للفَضْل بن مولانا السُلْطَان أبي يَحيى، فأَجْمع الرّحلةَ إلى المغرب، وركب السّفينَ من تونِسَ أيّامَ الفِطْر من سنة خمسين، فعصَفَت به الريحِ وأدرَكَهُ الغرقُ، فغَرِق أسطولُه على سَواحل بجايةَ، ونَجا بذَمائِه إلى بعض الجزُر هنالك حتّى لحِقه أسطولٌ من أساطيله فنَجا فيه إلى الجزائر، وبها حَمُّو ابن يحيى بن العَسْري قائدُهُ وصنيعَةُ أبيه، فنَزلَ عليه. وبادر إليه أهلُ ضاحيتها من مَليكش[أ] والثّعالبة، فاستَخْدمهم وبثّ فيهم العطاءَ، واتّصل خبَرُهُ بوَنْزْمار ابن عريف وهو في أحياء سُوَيْد، فوفَد عليه في مشيخةٍ من قومه، ووفد

(أ) من أ وص، في ط: ملكين.

معه نصر بن عمر بن عُثْمانَ صاحب جَبَل وَانْشريس من بني تيغرينَ، وعدِيُّ ابن يوسف بن زيّانَ بن محمّد بن عبد القويّ الثائرُ بنواحي المدِيّةِ من ولد عبد القوي، فأعطوه الطّاعةَ واستحثّوه للخروج معهم، فردّهم للحَشْدِ، فجمعوا من إليهم / من قَبائل العَرب وزَناتة، وبينما الأميرُ أبو ثابتٍ ببلاد مَغْرَاوَة محاصِرًا [107 ب] لهم في مَعاقِلهم، إذ بلغه الخَبَرُ بذلك في ربيع سنة إحدى وخمسين، فعقدَ السِّلْمَ معهم، ورجع إلى قتال هؤلاء، فأخذ على مَنْداس وخرج إلى السَّرَسُو قِبلةَ وانشَرِيس، وأجفل أمامه ونَزْمَارُ وجُمُوعُ العرب الذين معه، ولحِق به هنالك مددُ السُّلْطَان أبي عنانٍ قائدُهم يحيى بنُ رَحّو بن تاشفينَ بن معطى، فاتّبع أبو ثابتٍ آثارَ العرب وشرّدهم. ولحِقت أحياءُ حُصَيْن بمعقِلهم من جَبل تيطَري، ثمّ عطف على المدِيّة ففتحها، وعقَد عليها لعُثْمَانَ[أ] بن موسى الحبْلونيّ من صنائعهم، ثم نهض إلى حُصَيْنٍ فاقْتَحم عليهم الجبلَ، فلاذوا بالطّاعة وأعطَوْا أبناءَهُم رُهُناً عليها، فتجاوزَهم إلى وَطاءِ[1] حَمْزَة فدوّخها، واستَخْدم قبائلَها من العرب والبَرْبر، والسُّلْطَانُ أبُو الحَسَن أثناءَ ذلك مقيمٌ بالجزائرِ.

ثم قَفل أبو ثابتٍ إلى تلمسانَ، وقد كان استَرَاب بيَحْيى بن رَحّو وعسكره من بَني مَرينَ وأنّهم داخَلوا السُّلْطَانَ أبا الحسنِ، وبَعث فيه إلى السُّلْطَانِ أبي عنانٍ فأداله بعيسى بن سُلَيْمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقُوبَ في بَعْثه قائدًا على الحصّة المرينيّة، فتقبّض على يحيى بن رَحّو، ولحقوا مع أبي ثابتٍ بتِلِمْسانَ، ثم أجازوا إلى المغرب.

(أ) في ظ ص أ: عمران. ثم صحح الاسم في أ: عثمان وهو المتكرر في مواقع شتى من هذا الجزء.

(1) وَطَاةٌ كسحاب: ما انخفض من الأرض بين النَّشاز والإشراف.

وأغزا السُلْطَانُ أبُو الحَسَن بعد مُنصَرفهم ابنَه النّاصرَ مع أوليائه من زَناتَة والعربِ، فاستَوْلوا على المدِيَة وقُتلَ عُثمانُ بن موسى الجبَلُوني، ثم تقدَّم إلى مِلْيانَة فمَلكهَا، وإلى تيمزوغْت كذلك. وجاء على إثره السُلْطَانُ أبُو الحَسَن أبوه، وقد اجْتمعت إليه الجمُوعُ من زُغبةَ، وزَناتةَ وعربِ إفريقيَةَ: سُلَيم، ورِيَاح؛ مثل محمد بن طالب بن مُهَلْهل، ورجالٍ من عَشيرهِ، وعمرَ بنِ عليّ [108أ] ابن أحمد الدّوّادي / وأخيه أبي دينار، ورجالاتٍ من قومهما، وزَحف على هذه التّعبِئة، وابنُهُ الناصرُ أمامَه، فأجفلَ عليُّ بنُ راشـدٍ وقومُه مَغرَاوَةُ عن بلادهم إلى البَطْحاء، وطيّرَ الخبرَ إلى أبي ثابتٍ، فوافاهُ في قَومه، وحُشوده وزحفا جميعًا إلى السُلْطَان أبي الحسنِ، فالتقَى الجمعان بتيغَرِين(أ) من شَلَف وصابَروا مليّاً، وانكشفَ السُلْطَانُ أبُو الْحَسَن وقومُه، وطَعنَ وَلَدَهُ النّاصرَ بعضُ فرسان مَغْرَاوَة فأثْبته، وهلَكَ آخر يومه، وقُتل محَّمد بن عليّ بن العَزَفيّ قائدُ أساطيله، وابنُ البوّاقِ والقبايلي كاتِباه، واستُبيحَ مُعسكَرُه وما فيه من مَتاعٍ وحُرَمٍ، وخَلَصَ بناتُه إلى وانْشَريسَ، وبَعثَ بهنّ أبو ثابتٍ إلى السُلْطَان أبي عنانٍ بعد اسْتيلائه على الجبل، وخَلَصَ السُلْطَانُ أبُو الحَسَنِ إلى أحْياء سُوَيْدٍ بالصّحراء فنجا به وَنْزَمَارُ ابن عَريف إلى سجلْماسَةَ [كما نذكر](ب) في أخْباره، ودَوّخ أبو ثابتٍ بلادَ بني تُوجّينَ وقَفل إلى تِلِمْسَانَ.

(أ) من أ ص: تيغمرين. ظ: تيغمر (ب) من أ، والفراغ في ظ. وسقط من ص.

• الخبرُ عن حُروبِهم مع مَغراوة، واستيلاءِ أبي ثابتٍ على بلادهم ثمّ على الجزائرِ، ومقتلِ عليّ بنِ راشدٍ بتَنَسَ على إثر ذلك

كان بين هذين الحيَّيْن من عبد الواد ومَغْرَاوَة فِتَنٌ قديمةٌ سائرَ أيّامهم، قد ذكرنا الكثيرَ منها في أخبارهم، وكان بنو عبد الواد قد غلبوهم على أوطانهم حتّى قُتِل راشدُ بنُ محمّد في جَلائه أمامَهم بين زواوَةَ. ولمّا اجتمعوا بعد نَكْبة القَيْروانِ على أميرهم عليّ بن راشدٍ، وجاؤوا(أ) من إفريقيّة إلى أوطانهم من بَني عبد الواد لم يُطيقوهم / حينئذٍ أن يغلِبوهم، فرجعوا إلى تَوْثيق العَقْدِ [108 ب] وتأكيد العَهْد، فأبرمُوه وأقاموا على المُوادَعةِ والتّظاهُرِ على عدوّهم، وعُرُوقُ الفِتْنةِ تَنْبُضُ في كلٍّ منهم. ولما جاء النّاصر من إفريقيّةَ وزَحَف إليه أبو ثابتٍ، قَعدَ عنه عليُّ بنُ راشدٍ وقومُه، فاعتدَّها عليهم وأسرّها في نَفْسه، ثم اجتمعوا بعد ذلك للقاء السُّلْطان أبي الحَسن حتّى انهزَم ومضَى إلى المغرب. فلمّا رأى أبو ثابتٍ أنّه قد كَفَى عَدُوَّهُ الأكبرَ، وفرغَ لعدُوّهِ الأصغرِ، نظر في الانتقاض عليهم، فبينما هو يَرومُ أسبابَ ذلك إذْ بلَغه الخَبَرُ بأنّ بعضَ رجالات بني كَمّي مرّ بمَغْراوَةَ جائياً إلى تِلِمْسانَ فاغْتالوه، فَحَمِيَ لها أنْفُهُ وأجمعَ لحَرْبهم، وخرج من تِلِمْسانَ فاتِحَةَ اثنتَيْن وخمسين وبَعث في أحْياء زُغْبَةَ من بني عامرٍ وسُوَيْدٍ، [فجاؤوه](ب) بفارِسِهم ورَاجِلهم وظعائِنِهم، وزحفَ إلى مَغْرَاوَة فَخامُوا عن لِقائه، وتحَصّنوا بالجبَل المطلّ على تَنَس، فحاصَرَهم فيه أيّامًا اتّصلت فيها الحروب وتَعدّدت الوقائعُ، ثمّ ارتَحلَ عنهم فجالَ في نَواحي البلَد ودَوّخ أقْطارَها،

(أ) من أ ص. في ظ: وحارا (ب) في ظ: فحاره.

وأطاعَته مِلْيانةُ، والمدِيّةُ، ونَرشَكَ، وشَرْشالَ، ثم تقدّم بجُموعه إلى الجزائرِ فأحاطَ بها وفيها فَلٌّ بَني مَرينَ وعبدُ الله بن السُّلْطان أبي الحَسن، تركه هنالك صَغيرًا في كَفالة عليّ بن سَعيد بن أجانا، فغلَبهم على البَلد وأشْخَصَهُم في البَحْر إلى المَغرب، وأطاعَته الثّعالبةُ ومَلِكيش وقبائلُ حُصَيْن، وعقدَ على الجزائر لسعيد بن موسى بن عليّ الكُرْدِي، ورجعَ إلى مَغْرَاوَة لحاصرَهم بمعقلهم الأوّلِ بَعْد أن انصرفتِ العربُ إلى مَشاتِيها. فاشتَدّ الحصار على مَغْرَاوَةَ، وأصابَ مواشيَهم العطشُ فانحطّت دُفْعَةً واحدةً من أعلى الجبل تَطلُب المَوْرِدَ، فأصابَهم الدَّهَشُ / [109أ] ونَجا ساعتَئِذٍ عليُّ بن راشدٍ إلى تَنَس، فأحاط به أبو ثابتٍ أيامًا ثم اقْتَحمها عليه غِلاباً منتصفَ شعبان من سنَتِه، فاستَعْجَلَ المنيّةَ، وتحاملَ على سيْفه فذَبَح نفْسَه، وافترقت مغراوةُ من بَعْده وصارت أوْزاعاً إلى القبائل، وقَفل أبو ثابتٍ إلى تِلِمْسَانَ إلى أن كان من حَركة السُّلْطان أبي عنانٍ ما نذكره.

• الخَبرُ عنْ اسْتِيلاءِ السُّلْطانِ أبي عنان على تلمْسانَ، وانقراضِ أمرِ بني عَبْد الوادِ ثانية

لما لَحِق السُّلْطانُ أبُو الحَسَن بالمغرب، وكان من شَأْنه مع ابنه أبي عنانٍ إلى أن هلَكَ بجبل هنتَاتةَ، ما نذكُره في أخْبارهم. فاسْتَوْسَق مُلْكُ المغرب للسلطان أبي عنانٍ وفرغ لعَدُوّه، وسَمَا لاستِرْجاع المَمالكِ التي ابْتَزّها أبوه وانتزاعِها مّمن توَثّب عليها. وكان قد بعثَ إليه عليُّ بن راشدٍ من مكانِ امْتِناعه بجبلِ تَنَس يسأل منه الشّفاعَةَ، فردّ أبو ثابتٍ شفاعَتَه، وأحْفَظه ذلك، وبلَغه مقتلُ عليّ بنِ راشدٍ فأجمع غَزْوَ تِلِمْسَان، ونذَرَ بذلك أبو سَعيدٍ

وأخوه، فخرج أبو ثابتٍ لحشد القبائل من زَناتةَ والعربِ مُنتصفَ ذي القِعْدة ونزلَ بوادي شَلَف، واجتمع النّاسُ إليه، ووصلتْه هنالِك بَيْعةُ تَدَلُّس في ربيعٍ من سَنَة ثلاثٍ غلَبَ عليها الموحّدينَ جابرُ الخُراسانيّ من صَنائِعهم، وبلغه بمكانِه ذلك زَحْفُ السُّلْطان أبي عنانٍ فرجع إلى تِلِمْسانَ.

ثم خَرج إلى المغرب وجاء على إثره أخوه السُّلْطانُ أبو سعيدٍ في العَساكِر من زَناتَةَ، ومعه بنو عامر من زُغْبَةَ والفَلُّ من سُوَيْدٍ، إذ كان جمهورُهم / قد لحقوا بالمغرب لمكان عريف بن يَحيى وابنِهِ مِن ولاية بَني مَرِينَ، فزَحفوا [109 ب] على هذه التّعبئة، وزحف السُّلْطانُ أبو عنانٍ في أُمَم المغرب من زَناتةَ والعرب المَعْقِلِ والمَصامِدةِ وسائِر طبقاتِ الجُنودِ والحشْدِ، وانتهَوْا جميعاً إلى انكادَ من بَسيط وَجْدةَ، فكان اللّقاء هنالك آخرَ رَبيع الثاني من سنة ثلاثٍ وخمسين، وأجمع بنو عبد الوادِ على صدْمَة المعسكرِ وَقْتَ القائلَةِ، وبعد ضَرْب الأبنيةِ وسِقَاءِ الرِّكابِ وافتراقِ أهلِ المعسكرِ في حاجاتهم، فأعْجلوهم عن تَرْتيب(أ) المصافّ، وركب السُّلْطان أبو عنان ليُلافِيَ(ب) الأمرَ، فاجْتَمَعَ إليه أوشابٌ من النّاس وانفضّ(ج) سائرُ المعسكر، ثم زَحفَ إليهم فيمن حضَره وصدَقوهم القتالَ فاختلّ مصافّهم ومَنَحوا أكتافَهم، وخاضوا بَحْر الظّلْماءِ، واتّبع بنو مرينَ آثارَهم، وتُقُبِّض على أبي سعيد ليلتئذٍ فقِيدَ أسيرًا إلى السُّلْطان أبي عنانٍ، فأشْخَصوه بمشهد الملأ ووَبَّخَهُ، ثم تُلَّ(1) إلى مَحْبسه، وقُتلَ لتاسعةٍ من ليالي اعْتقاله، وارتحل السُّلْطان أبو عنانَ إلى تِلِمْسانَ.

(أ) ظ ص: ترتب (ب) أ: لتلافي (ج) ص: انتقض.

---

(1) تلّ الشيء: دَفعه وألقاه.

ونَجا الزعيم أبو ثابتٍ بمن معه من فَلّ عبد الوادِ، ومن خَلَصَ إليهِ منهم، ذاهباً إلى بجَايَةَ ليجدَ في إيَالَةِ الموحّدينَ وليجةً[1] من عدوّه، [فلمّا وصَلَ إلى وادي شَلَف وَسَط بلاد مَغراوَة عَسْكر هنالك، واجتمع إليه أوْشابٌ من زَناتَة، محدّثته نفسُه باللقاء ووَعَدها بالصَّبْر والثّبات. وسرّح السّلطانُ وزيرَه فارسَ بن وَدْرار في عساكر بني مَرينَ والجنْدُ في اتّباعِه. فارتحل من تِلِمْسانَ وأغذّ السيْرَ فلَحِقهم في مُعَسْكرهم بوادي شلَف، فتقارع الفريقان بالوادي ساعةً ثم صدَقَ بنو مرينَ الحملةَ، فأخْرجوهم عن الوادي فهَزَموهم واستَبَاحو مُعَسْكَرَهم واستَاقوا أمْوالَهم وحُرَمَهم وارتحلوا في اتّباعِهم. وكتب الوزيرُ بالفَتْح إلى السّلطان. ومَرَّ أبو ثابت بالجزائر طارقًا، وأجاز إلى قاصية الشرْق][أ] فَبَيَّتَتْهُ زَوَاوَةُ في طريقِه وابذَعَرَّ صِحابُه، وأُرْجِلَ عن فرسِه، وذهب راجلاً عارياً، ومعه رُفقاءُ من قَوْمه، منهم أبو زيّانَ محمد بن أخيه السُلْطَان أبي سعيد، وأبو حَمُّو موسى بن أخيهم يوسف، وَوزيرُهم يحيى بن داوُد بن مكّنَ، وكان السُلْطَان أبو عنان أوْعزَ إلى صاحب بجَايَة يومئذٍ المولى أبي عبد الله حافدِ مولانا السُلْطَان أبي بكر بأن يأخذَ عليهم الطّرقَ ويُذكي في طلبهم العُيونَ، فعثَر عليهم بساحة البلَد، وتُقُبِّض على الأمير أبي ثابتٍ / الزّعيم وابن أخيه محمد بن أبي سعيدٍ، ووزيرِهم يَحيى بن داود، وأُدْخِلوا [110 أ] إلى بجَايَة. ثمّ خرج صاحبُها الأميرُ عبدُ الله إلى لقاء السُلْطَان أبي عنانٍ، واقتادَهم في قَبْضَةِ أسْره، فلَقِيه بمعسكره من ظاهر المدِيّة، فأكْرم وِفادَتَهُ

(أ) زيادة تفردت بها حاشية أ بخط ابن خلدون

(1) الوليجة: بطانة المرء وخاصّته من غير أهله.

وشكَر صنيعَهُ وانكفأ راجعاً إلى تِلِمْسَان، فدخلها في يوم مَشْهود، وحُمِلَ يَومئذٍ أبو ثابتٍ ووزيرُهُ يحيى على جملين يتهادَيان بهما بين سِمَاطَيْ ذلك الحَفْل، فكان شأنُهما عَجَبًا، ثم سِيقًا ثاني يَوْمِهما إلى مَصْرَعِهما بصَحْراء البلَد، فقُتِلا قَعْصاً[أ] بالرّماح، وانقرض مُلْكُ آل زيّانَ وذهبَ ما أعَادَه لهُم بنُو عبدِ الرّحمن هؤلاء من الدّوْلة بتِلِمْسَانَ، إلى أن كانت لهم الكرَّةُ الثالثةُ على يَد أبي حَمُّو موسى بن يوسف بن عبد الرّحمن المتملّيْها إلى هذا العهدِ، على ما نَذكره ونَسْتَوفي من أخْباره إن شاء الله.

• الخَبَرُ عنِ دَوْلةَ السُّلطَان أبي حَمُّو الأخيرِ مُديلِ الدّولةِ بتلمْسانَ في الكرَّةِ الثالثةِ لقوْمِهِ، وشَرْحُ ما كان فيها من الأحْداث لهذا العهدِ

كان يوسُف بن عبد الرّحمن هذا في إيَالةِ أخيهِ السُّلطَانِ أبي سَعيد بتِلِمْسانَ هو ووَلَدُه أبو حَمُّو موسى، وكان مُتكاسِلاً عن مَراتب الظّهور، مُتَجافِياً عن التّهالُك في طَلب العزّ، جانِحاً إلى السّكون ومَذاهب أهْل الخير، حتّى إذا عَصفت بدَوْلتهم رياحُ بَني مَرِينَ، وتغلّب السُّلطَانُ أبو عِنانَ عليهم، وابتزّهم ماكان بيَدِهم من المُلْكِ، وخلَص ابنُهُ أبو حَمُّو موسى مع عمّه أبي ثابتٍ إلى الشّرق، وقَذفَتِ النّوىَ بيُوسُفَ مع أسْرى[ب] قومِهم إلى المَغرب فاسْتقرّ به، ولمّا تُقُبِّض / على أبي ثابتٍ بوَطنِ بجَايَة أُغْفِلَ أمرُ أبي حَمُّو من بيْنهم، [110 ب] ونَبَتْ عنه العيونُ فنجا إلى تونِسَ، ونزلَ بها على الحاجب أبي محمد بن تافْراكِين فأكرم نُزُلَهُ، وأحلّه بمكان أغْياصِ الملوكِ من مجلِس سُلْطانه، ووفرّ

(أ) في ص : قفصا (ب) ص: أشرى .

جِرَايَتَهُ، ونَظَم معه آخرين من فَلّ قَوْمِه، وأَوْعز السُّلْطانُ أبو عنانٍ إليه بإزْعاجهم عن قرارهم في دَوْلته، فَحَمِيَ لها أَنْفُهُ، وأبى عن الهَضِيمَةِ[1] لسُلطانه، فأغْرَى ذلك أبا عنانٍ بمطالبته، وكانت حركتُه إلى بلاد إفريقية، ومُنَابذةُ العربِ من رِياحٍ وسُلَيمٍ لعَهْدِه، ونَقْضُهم لطاعته، كما نَسْتوفي في أخباره.

ولما كانت سنةُ تسعٍ وخمسين قُبَيْلَ مَهْلِكِه، اجتمع أمراءُ الدّواودة من رِياحٍ إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكين ورَغّبُوهُ في لَحاق أبي موسى بن يوسف بالعرب من [زُغبةَ][(أ)] ، وأنَّهم رِكابُهُ لذلك ليُجْلِبَ على نواحي تِلِمْسانَ، ويجعلَ للسّلطان أبي عنانٍ شُغْلاً عنهم، وسألوه أن يُجَهِّزَ عليه ببعض آلة السُّلْطان، ووافَق ذلك رَغْبةَ صُغَيِّر بن عامر أمير زُغْبَةَ في هذا الشّأن، وكان يومئذٍ في أحياء يعقوبَ بن عليّ وجِوارِهِ، فأصلَح المُوَحدونَ شأنَه بما قَدَروا عليه، ودَفَعوه إلى مُصاحبة صُغَيِّر وقومِه من بني عامرٍ، وارتحل مَعهم من الدّواودة [صولةُ بن يعقوبَ بن عليّ، وشِبْلُ بن مُلوك من وَلَد][(ب)] عثمانِ بن سِبَاعٍ، ومن أحلافهم بني سعيد دغّارُ بنُ عيسى بنِ رحابٍ وقَوْمُهُ، ونَهضوا بجُمُوعِهم يُريدون تِلِمْسَانَ، وأخذوا على القَفْر ولقيهم أثناءَ طريقهم الخَبَرُ عن مَهْلِكِ السُّلْطان أبي عنانٍ، فقوِيَتْ عَزائمُهم على ارتجاع مُلكهم، ورَجع عنهم صولَةُ بنُ يعقوبَ، وأغذّوا السّيرَ إلى تِلِمْسانَ وبها الكتائبُ المُجَمَّرةُ من بني مَرِينَ، واتّصلَ خَبرُ أبي حَمُّو بالوزير الحسنِ بن عُمَرَ القائم بالدّولة من بَعْد مَهْلِكِ

(أ) من أ، وفي ظ ص: بالمغرب من رعيته (ب) حاشية من أ بخط المؤلف .

---

(1) الهضيمة جمع هضائم: الظّلم والغصب.

[١١١] السُلْطان أبي عنانٍ، والمُتغلّب على ولَده السّعيد / الخليفةِ من بَعْده، لجهّز المَدَدَ إلى تِلِمْسانَ من الحامِية والأموال، ونَهض أولياءُ الدّولة من أولاد عَريف ابن يَحيى أمراءِ البَدْوِ من العرب في قومِهم من سُوَيْد ومن إليهم من العَرب لِمُدافعة السُلْطان أبي حَمُّو وأشياعِهِ، فانفضَّ جَمْعُهُم، وغُلِبُوا على تلك المواطنِ.

واحتلَّ السُلْطانُ أبو حَمُّو وجُمُوعُه بساحة تِلِمْسانَ وأناخوا ركَائِبَهُم عليها، ونزلوها ثلاثاً ثمّ اقتحموها في صَبيحة الرّابعة، وخرج ابنُ السُلْطان أبي عنانٍ الذي كان أميراً عليها في لُمّةٍ من قَوْمِهِ، فنزلَ على صُقير بنِ عامرٍ أميرِ القومِ، فأحْسنَ تَجِلَّتَهُ، وأصْحَبَهُ من عَشيرته إلى حَضْرة أبيه، ودَخل السُلْطانُ أبو حَمُّو تِلِمْسانَ يومَ الإربعاء لثمانٍ خَلَوْنَ من ربيع الأوّل سنةَ ستّين واحتلَّ منها بقَصْر مُلْكه، واقْتَعد أريكَتَهُ، وبُويع بَيْعةَ الخِلافة، ورجع إلى النّظر في تمهيد جَوانب مُلْكه وإخراج بَني مَرِينَ عن أمصار مملكته.

• الخَبَرُ عن إجْفالِ أبِي حَمُّو من تِلمْسانَ أمامَ عساكِرِ المغربِ، ثم عَوْدِه إليهَا

كان القائمُ بأمْر المغرب من بعد السُلْطان أبي عنانٍ وزيرُه الحسنُ بنِ عُمرَ كافلاً ابنَهُ السّعيد الذي أخذَ له البَيْعةَ على النّاسِ، فاستَبدَّ عليه وملك أمْرَهُ، وجرى على سِياسة السُلْطان الهالِك، واقْتفى أثَرهُ في الممالك الدّانية والقاصِيَة في الحماية والنّظر لهم وعليهم. ولمّا اتّصلَ به خبرُ تِلِمْسانَ وتَغَلُّبُ أبي حَمُّو عليها، قام في ركائبه وشاوَر الملأَ في النّهوض إليه، فأشاروا عليه بالقُعود وتَسْريح الجنود والعَساكِر، فسَرّح لها ابنَ عَمِّهِ مسعودَ بن رَحّو بن عليّ بن

عيسى بن مَاسَايْ من بني فُودُودَ، وحكّمه في اختيار الرّجال واستجادة [111 ب] السّلاح وبذلِ الأموالِ / واتّخاذ الآلة، فزحف إلى تِلِمْسَان، واتّصل الخَبَرُ بالسُّلْطَان أبي حَمُّو وأشياعِهِ من بني عامرٍ فافْرَجَ عنها ولَحِق بالصّحراء، ودخلَ الوزيرُ مسعودُ بن رَحّو تِلِمْسانَ، وخالَفَهُ السُّلْطَان أبو حَمُّو إلى المغرب فنَزَلَ ببسيط أنكادَ، وسرّح إليهم الوزيرُ مسعودُ بنُ رحّو ابنَ عمّهِ عَامرَ بنَ عبّو ابن ماسايَ في عسكرٍ من كتائبه ووجوهِ قومه، فأوقَع بهم العربُ وأبو حَمُّو ومَنْ معهم واستَباحوهم، وطار الخَبَرُ إلى تِلِمْسانَ، واختلَفت أهواءُ من كان بها من بَني مَرِينَ، وبَدَا ما كان في قلوبهم من المرض لتغَلُّب الحسن بن عُمَرَ على سُلْطَانهم ودَوْلتهم، فتحَيّزوا زَرَافات لمبايعةِ بعض الأغْياصِ من آل عبد الحقّ، وفطَن الوزيرُ مسعودُ بنُ رحُّو لما دبّروه - وكان في قلبه مرضٌ من ذلك - [فـ]ـبا غْتَتَمَها وبايعَ لمَنْصور بنِ سُليمان بن منصور ابن عبد الواحد بن يعقوبَ بن عبد الحقّ كبيرِ الأغْياص المنْفَردِ بالتّجلّة، وارتَحلَ به وبقَومه من بَني مَرينَ إلى المغربِ وتجافى عن تِلِمْسانَ وشَأْنها، واعترضَهم العَربُ المعْقِلُ في طريقهم إلى المغرب فأوقَع بهم بنو مَرينَ وصَمّموا لِطِيَّتِهم[1]، ورجع السُّلْطَان أبو حَمُّو إلى تِلِمْسَانَ، واستقرّ بحَضْرتِهِ ودارِ مُلْكه، ولحِقَ به عبدُ اللهِ بنُ مُسْلِمٍ فاستَوْزَرَه واستَنام إليه فاشْتدَّ به أَزْرُهُ، وغلَب على دولته، كما نذكره، إلى أن هلك.

(1) أي مضو على رأيهم غير مصغين إلى من يردعهم، والطِّيَّة: النية التي انتووها.

• الخبَرُ عن مَقْدَم عبدِ الله بنِ مُسْلِم من مكان عَمَلِه بدَرْعَة، ونُزُوعه من إيالةِ بني مَرِينَ إلى أبِي حَمُّو وتقليدِه إيّاهُ الوزارةَ، وذِكرُ أوليّتِه ومَصائرُ أمورِه

كان عبدُ الله بن مُسلمٍ هذا من وجوه بني زَرْدَالَ من بني نادينَ / إخوة بني عبد الواد وتوجّينَ ومصابَ، إلاّ أنّ بني زَرْدَال اندرجوا في بني عبد الواد لقِلّتهم واختلطوا بنَسبهم. ونشأ عبد الله بن مُسْلم في كَفالة موسى ابن عليّ لعهد السُلْطان أبي تَاشفينَ، مشهورًا بالبَسَالةِ والإقْدام، طار له بها ذكر، وَحَسُنَ بَلاؤه في حِصار تِلِمْسان. ولما تغلّبَ السُلْطانُ أبُو الحَسَنِ على بني عبد الواد وابتزّهم مُلْكَهُمْ، استَخْدَمهم، وكان يَنْتقي أُولي الشّجاعة والإقْدام منهم فيَرْمي بهم ثُغورَ المغرب، ولما اعْتَرضَ بَني عبد الواد وَمرّ به عبدُ الله هذا ذُكِرَ له شَأْنُهُ ونُعِتَ ببَأْسه، فبَعَثَه إلى دَرْعة، واستَوْصَى عاملَهَا به، فكان له عنه غَنَاءٌ، وفي مَواقفه مع خوارج العَرب بلاءٌ حسنٌ، جَذَبَ ذلك بِضَبْعِهِ[1] ورقّى عند السُلْطان مَنْزِلَتَهُ، وعرّفه على قَوْمه. [1112]

ولمّا كانت نكبةُ السُلْطانِ أبي الحسنِ بالقَيْروانِ ومَرِجَ[2] أمرُ المغربِ، وتوثّب أبو عنانٍ على الأمر وبويع بتِلِمْسانَ، واستَجْمع حافِدُه منصورُ بنُ أبي مالك عبدِ الواحد لمُدَافعته وحَشْدِ حاميةِ الثُغُور للقائه، وانفضّت جمُوعُه بتازَى، وخلَصَ إلى البلد الجديدِ ونَازَلَهُ، وكان عبد الله بن مُسْلم في جُمْلته. ولمّا نَازَلَهُ

(1) جذبه من يده وقادَهُ إلى حَيثُ يُريد، فاتبعه.

(2) مَرِجَ: اضطرب واختلط والتبَس المَخرجُ فيه.

السُلْطَانُ أبوعنانٍ واتّصلت الحرب بينهم أيّامًا، كان له فيها ذكر، ولمّا رأى أنّهم أُحيطَ بهم، سَبقَ النّاسَ إلى السُلْطَان أبي عنانٍ، فرعَى سابقَتَهُ وقلّده عملَ دَرْعَةَ، فاضطلع بها مُدّةَ خِلافَته، وتأكّدت له أيّامَ ولايتهِ مع عَربِ المَعْقل وُصْلَةٌ وعهدٌ ضَرَب بها في مُؤاخاتهم بسَهْم. وكان السُلْطَانُ أبو عنانٍ عند خُروج أخيه أبي الفَضْل عليه[أ]، [ورجوع الشَكْسِيري عن بَيْعته][ب]، ولَحِقَه بجبَل ابن حَميدي من مَعاقل دَرْعَة، أوْعَز إليه بأن يُعملَ الحيلةَ في القَبْضِ عليه، فداخَل ابن حَميدي ووَعدَهُ، وبَذَل له، فأجابَ وأسلَمه، وقادَه عبدُ الله بن مُسْلم أسيرًا إلى أخيه / [112 ب] السُلْطَان أبي عنانٍ فقَتلَه. ولمّا استَوْلى السُلْطَان أبو سالمٍ رفيقُ أبي الفَضْلِ في مَثْوى اغْترابِهما بالأندلس على بلاد المغرب من بعد مَهْلك السُلْطَان أبي عنانٍ، وما كان إثْرَه من الخُطوب، وذلك آخر سنة ستّين، خَشِيَهُ ابنُ مسلم على نَفْسه ففارَق وِلايتَه ومكانَ عمله، وداخلَ أولادَ حسَن[ج] أمراء المَعْقِل في النّجاة به إلى تِلِمْسانَ فأجابوه، ولحِق بالسُلْطَانِ أبي حَمُّو في ثروة من المالِ، وعصبيّةٍ من العشيرِ وأولياءَ من العَرب، فسُرَّ بمَقْدَمهِ، وقَلّدَهُ لحينه وِزارَتَهُ، وشدّ به أَوَاخي سُلطانه، وفوّض إليه تدبيرَ مُلكه، فاستقام أمْره وجَمع القلوبَ على طاعَته، وجَاْجَأَ بالمَعْقِل من مَواطنهم الغربيّة، فأقبلوا إليه، وعكَفوا على خِدْمته، وأقْطعَهم بمواطنِ تِلِمْسانَ، وآخَى بينهم وبين زُغْبَةَ فَعَلاَ كَعْبُهُ واستَفْحل أمْرُه، واستَقامت رئاسَتُه، إلى أن كان من أمْره ما نَذكره.

(أ) ظ: عليه له (ب) زيادة انفردت بها حاشية أ بخط المؤلف (ج) من ظ ص، في أ: حسين.

• الخبرُ عن استيلاءِ السُّلطان أبي سالمٍ على تلمسانَ، ورجوعِه إلى المغربِ بعد أن ولى عليها أبا زيّانَ حافِدَ السُّلطانِ أبي تاشفينَ، ومآلِ أمرِه

لما استوسق للسُّلطان[أ] أبي سالم مُلْكُ المغرب ومَحا أثر الخوارجِ على الدّولة، سَمَا إلى امتداد ظلّه إلى أقصى تُخُومِ زَناتَة كما كان لأبيه وأخيه، وحَرّكه إلى ذلك ما كان من فِرار عبد الله بن مُسْلم إلى تِلِمْسَان بجباية عَمَلِه، فأَجْمَعَ أمرَهُ على النّهوض إلى تِلِمْسَانَ، وعَسْكرَ بظاهرِ فاسَ منتصف إحدى وستّين، وبَعث في الحُشود فتوافتْ ببابه [واكْتملت][ب] ثم ارْتَحلَ إليها. وبلغ الخبرُ إلى السُّلْطَان أبي حَمُّو ووزيرِه عبدِ الله بن / مُسْلِم. فنادوْا في العَرب [113 أ] من زُغبةَ والـمَعْقِلِ كافّةً فأجابوهم، إلاّ شِرْذِمَة قليلة من الأجلافِ[1]. وخَرجوا بهم إلى الصّحراء ونازلَ حِلَلَهم بِعَسْكرِه. ولما دخل السُّلْطَانُ أبو سالم وبَنو مَرينَ تِلِمْسَان، خالفوهم إلى المغرب، فنازَلوا وطَاطَ وبلادَ مَلوِيّةَ[ج] وكـرسيفَ، وحطّموا زُروعها، وانتسَفوا أقواتَها، وخرّبوا عُمرانها، وبلغَ السُّلْطَانَ أباسالمٍ ما كان من صَنيعِهِم فأهمّهُ أمرُ المغرب وإجلابُ المفسدين عليه.

وكان في جُمْلتة آلُ يَغمْراسِنَ، مُحَمّدُ بنُ عثمان بنِ السُّلْطَان أبي تَاشَفينَ، ويُكَنّى بأبي زيّانَ، ويعرف[د] بالقُبِّيّ ومَعْناه العظيمُ الرأس[هـ]، فدَفعه

(أ) ظ ص: السلطان (ب) من أ ص (ج) مضمومة الميم في أ (د) استُبدلَت في حاشية أ: ويلقَّبُ
(هـ) استُبدلت في حاشية أ: الهامة.

(1) الجِلْف ج أجلاف وجلوف: الغليظ الجافي.

للأمْرِ وأعْطاه الآلَةَ، وكَتَّبَ له كَتيبةً من توجّينَ ومَغْراوةَ كانوا في جملته، ودَفع إليه أعْطِياتهم، وأنزلَه قَصْرَ أبيه بتِلِمْسانَ وانْكَفَأ راجعًا إلى حَضْرته. فأجفَلَتِ العربُ والسُّلْطَانُ أبو حَمُّو أمامَه، وخالَفوه إلى تِلِمْسانَ، فأجْفَلَ عنها أبو زيّانَ وتحيَّزَ إلى بَنِي مَرِينَ بأمصارِ الشَّرْق، من البطحاء ومِلْيانةَ ووَهْرانَ وأوْليائهم من بَني تُوجّينَ وسُوَيْدٍ من قبائل زُغْبة، ودَخل السُّلْطانُ أبو حَمُّو ووزيُره عبدُ الله بن مُسَلَّمٍ إلى تِلِمْسانَ، وكان صُغَيْر بن عامر هلَكَ في مَذْهبهم ذلك، ثم خَرجوا فيمن إليهم من كافّةِ العربِ المَعْقِل وزُغْبةَ في اتّباع أبِي زيّانَ، ونازَلوه بجَبَل وَانْشَرِيس فيمن مَعه إلى أن غَلَبوه عليه وانفَضَّ جَمْعُه، ولحِقَ بمكانه من إيالة بَنِي مَرينَ بفاس، ورجعَ السُّلْطانُ أبو حَمُّو إلى مَعاقل وَطَنِه يَسْتَنْقذها من مَلَكَةِ بَنِي مَرِينَ، فافتتح كثيرَهَا، وغلَب على مِلْيانةَ والبَطْحاءِ، ثمّ نَهض إلى وَهْران ونازَلَها أيّاماً، واقْتَحمها غِلاباً، واسْتَلْحَم بها من بَنِي مَرِينَ عَددًا، ثم تغلّب على المدِيَة والجزائر وأزْعَجَ عنها بَنِي مَرِينَ، فلحقوا بأوْطَانهم. وبعث رُسُلَه إلى السُّلْطَان أبي سالم فعقَد / [113 ب] معه السَّلْمَ ووضعوا أوزارَ الحربِ، ثم كان مَهْلِكُ السُّلْطان أبي سالمٍ سنةَ اثنتَيْن وستّين، وقامَ بالأمر من بعده عمرُ بنُ عبد الله بن عليّ من أبناء وُزَرائهم مُبايِعاً لوَلد السُّلْطانِ أبي الحسَن واحداً بعد آخَرَ كما نذكُره عند ذكْر أخْبارهم.

• الخبَرُ عنْ قدُوم أبي زيّانَ بنِ السُّلْطَان أبي سعيدٍ من المغربِ لطَلَبِ مُلكِهِ، وَما كان من أحْوالِهِ

كان أبو زيّانَ هذا وهو مُحمّدُ بنُ السُّلْطَان أبي سعيدٍ عُثمان بنِ عبد الرّحمنِ بن يحيَى بنِ يَغمْرَاسِنَ لما تُقُبِّضَ عليه مع عَمّه أبي ثابتٍ، ووزيرِهِم يَحيى بنِ داوُد بِبجايةَ من أعمالِ الموحّدين، وسِيقوا إلى السُّلْطَان أبي عِنانٍ، فَقَتلَ أبا ثابت ووزيرَه واستَبْقى مُحمّداً هذا وأوْدَعه السِّجْنَ سائرَ أيّامه، حتى إذا هَلك، واستَوْسَق أمرُ المغرب لأخيه أبي سالمٍ من بعدِ خُطُوبٍ وأحوالٍ يأْتي ذكرُها، أمتنَّ عليه السُّلْطَانُ أبو سالمٍ وأطلَقَهُ من الاعْتقال، ونَظَمَهُ بمجْلِسه في مَراتب الأغياص، وأعدّه لمُزَاحمة ابن عمّه، وحَدَث بينه وبين السُّلْطَان أبي حَمُّو سنةَ اثنتَيْن وستّين بين يدَيْ مَهْلِكه نكْرَاءُ[أ] بَعْدَ مَرْجَعَهُ من تِلِمْسانَ، ومَرْجَعِ أبي زيّانَ حافِدِ السُّلْطَان أبي تَاشَفينَ من بعدُ مُخْفِقَ[ب] السّعي فيما نَصَبه له. فسَمَا له في أبي زيّانَ هذا أملٌ أن يَسْتأثر بملك أبيه، ورأى أن يُحْسِنَ الصّنيعَ فيه فيكون فِئةً له، فأعْطاه الآلة ونَصَبَهُ للمُلْك، وبعثَه إلى وطنِ تِلِمْسانَ، فانتهى إلى تازَى، ولحِقَه هُنالك الخبرُ بمهْلِكِ السُّلْطَان أبي سالمٍ، ثم كانت فِتَنٌ وأحداثٌ نذكُرها في محلّها. وأجْلَب عبدُ الحليم بنُ السُّلْطَان أبي عليّ بنِ السُّلْطَان أبي سعيد / بن يعقوبَ بن عبد الحقّ على فاس، واجتَمع إليه بنو مرينَ، ونازلوا البلدَ الجديدَ، ثم انفَضّ جمعُهم، ولحِق عبد الحليم بتازَى كما نذكُره في موضِعه. [114 أ]

(أ) من أ. في ظ: حدث ..... نكرٌ أبعد مرجعه (ب) من أ، وفي ص: محقق، ومهملة في ظ .

ورجا من السُلْطان أبي حَمُّو المظاهَرَةَ على أمرِهِ فراسَله في ذلك، واشترَط عليه كَبْحَ ابنِ عمّه أبي زيّان، فاعْتقلَه مرضاةً له، ثم ارتحل إلى سجلماسَةَ كما نذكر بعدُ.

ونازلَه في طريقه أولادُ حُسيْن من المعْقِلِ بِحِلَلِهم وأحْيائهم، فاستَغْفلَ أبو زيّانَ ذاتَ يوم الموكَّلينَ به ووثب على فرسٍ قائمٍ حِذاءَهُ، وركَضهُ من مُعَسْكر عبد الحليم إلى حِلّةِ أولاد حسَيْنٍ مُستَجيرا بهم، فأجارُوهُ، ولحِق ببني عامر على حينِ جَفْوةٍ، كانت بين السُلْطان أبي حَمُّو وبين خالد بن عامر أميرِهم، ذَهَب لها مُغَاضِباً، فأجلَبَ به على تِلِمْسان، وسرّح إليهم السُلْطان أبو حمُّو عسكراً فشرّدهم عن تِلِمْسانَ، ثم بَذَلَ المالَ لخالد بن عامر على أن يُقْصِيَه إلى بلاد رِياح، ففعل وأوصله إلى الدّواودة، فأقام فيهم، ثم دعاه أبو اللّيل بن موسى شيخُ بني يزيدٍ وصاحبُ وَطنِ حَمْزَة وبني حسن وما إليه، ونَصبه للأمر مُشاقَهَةً(1) وعِناداً للسّلطان أبي حَمُّو، ونَهض إليه الوزير عبد الله بن مُسلّم في عساكر بني عبد الواد وحُشود العَرب وزَناتَةَ، فأيْقن أبو اللّيل بالغَلَبِ، وبذَلَ له الوزيرُ المالَ، وشرط له التّجافي عن وَطَنه على أن يرجِعَ عن طاعة أبي زيّانَ، ففَعل، وانصَرَف إلى بِجَايَة ونزلَ بها على المولى أبي إسحاق ابن مولانا السُلْطان أبي يحيى أكْرَمَ نُزُلٍ، ثم وقعت المراسلةُ بينه وبين السُلْطان أبي حَمُّو وتمّت المهادَنَةُ، وانعقدَ السِّلْمُ على إقصاء أبي زيّانَ عن بِجايةَ المتاخِمَةِ لوطنه، فارتحل إلى حَضْرةِ تونِس، وتلقّاه الحاجبُ أبُو مُحَمّد ابن تافْراكِـينَ قيّومُ دولة الحفْصيّينَ لذلك / [114 ب] العهدِ من المبرّة والتّرحيب وإسْناءِ الجِرَايَةِ وترفيعِ المنزلة، بما لم يُعهدْ لمثله من الأعياصِ، ولم تزلْ حالُهُ على ذلك إلى أن كانَ من أمره ما نذكُره.

(1) كذا في ظ ص ولا معنى لها، وفي أ ما يشبه: منالة!

• الخَبَرُ عَنْ قُدُومِ أبي زَيَّانَ حافِدِ السُّلطان أبي تاشَفينَ ثانيةً من المَغربِ إلى تلمسان لطلبِ مُلكِها، ومَا كانَ مِن أحوالِه

كان العربُ من سُوَيْدٍ إحدى بطون زُغْبَةَ فئةً لِبَني مَرِينَ وشيعةً من عهد أميرهم عريف بن يحيى مع السُّلطان أبي الحسَن وابنهِ أبي عِنانٍ، فكانوا عندَ بني عبد الوادِ في عِدَادِ عَدُوِّهم من بني مَرينَ مع صاغِيةِ الدّولة لبني عامرٍ أقْتالِهم، فكانوا مُنَابِذينَ لبني عبد الواد آخرَ الأيّام. وكان كبيرهُم وَنْزمار بنُ عريفٍ أوْطَنَ كرسيف في جوارِ بني مَرينَ منذ مَهلكِ السُّلطان أبي عنانٍ، وكان مرموقًا لديهم بعين التَّجِلّة، يَرجِعُونَ إلى رَأيه، ويَسْتنيمُونَ إلى قَوْله. وأهمّهُ شأنُ إخوانه في وَطَنهم مع أقْتالِهمْ بني عامرٍ، فاعْتَزم على نَقْض الدّولة من قَواعِدها، وحملَ صاحبَ المغرب عمرَ بنَ عبد الله على أن يُسرّح محمّدَ بن عُثمان حافدَ أبي تاشَفينَ لِمُعاوَدة الطّلب لمُلكه، ووافَق ذلك نفرةً استحْكمت بين السُّلطان أبي حَمُّو وأحمدِ بن رَحُّو بن غانِم، كبير أولاد حُسينٍ من المَعْقِلِ بعد أن كانوا فِئةً له ولوزيره عبد الله بن مُسَلّم، فاغتَنمها[1] عمرُ بن عبد الله.

وخرج أبو زيّانَ محمّدُ بن عثمان سنةَ خمس وستّين، فنزلَ في حِلَلِ المَعْقِل بِمَلْويّة، ثمّ نَهضوا به إلى وطن تِلِمْسَان، وارْتابَ السُّلْطانُ أبو حَمُّو بخالدِ بن عامرٍ أميرِ بني عامر، فتقَبّض عليه، وأوْدعه الطِبْقَ، ثم سرّح وزيرَه عبدَ الله بن مُسَلّم في عساكر بني عبد الوادِ / والعَرب فأحْسَن دِفاعَهم، [115 أ]
وانفضّت جُموعُهم، ورَحّلهُم إلى ناحية الشّرق وهو في اتّباعهم، إلى أن نَزلوا بالمسِيلة من وطَن رياحٍ، وصاروا في جِوار الدّواوِدَة. ثم نزلَ بالوزير عبد

(1) من أ، و ظ وص: فاحتمها.

الله بن مُسَلَّم داءُ الطّاعون الذي عاودَ أهلَ العُمْران عامئذٍ من بعدما أهلكَهُم سنةَ تسعٍ وأربعين قَبْلها، فانكفأ به ولَدُه وعشيرُه راجعين، وهلَك في طريقه، وأوصلوا شِلْوَهُ إلى تِلِمْسانَ فدُفِن بها.

وخرج السُّلْطَانُ أبو حَمُّو لمدَافعة عَدُوّه، وقد فَتَّ مَهْلَكُ عبدِ الله في عَضُدِهِ، ولمَّا انتهى إلى البَطْحاء وعسْكَرَ بها، ناجَزَتْه جُموعُ السُّلْطان أبي زيّانَ الحربَ وأطَلّتْ راياتُه على المُعَسْكر، فدَاخلَهم الرُّعبُ، وانفضّوا، وأعْجَلَهُم الأمرُ عن أبْنِيتهم وأزْوِدَتهم فتَرَكوها وانفضّوا، وتَسَلّل أبو حَمُّو يَبْغي النّجاةَ إلى تِلِمْسانَ، واضطربَ أبو زيّانَ فُسْطَاطَهُ بمكان مُعَسْكره، وسَابَقَهُ أحمد بن رحُّو أميرُ المَعْقِل إلى مَنجاتة فلَحِقه بِسِيكَ، وكَرَّ إليه السُّلْطان أبو حَمُّو فيمن مَعه من خاصّته وصدَقوه الدِّفاعَ، فَكبا بهِ فرسُهُ، وقُطِع رأسُه. ولحِقَ السُّلْطانُ أبو حَمُّو بحضْرتِهِ، وارْتَحل أبو زيّانَ والعربُ في اتّباعه إلى أن نازَلوه بتِلِمْسانَ أيّامًا، وحدَثَتِ المنافسَةُ بين المَعْقِل وزُغْبَةَ، وأسِفَ زُغْبَةَ استبدادُ المَعْقِلِ عليهم، وانفرادُ أولادُ حسَيْنٍ برأيِ السُّلْطَان دُونَهم، فاغتَنَمها أبو حَمُّو وأطلقَ أميرَهُمْ خالدَ بن عامر من مَحْبَسه، وأخذ عليه الموثِقَ من الله ليَخْذُلَنَّ النّاسَ عنه ما اسْتطاعَ، وليَرْجِعَنَّ بقومه عن طاعة أبي زيّانَ، وليُفَرِّقَنَّ جُمُوعَهُ، فوفَى له بذلك العَهْد، ونَفَّس عنه المخنَق، وتفرقت أحزابُهم. ورجعَ أبو زيّانَ إلى مكانه من إيَالة بَنِي مَرِينَ، واستقام أمرُ السُّلْطان أبي حَمُّو وصَلَحَتْ

[115 ب] دولتُهُ بعد الالْتِياث / إلى أن كان من أمره ما نَذكرُه.

• الخَبَرُ عنْ حركةِ أبي حَمُّو عَلَى ثُغُورِ المغربِ

كان وَنْزَمَار بنُ عَرِيف مُتولّي كِبْر هذه الفِتَنِ على أبي حَمُّو ، وبَعْثِ الأغْياصِ عليه واحداً بعد واحدٍ بما كان بَيْنهم من العَداوَة المتّصلةِ كما قدّمناه، وكان مَنْزِلُه كـرسيف من ثُغور المغرب، وكان جارَه محمّدُ بن زكـداز[أ] كبيرُ بني عليّ من بني وَنْكـاسَن الموطنينَ بجبل دَبْدُو، وكانت أيْديهما عليه واحدةً. فلمّا سكن غَرْب الثُوّار[ب] عنه، وأزاحَهم عن وَطَنه إلى المغرب، وانعَقد سِلْمُه معهم، رأى أن يَغزُوَ هذين الأميرين في ثُغورهما، فاعتملَ الحركةَ إلى المغرب فاتحَ ستّة وستّين، وانتهى إلى دَبْدُو، وكـرسيف، وأجْفَلَ وَنْزَمَار، فامتنع بمعاقِل الجبال. فانتَهَبَ أبو حَمُّو الزُروعَ وشمِلَ بالعَيْثِ سائرَ النَواحي، وقصدَ محمدَ بن زكـداز أيضًا في مَعْقل دَبْدُو، فامتنعَ بحصْنِه الذي اتّخذه هنالك، وعاجَ[1] عليه أبو حَمُّو بركابه وجَاسَ[2] خِلال وَطَنه، وشمل بالتّخريب والعيْثِ نواحي بلَده، وانكفأ راجِعًا إلى حَضْرته وقد عظُمَت في تُخوم بَني مَرينَ وثغورِهم نِكَايَتُهُ، وثَقُلَتْ عليهم وَطْأتُه. وانعقَدَت بَيْنهما بَعْدئِذٍ المهادَنةُ والسِّلمُ، وانْصَرفت عزائمُهُ إلى بلادِ إفريقيةَ، فكانت حركتُه إلى بجايةَ من العام المقبل ونَكْبتُه عليها كما نَذكر.

(أ) كذا في أ، وفي ظ: ركدان، ص: نكدار (ب) من أ ص، في ظ: عرب السوار. والغَرْبُ: الحِدّة.

---

(1) عاج إلى أو على المكان: مال وعَطَف.

(2) جاسَ جَوْسًا إلى طلبه بالحرص والاستقصاء، وجاس القوم بين الدور: داروا فيها بالعيث.

• الخبَرُ عن حركةِ السُّلطَان أبِي حَمُّو إلى بِجايةَ، ونكبتِه عليهَا

كان صاحبُ بِجَايَةَ المولى الأميرُ أبو عبد الله لما استَوْلى عليها، وعادت إليه العودةُ الثالثةُ سنة خمسٍ وستّين كما ذكرناه في أخباره،/ زحَفَ بعدها [116 أ] إلى تدلَّس فغلَب عليها بَني عبد الواد، وأنزل بها عامِلَهُ وحَامِيَتَهُ، ثم أظْلَمَ الجَوُّ بينه وبين صاحبِ قُسَنطِينَةَ السُّلْطَانِ أبي العبّاس ابنِ عمّهِ الأمير أبي عبد الله، لِمَا جَرَّتْهُ بينهما المُتَاخَمَة في العَمالات، فنشأت بينهم فِتَنٌ وحروبٌ شُغِلَ بها عن حِمايَةِ تَدَلَّس، وألَحَّتْ عليها عساكرُ بني عبد الوادِ بالحِصَارِ، وأُحيطَ بها، فأَوْفد رُسُلَهُ على السُّلْطَان أبِي حَمُّو صاحبِ تِلِمْسَان في المهادَنة على النّزول له عن تَدَلّس، فتسلَّمَها أبو حمُّو، وأنزَل بها حامِيتَه، وعقَد معه السِّلْمَ، وأَصْهَرَ إليه في ابنَته فأجابَه، وزفّها إليه فتلقَّاها قبيلُه وَوُزَراؤهُ بآخر عَمِلِهم من حُدود بِجَايَة، وفرغَ صاحبُ بِجَايَةَ لشأنهِ.

وكان أثْناءَ الفِتْنة معه قد بعث إلى تونِسَ عن أبي زيّانَ ابنِ عمّه السُّلْطَانِ أبي سعيدٍ ليُنْزِلَه بتَدَلّس، ويشغلَ به السُّلْطَانَ أبا حمُّو عن فِتْنَته، وكان من خبرُ أبي زيّانَ هذا أنه أقام بتونِسَ بعد مَهْلكِ الحاجبِ أبي محمد بن تَافْرَاكِين كما ذكرناه، إلى أن دَسّ إليه مَرْضى القلوب من مَشْيخة بني عبد الواد بتِلِمْسَان [بالإجْلاب][(أ)] على السُّلْطَان أبِي حَمُّو، ووعَدوه من أنفُسِهم الجُنُوحَ معه، [فأصْغى][(ب)] إليها، واعتَدّها، وارتحلَ يريدُ تُخوم تِلِمْسانَ وعَمَلَ بِجايَةَ، ومرّ بقُسَنطِينَة فتجافَى عن الدّخول إليها وتنكَّر لصاحبها، وبلغ خبرُهُ السُّلْطَانَ أبا العبَّاس صاحبَها يومئذٍ فأجمع أمرَه في صَدّه عن وَجْهه، وحبَسهُ بقُسَنطِينَة.

(أ) من أ ص. في ظ: الإجلابة (ب) من أ. في ظ ص: فصغى.

واتّصلتِ الفِتْنةُ بينه وبين ابن عمّه صاحب بجَايَة، وكان شديدَ الوطأةِ على أهلِ بَلدِهِ، مُرْهَفَ الحَدِّ لهم بالعِقابِ الشّديد، حتّى لقد ضربَ أعناقَ خمسين منهم قبلَ أن يَستكملَ سنتَيْن في مُلكِهِ، فاستَحْكمت النُّفرةُ وساءتِ / المَلكة، [116 ب] وأعْضَلَ الدّاءُ، وَفزِعَ أهلُ البلَد إلى مُداخلةِ السُّلطان أبي العبّاس في اسْتِنْقاذِهِم من مَلَكَةِ العَسْفِ والهلاك بما كان أُتيح له من الظّهور على أميرهم، فنهض إليها آخرَ سنة سبعٍ وستّين، وبَرز الأميرُ أبو عبد الله للقائه، وعَسْكَرَ بِلَبِزُو[أ] الجبلِ المُطلِّ على تَاكِررزت[أ]، وصبّحَه السُّلطانُ أبو العَبّاس بمُعَسْكره هنالك فاستَوْلى عليه، ورَكَضَ هو فرسَهُ ناجِياً بنَفسه، ومرّت الخيلُ تَعادَى في إثْرِهِ حتّى أدركوه، فأحاطوا به، وقتلوه قَعْصاً بالرِّماح، عفى الله عنه.

وأجاز السُّلْطَانُ أبُو العَبّاس إلى البلَد فدخلَها منتصفَ يوْمِه العشرينَ من شعْبان، ولاذَ الناسُ به من دَهَشِ الواقِعة، وتَمسّكوا بدَعْوته وأتَوْهُ طاعَتَهم، فانجلَتِ الغَيَايَةُ واسْتقام الأمرُ، وبلغ الخبرُ إلى السُّلْطان أبِي حَمُّو فأظهر الامْتِعاضَ لمهْلِكه والقِيامَ بثأرِه، يُسِرُّ من ذلك حَسْواً في ارْتِغاء، ونَهض يجرّ الأُمَمَ إلى بجَايَة من العَرب وزَنَاتَةَ [والحُشودِ حتى أناخَ بها، وملأتْ مُخيَّماتُهُ الجهاتِ بسَاحِها، وجنح السُّلْطان إلى مُبارَزَته][ب] فتمسّكَ به أهلُ البلد، ولاذوا بمُقامِه فأسْعفَهُم، وطيّر البريدَ إلى قُسَنْطِينَةَ، فأطلَق أبا زيّانَ من الاعْتقال، وسَوّغَهُ الملابِسَ والمراكبَ والآلَةَ، وزَحف به مولاهُ بشيرٌ في عَسْكره إلى أن نزل حِذاءَ مُعسْكر أبِي حَمُّو، و[ضَرَبوا][ج] محلّتَهُمْ بسَفح بني عبد الجبّار، وشَنّوا الغاراتِ على مُعَسْكر أبِي حَمُّو صباحَ مساءَ لِمَا كان نَمى إليهم من مرضى قُلوب جُنْدِهِ والعربِ الذين مَعَه.

(أ) الشكل من أ. ومهملة في ظ (ب) من حاشية أ منفردة بها (ج) من أ. ض ص: اضطربوا.

وبدَا للسّلطان أبي حَمُّو ما لم يُحْتسب من امْتناعها، وكان قد تَقدّم إليه بَعْضُ سَمَاسِرَةِ الفِتَنِ بوَعْدٍ على لِسانِ المشْيَخةِ من أهل البلدِ أطمَعَه فيها، وَوَثِق بأنّ ذلك يُغْنيه عن الاعْتِداد، فاسْتَبَق إليها وأَغْفَلَ الحَزْمَ فيما دُونَها، فلمّا امْتَنعت عليه انطبق الجوُّ على مُعَسْكره / وفَسَدَتِ السّابِلةُ على العيرِ للميرَةِ، [117أ] واستَحْكم الزّبون[1] في أحياء مُعسكره بظهور العدُو[أ] المُساهِمِ في الملْك، وتناذَرت رجالاتُ العَرب سُوءَ المَغَبّةِ وَسطْوَةَ السُّلْطان، فتمَشّوا بينهم في الانْفِضَاضِ، وتحيّنوا لذلك وقْتَ المُنَاوَشةِ.

وكان السُّلْطَانُ لمّا كَذَبَهُ وَعْدُ المشْيَخة أجْمَعَ قِتَالَهُمْ، وأمر باضْطراب الفَساطيط مضايِقةً للأسْوار متسنّيَمةً وَعْراً من الجبَل لم يَرْضَهُ أهلُ الرّأي. وخرجَ رَجِلُ البلَد على حين غَفْلَةٍ فجاوَلو من كان بتلك الأخْبية مِن المُقاتِلة فانهزموا أمَامَهم، وتركوها بأيْديهم فمزّقوها بالسُّيوف، وعاين العربُ على البُعْد انتهابَ الفَساطيط فأجْفَلوا وانفضّ المُعسكرُ بأجْمعه، وحملَ السُّلْطَانُ أبو حمُّو أثقالَه للرّحلة، ثم أجْهَضُوه عنها فتَرَكَها، وانتُهِبَ مُخلّفُه أجْمَعُ، وتَصَايَحَ النّاس بهم من كل حَدَبٍ، وضاقت المسالِكُ من ورائهم وأمامهم، وكظّتْ بزِحامهم وتَواقَعوا لجُنوبهم فهلَكَ الكثيرُ منهم. وكانت من غَرائب الواقِعات، تحدّثَ النّاسُ بها زماناً، وسِيقَتْ حَظَايَاهُ إلى بجايةَ، واستَأثر مِنْهُنّ الأميرُ أبو زيّانَ بحظيّتِهِ الشّهيرة ابنةِ يَحيى الزّابي، يَنْتَسِب إلى عبد المومن بن عليّ، وكان أصْهَرَ فيها إلى أبيها أيّامَ تَقَلُّبِهِ في سبيل [الاغْتراب][ب] بِبلاَدِ المُوَحّدين كما سَبق،

(أ) من أ، في ظ ص: العدوة (ب) من أ ص، في ظ: الأعراب.

---

(1) زَبَنَ: الدّفع والصّدْم، وحرب زبونٌ: شديدة، يدفع ويصدِمُ بعضُها بعضًا من الكثْرة.

وكانت أعلقَ بقلبه من سِوَاها، فخرجَت في مَغانِم الأمير أبي زيّان. وتحرّجَ عن مُوَافقتِها حتّى أوْجدَهُ أهلُ الفُتْيا السَبيلَ إلى ذلك بحِنْثٍ زعَموا وقَع من السُلطان أبي حَمّو في نِسائه، وخلَص السُلطانُ أبو حمّو من هُوّة ذلك العَطبِ بعد عَصَبِ الرّيقِ، ونَجا إلى الجزائرِ لا يكاد يَرُدُّ النَفَسَ من شَناعة ذلك الهَوْل، ثم خرج منها ولحِق بتِلِمْسَان، واقْتَعَدَ سَريرَ مُلكه، / واشتدَّت شوكةُ [117 ب] أبي زيّانَ ابنِ عمّه وتغلّبَ على القاصِية، واجتَمعت إليه العَرب وكثُر تابِعُه، وزاحَم السُلطانَ أبا حمّو بتلك الناحِية الشّرقية سنينَ تِباعاً، نذكر الآن أخبارها.

• الخبَرُ عن خُرُوجِ أبي زيّانَ بالقاصية الشّرقيةِ من بلاد حُصَيْن، وتغلّبِه على المدِيّة والجزائرِ ومِليانة، وما كان من الحُرُوبِ معهُ

لمّا انهزمَ السُلطان أبو حمُّو بساحةِ بجايةَ عَشِيَّ يَوْمِهِ من أوائل ذي الحجّة خاتَمَ سبعٍ وستّين، قَرَعَ الأميرُ أبو زيّانَ طُبُولَه واتّبع أثره، وانتهى إلى بلاد حُصَيْنٍ من زُغْبَة، وكانوا سَئِمِينَ من الهَضيمَة والعَسْف، إذ كانت الدُّوَلُ تُجريهِمْ مَجرَى الرّعايا المُعَبّدَةِ في المغرَم، وتَعدِلُ بهم عن سَبيلِ إخوانهم من زُغْبَةَ أمامَهم ووَراءَهم، فارْتَكبوا صَعْبَ الشِقاق لِمَغَبّةِ العِزّ، وبايَعوه على الموت الأحْمر، ووَثِقوا بمُعْتَصَمِهِم من جَبل تيطري إن دَهَمَتهم عساكرُ السُلطان، ثم أجْلَبوا على المدِيّة، وكان بها عسكرٌ ضخمٌ للسلطانِ أبي حَمّو لنظر وُزرائه: عِمْران بن موسى بن يوسف، وموسى بن بزغوث، وواد فل بن عَبُّو بن حمّاد، ونازَلوهم(أ) أيّامًا ثم غلَبوهم على البلَد وملكها الأميرُ أبو زيّانَ، ومَنّ

(أ) عدّلت في حاشية أ: فنازلوهم.

على الوُزراء ومَشيخة بني عبد الواد، وترك سبيلَهُمْ إلى سُلطانهم. وسلَكَ الثّعالبةُ سبيلَ حُصَيْن في التّجافي عن ذُلِّ المَغرم، فأعْطَوْا يَدَ الطّاعة والانقيادِ للأميرِ أبي زيّانَ، وكانت في نُفوس أهل الجزائر نُفرةٌ من جَوْرِ العمّال عليهم، فاسْتَمالهم بها سالمُ بنُ إبراهيم بن نَصْر أميرُ الثّعالبة إلى طاعةِ الأمير أبي زيّانَ، ثم دَعَا أبو زيّانَ أهلَ مِلْيانةَ إلى مِثْلها فأجابُوه.

[118 أ] / واعْتَمل السُّلْطان أبو حَمُّو نَظَرَهُ في الحركَةِ الحاسِمة لدائهم، فبعثَ في العَرب، وبَذَلَ المالَ، وأقطعَ البلادَ على اشْتِطاطٍ منهم في الطَّلَب، وتحرّك إلى بلاد توجّينَ ونزلَ قلعةَ ابن سلامةَ سنة ثمانٍ وستّين يحاول طاعة أبي بَكْر بن عَريف أميرِ سُوَيْد، فلم يلْبَثْ أن انْحرف عنه أيضاً خالدُ بن عامر ولِحقَ بأبي بَكْر بن عَريف واجتمعا على الخلافِ عليه ونَقْضِ طاعَته، وشَنُّوا الغَارَةَ على مُعَسكره، فاضْطربَ وأجْفلوا، وانتُهِبَتْ محلاّتُه وأثقالُه، ورجع إلى تِلِمْسَان. ثم نَهض إلى مِلْيانةَ فافتتحها، وبعثَ إلى رياحٍ على حين [صاغيةٍ][أ] إليه من يعقُوبَ بنِ عليّ بن أحمد، وعثمانَ بنِ يوسف بن سليمان بن عليّ، أميري الذّواودة لِمَا كان وَقَع بينهما وبين السُّلْطان مولانا[ب] أبي العبّاسِ من النُّفرة، فاسْتَنْهضوه للحركَةِ على الأمير أبي زيّانَ، وبَعْدها إلى بجَايَة، وضَمِنُوا له طاعةَ البَدْو من رِياحٍ، وبَعثوا إليه رُهُنَهُمْ على ذلك فردَّها وُثوقاً بهم، ونهض من تِلِمْسَان، وقد اجتمع إليه الكثير من عَرب زُغْبَة، ولم يزلْ أولادُ عَريف ابن يحيى، وخالد بن عامرٍ في أحْيائهم مُنْحرفين عنه بالصّحراء، وصَمّم إليهم فأجفلوا أمامَه، وقصَدَ قصْدَ المُخالفين من حُصَيْن والأميرِ أبي زيّانَ إلى مُعْتصمِهِم

(أ) من أ. في ظ: حين طاعية، ص: حين ظاعته. وصاغية الرجل: قومه الذين يميلون إليه ويصغون ويتمثلون لرأيه
(ب) شطبت في أ

بجبل تيطري، وأغذّ إليه السّيرَ يعقوبُ بن عليّ، وعثمانُ بن يوسف بمن معهم من جُمُوع رياحٍ، حتّى نزلوا [بالقَطْفَة][أ] حِذاءهُمْ، وبادر أولادُ عريف وخالد بن عامر إلى الذّوَاوِدة ليشرّدوهم عن البلاد قَبْلَ أن تتّصل يدُ السُّلْطَان بيَدِهِم، فصَبَّحُوهم يومَ الخميس أخريات ذي القَعْدة[ب] من سنَة تسعٍ وستّين، ودارَت بينهم حربٌ شديدةٌ وأجْفَلَ الذّواودةُ أولاً، ثم كان الظّهور لهم آخراً، وقُتلَ في المعركة من زُغْبَةَ عددٌ، ويَئِسوا من صَدّهم عمّا / جاؤوا إليه فانْعَطفوا [118 ب] إلى حُصَيْن، والأميرِ أبي زيّانَ، وصاعَدوا إليهم بناجِعَتهم، وصاروا لهم مددًا على السُّلْطَان أبي حَمُّو، وشَنُّوا الغارةَ على مُعسْكرِهِ [فَصَمَّمَ نَحْوهم][ج]، وصَدَقُوه القتالَ فاختلّ مصَافُّهُ وانهزمت عساكره، ونجا بنَفْسه إلى تِلِمْسانَ على طريق الصّحراء، وأجْفل الذّواودةُ إلى وطنهم.

وتحيّزَ كافّةَ العَرَبِ من زُغْبةَ إلى الأميرِ أبي زيّانَ، واتّبعَ آثار المنْهزمينَ ونزل بسيراتَ، وخرج السُّلْطَانُ أبو حَمُّو في قومه ومن بَقِيَ معه من بني عامر، وتقدّم خالد إلى مُصَادَمتِهِ ففلّهُ السُّلْطَان، وأجْفَلَ القوْمُ من ورائه، ثم تلَطَّف في مُراسَلتِهِ، وبذَل له المالَ، وأوْسَع له في الاشْتِراط، فَنَزعَ إليه والتَبَس بخِدْمته، ورجعَ الأميرُ أبو زيّانَ إلى أوليائه من حُصَيْنٍ متمسّكًا بولاية أولاد عَريف، ثم نَزعَ محمد بن عَريف إلى طاعة السُّلْطَان، وضَمِنَ له العُدُولَ بأخيه عن مذاهب الخلاف عليه، وطالَ سَعْيُه في ذلك فاتّهمه السُّلْطَانُ، وحَمَلَه خالدُ بنُ عامرٍ عَدُوُّهِ على نَكْبتِه، فتقبّض عليه وأوْدعه السّجنَ، واستَحْكمت نُفْرَةُ أخيه أبي بَكْرٍ، ونهض السُّلْطَان بقومه وكافّة بني عامر إليه سنةَ سبْعين، واستَغْلظ أمرُ أبي بَكْرٍ بجُموع[د] الحارث من بَني مالك وَمَنْ

(أ) من أ، في ظ ص: القطعة (ب) من ظ ص، أ: ذي الحجة (ج) من أ، في ص ط: فضمهم نحوه (د) ظ ص: لجموع.

وراءهم من حُصَيْنٍ، واعْتصموا بالجبال من دَرَّاك[أ] وتيطري، ونزلَ السُّلْطَانُ بِجُمُوعه بَعُودَ بلادَ الدَّيالم من الحارث، فانْتَسفَهَا والتَهَمَها وحَطَّم زُروعَها ونَهب مَدَاشِرَهَا، وامْتنع عليه أبو بَكْرٍ ومن معه من الحارث وحُصَيْن، والأميرُ أبو زيّانَ بَيْنهم، فارْتحل عنهم، وعَطَف على بلاد أولادِ عَريف وقَوْمهم من سُوَيْد لملأها عَيْثاً، وخرّب قَلْعةَ ابْنِ سَلامةَ بما كانت أحْسَنَ أوْطانهم، ورجع إلى تِلِمْسانَ وهو يَرى أنْ قدَ شَفَا نفسَه في أولاد عَريف، وغَلَبهُم على / أوْطانِهم ورَفعَ عنهم منزلةَ عَدوِّهم، فكان من لَحاق أبي بَكْرٍ بالمغربِ وحرَكَة [119أ] بَنِي مَرِينَ ما نَذكرُه.

• الخَبَرُ عن حركةِ السُّلْطان عبد العزيز على تلمسانَ، واستيلائِه عليها، ونَكبةِ أبِي حَمُّو وبني عامر بالدّوسَن من بلادِ الزّاب، وخُرُوجِ أبي زَيّانَ من تيطري إلى أحياءِ رِياحٍ

لما تَقَبَّض أبو حَمُّو على محمّد بن عَريف، وفَرّق شَمْلَ قَوْمه سُوَيْد، وعاثَ في بلادهم، أجْمع الرّأيَ[ب] أخوه الأكْبرُ أبو بَكْر على الصّريخ بمَلِك المغرب، فارتحل إليه بناجِعَته من بني مالكٍ أجْمَع؛ من أحياء سُويد والدَّيالم والعطّافِ، حتّى احتلّ بسائط مَلْويّة[ج] من تُخوم المغرب، وسار إلى أخيه الأكْبرَ وَنْزَمَار بمقرّه من قَصْر مُرادَة الذي اختطّه [بأجْراع][د] وادي ملوية[ج] في ظلّ دولةِ بَنِي مَرِينَ وتحت جِوَارهم لما كان مَلاكُ أمْرهم بيَدِه، ومصادِرُهم عن آرائه خُطّةٌ ورِثَها عن أبيه عَريف بن يحيى مع السُّلْطان أبي سعيد، وابْنه

(أ) ص: ذلك (ب) من أ، ظ ص: رأى (ج) أ: بضمّ الميم، مُلْوية (د) من أ، ص: وفي ظ: بإرجاع .

أبي الحسَنِ وابنه أبي عنانٍ فتقيّلَ[أ] ملوكُ المغرب مَذاهِبَ سَلَفِهم فيه وتيمّنوا برأيه، واسْتَنَاموا إلى نصيحته. فلما قَـدِمَ عليه[ب] أخوه أبو بَكْر مسْتَجيشًا بملِك المغرب وأخبرَهُ باعْتقال أخيه الآخر محمد، قَدَحَ عزائمِه، وأوْفَدَ أخاه أبا بَكْر ومشْيخةَ قَوْمه من بَني مالك على السُّلْطَان عبد العزيزِ بن السُّلْطَان أبي الحسَنِ مُنصَرَفَهُ من افْتِتاح جَبَلِ هنْتاتةَ، وظَفَرِه بعامرِ بن محمد بن عليّ، التَّازِعِ إلى الشّقاق في مُعْتَصَمِه، فَلَقوهُ في طريقه، ولَقّاهم مَبرّةً وتكريماً، واستَصْرخوه لاسْتِنْقاذ أخيهم فأجابَ صريخَهُم، ورَغّبوه في مُلكِ تِلِمْسانَ وما وَراءَها، فوافق صاغِيَةً[ج] إلى ذلك بما كان في نَفْسه / من المَوْجِدَة على السُّلْطان حَمُّو [119 ب] بقَبُوله على من يَنْزِعُ إليه من عَرب المعْقِلِ أشياعِ الدّولة وبذْوِها، وما كان بَعَثَ إليه في ذلك وصَدَفَ[د] عن استماعه، فاعْتزم على الحركَة إلى تِلِمْسان وألقَى زِمَامَهُ بِيد وَنْزمَار، وعسكر بساحة فاس، وبعثَ الحاشرين في الثّغور والنّواحي من المغرب، فتَوافتِ الحُشودُ ببابه، وارتَحل بعدَ قضاء النُّسُك من الأضحى سنة إحدى وسَبْعين.

واتّصَلَ الخبرُ بالسُّلْطَان أبي حَمُّو وكان مُعَسْكِراً بالبَطْحاءِ، فانْكفأ راجعاً إلى تِلِمْسَانَ، وبعثَ في أوليائِه من عُبَيدِ الله والأحلافِ من عَربِ المعْقِلِ فصَمّوا [عن][هـ] إجابته، ونَزعوا إلى مَلِك المغرب. فأجْمع رَأْيَه على التحَيُّز إلى بني عامر، وأجْفلَ غُرّةَ المحرّم سنة اثنتَيْن وسبعين، واحتلَّ السُّلْطَانُ عبد العزيز تِلِمْسانَ في يوم عاشوراءَ بَعْدَها، وأشار وَنْزمَار بن عَريف بتَسْريح العَساكِر في اتّباعه، فسرّح السُّلْطَانُ وزيرَه أبا بكر بن غاز بن الكاس حتّى انتهى إلى

(أ) من أ ص، وفي ظ: فقيل، وتقيّل: أشبه وحاكى (ب) في أ: عليهم (ج) من ظ ص، وفي أ: صاغيته
(د) ص: صَدَّ (هـ) من أ. ظ ص: على.

البطحاء ثم لحِق به هنالك وَنْزْمَار وقد حَشَدَ العربَ كافّةً وأغذَ السّيرَ في اتّباع السُّلْطَان أبي حَمُّو وبني عامر، وكانوا قد أبْعَدُوا المَذهَبَ(أ)، ونزلوا على الذّواودة. وسَرّحَني إليهم يومئذٍ السُّلْطَانُ عبد العزيز لِحَمْلهم على طاعَته، والعدول بهم عن صِحابة بني عامرٍ وسُلطانهم، وسرّح فرجَ بنَ عيسى بن عَريف إلى حُصَيْنٍ لاقتِضاء طاعَتهم، واستدعاء أبي زيّانَ إلى حَضْرته أو نبذِهم عَهْدَهُ. وانتهَيْنا جميعاً إلى أبي زيّانَ ففارقَه أولياؤُه، ولحِق بأولاد يحيى ابن علي بن سِبَاع من الذّواودَة، وانتهيتُ أنا إليهم فخَفَّضتُ عليهم الشّأنَ في جواره كما كانت مَرْضاةُ السُّلْطَان، وحَذّرتُهم شأنَ أبي حَمُّو وبني عامرٍ، وأوفَدْتُ مشيختهم على وَنْزْمَار والوزيرِ أبي بَكْر بن غازٍ، فدلّوهما على
[120 أ] طريقه، فأغَذّوا / السّير [في اتّباعه](ب) وبيّتوهم بمنزلهم على الدّوسَن آخرَ عمل الزّاب من جانب المغرب، ففضّوا جُمُوعَهُم، وانتهبوا جميعَ معسكرِ السُّلْطَان أبي حَمُّو بأمواله وأمْتِعته وظَهْره، ولحِق فَلُّهم بمصاب، ورَجعتِ العَساكِرُ من هنالك، فَسَلَكَتْ على قُصور بني عامرٍ بالصّحراء قِبْلَةَ جبل راشدٍ التي منها رَبَّا و بُو سَمْغُون وما إليها، فانتهبوها وخرّبوها وعاثوا فيها، وانكفؤوا راجعين إلى تِلِمْسَان، وفرّق السُّلْطَانُ عُمّالَه في بلاد المغرب الأوسط من وَهْرانَ ومِلْيانةَ والجزائرَ والمَدِيَّة وجَبَل وَانْشَرِيس، واستَوْسَق به مُلْكه، وانزاح عنه عدوّهُ، ولم يَبْقَ به يومئذٍ إلاّ ضِرْمَةٌ من نار الفِتْنة ببلاد مَغْرَاوَة بوغْدِي من وَلَد عليّ ابن راشدٍ سَخِطَ حالَهُ في الدّيوانِ، ولحِقَ بجبلِ [بني بوسعيد](ج)، واعْتَصم به، فجمّر السُّلْطَانُ الكتائبَ لِحِصاره، وسرّح وزيرَهُ عمرُ بن مسعود لذلك

(أ) أ: المناهب (ب) من حاشية أ (ج) من أ، ظ ص: بجبل بنو سعيد.

كما ذكرناه في أخبار مَغْرَاوَة واحْتُقِرَ شأنُه. وأوفَدْتُ أنا عليه يومئذٍ مشيخةَ الدَّواودة فأوسَعَهُمْ حُبّاً وكرامةً، وصَدَرُوا مملوءةً حقائبُهم خالصةً قلوبُهم، منطلقةً بالشُّكر ألسنتُهم واستمرّ الحالُ إلى أن كان ما نذكُره.

• الخبرُ عن اضْطرابِ المغرب الأوسطِ ورُجُوعِ أبي زيّانَ إلى تيطري، وإجْلابِ أبي حَمُّو على تلمسانَ ثم انهزامِهما وتشريدِهما عن سائرِ النواحِي

كان بنو عامر من زُغْبَةَ شيعةً خالصةً لبني عبد الواد منذ أوّل أمْرهم، وخلَص سُوَيْدٌ لبَني مَرِينَ كما قدّمناه، وكان من شأنِ عَريف وبَنيه عند السُّلْطان أبي الحسَنِ وبَنيه ما هو معروفٌ، فلما اسْتُبيحت / أحياؤهم بالدَّوسَنِ [120 ب] مع أبي حَمُّو ذَهَبوا في القَفْر إشفاقاً ويأساً من قبول بَني مَرِينَ عليهم لمكان وَنْزَمَار بن عَريف وإخوانِه من الدّولة، فحدِبوا(أ) على سُلْطانهم أبي حَمُّو يتقلّبُون معه في القِفار، ثم نَزَعَ إليهم رَحُّو بنُ مَنصُور فيمن أطاعه من قومه عُبيد الله من المعْقِل، وأجْلَبوا على وَجْدَة، فاضْطرم للنِّفاقِ على الدّولة نارٌ، وخَشِيَ حُصَيْن مَغَبّةَ أمرِهِم مع السُّلْطان، لما اتَّسمُوا به من الشِّقاقِ والعنادِ، فمدّوا يدَهُم إلى سُلْطانهم أبي زيّانَ، وأوفدوا مَشْيَخَتَهُم لاستدعائِهِ من حِلّة أولاد يحيى بن عليّ فاحتَلَّ بينهم، وأجلَبوا به على المدِيّة، فملكوا نواحيها، وامْتَنع عليهم مِصْرُها، واستمَرَّ الحالُ على ذلك، واضطرب(ب) المغرب الأوسط على السُّلْطان وانتقضت به طاعتُه، وسرّح الجيوشَ والعَساكِرَ إلى قِتال المَغراوي

(أ) ص: فحذبوا (ب) أ: اضطرت.

وحُصَيْنٍ، فاجتمع أبو حمّو وبنو عامرٍ على قَصْده بتلمسان، حتّى إذا اختلّوا قريباً منها دسَّ السُّلْطَانُ عبدُ العزيز بعضَ شيعَتِه إلى خالد بن عامر ورغَّبَهُ في المالِ والحظِّ منه، وكان أبو حمّو قد أسِفَهُ بمُخالَطَة بعضِ عشيرِه، وتعقُّبَ رَأيه برأيه ممّن لم يَسْمُ[أ] إلى خُطّته ولم يرتضِ كفاءته، فجنح إلى ملِكِ المغرب ونَزَعَ يَدَهُ من عَهْد أبي حمّو.

وسرّح السُّلْطَانُ عبدُ العزيز عَسْكَرَهُ إلى خالدٍ فأوْقع بأبي حمّو ومن كان معه من العَرب؛ عُبَيدِ الله، وبَني عامر، وانتُهِبَ مُعَسْكره وأمواله، واختُقِبَتْ[1] حُرَمُهُ وحَظَايَاهُ إلى قصر السُّلْطَان، وتَقَبَّضَ على مولاه عطيّة، فَمَنَّ عليه السُّلْطَانُ وأصارَهُ في حاشيته، ونجا [أبو حمّو][ب] بنفسه إلى تيكورارين آخر بلاد الصّحراء، فنزلَ بها منفردًا عن أهله وحاشيته ووزرائه، وأصفقَتْ زُغْبَةُ على خِدْمة ملِك المغرب.

ووافقَ هذا الفتحُ عند السُّلْطَان فَتْحَ بلاد مغراوةَ وتغلّبَ وزيره أبي بكر بن غازٍ على جبلِ بني بوسعيد، وتقَبّضَ / على حَمْزَةِ بن عليّ بن راشدٍ [121أ] في لُمَّةٍ من أصحابه، فضرب أعناقَهم وبعث بها إلى سُدّة السُّلْطَان، وصَلَبَ أشلاءَهم بساحة مِلْيانة، فتظافَر الفتحُ، واكْتَمَلَ الظّهورُ.

وأوعزَ السُّلْطَانُ إلى وزيره أبي بكر بن غازٍ بالنهوض إلى حُصَيْن، فنهض إليهم، وخاطَبني وأنا مقيمٌ بِبِسْكرةَ في دعايَتِه[ج] بأن أحْتَشِدَ أوليآءه[د] من الذّواودةِ ورِياح، وأتلقّى الوزيرَ والعَسَاكِر على حِصْنِ تيطري، فنازَلْناهُ

(أ) ص: يسلم (ب) من أ (ج) كذا في الأصول، ولعلها مصحفة عن: رعايته (د) كذا في ظ ص. وفي أ: أولياء.

(1) اختقبه: أردفه خلفه على حقيبة الرّحل. كذلك كلّ ما حُمل من شيء من خلف.

أشهراً، ثم انفضّ جَمْعُهم وفرّوا من حِصْنهم وتمزّقوا كلَّ مُمزّق، وذهب أبو زيّانَ على وَجْهه فلحِق ببلد وَارْكِلَى(أ) قبلَةَ الزّابِ لبُعدهَا عن مَنَالِ الجيوشِ والعَسَاكِرِ، فأجاروه وأكرموا نُزُلَهُ. وضرب الوزيرُ على قبائل حُصَيْنَ والثّعالبةِ المغارمَ الثقيلةَ فأعْطوها عن يدٍ، وبَهَضَهُم باقْتضائها، ودَوّخ قاصِيةَ الثّغور، ورجع إلى تِلِمْسَان عَالِيَ الكَعْبِ، عزيزَ(ب) السُّلْطَان، ظاهرَ اليدِ، وقَعد له السُّلْطَان بمجْلسه يومَ وُصوله قُعُوداً فخماً وصلَ فيه إليه، وأوصل من صَحِبَهُ من وفودِ العربِ والقبائل، فقَسم فيهم بِرّهُ وعِنَايَتَهُ وقَبُولَهُ، كُلٌّ على شَاكِلَتِهِ، واقْتضَى من أُمراء العَرب زُغبةَ أبناءَهُمُ الأعزّةَ رُهُناً على الطّاعة، وسرّحَهُم لغَزْوِ أبي حَمُّو بمُنْتَبَذِه من تيكورارين، فانطلقوا لذلك. وهلَكَ السُّلْطَان عبد العزيز للَيَالٍ قلائلَ من مَقْدَمِ وَزيرِه وعساكِرِهِ أواخرَ شهر ربيع الآخر من سنة أربعٍ وسَبعين لمرضٍ مُزمنٍ كان يتفادَى - بالكتْمانِ والصّبرِ- من ظُهوره. وانكفأ بنو مرينَ راجعِينَ إلى مَمالكهم بالمغرب بعد أن بايَعوا لولَده دارجًا خُماسيّاً(1)، ولقّبوه بالسّعيدِ، وجَعلوا أَمْرَهُ إلى الوَزير أبي بَكْر بن غازٍ، فملك أمْرَهُم عليهم، واستَمرّت حالُه كما ذكرناه في أخباره.

(أ) كذا وردت في الأصول بالألف المقصورة (ب) في أ: شديد.

---

(1) لعلّه قُطِع كبيرٌ خاصٌ من الورق كُتب عليه البَيْعة.

[121 ب] • / الخبرُ عن عَوْدة السُلْطَان أبي حَمُّو الأخيرِ[1] إلى تلمسانَ الكرَّةَ الثالثة لبني عبد الوادِ في الملكِ

لَمّا هلك السُلْطَان عبدُ العزيز، ورجع بنو مرينَ إلى المغربِ، نَصبوا من أغياص بني يَغَمْرَاسِن لمُدَافعة أبي حَمُّو من بَعْدهم عن تِلِمْسَانَ إبراهيمَ بنَ السُلْطَان أبي تَاشَفينَ. كان ناشئاً بدولتهم منذ مَهْلك أبيه، وتسلّك من جملتهم عطيّةُ بنُ موسى مولى السُلْطَان أبي حَمُّو، وخالَفهم إلى البلد غَدَاةَ رَحيلهم، فقام بدَعْوة مولاهُ، ودافع إبراهيمَ بنَ أبي تَاشَفينَ عن مَرامِهِ[ب]، وبلغ الخبرُ إلى أوْلياء السُلْطَان أبي حَمُّو من عَرب المَعْقِل أولاد يَغمور بنِ عُبَيد الله، فطيّروا إليه النّجيب على حين غلَبَ عليه النّاس، وأَجْمَعَ الرّحْلَةَ إلى بلاد السّودان لما بلغَه من اجتماع العَربِ للحركة عليه كما قُلْناه، فأغذَّ السّيرَ من مَطْرحِ اغْتِرابه وسابَقَهُ ابنُه وليُّ عَهْده في قَوْمه عبدُ الرّحمن أبو تَاشَفينَ مع ظهيرهم عبدِ الله بنِ صُغَيْر، فدخَلوا إلى البلَد، وتلاهُ السُلْطَانُ لرابعةٍ من دُخولهم، وعاودَ سُلْطانَهَ واقتعدَ أريكَتَهُ، وكانت إحدى الغرائب.

وتقَبّض ساعتئذٍ على وُزرائِه، اتّهمهم بمُداخَلةِ خالد بن عامر فيما نَقَضَ من عَهْده وظَاهرَ عليه عدوَّهُ، فأودعهم السِّجْن، وذبحهم ليَوْمهم خَنَقاً عليهم، واستَحكمت لها نُفْرَةُ خالدٍ وعَشيره، وخَلَصَتْ ولايةُ أولاد عَريفِ بن يحيى لمُنافَرة بني عامر إيّاه، وإقبالِ السُلْطَان عبد العزيز عليه، ووَثِق بمكان ونَزْمَار كبيرِهم في تَسْكين عاديةِ[ج] ملوكِ المغرب عنه، ورجع إلى تمهيد وطنه. وكان

(أ) ظ ص: بالأخير (ب) كذا في أ ص، ظ: مراتبه (ج) ص: عادته.

بنو مرينَ عند انفضَاضِهم[أ] إلى مغربهم قد نصّبوا من أقْيال / مَغراوةَ، ثمّ من [122 أ]
بني مِنْديلَ عليَّ بنَ هارونَ بن ثابتِ ابنِ مِنْديلَ وبَعثوه إلى شَلْف مزاحمةً للسّلطان أبي حَمُّو، ونقْضاً لأطرافِ ملكهِ، وأجْلب أبو زيّانَ ابنُ عَمِّهِ على بلاد حُصَيْنٍ، فكان من خَبره معها ما نذكره.

• الخبرُ عن رُجوعِ أبي زيّانَ بن السُّلْطَانِ أبي سعيدٍ إلى بلاد حُصَيْن، ثمّ خروجِهِ عنها

كان الأميرُ أبو زيّانَ بن السُّلْطَان أبي سَعيد لما هَلَكَ السُّلْطَانُ عبدُ العزيزِ، وبَلَغه الخبرُ بمنجاته من وارْكَلى نهضَ منها إلى التُّلُولِ، وأسَفَّ إلى النّاحيةِ التي كان مُنتزِياً بها، ومُساهِمًا لأبي حَمُّو فيها، فاقْتطعهَا لدَعْوتهِ كما كانت، ورجع أهْلُهَا إلى ما عَرفوا من طاعَتهِ، فنهض السُّلْطَانُ أبو حَمُّو إلى تَمْهيد نَواحيه وتَثْقيف أطرافِ مُلكهِ، ودَفْع الخوارجِ عن مَمَالكهِ، وظَاهَرَهُ على ذلك [أميرَا][ب] البَدْو من زُغْبَةَ: أبو بَكْر ومحمد ابنا عَريف بن يحيى، دَسّ إليهما بذلك كبيرُهما وَنْزْمَار، وأخذَهما بِمُناصَحَة السُّلْطَان [ومُخالَصته، فرَكِبا من ذلك أوضَحَ طريقٍ وأسْهلَ مركبٍ، ونَبَذَ السُّلْطَانِ][ج] العهدَ إلى خالدٍ وعشيرهِ، فضاقَت عليهمُ الأرضُ، ولَحِقُوا بالمغرب لسابقةِ نُزوعهم إلى السُّلْطَان عبد العزيز. وابتَدأ السُّلْطَانُ بما يليه، فأزْعج بمُظَاهَرَتِهِمَا عليَّ بن هارون عن أرض شَلْف سنةَ خمسٍ وسبْعين، بعد حروبٍ هَلَكَ في بَعْضها أخوه رَحْمون بنُ هَارون، وخَلَص إلى بجّايَة، فركب منها السّفينَ إلى المغربِ،

(أ) من أ، ظ: انفضاضه (ب) من أ، في ظ ص: أمير (ج) من أ ص، وسقط من ظ انزلاق نظر.

ثم تَخطى السُلْطَانُ أبو حمّو إلى ماوراء شَلْف، وسَفَر محمد بن عَرِيف بَيْنه وبين ابن عمّه بعد أن نَزَع إليه الكثيرُ من أوليائهِ، حُصَينٌ والثّعالبةُ بما بذلَ لهم من المال، وبما سَئِموا من طُول الفِتْنة، فشارَطه على الخُروج عن وَطَنه إلى جيرانهم من رياحٍ على إتاوةٍ تُحْمَلُ إليه، فَقَبِلَ، ووَضع / أوزارَ الحَرْب [122 ب] وفَارَقَ مَكَانَ ثَوْرَتِه. وكان لمحمد بن عَرِيف فيها أثرٌ محمودٌ. واستَألَف سالمَ بنَ إبراهيم كبيرَ الثّعالبة المتغلّبَ على بَسيط مِتّيجةَ وبلَدِ الجزائرِ بعد أن كان أخَبَّ في الفِتْنة وأوْضع، فاقْتضَى له من السُلْطَان عَهْدَهُ من الأمانِ والولاية على قَوْمه وعَمِله، وقلَّدَ السُلْطَانُ أبناءَه ثغورَ أعْماله، فأنزل ابنَهُ بالجزائر لنظر سالم بن إبراهيم من تَحْت اسْتبداده، وابنَهُ أبا زيّانَ بالمدِيَة.

وانقلَب السُلْطَانُ إلى حَضْرته بتِلِمْسانَ بعد أن دَوّخ قاصيتَه وثقَّفَ أطرافَ عمله وأصلَح قلوبَ أوليائه، واستَألَف شيعةَ عدوّهِ، فكان فتحاً لا كِفاء له من بَعْدِمَا خُلِعَ من رِبْقَةِ المُلْك، ونُزِعَ منْ لَبُوسِ السُلْطَان، وانْتبذ عن قومه ومَمالكه إلى قاصِيَة الأرض، ونزلَ في جوارِ من لا يُنْفِذُ أمْرَهُ، ولا يقوم بطاعته. والله مَالكُ المُلكِ يؤتي الملكَ من يشاءُ ويُعزُّ من يشاءُ ويُذِلُّ من يشاءُ.

• الخَبرُ عن إجْلاب عبد الله بن صُغَيِّر وانتقاض [أبي بَكْرٍ][1] بن عَرِيفٍ وبَيْعَتِهما للأميرِ أبي زَيّانَ، ورُجوعِ أبي بَكرٍ إلى الطاعة

كان خالدُ بن عامر وعبدُ الله بن أخيه صُغَيِّر وسائرُ إخوانهم من وَلَد عامر بن إبراهيم قد لحِقوا بالمَغرب صريخًا ببَني مَرِينَ لما وقعَ بينهم وبين أبي حَمُّو من الفَعْلةِ التي فَعَلَ خالدٌ معه، ويَئِس عبدُ الله بن صُغَيِّرٍ من صريخهم بما

(١) سقط من ظ .

عقَدَه وَنَزْمَارُ بنُ عَرِيفٍ من السِّلْمِ بين صاحبِ المغربِ وصاحبِ تلِمْسانَ. فخاضَ القَفْرَ بمَن معه من قَوْمه، ولحِق بوطَن زُغْبَة. وأجْلَبَ على جَبل راشدٍ وبه العُمورُ أحْلافُ سُوَيْد من بني هلالٍ، فاعْتَرضَتْهم سُوَيْدٌ، ودارت بيْنهم حربٌ شديدةٌ كان الظهورُ فيها لسُوَيْدٍ عليهم، وفي خلال ذلك فَسَدَ بين السُّلْطَان وبيْن أبي بَكْر بن عَرِيف بسَبب / صاحب وانْشَرِيسَ يوسفَ بنِ [123 أ] عمرَ بن عثمانَ، أراده السُّلْطَانُ عن النّزولِ عن عَمَلِهِ فغضِب له أبو بَكْر لقديمِ الصّداقة بين سلفهما، ووصل يَدَهُ بعبد الله بن صُغَير بعد الواقعة، ودعاه إلى بيعةِ أبي زيّانَ فأجابه، وأوْفدُوا رِجالاتِهم عليه بمكانه من مَجالات رِياح، فوصَل معهم، ونصَبوه للأمْر، وتحيّز محمّد بن عَرِيف إلى السّلطان في جُموع سُوَيد، ونهض السّلطان من تلِمْسانَ فاتحَ سنةِ سبعٍ وسبْعين فيمن معه من قَبائل بني عبد الوادِ وعرَب المَعْقِل وزُغْبَةَ، ودَسّ إلى أولياء أبي زيّانَ يُرغّبهم في المواعد، وحَكّمَ أبا بَكْر في الاشْتِراط عليه، ففاء إلى الطّاعة والمُخالصَة، ورَجع أبو زيّانَ إلى مكانه من حِلَل الدّواوِدة، وأغَذّ السّلطان السيرَ إلى حَضْرته فتَمَلأَ أريكتَهُ، وحَدث بعد ذلك ما نذكُره.

• الخَبَرُ عن وصول خالد بن عامر من المَغرب، والحرْب التِي دارَتْ بَيْنه وبينَ سُوَيْدٍ وأبي تاشَفين هَلَكَ فيها عبدُ الله بن صَغَيْر وإخْوانه

لمّا بلَغ خالدَ بنَ عامر بمكانه من المَغرب خبرُ عبد الله بن أخيه صُغَيْر، قَفَل من المغرب يَئِساً من مُظاهَرَةِ بَني مَرينَ مُخْفِقَ السّعْي في صَرِيخه بهم، لما كانوا عليه من افْتراق الأمر كما ذَكَرْناه قبلُ. ووصلَ معه سَاسي بن سُلَيم في قومه بني يعقُوبَ. وتظاهَر الحَيّانِ على العَيْث في بلادِ السُّلطان أبي حَمُّو،

واجتمع إليهم أبناءُ الفِتْنةِ من كلِّ أَوْبٍ، فأجلَبوا على الأطراف وشَنّوا الغارةَ في البلاد. وجمع أولادُ عَريف لحِزبِهم قَوْمَهُمْ من سُوَيد وأحلافَهُمْ من العَطافِ، وبَعثوا بالصَّريخ إلى السّلطان، فسرّح / لحزب عَدوّه وعدوّهم ابنَهُ [123 ب] أبا تاشَفين وليَّ عهده في قومه، وبَرَز لذلك في العَساكِر والجنود.

ولما انتهى إلى بلاد هَوّارة، واضطرب مُعَسكره بها، أعْجَله صريخُ أوْليائه عن مَناخ الرِّكاب فاستعجل الرحلةَ ولحِق بأوْليائه أولادِ عَريف ومن معهم من أشياع الدّولة من زُغْبة، وأغذّوا السّير إلى وادي مِينا بشرقيّ القلعة، فتراءى الجَمْعان، وتواقَفوا للقاءِ سائرَ يَوْمِهم، واستضاؤوا بإضرام النّيران(أ) مخافَةَ البَيَاتِ، وأصبحوا على تَعْبئَةٍ، وتمشّت الرّجالاتُ في مُوَاضَعةِ الحربِ فأعجلهم مناشبةُ القوم، وتزاحفتِ الصّفوف، وأَعْلَمَ(1) الكُماةُ، وكشفتِ الحربُ عن ساقِها، وحَمِيَ الوَطِيسُ، وهبّت الريحُ المبشّرة(ب) فخفقَت لها راياتُ الأمير وَهدَرَتْ طُبُولُه، ودارت رَحَى الحرْب، وصَمَدَتْ إليها كَتائِبُ العَرب فتَرَدّى(ج) فيها الأبطالُ منهم وانكشفوا، وأجْلَتِ المعركةُ عن عبد الله بن صُغَيِّر صريعاً، فأمر أبو تاشفين فاحتُزَّ رأسُه، وطيّر به البريدَ إلى أبيه، ثم عثرت المواكبُ بأخيه مَلُوك بن صُغَيِّر مع العبّاس ابن عمّه موسى بن عامِر، ومحمد بن زيّانَ من وُجوه عَشيرهم متواقِعين لجُنوبهم، مُتضاجِعين في مَراقدهم كأنّما اتّعدوا للرّدى، فوطِئَتْهم سَنابكُ الخيلِ، وغَشِيَهم قَتَامُ المواكِب، وأطلقت العساكِرُ أعِنّتَها في اتّباع القوم، فاستاقوا نِعَمَهُم وأموالَهُمْ، وكَثُرَتْ يومئذٍ الأنفالُ. وغَشِيَهم اللّيل فتَستّروا بجَناحه، ولحِق فَلُّهم بجبل راشدٍ، وأضرب(د)

(أ) ص: واستضاؤوا بالنيران ليلتهم (ب) حاشية ص: بعد الظهيرة (ج) أصلحت في أ ص بإضافة الدال المشددة: فتردّى ، وبقيت في ط: فترى (د) ص: اضطرب .

(1) وسّموا أنفسهم بسيماء الحرب.

أبو تاشفين أثنِيَته بمُنتهى ظُهوره، وملأه السّرور بما صنع الله على يده وما كان له ولقَومه من الأثر في مُظاهرة أوْليائه، وطار له بها ذكرٌ على الأيّام. ورجعَ إلى أبيه بالحَضْرة مملوّ الحقائب بالأنفال، والجوانحِ بالسّرور، والأيّام بالذِكر عنه وعن قومه، ومضَى خالدٌ لوجْهه في فَلٍّ من قومه، ولَحِق بجَبل راشدٍ، إلى أن كان من أمره / ما نذكره. [124 ا]

• الخَبَرُ عن انتِقاض سالمِ بن إبراهيم، ومُظاهَرتِهِ خالدَ بنَ عامر على الخِلاف، وبَيْعتِهمَا لِلأميرِ أبي زَيّانَ، ثم مَهْلك خالد، ومراجعةِ سالمٍ الطّاعة، وخروجِ أبي زَيّانَ إلى بلاد الجَريد

كان سالمُ بن إبراهيم هذا كبيرَ الثّعالبةِ المُتغلّبين على فَحْص مِتّيجةَ منذ انقراض مَليكش، وكانت الرئاسة فيهم لأهل بَيْته حَسْبما ذكرناه في أخبارهم عند ذِكْر المَعْقِل. ولمّا كانت فِتْنة أبي زَيّانَ بعد نكبة أبي حَمّو على بجاية، وهبّت ريحُ العَرب واستَغْلظ أمرُهم، كان سالمٌ هذا أوّلَ من غَمس يَدَهُ في تلك الفِتْنة، ومَكَر بعليّ بن غالب من بُيوتات الجَزائر، كان مُغتَرباً عنها من لَدُن تغلُّبِ بَني مَرينَ على المَغربِ الأوْسط أيّامَ أبي عنانٍ، ولَحِق بها عندما أظلَمَ الجوُّ بالفِتْنةِ، واستَحْكمت نَفْرَةُ أهل الجزائر عن أبي حَمّو، فأظهرَ بها الاستِبْدادَ، وأجْتَمع إليه الأوْشابُ والطّغامُ، ونَكِره سالمٌ أميرُ الضّاحية [لطمَعه][1] في الاستيلاء على الجَزائر، فداخل في شَأنه الملأَ من أهل المَدينة، وحذّرهم منه أنّه يَرومُ الدّعوة للسّلطانِ أبي حَمّو، فاستَشاطوا نَفْرةً

(1) ط: أطمعه .

وثاروا به، حتّى إذا رأى سالمٌ أنه قد أحيط به تَخَلّصَهُ من أيديهم وأخرجه إلى حَيّه وأتلفه هنالك، وَحَوّل دعوة الجَزائر إلى الأمير [أبي][ا] زيّانَ تحت [استبدادِهِ][ب]. حتّى إذا كان من أمر بَني مَرينَ، وحُلولِ السّلطان عبد العزيز بتلمسانَ ما قدّمناه، أقامَ دَعوَتَهم في الجزائر إلى حين مَهلكِه ورجوعِ أبي حَمُّو إلى تِلِمْسانَ، وأقبلَ [حينئذٍ][ج] أبو زيّانَ إلى تيطري فأقام سالمٌ هذا دعوتَه في أحيائه وفي بلَد الجزائر خشيةً على نفسه من السّلطان أبي حَمُّو لما كان يَعْتَمد عليه في الإدالَة من أمْره بالجَزائر بأمْر ابن عَمّه. / ولمّا كان [124 ب] من خُروجِ أبي زيّانَ إلى أحياء رِياحٍ على يَد محمد بن عَريف ما قدّمناه.

واقتضى سالمُ عهدَه من السّلطان، ووَلّى [ابنَهُ][د] على الجَزائر، أقام سالمٌ على أمره من الاستبداد بتلك الأعْمال، واستَضافة جبايتِها لنَفْسه، وأوْعزَ السّلطان إلى عُمّاله باسْتيفاء جبايتها، فاسْتراب وبَقيَ في أمره على المُداهَنة. وحدَثَت إثرَ ذلك [فتنةُ][هـ] خالد بنِ عامر، فتربَّص دوائرَها رجاءَ أن يكونَ الغَلَبُ له فيشتَغِل السّلطانُ عنه، ثمّ بدا له ما لم يحتَسِب، وكان الغَلَبُ للسّلطان ولأوليائِه. وكان قد حدثت بينه وبين [محمد][و] بن عَريف عداوةٌ فخشيَ أن يَحمِلَ السّلطانَ [على][ز] النّهوض إليه، فبادر بالانْتفاض على أبي حَمُّو، واستَقْدم الأميرَ أبا زيّانَ فقدم عليه، وجَأْجَأَ بخالد بن عامر والمُخالفين معه من العَرب، فوصلوا إليه أوّل سنةِ ثمانٍ وسبعين، وعقَد بينهم حِلفاً مؤكّداً، وأقام الدّعوة للأمير أبي زيّانَ بالجَزائر. ثم زحَفوا إلى حصار مِلْيانة وبها حاميةُ السّلطان فامْتَنعت عليهم، ورَجعوا إلى الجَزائر، فهلَكَ خالدُ بن عامرٍ على

(ا) من أ ص (ب) ظ: استباده (ج) من أ ص. وفيها: واقبل جَيْنْش ابو زيان (كذا). ويرجح أن كلمة جينش تصحيف لكلمة حينئذ (د) من أ ص، ظ: سالم (هـ) من أ ص (و) من أ ص، السلطان (ز) من أ ص.

فِراشه ودُفن بها. ووَلِي أمْرَ قَوْمه من بعده المسعودُ بنُ أخيه صُغَيِّر. ونهض إليهم السّلطانُ أبو حَمُّو من تلِمْسانَ في قومه وأوليائِه من العَرب فامْتنعوا بجبال حُصَيْن، وناوشَتْهم[أ] جيوش السّلطان القتالَ بأسافل الجَبل فغلَبوهم عليها، وانفضّت الناجِعةُ عنهم من الدّيالم والعَطّاف وبَني عامِر، فلَحِقوا بالقَفْر. ورأى سالمٌ أصْحَابَهُ أن قد أُحيط بهم فلاذَ بالطّاعة، وحملَ عليها أصْحابَهُ، وعقد لهم السّلطان من ذلك ما أرادوه على أن يُفارِقوا الأميرَ أبا زيّانَ، ففَعَلوا. وارْتَحلَ عنهم فلحِق ببلاد ريغ، ثم أجازَها إلى نَفْطة من بلاد الجريدِ، ثم إلى تُوزر، فنزلَ على مُقدّمها يَحيى بن يَمْلُولَ فأكرمَ نُزُلَه وأوسَع قِرَاهُ، إلى أن كان من أمره ما نَذكرُه[ب].

ورجع السّلطان / أبو حَمُّو إلى تلِمْسانَ، وفي نَفْسه من سالِمَ حزازةٌ [125 ا] لكَثْرة اضْطرابه و[مُسارَعَته][ج] إلى الفِتَن، حتّى توسّط فصلُ الشّتاء، وأبعدَتِ العربُ إلى مَشاتيها، فنهضَ من تلِمْسان في جُيوش زَناتَة وأغذَّ السّيْرَ، فصبَح فحَصَ مِتّيجة بالغارة الشّعواء، وأجفلَت الثّعالبة فلَحِقوا برُؤوس الجِبال، وامتَنع سالمٌ بجَبل بني خَليل، وبعثَ ابنَه وأولياءَه إلى الجزائر، فامْتنعوا بها، وحاصَروه أيّاماً ثم غلَبوه على مَكامِنِه[د] فانتقل إلى بني مَيْسرة من جبال صِنْهاجة، وخلّف أهْلَهُ ومَتَاعَهُ [واسْتُبيحُوا][هـ]، وصار الكثيرُ من الثّعالبة إلى الطّاعة وأسْهَلوا[و] بأمان السّلطان وعَهْده إلى بَسيط[ز] مِتيّجَةَ، وبعث هو أخاه ثابتاً إلى السّلطان فاقتضَى له العهدَ ونزلَ من رأس ذلك الشّاهِق إلى ابنه أبي تَاشَفين فأوْصله إلى السّلطان إحدَى

(أ) ظ: ناوشهم (ب) أ ص: نذكر (ج) ظ: مُراجعته (د) كذا في ظ ص. أ: مكانه (هـ) من حاشية ص (و) ظ ص. أ: انتهوا (ز) في ظ سقط.

ليالي العَشْر الأواخر من رمضان فأخفر عهدَهُ وذمّةَ ابنه، وتقبّض عليه صبيحةَ ليلتِه، وبَعث قائدَه إلى الجزائر فاستَوْلى عليها وأقام دعْوتَه بها، وأوفَد عليه مشيختَها فتقبَّض عليهم. وعقد على الجزائر لوَزيره موسى بن بُرغُوث، ورجَع إلى تلِمْسَان فقَضى بها عيدَ النّحر، ثمّ أخرجَ سالمَ بن إبراهيم من مَحْبِسه إلى خارج البلَد، وقُتِل قَعْصاً بالرّماح ونُصِب شِلْوُه وأصبح مثلاً في الآخرين، ولله البقاء.

وعقد السّلطان لابنه المُنتصر على مِليانةَ وأعمالها، ولابنه أبي زيّانَ على وَهْرَانَ. وراسَلَه[أ] ابن يَمْلول صاحب تُوزَر وصِهرُهُ ابن مُزْني[ب] صاحبُ بَسْكرة وأولياؤُهما من الكُعُوبِ والدّواوِدة لمّا أهمّهم أمرُ السّلطان أبي العباس وخافوه على أمصارهم، فراسَلوا أبا حَمُّو يَضمَنون له مسالمةَ أبي زيّانَ على أن يوفي له بما اشترط له من المال، وعلى أن يُشِبَّ نارَ الفِتْنة من قِبَلِهِ على بِلاَدِ الموحّدين ليشغلَ السّلطان أبا العبّاس عنهم، على حين عَجْزِ أبي حَمُّو عن ذلك، وضَعفِ الدّولة / [125ب] عنه، فأوْهَمهم من نفسه القُدْرَةَ، وأطْمَعهم في ذلك. ومازالَ يُراجِعهم ويُراجِعونَه بالمُقارَبَة والوَعْد، إلى أن أُحيطَ بابن يَمْلولَ، واستَوْلى السّلطانُ على بلَده، فلحق ببِسْكرة وهلَك بها لسَنةٍ من خُروجه آخر سنةِ إحدى وثمانين، وبقِي ابنُ مُزْنِي من بَعْده متعلّلا بتلك الأماني الكاذبة إلى أن ظهر أمْرُه، وتبيّن عَجْزُه فراجع طاعة السّلطان أبي العبّاس، واستقام على الموادعة[ج]. ولَحِقَ الأميرُ أبو زيّانَ بحضْرةِ السّلطان بتونِس فنزلَ بها أكْرمَ نُزُلٍ مؤمّلا منه المظاهَرةَ على عَدوّه.

(أ) ظ: وراسه (ب) ظ: مزين (ج) عليها علامة إلغاء، وفي الحاشية: عن المزاوغة.

والحالُ بالمغرب الأوْسط لهذا العهْد على ما شرَحْناه مِرارًا من تَغَلُّبِ العَرب على الضَّواحي والكثير من الأمْصار، وتقَلّصِ ظلّ الدّولة عن القاصِية وارْتدادها على عَقِبها إلى مراكزها بسِيفِ البَحْر، وتَضاؤُلِ قُدْرتها عن قُدْرَتهم، وإعطاء اليَد في مُغالَبتهم ببذْلِ رَغائبِ الأمْوال، وإقطاعِ البلاد، والنُّزول عن الكثيرِ من الأمصار، والقنوعِ بالتّضريب بَيْنهم، والإغراء بعضِهم ببعْضٍ. واللهُ وليّ الأمور.

• قِسْمَةُ السّلطانِ الأعمالَ بيْن وَلَدِه، وما حدثَ بينهم من التّنافُسِ

كانت لهذا السّلطان أبي حَمُّو جماعةٌ من الوَلَد، كبيرُهم وليُّ عَهْده أبو تاشَفين عبدُ الرّحمن، ثم بَعْده أربعة لأمّ واحِدةٍ كان تزوَّجها بمِيلَةَ، من أعمال قُسَنْطينة، أيّامَ جوْلته في بلاد الموحّدين، كبيرُهم المنتَصِر ثم أبو زيّانَ محمّد، ثم عُمَر ويلقّب عُمَيّر[أ]، ثمّ بعدَهم وُلْدٌ كثيرون أبناءُ عَلاّتٍ[1]. وكان أبو تاشَفين وليَّ عَهْده، وقد رَفَعه على الباقين وأشرَكَهُ في رَأيه، وأوجبَ له الحقَّ على وُزراء دَوْلَته، فكان لذلك رَدِيفَهُ ومُظْهِرَ سُلْطانِهِ، وكان مع ذلك يتعاهَد أولئك الإخوة / الأشقّاء بحُنُوّة ويَقْسِمُ لهم من تَرْشيحه، والنّجيّ في خُلوته، فيَنفَسُ أبو تاشَفين [126 أ] منهم. فلمّا استفحلَ أمرُ السّلطان وامّحَتْ من دَوْلته آثار الخِلاف، أعملَ نظرَه في قِسْمة الأعْمال بين وَلَده، وترشيحِهم للإمارة، والبُعْد بهم عن أخيهم أبي تاشَفين أن يُصيبَهم بمَكْروهِه عند إيناس الغَيْرة منهم، فوَلّى المنتصرَ كبيرَهم على

(أ) في حاشية أ: تصغير عُمَر.

(1) بنو العَلاّت، بنو أمهات شتّى من رجلٍ واحدٍ. الواحدُ: عَلّة.

مِليانةَ وأعمالها، وأنفذَهُ إليها ومعه أخوه عُمَر الأصغر في كَفالته، ووَلّى أخاهُما الأوْسَط أبا زيّانَ على المَدِيّة وما إليها من بلاد حُصَيْن، ووَلّى ابنه يوسف ابن الزّابيّة[أ] على تَدَلّس وما إليها من آخر أعْماله[ب]، واستقرّ أمرُهم على ذلك. ثم كان من انتقاض سالم الثّعْلَبي بالجزائر ما قدّمناه، فنَمى إلى السّلطان أنّ أبنه أبا زيّانَ دَاخلَهُ في الخِلاف، فلمّا فرغ من أمْر سالم كما مَرّ وطرد أبا زيّانَ ابنَ عمّه عن أعماله إلى الجَريدِ، أعملَ نظرَه في نَقْل ابنه أبي زيّانَ من المَدِيّة إلى ولاية وَهْران وأعمالِها بُعْداً به عن العَرب المُجْلِبينَ في الفِتَنِ، وأنْزل معه بعضَ وُزرائِه عَيْناً عليه، وأقام وَالِيًا عليها، [إلى أن كان ما نَذكُر][ج].

• ولَبْةُ أبي تاشَفين بيَحْيى بنِ خَلْدون كاتبِ أبيه

[كان السّلطانُ أبو حَمّو قد [طلبني][د] وأنا مُقيمٌ ببِسْكَرةَ يَدْعوني إلى وِلايَة حِجابَتِه وكُتابه، وكَتب إليّ عهدًا بذلك بخطّه، وصَل إليّ بذلك مع قَريبه عُمَر بنِ محمد بن إبراهيمَ بن مكن، وعرضَ لي الشغلَ بجميع أحْياء الذّواوِدَة للقائه ببلاد حُصَيْنٍ، والحركةِ معه إلى بجَايَة بعد الفَراغ من أمْر تيطري وأبي زَيّانَ، فبعَثْتُ أخي يَحْيى بنَ محمد بن خَلْدُون يَنوبُ عني في الوظائف ببابِه، وأقمْتُ فيما عَرض من ذلك، فأقامَه في تلك الوظائف.

ووَقع بعد ذلك ما وَقَعَ من انْهزامه على تيطري، ثمّ وصول السّلطان عبد العزيز واستيلائِه على تلِمْسَانَ واستقراري في جُمْلته. ثمّ بعثني إلى الذّواوِدَة والعُدولِ بهم إلى خِدْمَته، ومُقاطَعَتِهم لأبي حَمُّو وأتْباعِه. فقُمْت في ذلك المَقامَ المحمودَ.

(أ) في ظ ص: الراية، وفي أ تا أبتناه، وتتكرر فيها جميعا فيما بعد: الزّاية (ب) أ: أعمالهم (ج) من أ
(د) طبني، بسقوط اللام.

واستقر يَحْيى أخي في تلك الوظائف. وصارت حَمْلَةُ السّلطان عبد العزيز، ثمّ رَجعَ إلى أبي حَمُّو عِند رُجوعه إلى تِلِمْسانَ، وكان خالِصةً له وجِيًّا في خَفايا أمُورِه. وحدَث بين وَلَده ما حَدث في المُنافسة](أ).

كان أوّلُ شيءٍ حدَث من مُنافسة أبي تَاشَفين لإخْوته أنّ السُّلطانَ لـمّا وَلّى ابنَه أبا زيّانَ على وَهْرانَ وأعمالِهَا طلَبه أبو تاشَفين في ولايتها لنفسه فأسعفه ظاهِراً، وعهد إلى كاتبه يَحْيى بنِ خَلْدون بمُماطَلته في كتابها حتّى يرى المَخْلَصَ من ذلك، فأقام الكاتب يُطَاوِلُهُ، وكان في الدولة لئيمٌ من سَفِلةِ الشُّرَط يُدْعى بموسى بن يَخْلف، صَحِبَهم أيّامَ الاغتراب بتيكورارين أيّامَ مَلَكَ تِلِمْسَان عليهم عبدُ العزيز بنُ السّلطان أبي الحسن كما مرّ، وخلا له هُنالك وَجهُ السّلطان / أبي حَمُّو وابنه فتقرَّبا إليه بخِدَمِه ورَعَيَاهَا لَهُ، فلمّا [126 ب] رجع السّلطانُ إلى تِلِمْسَانَ بعد مَهلك عبد العزيز قَدّمه وآثره واستَخْلصه، فكان من أخصّ بِطانته. وكان أبو تاشَفين أيضا استَخْلصه، وجعلَه عيناً على أبيه، وكان هو أيضاً يَغصُّ بابنِ خَلْدون كاتبِ السّلطان ويَغَارُ من تَقدّمه عنده، ويُغْري به أبا تاشَفين جُهْدَه، فدَسّ إليه أثناءَ هذه المُطاوَلة أنّ الكاتبَ يَحْيى بن خَلْدون إنّما مطَلَه بالكتاب خِدْمةً لأبي زيّانَ أخيه وإيثاراً له عليه، فاستَشاطَ لها أبو تاشَفين وترَصّدَهُ منصَرفه من القَصْر إلى بَيْته بعد التّراويح في إحْدى ليالي رمضان سنةَ ثمانين في رَهْطٍ من الأوْغاد، كان يَطوف بهم في سِكَك المدينة ويَطْرُقُ معهم بُيوت أهل السِّتْرِ والحِشْمة في سُبُل الفَساد، فعَرضوا له وطَعَنوه بالخَناجر حتّى سقَط عن دابّته ميتاً، وغَدا الخبرُ على السّلطان صَبيحةَ تلك اللّيلة فقام في رَكائبه، وبَثّ الطلب عن أولئك الرّهْط

(أ) زيادة انفردَتْ بها نسخة أ بخط ابن خلدون.

في جوانب المدينة، ثمّ بلغه أن ابنه أبا تاشفين صاحبَ الفَعْلَةِ، فأغْضَى، وطَوَى عليها جوانحَه. وأقطعَ أبا تاشفين مدينةَ وَهْران كما وعَدَه، وبعث ابنه أبا زيّانَ على بلاد حُصَيْن والمَدِيَة كما كان. ثم طلب أبو تاشفين من أبيه أن تكونَ الجزائرُ خالصةً له فأقطعه إيّاها، وأنزلَ بها من إخوته يوسفَ بن الزّابيّة بما كان شيعةً له من بينهم، وفئةً في مَحبّته ومُخالَصته، فأقام واليًا عليها.

• حَرَكَةُ السّلطان أبي حَمُّو على ثُغور المغرب الأقصى ودخولُ ابنهِ تاشَفِين إلى جهاتِ مِكناسَة

كان أبو العبّاس بن السُّلطان أبي سَالم مِلِك بني مَرِينَ بالمَغرب الأقصى قد نَهض في عساكِره سنةَ [ستٍّ][أ] وثمانين إلى مراكش/ وبها الأميرُ عبد [127 أ] الرّحمن بنُ بو يفلُوسَنْ بن السّلطان أبي عليّ مقاسِمُه في نَسبه ومُلكه، وكان قد سَوّغ له مراكش وأعمالَها عندما أجْلَب معه على البلَد الجديد سنةَ خمسٍ وسبعين كما في أخبارهم، واستقرّ الأميرُ عبد الرحمن بمراكش. ثمّ حدثتِ الفتنةُ بينه وبين السّلطان أحمدَ، ونَهض إليه من فاس، فحاصَره أُولى وثانيةً يُفرِجُ فيهما عنه، ثمّ نَهض إليه سنةَ أربع وثمانين[ب] فحاصرَه[ب]، وأخذ بمُخَنَّقه، وأطالَ حِصارَه. وكان يوسفُ بن عليّ بن غانِم أميرُ المَعْقِل من العَرب منتقِضاً على السّلطان، وقد بعث السّلطان العَساكِر إلى أحيائه فهزَموه، وخرّبوا بُيوتَه، وبَساتينَه بسِجِلْماسَة، ورَجعوا، وأقام هو بصَحْرائه منتقِضاً. فلمّا جَهَد الحصارُ الأميرَ عبدَ الرحمن بمراكش، بعثَ أبا العشائِر ابنَ عمّه منصور بن

(أ) من أ، وموقعها فراغ في ظ ص (ب) سقط من ص.

السّلطان [أبي عليّ][أ] إلى يوسف بن عليّ بن غانِم ليَجْلِبَ به على فاسَ وبلاد المغرب، فيأخذُ بحُجْزَةِ السّلطان عنه ويُنَفّسَ من مُخَنّقِهِ. فسار يوسفُ ابن عليّ مع أبي العشائر إلى السُّلْطان أبي حَمُّو بتِلِمْسَان يستَنجده على هذا الغَرض لقُدْرته عليه دون العَرب، بما له من العَسَاكِر والأُبّهة، فأنْجَده على ذلك وقَدّم ابنه أبا تَاشَفِين مَعَهُم، وخرج هو في إثرهم. فساروا إلى المَغرب، ونزل يوسفُ بن عليّ بقومه قريباً من مِكْنَاسةَ، ومعه الأميران أبو العشائر وأبو تَاشَفِينَ، وجاء أبو حَمُّو من خَلْفهم فحاصَر تازَى سبعاً، وخرّب قصْرَ تازَروت المعدَّ هنالك لنُزُلِ السُّلْطَانِ، وكان السُّلْطَانُ قد استَخْلف على فاسَ في مغيبه عليَّ بنَ مَهدي العسكريَّ من عُمّال دولته ووُجوه قبيله، وكان هنالك عرَبُ المَنبَات من المَعقِل قد أخذوا المِيرَةَ، فأهابَ بهم وَنْزَمَارُ بن عَرِيف / [127ب] وليُّ الدّولة من عَرب سُوَيد وهو نازلٌ بقَصْر مُرادَةَ من أحواز تازَى، فاستَألَفَهُم لمُدافَعة أبي حَمُّو وابنه، وخَرج بهم عليّ بن مَهْدي. ثمّ وصلَ الخَبَرُ باستيلاء السُّلْطَان على مَرّاكُش منتصفَ خَمْس وثمانين، فأجْفَلَ أبو تَاشَفين، وأبو العشائِر ومن مَعهما من العَرب، وأتبعَهم عليُّ بن مَهدي بمن معه من المَنبَات، وأجْفَل أبو حَمُّو عن تازَى ومرّ بمُرادَةَ قَصْرِ وَنْزَمَار فهدَمه وعاثَ فيه، وانكفأ راجعاً إلى تلِمْسَان. وفارقَ ابنُهُ أبو تَاشَفِين أصْحَابَهُ أبا العشائِر والعرَب ولحِقَ بأبيه، إلى أن كان ما نَذكُره.

(أ) من أ ص، ظ: أبي حمو .

• نُهوضُ السُّلطَان أبي العبَّاس صَاحِب المغرب إلى تِلِمْسانَ واسْتِيلاؤُهُ [عَليها][أ]، واعتصامُ أبي حَمُّو بحِصْنِ تاجَحْمُومَتْ

ولما استَوْلى السُّلْطَانُ أبُو العَبّاس على مَرّاكُش كما قُلناه، رجع إلى دار مُلكه بفاس وقد آسَفَهُ السُّلْطَان أبو حَمُّو بإجْلابِه على وَطَنِهِ هو وابنُه أبو تاشفينَ مع العَربِ أيّام مَغيبه بمَرّاكش، فأجْمع الرّحلَةَ إلى تلِمْسانَ وخرجَ في عساكره، وراجعَ يوسفُ بن عليّ الطّاعةَ ورحلَ معه في جُموعه. وبلغَ الخبرُ إلى السُّلْطَان أبي حَمُّو فتردّد بين الحِصار بتلِمْسانَ أو مُفارَقتِها، وكان بَيْنه وبَيْن ابن الأحْمر صاحبِ الأندَلُسِ مواصلةٌ، ولابن الأحمر دَالّةٌ على السُّلْطَان أبي العبّاس كما مرّ، فكان يخفِض له الشّأنَ في قَصْد تلِمْسانَ ويُلبّثُهُ[1] عنها، فيعطيه المقادةَ في ذلك، فيُعَلِّلُ هو السُّلْطَانَ أبا حَمُّو بأنَّ السُّلْطَان أبا العبّاسِ لا يَصِلُ إليه. ثمّ أجْمعَ السُّلْطَان أبو العَبّاس أمرَهُ، ونَهض على حين غفلةٍ مُغِذاً إلى تلِمْسانَ، وتقدّم الخبرُ إلى أبي حَمُّو فأجمع مفارقةَ تلِمْسانَ بعد أن أظهر لأوليائه وأهلِ دَوْلته أنّه على الحِصار، ثم خرج حين غَشِيهُ [اللّيل][ب] إلى معسكره / [129] بالصّفصيف، وافتقدَه أهلُ بلَده من صَبيحتهم، فتبادرَ أكثرُهم إليه مُتعلّقين بأذياله خوفاً من مَعَرّة العدوّ، ثم ارْتحل يطوي المراحلَ إلى البطحاء. ودخلَ السُّلْطَانُ أبو العَبّاس تلِمْسانَ، واستَوْلَى عليها، وجَهّز العَساكِرَ لاتّباعِ أبي حَمُّو وقومِه، فأجفل من البَطْحاء، ولحِق بتَاجَحْمومَتْ فاعتَصم بمَعْقَلِها، ولحِق به ابنُه المنتصِرُ من مِليانةَ بما كان معه من الذّخيرةِ، فاستمدّ بها، وأقام هُنالك عازمًا على الامْتناعِ.

(أ) من ص (ب) من أ ص .

(1) من لبث: يلبثه يؤخره .

• رُجُوعُ السُّلْطَانِ أَبِي العبَّاسِ إلى المَغْرِبِ واخْتِلالُ دَوْلَتِه، ورُجُوعُ السُّلْطانِ أَبِي حَمُّو إلى مُلْكِهِ بتِلِمْسانَ

كان السُّلْطَان أبو العَبَّاس لَمَّا استَوْلَى على مَمْلكة تلِمْسَان، طيَّر كُتُبَه ورُسُلَه بفتحها إلى ابن الأحْمر صَاحِبِ الأندلس، ويَعْتذر له عن مُخالفة رأيه في الحَركة إليها. وقد كان ابنُ الأحْمر آسفه ذلك إلى ما انْضمّ إليه من النَّزَعَات المُلوكيَّة التي يُوسِفُ بها بعضُهم بعضاً وهو يَطوي جَوانِحَهُ عليها. واطّلع على فَساد طاعة السُّلْطَان أبي العبّاس في أهل دَوْلته ونَغَل ضَمائرهم له، فأزْعَجَ لوقْته موسى ابنَ السُّلْطَان أبي عنانٍ من أعياص مُلْكهم كان عنده بالأندلس، وجَهّزه بما يحتاج إليه، وبَعث في خدمته مسعودَ بن رَحُّو[أ] بن مَاسَايْ وزيرَهم المشهورَ، وأرْكَبَهُم السفنَ إلى سَبْتَةَ فنزلوا بساحَتها أوَّلَ ربيع ستّ وثمانين واستَوْلَوْا عليها، ثمّ تقدّمُوا إلى فاسَ فنازَلوا دارَ المُلْك أيّامًا، وبها محمّدُ بن حَسَن كاتب محمّد بنِ عُثْمَان القائمُ بدولة السُّلْطَان أبي العبّاس، والمستبدُّ عليه، واشتدُّوا في حِصارها، وتوافَتِ إليهم الأمْدادُ والحشودُ، فداخلَه الخَوَر وألْقى بيده. ودخلَ السُّلْطَان مُوسَى إلى دار المُلْكِ تاسعَ عشر ربيع الأول من السّنة، وجلَس على أريكَته، وأتاه / النّاس طَاعَتَهُمْ[ب] وطار الخَبَرُ إلى [128 ب] السُّلْطَان أبي العبّاس بتلِمْسانَ وقد تجهّز لاتّباع أبي حَمُّو، ونَزل على مرحلة من تلِمْسانَ بعد أن أغْراه وَنْزمَارُ بن عَرِيف أميرُ سُوَيد بتَخْريبِ قُصور الملكِ بتلِمْسانَ، وكانت لا يُعَبَّرُ عن حُسْنها؛ اختطّها السُّلْطَانُ أبو حَمُّو الأوّل وابنُه أبو تاشَفين، واستدْعَى لها الصُّنّاع والفَعلَةَ من الأندلس لحَضارتها، وبَداوة

(أ) ظ: مسعود بن حَمُّو بن رحّو (ب) أ: بطاعتهم.

دَوْلتِهم يومئذٍ بتلِمْسانَ، فبعثَ إليها السُّلْطان أبو الوليد صاحبُ الأنْدَلس بالـمَهَرة والحُذّاقِ من أهل صِناعة البِناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصورَ والمنازلَ والبساتينَ بما أعْيى على النّاس بَعْدهم أن يأْتوا بمِثْله. فأشارَ وَنْزَمارُ على السُّلْطان أبي العبّاس بتَخْريبِ هذه القصور، وأسوارِ تلِمْسان انتقاماً بزَعْمه من أبي حَمُّو وأخذًا بالثّأْر منه فيما اعتَمده من تَخْريب دار الـمُلْك بتازَى، وتَخْريب قَصْرِه هو بمُرادَةَ. فأتى عليها الخَرابُ أسرعَ من لَمْح البَصر، وبينما هو في ذلك، وهو يَرُوم السّفر لاتّباع أبي حَمُّو إذ جاءه الخبرُ بأنّ السُّلْطان موسى ابنَ عمّه السُّلْطان أبي عنانٍ قد استَوْلى على دار مُلْكهم بفاس، واقتعد أريكتَهم، فكرّ راجِعاً إلى المغربِ لا يَلْوي على شيْء، وتركَ تلِمْسانَ لشأْنها، وكان من أمره ما يَأْتي ذكْرُه في أخْبارِه.

وطارَ الخبرُ إلى السُّلْطان أبي حَمُّو بمكانه من تاجَحْمُومَتْ فأغذَّ السّيرَ إلى تلِمْسانَ، ودَخلَها، وعاد إلى مُلْكِه بها، وتَفجّعَ لتلك القُصورِ وبما ذَهب من رَوْنقِ حُسْنها، وراجَعَ دَوْلةَ بني عبد الوادِ وسُلْطانهم بتلِمْسَان.

• تَجَدُّدُ الـمُنافَسَةِ بَيْن وَلَدِ السُّلْطَان أَبي حَمُّو ومُجَاهَرَةُ أَبي تَاشَفينَ • بِذلك لهم و[لأبيه] •(أ)

كان التّنافُس بين هؤلاء الوُلْد خَفِياً على النّاس بما كان السُّلْطان أبوهم / يُدامِلُ(1) بينهم، ويُداري بَعْضَهم عن بعضٍ، فلمّا خَرجوا أمامَ بَني مَرينَ، [129 أ] وعادوا إلى تلِمْسَان صار تنافُسُهُمْ إلى العَداوة، واتّهمَ أبو تاشَفين أباه بمُمالأة

(أ) ظ: ابنه وما بين النجمين ساقط من أ.

(1) يداريهم ويطوي على ما فيهم.

إخوته عليه[1] فشمّر لعُقُوقِهِ، وعَداوته. وشعَر السُلْطَانُ بذلك فأعملَ الحركةَ إلى ناحية البطحاء موَرِّيا بإصْلاح القَرب، ومُعتزمًا على لقاءِ ابنه المُنْتصِر بِمِلْيَانة ليصلَ به جَنَاحَه ويتخطّى إلى الجَزائرِ فيجعلها دارَ مُلكه بعد أن استخْلَف بتِلِمْسانَ ابنَه تاشَفين، وحالَفَه على المُناصَحة، واطّلع موسى بنُ يخلف على خَبِيئةِ السُلْطَانِ بذلك، فدَسّ بها إلى أبي تاشَفين على عادَته، فطار به الأسف كلَّ مَطارٍ، وأغذَّ السّيرَ من تلِمْسانَ فيمن معه من العَسْكر فصبّحَ أباهُ بأسْفل البَطحاء قبل أن يتّصل بالمُنتصر، وكشف له القِناعَ عن التّكيرِ والسُخْط على ما بلَغه. فحلَف له السُلْطَانُ على ذلك وأرْضاه بالرُّجوعِ معه إلى تلِمْسان فرجَعا جَميعًا.

خَلعُ السُّلْطَان أبي حَمُّو واسْتِبْدادُ ابنهِ أبي تَاشَفين بالمُلْكِ واعْتِقَالُه إيّاه

ولمّا رجعَ السُلْطَانُ من البَطْحاء، وبَطُل ما كان يُؤمّلُه من الاتصال بالمُنتَصرِ، دسّ إليه مع خالصةٍ من أهْل دوْلته يُعرَف بعليّ بن عبد الرحمن ابن الكُلَيّب بأحْمال من المال يُودِعُها إلى أن يَجِدَ السّبيلَ لحاجَةِ نفْسه، وكتب

15 له بولايةِ الجَزائر ليُقيمَ بها حتّى يَخلُص إليه، واطّلَع موسى على ذلك فأطْلَع أبا تاشَفين على الخَبَر، فبعثَ في إثْره من حاشيتِه من اغْتال ابنَ الكُلَيّب في طَريقه وجاء إليه بالمال والكُتُب، فاطّلع منها على حَقيقة أمْرهم، وأنّهم مُتَرَبّصُون به، فاستَشاط، وجاهَر أباهُ، وغَدا عليه بالقَصْر فوقفَه على الكتاب، وبالَغ في

[1] ط: عليهم.

[129 ب] عَذْلِهِ، وتحيّزَ موسى بن يخلف إلى أبي تاشفين وهَجَر بابَ / السُّلْطان، وأغْرَى به ابنَهُ فغدَا على أبيه بالقَصْر بعد أوتامٍ، وخلَعَهُ، وأسْكنه بعض حُجَرِ القَصْر، ووكّلَ به، واستَخْلص ما كان معه من الأموال والذَخيرة. ثمّ بعثَ به إلى قَصَبةِ وَهْرانَ فاعْتقَلَه بها، واعتقل من حضر بتِلِمْسانَ من إخْوَته، وذلك آخرَ ثمانٍ وثمانين. وبلغَ الخبرُ إلى المُنْتصر بِمِلْيانَة، وأبي زيّانَ وعُمَيْر، فلَحِقوا بقَبائل حصَيْن، واستَذمُّوا بهم فأذَمّوهم[1] وأنزلوهم عندهم بجَبل تيطري، وجمَع أبو تاشَفين العَسَاكِر واستألَفَ العربَ من سُوَيْد وبني عامرٍ، وخرجَ في طَلبِ المُنْتَصر وإخْوَتِه، ومَرّ بمِلْيانَة فملكَها، ثمّ تقدّم إلى جبل تيطري، وأقام في حِصارهم به وهم مُمْتَنِعون عليه.

• خُرُوج السُّلْطَان أبي حَمُّو من الاعْتِقَالِ ثمّ القَبْضُ عليه وتَغْرِيبُهُ إلى المَشْرِقِ

ولما طال مُقام أبي تاشَفين على تيطري لِحصار إخوته، ارتابَ بأمْر أبيه وطول مَغيبه عنه، وشاورَ أصْحَابَه في شأنه فأشاروا عليه بقَتْله وأصْفَقوا على ذلك، فبَعثَ أبو تاشَفين ابنَه أبا زيّانَ في لُمّة من حاشِيته، فيهم ابنُ الوَزير عمرانُ بن موسى، وعبدُ الله بن الخُراساني، فقَتَلوا من كان مُعْتقَلاً بتِلِمْسانَ من أبناءِ السُّلْطَان، وتقدّموا إلى وَهْرانَ. وسمِع أبو حَمُّو بقُدومهم فأوْجَسَ الخيفةَ منهم، واطّلَع من جُدران [القَصْر](أ) يُنادي بالصّريخ في أهْل البلَد

(أ) من أ. ص: القصبة. ط: العصبة .

---

(1) استذمّه: طلب أن يكون في ذمّته وحمايته وعهده وأمانه. أذمّهُ: أخذ له الذمة وأجارة ومنعه.

فتبادَروا إليه من كلّ جهة، وتَدلّى لهم بحَبْل وصَلَه من عِمامَته التي كان مُعْتمًّا بها، فتناوَلوه حتّى استقرّ بالأرض، واجْتمعوا عليه، وكان الرّهطُ الذين جاؤوا لقَتْله بباب القَصْر، وقد أغْلَقهُ دُونَهُمْ، فلَمّا سمِعوا الهَيْعة[1] واستَيْقَنوا الأمرَ طلَبوا النَّجاةَ بدمائهم.

واجتمع على / السُّلطان أهلُ البَلَد، وتولّى كِبْرَ ذلكِ خطيبُهم، وَجدّدوا [130 أ] له البَيْعَة، وارْتحل من حينه إلى تلِمْسانَ فدخلَها أوائلَ تسعٍ وثمانين، وهي يومَئذٍ عَوْرَةٌ بما كان بنو مرينَ هدَموا أسوارَها، وأزالوا حِصْنَهَا، وبَعث فيمن كان مُخلّفاً بأحْياء بني عامرٍ من أكابرهم ووُجوهِهم فقَدِموا عليه. وطارَ الخبَرُ إلى أبي تاشَفين بمَكانه من حصار تيطري فانْكفأ راجِعاً إلى تلِمْسانَ فيمن معَه من العَسَاكِر والعَربِ، وبادَره قبل أن يستَكْمل أمرَه فأُحيط به، ونَجا إلى مَأذنةِ المَسْجد الجامع فاعْتَصم بها، ودخل أبو تاشَفين القَصْرَ، وبَعث في طلبه، وأُخْبِر بمكانه فجاءَ إليه بنَفْسه واسْتَنْزلَه من المأْذَنة، وأدركَتْه الرِّقّة، فَجهِشَ بالبُكاءِ، وقبّلَ يدَهُ، وغدَا به إلى القَصْر، واعْتقَله بِبعْض الحُجَر هُنالك. ورَغِب إليه أبوه في تَسْريحه إلى المَشْرق لقَضاء فَرْضه فشارَط عليه بعضَ تُجّار نَصارَى الإفْرنج المتردِّدين إلى تلِمْسانَ من القَطّلان على حَمْله إلى الإسْكندريّة، وأرْكَبهُ السَّفِينَ معهم بأهْله من فُرْضَةِ وَهْران ذاهِبًا لطِيّته، موكّلاً به، وأقبل أبو تاشَفين على القِيام بدولته.

(1) الهَيْعة: صوت الصّارخ للفزع. الصوت تفزع منه وتخافه من عدوّ.

• نُزُول السُّلْطَان أَبِي حَمُّو بِبِجَايَة مِن السَّفِين وَاسْتِيلاؤُه على تِلِمْسَانَ ولحاقُ أَبِي تاشَفِين بالمَغرِب

لما رَكِبَ السُّلْطَانُ أبو حَمُّو السَّفِينَ ذاهبًا إلى الإسْكندرية، وفارقَ أعمالَ تلِمسانَ، وحاذى بِجَايَة، داخلَ صاحبَ السَّفينة في أن يُنْزِلَهُ بِبِجَايَة، فأسْعَفه بذلك لِخرج من الطَّارمة التي كان بها مُعْتقَلاً، وصارَ الموكَّلون به في طاعَته. وبعثَ إلى محمد بن أبي محمد مهدي قائدِ الأسطول بِبِجَايَة المستبدِّ على أميرها من وَلَد / [130 ب] السُّلْطَان أبي العبّاس بن أبي حَفْص، وكان محمد بن وارثٍ خالصةَ المنْتَصرِ ابن أَبِي حَمُّو من ناشئة دولتهم [كان سلفه عرفاء الوزعة والبوابين بقصرهم، وعرضت للحُرم حاجة إلى رضاع المنتصر لعذر منع أمّه من رضاعه فأرضعته أم محمد بن وارث هذا يوما أو بعض يوم، وكان ذلك وسيلة يمت بها إلى خدمة المنتصر حتى خالطه وخلص له وحضر معهم بتيطرى وفارقهم إلى بجاية بعد أن تخلصوا من الحصار فلما نزل السُّلْطَان أبو حمو بمرسى بجاية، وبعث إلى ابن أبي مهدي بعث هو إليه محمد بن وارث هذا][1] بالإجابة إلى ما سأل، وأنْزَله بِبِجَايَة آخرَ تسعٍ[أ] وثمانين، وأسْكَنَهُ بستانَ المَلِكِ المُسمّى بالرفيعِ. وطيّرَ الخَبَرَ إلى السُّلْطَان بتونِس فشكَر له ما أتاهُ من ذلك وأمَره بالاستِبْلاغ في تكرِمته، وأن يُخرِج عساكِرَ بِجَايةَ في خدْمة أبِي حَمُّو إلى حُدود عَمَله متى احْتاجَ إليها.

(أ) في أ: سبع وثمانين.

---

(1) سجّل ابن خلدون في الأصول الثلاثة النصّ التالي ثم شطبه في النسخة التي بين يديه "نسخة أ"، وزاده تفصيلا في حاشيتها التي انفردت بها. فأثبتُّها في المتن. والسطر المشطوب كما أوردته نسختا ظ ص هو: قد خلص إلى بجاية من تيطري بعدما تنفّس الحصار عنهم، فبعثه ابن أبي مهدي إلى السُّلطان أبي حَمُّو.

ثم خَرج السُلْطانُ أبو حَمُّو من بِجَايةَ، ونزل مِتّيجة واستَنفر طوائف العَرب من كلّ ناحيةٍ فاجتمعوا إليه، ونَهض يُريد تلِمْسَان، واعْصَوْصَبَ قومُه بنو عبد الوادِ على أبي تَاشَفين بما بذَل فيهم من العَطاء وقَسم من الأمْوال، فنابَذوا السُلْطان أبا حَمُّو، واستَصْعب عليه أمْرُهُمْ، وخرجَ إلى الصَّحراء، وخلّف ابنَه أبا زيّانَ في جبال شَلَف مُقيماً لدَعْوته، وبلَغ إلى تَامَةَ من ناحية المَغْرِب، وبلَغ الخبرُ إلى أبي تَاشَفين فبعث عسكرًا إلى شَلَف مع ابنه أبي زيّانَ ووَزيره محمّد بن عبد الله بن مُسلّم، فتَوَاقَعوا مع أبي زيّانَ ابن السُلْطان أبي حَمُّو فهزَمَهم وقُتِلَ أبو زيّانَ بن أبي تَاشَفين ووَزيرُه ابنُ مسلّم وجماعةٌ من بَني عبد الواد.

وكان أبو تَاشَفين لما بلَغه وصولُ أبيه إلى تَامَةَ سار إليه من تلِمْسَان في جُموعه، فأجْفل أبو حَمُّو إلى وادي صا، واستجاش بالأخْلاف من عَرب المَعْقِل هُنالك، فجاؤوا لنَصْره. وعاودَ تامَةَ فنزَلَها، وأقام أبو تَاشَفين قُبالَته، وبلَغه هنالك هزيمةُ ابنِه ومقْتَلُه فولّى مُنهزمًا إلى تلِمْسَان، وأبو حَمُّو في اتباعِهِ. ثم سرّح أبو تَاشَفين مولاهُ سعادةَ في طائفةٍ من العَسْكر لمُحاولة العَربِ في التخلّي عن أبي حَمُّو، فانتهزَ أبو حَمُّو فيه الفرصةَ وهَزَمَهُ وقبضَ عليه، وبلَغ الخبرُ إلى أبي تَاشَفين بتلِمْسانَ / وكان يُؤمِّلُ النّجح عند سَعادة فيما توَجّه [131 أ] فيه، فأخْفَقَ سعيُه، وانفَضّ عنه بنو عبد الوادِ والعربُ الذين معه، وخرج هارباً من تلِمْسانَ مع أوْليائه من سُوَيْدٍ إلى مَشاتيهم بالصّحراء، ودَخل السُلْطان أبُو حَمُّو تلِمْسانَ في رَجب تسْعين، وقَدِمَ عليه أبناؤه فأقاموا معه بتلِمْسَان، فطرقَ المنتَصرَ ابنَه المرضُ فهلَكَ بها لأيّامٍ من دُخوله تلِمْسَان، واستقرّ الأمرُ على ذلك.

• نُهوضُ أبي تَاشَفين بعَساكر بَني مَرِينَ، ومَقْتَلُ السُّلْطَان أبي حَمُّو

لـمَّا خرجَ أبو تاشَفين من تلِمْسَان أمامَ أبيه، واتّصلَ بأحْياء سُوَيْدٍ، أجْمَعوا رَأْيَهم على الاستِنْجاد بصاحب المغرب، فوَفَد أبو تاشَفين ومعه محمّدُ ابن عَرِيف شيخُ سُوَيدٍ على السُّلْطَان أبي العبّاس صاحبِ فاسَ، وسُلْطان بَني مَرِينَ صَرِيخَيْن على شأنهما، فقَبِل وِفَادَتَهما، ووَعدَهما بالنَّصر من عَدُوِّهما. وأقام أبو تاشَفين عنده يَنْتظر إنْجازَ وَعْده، وكان بَيْن أبي حَمُّو وابنِ الأحْمر صاحبِ الأنْدَلُس وَشيجَةُ وُدٍّ وعقيدةُ وُصْلَةٍ، ولابن الأحْمر دَالَّةٌ وتحكّمٌ في دولة أبي العبّاس صاحبِ المغرب بما سلف من مُظاهَرَته على أمره من أوّل دَوْلتِه، فبَعث إليه أبو حَمُّو في الدّفاع عنه بإجازَة أبي تاشَفين من المَغْرب إليه، فلم يُجِبْهُ صاحبُ المَغْرِبِ لذلك وفاءً بذِمَّته، وعَلَّله بالقُعود عن نَصْره، وألّح عليه ابنُ الأحْمر في ذلك، فتعلّل بالمَعاذير. وكان أبو تاشَفين قد عَقَد لأوّل قُدُومِهِ مع وَزير الدّولة محمّد بن يوسف بن عَلاّل حِلْفاً اعتقَدَ الوفاءَ به، فكان هواهُ في إنْجاده ونَصْره من عَدُوّه، فلم يَزَلْ يَفْتل[1] لسُلْطانه في الذِّرْوَةِ والغَارِب، ويَلْوي عن ابن الأحْمر / المواعيدَ حتّى أجَابَهُ السُّلْطَانُ إلى غَرَضِه. [131 ب] وسرّح ابنَه الأميرَ أبا فارِسٍ، والوزيرَ محمّدَ بنَ يوسف بن عَلاّل في العَسَاكِر لمُصارَخة أبي تاشَفين، وفَصلوا من فاسَ أواخر إحدى وتسعين، وانتَهَوْا إلى تازَى، وبلغ خبرُهُم إلى السُّلْطَان أبي حَمُّو فخَرجَ من تلِمْسانَ وجَمَع أشياعَهُ من بَني عامرٍ، والخَرَاجَ من عُبَيد اللهِ، وقطعَ جَبَلَ بني وَرْنِيْد المُطِلَّ على تلِمْسانَ،

(1) مازال يفْتِلُ من فلانٍ في الذّروة والغارب، أي يدور من وراء خديعته، وهو مثل .

وسارَ إلى نَواحي عُيون صا، وبلَغ الخبرُ إلى أبي تاشفين بمُفارَقته تلِمْسان، فقدّم إلى تلِمْسان جُرزَ المكْرِ والخديعَة، وشيطانَ الشرّ والفِتْنة موسى بن يَخْلف، فاستَوْلى عليها وأقامَ دَعْوة أبي تاشفين فيها. وطارَ الخَبَرَ إلى أبي حَمُّو فبعثَ لتَلافيها من مَكانه ذلك ابنَهُ عُمَيّرَ[أ] فصبّحه بها لليلةٍ من مَسيره فأسْلَمَهُ أهلُ البلد وتقبَّض عليه وجاء به أسيرًا إلى أبيه بمكانه من الغِيرّان، فوبّخَه أبو حَمُّو على فِعاله ثم أذاقَه أليمَ عذابه ونَكاله، وأمر به فقُتِل أشنعَ قِتْلةٍ. [وسارَ أبو حَمُّو إلى ناحية الغِيرّان وراءَ جبل تلِمْسانَ، وفارَقَه أشياعُهُ من العرب إلى صَحاريهم][ب] وجاءَت العيونُ إلى أبي فارسَ ابنِ صاحب المغربِ ووزيرِهِ ابن عَلاّل بمكان أبي حَمُّو وأعْرابِه بالغِيران، فنهضَ الوزيرُ ابنُ علاّل في عساكر بَني مَرينَ لغَزْوه، وسار أمامَهم سليمانُ بن ناجي من الأحْلاف، إحدى بطون المَعْقِل يَدُلّ بهم طريقَ القَفْر، حتّى صَبّحوه ومن معه من أحياء الخرّاج في مكان مُقامَتهم بالغِيران. وناوَشوهم القتالَ فلم يُطيقوهم لكَثْرتهم، ووَلّوْا مُنهزمينَ، وكَبَا بالسُّلْطان أبي حَمُّو فرَسُه فسقَط، وأدْرَكه بعضُ فُرسانهم. وعرَفَه فقَتلوه قَعْصاً بالرّماح وجاؤوا برَأسه إلى الوَزير ابن علاّلٍ وأبي تاشَفين، وجاؤوا بابْنه عُمَيّر أسيرًا، وهمّ أبو تاشَفين أخوهُ بقَتْله فَمَنعوه أُوَيّامًا ثمّ أمْكَنوه منه فقَتَله. ودخلَ أبو تاشَفين إلى تلِمْسانَ آخرَ ثنتَين وتسْعين، وخَيّم الوزيرُ وعساكرُ / بَني مَرينَ بظاهِرِ البَلَد حتّى [132 أ] دفعَ إليهم ما شارَطَهُم عليه من المال، ثم قَفلوا إلى المغرب، وأقام هو بتلِمْسان يُقيم دعوةَ السُّلْطان أبي العبّاس صاحب المغرب ويخطُبُ له على مَنابره ويَبْعث إليه بالضّريبة كلّ سنةٍ كما اشتَرط عل نَفْسه، إلى أن كان ما نَذْكره.

(أ) ظ ص: فطيّر إلى أبي حمّو ابنه عُمَيّر (ب) من أ.

• مَسِيرُ أَبِي زَيّانَ بن أَبِي حَمُّو لِحِصَارِ تِلِمْسانَ ثمّ إجْفَالُهُ عَنها ولَحَاقُهُ بِصَاحِبِ المغربِ

كان السُّلْطَانُ أبو حَمُّو قد وَلّى على الجَزائر ابنَه أبا زيّانَ لمّا عادَ إلى مُلكِه بتلِمْسانَ وأخرج منها أبا تاشَفين، فلمّا قُتِلَ أبو حَمُّو بالغِيرَان، كما قُلْناهُ، خرجَ أبو زيّانَ من الجَزائر ناجِياً إلى أحْياء حُصَيْن يؤمّل الكَرّة بهم والأخْذَ بثأر أبيه وأخيه، فاشْتَملوا عليه، وأجابوا صَريخَه. ثمّ وَفد عليه أمراءُ بني عامرٍ من زُغْبَة يدْعونه لـمُلكه، فسار إليهم وقام بدَعْوته وطاعَته شيْخُهم المَسْعود بن صُقَيْر، ونَهضوا جميعاً إلى تلِمْسانَ في رَجب ثنْتَين وتسعين، فحاصروها أيّاماً، ثم سَرّب أبو تاشَفين المالَ في العَرب فافْتَرقوا عن أبي زيّانَ، وخَرج إليه أبو تاشَفين فهزَمَهُ في شَعْبان من السّنة، ولحِقَ بالصّحراء، واستَألَف أحْياءَ المعْقِل، وعَاوَدَ حِصَارَ تلِمْسانَ في شوّال. وبعَثَ أبو تاشَفين ابنَه صَريخاً إلى المَغْرب فجاءه المَدَدُ من العسْكر. ولمّا انتهى إلى تاوَريرْت، أفْرج أبو زيّانَ عن تلِمْسانَ وأجْفلَ إلى الصّحراء، ثم أجْمع رأيَه على الوِفادة إلى صاحب المغرب فوفَد عليه صَريخاً فتلَقّاه بِرُّ[1] مَقْدَمَهُ ووَعدَه النّصْرَ من عدوّهِ، وأقام عندَه إلى حين مَهْلَكِ أبي تاشَفين.

• وَفَاةُ أَبِي تَاشَفِينَ واسْتِيلاءُ صَاحبِ المَغربِ على تِلِمْسانَ

[132 ب] لَمْ يَزَلْ هذَا الأميرُ أبو تاشَفين مملّكاً عَلَى تلِمْسَانَ ومقيماً فيها / لدَعْوة صاحب المغرب أبي العبّاس بن السُّلْطَان أبي سالم، ومُؤدّياً الضّريبةَ التي فرضَها

(1) ا: ابرّ.

عليه منذ مَلَكَ. وأخوه الأميرُ أبو زيّانَ مقيمٌ عند صاحبِ المَغْرب ينتظِر وَعْدَه في النَّصْر عليه. حتَّى تغيّرَ السُّلْطَانُ أبو العَبَّاس على أبي تاشَفين في بَعْض النَّزعاتِ المُلوكيّة، فأجاب داعيَ أبي زَيّانَ وجهّزه بالعَسَاكِر لِمَلك تِلِمْسانَ، فسار لذلك مُنْتصف سنة خمْسٍ وتسعين، وانتهى إلى تازَى، وكان أبو تاشَفين قد طرَقَه مرضٌ أزْمَن به ثم هلَكَ منه في رمضان من السَّنة. وكان القائِمُ بدَوْلته أحمدُ بن العزّ من صَنائِعهم، وكان يُمتّ إليه بخُؤولة، فوَلَّى بعدَه مكانَه صبيّاً من أبنائه، وقام بكَفالَته، وكان يوسفُ بنُ أبي حَمُّو - وهو ابن الزّابيّة - والياً على الجَزائر من قِبَلِ أخيه أبي تاشَفين، فلمَّا بلَغه الخبرُ أغذَّ السيرَ مع العَرب، ودخلَ تلِمْسانَ فقتل أحمدَ بنَ العزّ والصبيَّ المكفولَ ابنَ أخيه أبي تاشَفين، فلَمَّا بلغ الخبرُ إلى السُّلْطَان أبي العبّاس صاحبِ المغرب، خرجَ إلى تازَى وبعثَ من هُنالك ابنَهُ أبا فارس في العَسَاكِر وَرَدَّ أبا زَيّانَ بن أبي حَمُّو إلى فاسَ، ووكّل به، وسارَ ابنَهُ أبو فارس إلى تلِمْسانَ فملكها وأقامَ فيها دعوةَ أبيه، وتقدّم وزيرُ أبيه صالحُ بن حَمُّو إلى مِلْيانَة فَمَلَكَهَا وما بَعْدها من الجَزائر، وتَدَلّس إلى حُدود بِجَايَة، واعتصَم يوسفُ بن الزّابيّة بحِصْن تاجَحْمُومَت، وأقام الوزيرُ صالحُ يُحاصِره. وانقرضَتْ دعوةُ بني عبد الوادِ من المغرب الأوسَط. واللهُ غالبٌ على أمْرِه.

• وَفاةُ أبي العبّاس صاحب المغرب واستيلاءُ أبي زيّانَ بن أبي حَمُّو على تلمسانَ والمغربِ الأوسطِ

كان السُّلْطَانُ أبو العَبَّاس بنُ أبي سالمٍ لمّا وصلَ إلى تازَى وبعثَ / ابنَهُ [133 أ]
أبا فارس إلى تلِمْسانَ فملكها، أقام هو بتازَى يُشارف أحوالَ ابنِه ووزيرِه

صالحٍ الذي تقدّم لفتح البلاد الشرقيّة. وكان يوسفُ بنُ عليّ بنِ غانمٍ أميرُ أولادِ حُسَيْنٍ من المَعْقِل قد حَجّ سنة ثلاثٍ وسبعين، واتّصلَ بمَلِكِ مِصْرَ من التُّرك الملك الظّاهر بَرْقُوق، وتَقَدّمْتُ [أنا][1] إلى السُّلْطان فيه، وأخبرتُه بمحلّه من قَوْمه فأكْرم تَلَقّيه، وحَمّله بعد قَضاء حَجّه هَديّةً إلى صاحِب المغربِ يُطْرِفُهُ فيها بتُحَفٍ من بَضائع بلَده على عادة المُلوك. فلمّا قَدِمَ يوسفُ بها على السُّلْطان أبي العبّاس أعْظَمَ مَوْقِعَها، وجلَس في مجلِسٍ حَفِلَ لعَرْضها والمباهاةِ بها، وشرَع في المُكافأة عنها بمُتَخَيّرِ الجِياد والبَضائع والثّياب حتّى استَكْمل من ذلك ما رَضِيَهُ، واعتزم على إنفاذها مع يوسف بن عليّ حاملِها الأوّل، وأنّه يُرْسلُه من تازَى أيّام مُقامَته تلك. فطرقَه هُنالك مرضٌ كان فيه حَتْفُه في محرّم ستٍّ وتسعين.

واستدعوا ابنَه أبا فارسٍ من تِلِمْسانَ فبايَعوه بتازَى ووَلّوه مكانَه، ورَجَعوا به إلى فاسَ، وأطلقوا أبا زيّانَ بن أبي حَمّو من الاعْتقال، وبَعثوا به إلى تلِمْسانَ أميراً عليها، وقائماً بدَعْوة السُّلْطان أبي فارس فيها، فسار إليها وملكها. وكان أخوه يوسفُ بنُ الزّابيّة قد اتّصل بأحْياء بني عامرٍ يَرومُ مُلْكَ تلِمْسانَ والإجلابَ عليها، فبعثَ إليهم أبو زيّانَ عندما بلَغه ذلك، وبذَل لهم عطاءً جزيلاً على أن يَبْعثوا به إليه، فأجابوه إلى ذلك وأسْلَموه إلى ثِقاة أبي زيّانَ وساروا به، فاعتَرَضَهم بعضُ أحياء العَرب ليسْتَنْقذُوه منهم، فبادَروا بقَتْله وحَملوا رأْسَه إلى أخيه أبي زيّانَ، فسكنَتْ أحْوالُهُ وذهبتِ الفتْنَةُ بذَهابِهِ، واستقامت أمورُ دوْلته. وهم على ذلك لهذا العهْد. والله غالبٌ / على [133 ب]
أمْره.

(1) من أ.

وقد انتهى بنا القولُ في دولة بني عبد الواد من زَناتَةَ الثّانية، وبقيَ علينا خبرُ الرّهط الذين تحيّزوا منهم على بني مَرينَ مُذْ أوّل الدّولة، وهم بنو كمّي من فصائل عليّ بن القاسم إخوةُ طاعَ الله بنُ عليّ، وخبرُ بني كندوز أمرائهم بمَرّاكُش.

فلنرجعْ إلى ذكر أخبارهم وبها نستوفي الكلام في أخبار بني عبد الواد. والله وارثُ الأرض ومن عليها.

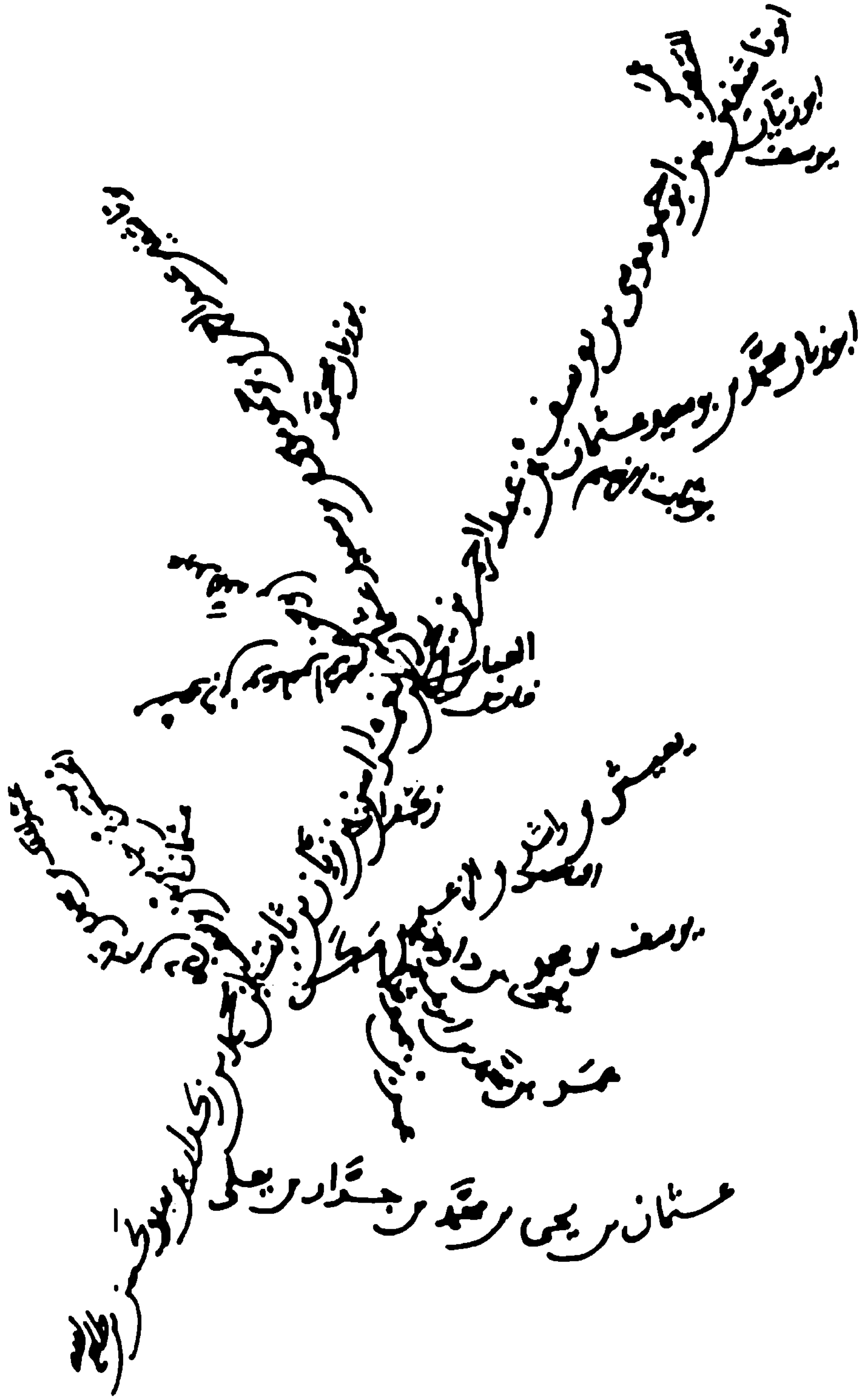

[بنو عبد الواد، من زناتة الثانية]

• / الخَبَرُ عن بَنِي كَمِّي[أ] إحْدى بُطُونِ بَني القَاسِمِ بنِ عبد الوادِ، وكيف نزَعُوا إلى بَني مَرِينَ، وما صَارَ إليهم بنَواحِي مَرَّاكُشَ وأرضِ السُّوسِ من الرِّئاسَةِ [134 أ]

قد تَقدّم لنا أوّلَ الكلام في بَني عبد الوادِ أن بَني كَمِّي هؤلاء من شُعوبِ القاسم، وأنّهم بنو عليّ بن يَمَلْ بن يزكن بن القاسم، إخْوَةٌ لبني طاعَ الله، وبني دُلُول، وبني مُعْطى بن جوهر بن عليّ، وذكرنا ما كان بين بَني طَاع الله وبين إخوانهم وبني كَمِّي من الفِتْنة، وكيف قتلَ كَندوزُ بنُ عبد الله كبيرُ بَني كَمِّي زيّانَ بن ثابت بن محمّد كبيرَ بني طاع الله، وأنّ جابِرَ بنَ يُوسُفَ بن مُحَمّد القائمَ بالأمْر من بعده ثأرَ منهم بزيّانَ وقتلَ به كَندوزاً غيلةً أو حَرْباً، وبعثَ برأسه إلى يَغْمراسِن بن زيّانَ فنصبَ عليه أهلُ بَيْته القُدُورَ شِفايةً لنُفوسِهم. واسْتَمرَّ الغَلَبُ بعدها على بَني كَمِّي فلَحِقوا بحضْرة تونِس، وكبيرُهُم إذَّاك عبدُ الله بن كَنْدُوز، ونزلوا على الأميرِ أبي زكريّاء، حتّى كان من استيلائه على تلِمْسانَ ما قدّمنا ذِكْرَهُ.

وطمِع عبد الله في الاستبداد بتلِمْسانَ فلم يتّفقْ ذلك. ولمّا هلَكَ مولانا الأميرُ أبو زكريّاء، ووَلِيَ ابنُه [المسْتَنْصر][ب] أقام عبدَ الله صدراً من دولته، ثُمّ ارْتَحل هو وقَوْمُه إلى المغربِ ونزلَ على يعقوبَ بن عبد الحقّ قبيل فَتْح مَرّاكُش، فاهتزّ يعقوبُ لقُدومه وأحلّه بالمكان الرَّفيع من دَوْلته، وأنزَلَهُ وقَوْمَهُ بجهات مَرّاكُش، وأقطعَهم البلاد التي كفَتْهم [جِبايَتُها][ج] مهمّاتِهم، وجعلَ

(أ) جاءت في ص 110ب بضمّ الأول (ب) من أ مستدركة في الحاشية، وفي متنها ومتن ظ: المنتصر. وفي ص: المنصور (ج) من حاشية أ وحدها .

السُلْطان انتجاعَ إبلِه ورَاحِلَته في أحْيائهم، وقَدّم على رعايتها حسّانَ بنَ أبي سعيد الصُبيْحي، وأخَاهُ مُوسَى - وصَلا في لَفِيفِه من بِلَاد / الشّرْق- وكانا عارفَيْن برعاية الإبل والقيام عليها. وأقاموا يتقلّبون في تلك البلاد، ويُبْعدُون في نُجْعتِها إلى أرض السّوس. [134ب]

وأوفدَ يعقُوبُ بن عبد الحقِّ عَبْدَ الله بن كَنْدُوزَ هذا على المُسْتنصِرِ صاحبِ إفريقيّةَ سنةَ خمسٍ وستّين مع عامرٍ ابن أخيه إدْريس كما قدّمناه، والْتحم بنو كَمِيّ ببَنِي مَرِينَ وأصبَحوا إحدى بُطونهم.

وهلَك عبد الله بن كندوز وصارت رئاستُهم من بعده لابنه عمر بن عبد الله، فلمّا نهضَ يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ إلى المغرب الأوسط وشُغِلَ بحصار تلِمْسانَ، وتحدّث النّاس بما نزل بعبد الواد من بَنِي مَرِينَ، أخذت بَني كَمِيّ الحميّةُ وامْتعَضوا لقومهم وأجْمَعوا الخلافَ والخروجَ على السُلْطان، ولحِقوا بحَاحَة سنةَ ثلاث وسبعمائة واستولَوْا على بلاد السُّوس. فخرج إليها أخو السُلْطان الأميرُ بمَرّاكُش يعيشُ بن يعقُوبَ، فناجَزوه الحربَ بتادُرْت وغلَبوه، واستمَرّوا على خلافهم. ثم عاود محارَبتَهُمْ بتامطّديت سنةَ أربعٍ بعْدَها فهزَمَهم الهزيمةَ الكُبْرى التي حَصّت جناحَهُم، وقُتِلَ عمرُ بنُ عبد الله وجماعةٌ من كُبرائهم، وفرّوا أمامَه إلى الصّحراء، ولحقوا بتلِمْسانَ، وهَدَم يعيشُ بن يعقوبَ تَارُودَنْت قاعدةَ أرض السّوس، وأقام بنو كَنْدُوزَ بعدَها بتلِمْسانَ نحواً من ستّة أشهر، ثمّ توجّسوا الغدْرَ من ولد عثمان بن يَغْمُراسِن فرجَعوا إلى مُرّاكُش، واتّبعهم عساكرُ السُلْطان، وأبْلَى منهم في القتال عنهم محمد بنُ أبي بكر بن حَمامة من كَنْدُوزَ وخلَصوا إلى مَنجاتهم مُشرّدين بصحراء السّوس، إلى أن هلَك السُلْطانُ يوسُفُ بنُ يعقوبَ، وراجَعوا

طَاعةَ المُلوك بالمغرب فَعَفَوْا لهم عمّا سَلَف من هذه الجَرِيرة وأعادوهم إلى مَكانهم من الولاية، فأمْحَضوا النّصيحةَ / والمُخالصة. [135 أ]

وكان أميرُهُم من بعد عمر ابنُه محمّد، أقامَ في إمارتهم سنينَ، ثم ابنُه موسى بن محمد من بعده كذلك، واستَخْلَصه السُلْطَانُ أبو الحَسنِ أيّامَ الفتْنَة بينَه وبين أخيه أبي عليّ لعهْد أبيهما السُلْطَان أبي سَعيد ومن بَعْدَهُ، فكانت له في المُدافَعة عن نواحي مَرّاكُش آثارٌ وأيّامٌ، ثم هلَكَ موسى بن محمد فولى السُلْطَانُ أبو الحَسن مكانَه ابنَه يعقوب بن موسى، ولمّا غلَب على تلِمْسانَ وأصار بني عبد الواد في خَوَلِهِ وجُنُوده [وتحت رَايَته][(أ)]، تَمشّت رجالاتُهم وتَباثّوا أشجانَهم، حتّى إذا كانت واقِعةُ القَيْرَوان، وتواقَف السُلْطَان مع بني سُلَيم، داخَلَهم يعقوبُ بن موسى في أن ينْخَزِل عن السُلْطَانِ إليهم ببَني عبد الواد ومن إليهم من مَغْرَاوَة وتوجّينَ، ووَاعَدهم لذلك، ثم مَشَى في قوْمه وكافّةِ بَني عبد الوادِ فأجابوه إلى ذلك، ولَحِقوا جميعًا ببني سُلَيم فجَرّوا بذلك الهزيمةَ على السُلْطَانِ، وكانت نكبةُ القيروان المشهورةُ، ولحِق بعدها بنو عبد الواد بتلمسانَ ووَلّوا أمرَهم في بني يَغْمُراسِن، وهلَك يعقوبُ بنِ موسى بإفريقيّةَ ولحِق أخوه رَحُّو بالمغربِ.

وكان السُلْطَان أبو عنانٍ قد استَعْمل على جَماعتهم وعملهم عَبّو بنَ يُوسُف بن محمّد، وهو ابن عمّهم دَنْيا [من ولد عُمَر بن عبد الله][(ب)] فأقام فيهم كذلك حتّى هَلَكَ، فوَلِيَ من بعده ابنُه محمّد بن عَبّو. وهم على ذلك لهذا العهد يُعَسْكِرون للأمير بمَرّاكُش، ويتولّون من خدمة السُلْطَان هُنالك مالَهم

(أ) من حاشية أ (ب) من أ.

فيه الغَناءُ والكفايةُ، وكأنّهم بمَعْزل عن بني عبد الواد لاستِحكام العَداوة بَيْنهم بمقتل زيّانَ بن ثابت. والله وارثُ الأرض ومن عليها.

[135ب]

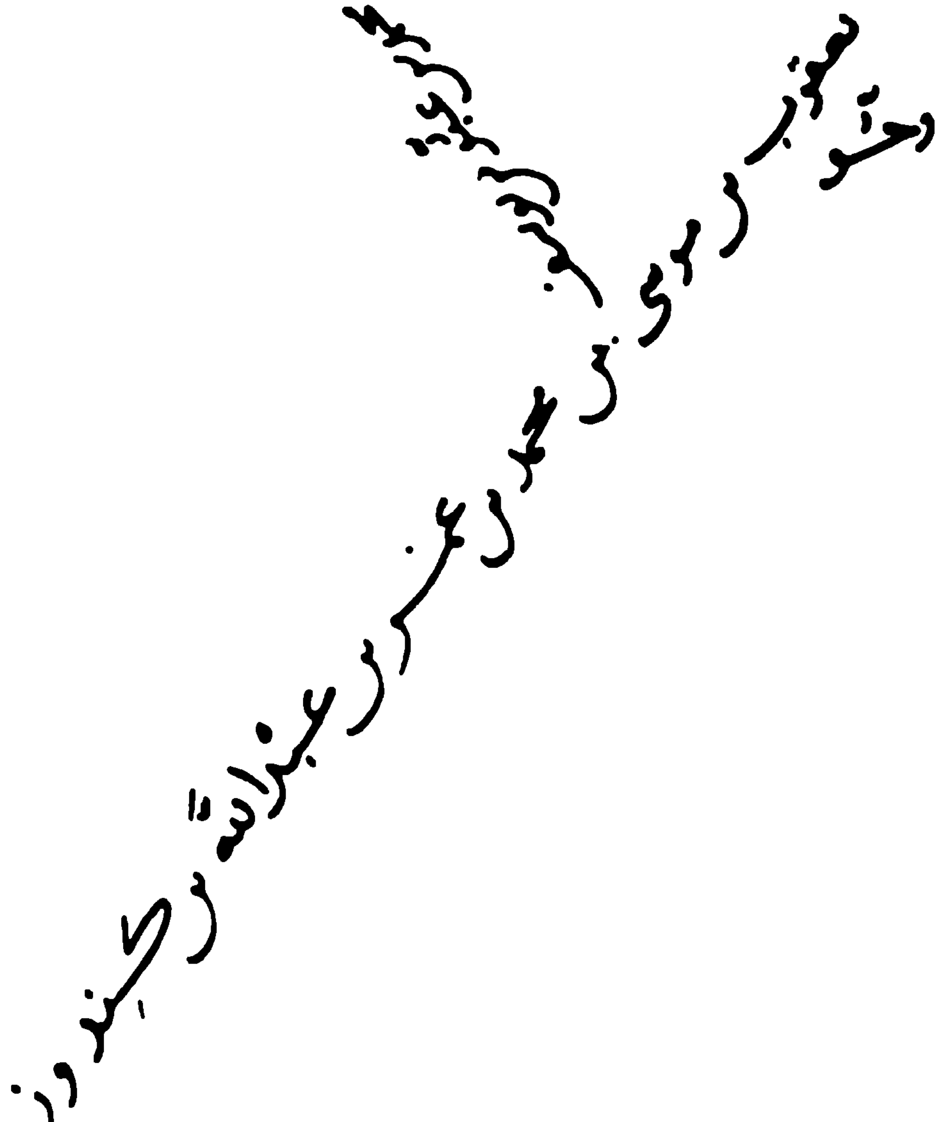

[بنو كندوز، أمراء بني كمّي من بُطون بني القاسم]

● / الخَبَرُ عن بني راشدٍ بن مُحَمَّدِ بْنِ يَادِينَ وذِكْرُ أوّليتّهم وتصاريفِ أحْوَالِهم [136 أ]

وإنّما قدّمنا ذِكْرَهُم قبل استِتمام بُطون بني يادِين لأنّهم لم يزالوا أحلافاً لبني عبد الواد ومن جُمْلتهم، فكانت أخبارُهم من أخبارِهم. وأمّا راشدُ أبوهم فهو أخو يادين واختصّ بنوه كما قلناه ببني عبد الواد، وكانت مواطِنُهُم بالصّحراء بالجبل المعروف براشدٍ اسم أبيهم، وكانت مواطنُ مَدْيُونَة من قبائل البربر قبلة تاسّالة، وبنو وَرْنِيْد من بطون دَمَّر قبلة تلِمْسانَ إلى قصر سعيدةَ. وكان جبلُ هوّارةَ موطناً لبني يلُومَان الذين كان لهم الملك كما قدّمناه. ولما اضْمَحلّ أمرُ بني يَلُومَان، وذهبت دولتُهم زحفَ بنو راشد هؤلاء من مؤطنهم بجبل راشدٍ إلى بسائط مَدْيونة وبَني وَرْنِيْد، فشنّوا عليهم الغارات، وطالت بينهم الحربُ إلى أن غلَبوهم على مواطِنِهم، وألْجؤوهم إلى الأوْعار، فاستوطَن بَنُو وَرْنِيْد الجبلَ المطلَّ على تلِمْسان، واستوطن مديونةُ جبلَ تاسّالة، وملَك بنو راشدٍ بسائطهم بالقِبْلة، ثمّ استَوْطنوا جبلَهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلدُ بني يَفْرَن الذين كانوا ملوكَ تلِمْسانَ لأوّل الإسلام، وكان منهم أبو قُرّة الصُّفرِيُّ كما قدّمناه.

وكان منهم بعد ذلك يَعْلَى بن محمّد الأمير الذي قتله جوهرُ الصّقليُّ قائدُ الشيعة كما ذكرناه في أخبارهم، ويَعْلَى هو الذي اختطّ بهذا الجبل مدينةَ إنفكـن التي هدَمها جوهرُ يومَ قَتْلِهِ، فلمّا ملَك بنو راشدٍ هذا الجبلَ استوْطَنوه وصار حصنًا لهم. ومجالاتُهم في ساحته القبْليّة إلى أن غلَبهم العربُ عليها لهذا العهد، وألجؤوهم / إلى الجبل. وكان غلَبُ بني راشدٍ على هذه [136 ب] الأوطانِ بَيْن يدَي دُخول بني عبد الواد إلى المغرب الأوسط، وكانوا شيعةً

لهم وأحلافاً في فتنتهم مع بني توجّين وبَني مَرينَ وكانت رئاستُهم في بَيْتٍ منهم يُعرفون ببني عمرانَ، وكان القائمُ بها لأوّل دُخولهم إبراهيمُ بن عمران، واستبدّ عليه أخوه ونَزْمَار، وقام بأمرهم إلى أن هلَك، فولِيَ ابنُه مُقاتِل بن ونَزْمَار، وقتل عَمَّه إبراهيمَ، وافترقَت رئاسةُ بني عمرانَ من يومئذٍ بين بَني إبراهيم، وبني ونَزْمَار إلاّ أنّ رئاسةَ بني إبراهيمَ أظهرُ. فولِيَ بعد إبراهيمَ بن عِمْران ابنُه ونَزْمَار، وكان مُعاصرًا ليَغمَراسِن بن زيّانَ، وطالَ عمره، ولمّا هلك لتسعين من المائة السّابعة ولِيَ أمرَهُمْ غانمُ بن أخيه محمّد بن إبراهيم، ثمّ كان فيهم من بعده موسى بن يحيى بن ونَزْمَار، لا أدْري مُعاقِبًا لغانمٍ أو توسّطَهما أحدٌ. ولمّا زَحف بنو مرينَ إلى تِلِمْسان آخرَ زَحْفهم صار بنو راشدٍ هؤلاء إلى طاعة السُّلْطَان أبي الحسن، وشيخُهم لذلك العهد أبو يَحْيَى بنُ موسى بن عبد الرّحمن بن ونَزْمَار بن إبراهيم. وانحصرَ بتِلِمْسان بنو عمّه [كرجون][(أ)] بن ونَزْمَار، وانقرضَ أمْر بني عبد الواد وأشياعُهم، ونَقَلَ بنو مرينَ رؤوسَ زَناتَةَ أجمعَ إلى المغربِ الأقصى، فكان بنو ونَزْمَار هؤلاء ممّن صار إلى المغربِ وأوْطنوه إلى أن صار الأمرُ لبني عبد الواد في الكرّة الثالِثة على يَد أبي حَمُّو الأخير موسى بن يوسف. وكان شيخُ بني راشدٍ لعَهْده زيّانَ بنَ أبي يحيى بن موسى المذكور، أقبل إليهم من المغربِ من إيَالة بَني مَرينَ فاتّهمه أبو حَمُّو بمُدَاخَلَتِهمْ فتقبّض عليه واعْتَقلَه [مدّةً بوَهْرانَ، وفرّ من معتقَلِه فلَحِق بالعرب[(ب)]، وارتحلَ بين أحيائهم مدّةً ثمّ راجعَ الطّاعةَ واقتضى العهدَ من السُّلْطَان أبي حَمُّو وولاّه على قومه، ثم تقبّض عليه واعْتقله][(ج)] إلى أن قتلَه بمَحْبِسه سنةَ ثمانٍ وستّين وسبعمائة، وانقرَضَ أمرُ بني ونَزْمَار بن إبراهيم.

(أ) كذا في أ. ظ ص: كردجون (ب) ص: بالمغرب (ج) من أ ص.

وأما بنو وتزْمَار / بن عِمران فقام بأمْرِهم بعد مُقاتل بنِ وَتزْمَارَ أخُوهُ [137 أ] تُورَزْكَن بن وتزْمَار، ثمّ ابنُه يوسفُ بن تُورَزْكن، ثم آخرون من بعدهم لم تحضرني أسماؤهم. إلى أن غلَب عليهم بنو وتزْمَار بن إبراهيم. وقد ذهبَتْ لهذا العهد رئاسةُ أولاد عِمران جميعاً وصار بنو راشدٍ خَوَلاً للسّلطان وجِبايةً، وَبقيّتُهم بجَبَلهم على الحال التي ذكرناها. واللهُ وارثُ الأرض ومن عليها.

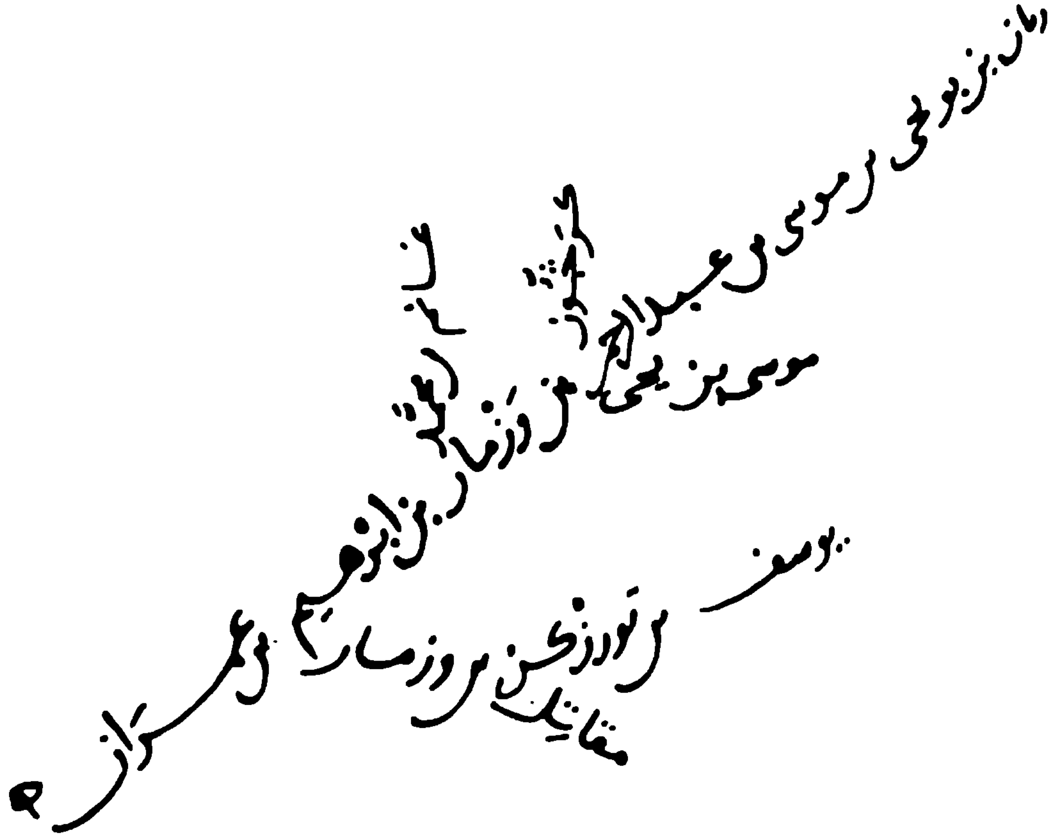

[بنو عِمران، من بني راشد بن محمد بن يادين، أحلاف بني عبد الواد]

[137 ب] ● / الخَبَرُ عن بَني تُوجّينَ من شُعُوبِ بني يَادِين من أهلِ هذه الطّبقة الثّانية من زناتة، وما كانَ لهُمْ مِن الدّوْلَة والسُّلطان بالمَغربِ الأَوْسط، وأوّليّة ذلك ومَصائرُه

كان هذا الحيُّ من أعظم أحياء بني يَادينَ وأوْفَرِهم عدداً، وكانت مواطِنُهم حِفَافَيْ وادي شَلَف قِبْلَةَ جَبَل وانْشَرِيس من أرض السَّرَسُّو وهو المُسمّى لهذا العهد نهر واصل، وكان بأرض السَّرَسُّو لجهة الغرب منهم بُطونٌ من لواتة، وغلَبهم عليها بنو وجْديجَنْ ومَطْمَاطَةُ، ثمّ صارت أرضُ السَّرَسُّو لبني تُوجّينَ هؤلاء واسْتضافوها إلى مواطِنهم الأولى، وصارت مواطِنُهم ما بين موطن بني راشدٍ، وجبل دَرّاكٍ إلى جانب القِبلة، وكانت رئاستُهُم أيّامَ صِنْهاجَةَ لعَطِيّةَ بن دَافلْتَنْ وابنِ عَمّه لُقمان بن المُعتَزّ كما ذكره ابنُ الرّقيق، ولما كانت فِتْنَةُ حمّاد بن بُلُكّينَ مع عمّه باديس، ونَهض إليه باديسُ من القَيْروان حتّى احتلَّ بوادي شَلَف، تحيّزَ إليه بنو تُوجّينَ هؤلاء، وكانت لهم في حُروب حمّادٍ آثارٌ مذكورة.

وكان لُقمانُ بن المعْتزّ أظْهَرَ من عطيّةَ بن دَافلْتَنْ، وكان قومُهم يومئذٍ زهاءَ ثلاثة آلاف، وأوفَد لُقمانُ ابنَه يَدَّرْ على باديس قبل اللّقاء طاعةً له وانحِياشًا، فلمّا انهزم حَمّادٌ رعَى لهم باديسُ انحياشَهُم إليه، وسَوّغ لهم ما غَنِموه، وعقد للُقمانَ على قومه ومواطِنه، وعلى ما يَفْتحهُ من البلاد بدَعْوته، ثم انفَرد برئاستهم بعد حين بنو دَافلْتَنْ، ويقال إنّه دَافلْتَنْ بن أبي بكر بن الغُلْبِ، وكانت رِئاستُهم [بَعْدَ دَافلْتَنْ لِمَنَاد بن العبّاس بن دَافلْتَنْ وأخيه زيري، وكانوا يُحارِبون آل حَمّادٍ ملوكِ القَلْعة من صِنْهاجة مع بَني يادين

إخْوانِهم. فلمّا دخَل بنو هِلالٍ طرابُلُس إلى إفريقيّة وحارَبوا بني باديس مُلوكِ القَيْروان من صِنْهاجَة، غَلَبوهم علَيْها، ثمّ انْتقلوا إلى المَغرب الأوْسط وحارَبُوا آلَ حَمّادٍ مُلوكِ القَلْعة من صِنْهاجة. وافْترقَت العربُ في حُروبِهم أخلافًا، كان في بَعْضِها بَنو عَديّ من هِلالٍ، وبَنو تُوجِّين [و] حُلَفاء. ولَقِيَهم النّاصِرُ بن عَلَنّاس فهزَمهم، وتَقَبّض على مَنادٍ وأخيه زيري شُيوخ تُوجِّين، وقَبض على الأغْلب وحَمامة ابنَيْ دَافلَتّنْ وعلى .... بن عديّ، وحُمَيْد بن خَزْعَل، ولاحِقِ ابن جيهانَ، شيوخِ بني....... وقَتَلهم جميعًا بما آسفَه بنو تُوجّين بخَذْله عليه مع آيت القاسِم شيوخِ بني عبد الواحِد من إخْوَانِهم بني يادين. ثم كانت الرِّئاسةُ على بني تُوجِّين بعد ذلك لعهد الموحّدين لعَطِيّةَ بن مَناد بن العباس][أ] لعهد الموحدين لعطيّة / بن مَناد بن العبّاس بن دَافَلْتّنْ، وكان يُلقّبُ عطيّةَ الحَيُو [138 أ] [وكانت أمُّه زوْجًا لزَكِنون من أُمَراء مَغْراوَة أهل وَادي شَلَف، ونشأ في حِجْره، ثمّ رأس على قوْمه، ووقَعتِ الفِتْنةُ بينَهم وبين بني يَلومَانْ فأبادوهم عن آخِرهمْ، ومَلكوا مواطِنَهم على جَبل وانْشَريس][ب]، وكانت بينهم لعَهْده وبين بني عبد الواد حُروبٌ، كان مُتوليَ كِبْرَها من بني عبد الواد شيخُهم لذلك العهد آعَذْوِي بن يَكنيمَنْ بن القاسِم، فلم تزلْ تلك الفِتْنة بينهم إلى أن غلَبهم بنو عبد الواد أخرًا على مواطِنِهم كما نذكُره، ولمّا هلَك عطيّةُ الحَيُو قام بأمْرهم ابنُه العبّاس، وكانت له آثارٌ في الإجْلاب على ضَواحي المغرب الأوْسط، ونقَض طاعةَ الموحّدين إلى أن هلَك سنةَ سبع وستّ مائة، دسّ عليه عاملُ تِلِمْسان يَومئذٍ أبو زيد بن يُوجّان مَنْ اغْتاله فقتلَه، فقام بأمْرهم من بعده ابنُه عبدُ القوي، فانفردَ برئاسَتِهم وتَوَارَثَهَا عَقِبَهُ من بعده كما نذكر.

(أ) إضافة انفردت بها حاشية أ (الورقة 65) وإفاداتها مهمة عن التنازع والتحالفات القبلية (ب) حاشية مستعرضة بخط المؤلف في نسخة أ.

وكان من أشهر بُطونِ بني تُوجّين هؤلاء يومئذٍ بنو يَدْلَلْتَن، وبنو يِرزي، وبنو مَادُون وبنو زنداك، وبنو وَسِيل، وبنو قَاضِي، وبنو مَامَتْ ويجمعُ هؤلاء الستّةَ بنو مدَنْ، ثمّ بنو تيغرين وبنو يَزْنَاتَن، وبنو مَنْكوش، ويجمع هؤلاء الثلاثةَ بنو وسَرْغين. ونسبُ بني زنداك دخيلٌ فيهم، وإنّما هم من بُطون مَغْرَاوَة، وبنو مَنْكوش هؤلاء منهم عبد القويّ بن العبّاس بن عطيّة الحَيُو، هكذا رأيتُ نسَبه لبعْض مؤرّخي زَناتة المَنْكوشي. وكانت رئاسةُ بني تُوجّينَ جميعا عند انقراض أمر بني عبد المُؤمن لعبد القويّ بن العبّاس ابن عطيّة الحَيُو، وأحياؤهم جميعًا بتلك المَجالات القبليّة. فلمّا وَهَن أمرُ بني عبد الواد، وتَغلّب مَغْرَاوَةُ على بسائط مِتّيجةَ ثم على جَبَل وانْشَرِيس، نازَعَهم عبد القويّ هذا وقومُه أمرَ وانْشَرِيس وغالَبوهم إلى أن / [138 ب] غلبوهم عليه واستقرّ في مَلكتهم[1]، وأوطنَهُ بنو تيغَرين، وبنو مَنْكوش من أحْيائهم، ثم تغلّبوا على مَنداس، وأوطنها أحياءُ بني مدَن جميعاً. وكان الظّهور منهم لبني يدْلَلْتَنْ، ورئاسة بني يَدْلَلْتَنْ لبني سَلامَة. وبقي بنو يَزْنَاتَنْ من بُطونهم بمَواطِنهم الأولى قبلةَ وانْشَرِيس، فكان من أخلاف بني عطيّة الحَيُو بنو تيغَرين منهم، وأولادُ عَزيز بن يعقوبَ، ويُعْرفون جميعا بالحَشَم. ولمّا تغلّبوا على الأوطان والتُّلُولِ، وأزاحوا مَغْراوةَ عن المدِيَة ووَانْشَرِيس وتافَرْكَنيتْ، واستأثروا بمُلكها ومُلْك الأوطانِ من غربيّها مثل مَنْدَاس والجَعْبَاتِ وتاوَغْزوت، ورئيسُهم لذلك العهْد عبدُ القوي بنُ العبّاس، والكلُّ لأمْره، فصارَ له مُلكٌ بَدويٌّ لم يُفَارِق فيه سُكنَى الخيام ولا إبعادَ النُّجْعةِ ولا إيلافَ الرّحلتين، يَنْتَهون في مَشاتيهم إلى مصاب والزّاب، [ولذلك أقصع المستنصر من آل أبي

(1) أ: ملكهم.

حفص لمحمد بن عبد القوي بلد أوْماش من قُرى بِسْكرة][أ] وينزلون في المصائِف بِلأدَهُم هذه من التّل.

ولم يزلْ هذا شأنُ عبد القويّ وابنهِ محمّد إلى أن تنازعَ بنوه الأمرَ من بَعده، وقَتَلَ بعضُهم بعضًا، وتغلّب بنو عبد الواد على عامّة أوْطانهم، وأحيائهم، واستبدّ عليهم بنو يزناتَنْ، وبنو يَدْلَلْتَنْ، فصاروا إلى بني عبد الواد، وبقيَ أعقابُهم بجَبَل وانْشَريس إلى أن انقرضوا على ما نذكرُ بعدُ.

وكان عبد القويّ لما غَلَبَ مغراوةَ على جَبَل وَانْشِريس اختطَّ حصنَ مَرَات بعد أن كان مِنديلُ المغراويُّ شرعَ في اختطاطه. فبنى منه القصبةَ ولم يُكْمِلْهُ، فأكْمَلَه محمد بن عبد القويّ من بعدهم. ولما استبدّ بنو أبي حَفْص بأمر إفريقيّة، وصارت لهم خلافةُ الموحّدين، نَهض الأميرُ أبو زكرياء إلى الغرب الأوسط، ودخلَت في طاعته / قبائلُ صِنْهاجةً وفرّت زَناتةَ أمامَه، وردّد [139 أ] إليهم الغَزْوَ فأصابَ منهم، وتقبّض في بَعْض غَزواته على عبد القويّ بن العبّاس أمير بني تُوجّينَ فاعتقلَهُ بالحَضْرة، ثم منَّ عليه وأطلقَه على أن يستألِفَ له قومَهُ فصاروا شيعةً له ولقومه آخرَ الدّهر. ونهض الأميرُ أبو زكرياء بعدها إلى تِلمسانَ فكان عبد القويّ وقومُه في جُملته، حتى إذا ملَكَ تلِمْسانَ ورجعَ إلى الحَضْرة عقَدَ لعبد القويّ هذا على قَوْمه ووَطَنه وأَذِنَ له في اتّخاذ الآلَة، فكانت أوّلَ مراسم المُلْك لبني تُوجّين هؤلاء، وكانت حالُهم مع بني عبد الواد تختلف في السّلْم والحربِ.

(أ) من حاشية أ، بخط المؤلف.

ولمّا هلك السّعيدُ على يَدي يَغمُراسِنَ وقومِهِ كما ذكرناه، استنفر يَغمُراسِنُ سائرَ أحياءِ زَناتةَ لغَزْوِ المغرب ومسابقة بَني مَرينَ إليه، فنفر عبدُ القويّ في قَوْمه سنةَ سبع وأربعين، وانتهَوْا إلى تازَى، واعترضَهم أبُو يَحْيَى بنُ عبد الحقّ أميرُ بَني مَرينَ في قومه فنكَصوا، واتّبعهم إلى أنْـكاد، فكان اللّقاء، وانكشفت جموعُ بني يادينَ وكانت الهزيمةُ التي ذكرناها في أخبار بني عبد الواد. وهلك عبدُ القويّ مَرْجِعَهُ منها في سَنته بالموضع المعروف ماخَنُون من مَواطنهم، وتصدّى للقيام بأمرهم بعدَهُ ابنُه يوسفُ. فمكَثَ في تلك الإمارة أسبوعاً ثم قَتله على [جَدَثِ][أ] أبيه أخوه محمد بن عبد القويّ، ووَليَ عهدَ أبيه سابغَ مُواراته، وفرّ ابنُه صالحُ بن يوسف إلى بلاد صِنهاجةَ بجبال المدِيّة فأقام بها هو وبَنوه، واستقلّ مُحَمّدُ برئاسة بني توجّين واستَغلظ مُلكُهُ، وكان الفَحْلَ الذي لا يُقْرَعُ أنفُهُ، ونازعَهُ يَغمُراسِن أمْرَهُ ونَهض إلى حَرْبه سنةَ
[139 ب] تسعٍ وأربعين، وعَمَدَ إلى حصن تافرڪنِيت، فنازلَه وبه يومئذٍ / حافِدُه عليّ ابن زيّانَ بن محمّد في عصابةٍ من قَوْمه، فحاصرَه أيّامًا، وامتنعت عليه فارتحل عنها، ثمّ تواضَعوا أوزارَ الحربِ، ودعاه يَغمُراسِن إلى مثل ما دعا إليه أباه من غَزْو بَني مَرينَ في بلادهم فأجاب، ونَهضوا سنةَ سبعٍ وخمسين ومعهم مَغْراوةُ فانتهوا إلى ڪلَدَامَانَ ما بين تازَى وأرض الرّيف، ولقيهم يَعْقُوبُ بن عبد الحقّ في جُموعه فانكَشَفوا ورَجَعوا مُنْهزمينَ[ب] إلى بلادهم كما ذكرناهُ.

وكانت بَيْنه بعد ذلك وبَيْن يَغمُراسِنَ فِتَنٌ وحُروبٌ نازلَه فيها بجَبَل وَانْشَرِيس مرّاتٍ، وجَاسَ خلال وَطنه ولم يقع بَعْدها بينهما مُراجعةٌ، لاستبْداد

(أ) من أ في ظ وص: الحدب (ب) من أ وص. ظ: منهم مين.

يَغمُراسِن بالمُلك وسُمُوّه إلى التغلّب على زَناتة أجْمَعَ وبلادِهم. وكانوا جميعاً مُنحاشِين إلى الدّعوة الحفصيّة، وكان محمد بن عبد القويّ كثيرَ الطّاعة إلى السُّلطان المستَنصِر، ولما نزلَ النّصارى الإفرنجة بساحل تُونِس سنةَ ثمانٍ وستّين، وطمِعوا في مُلْك الحَضْرة، بعثَ المستَنصرُ إلى ملوك زَناتة بالصّريخ، فصرَفوا وُجوهَهم إليه، وخَفَّ من بينِهم محمد بن عبد القويّ في قَوْمه، ومن احتَشَد من أهْل وطنه، ونَزَل على السُّلطان بتونِس، وأبْلَى في جِهاد العَدُوّ أحسَنَ البلاءِ، وكانت له في أيّامه مَعهم مقاماتٌ مَذكورةٌ ومواقفُ عند الله مُحتَسَبَةٌ مَعْدودةٌ. ولما ارْتَحل العدوّ عن الحَضْرة، وأخذَ محمدُ بن عبد القويّ في الانصراف إلى وطنه أسنَى السُّلطانُ جائِزَته، وعمَّ بالإحْسان وجوهَ قَوْمه وعساكِره، وأقطَعه بلد مَقَرّة وأَوْمَاش من وَطن الزّاب وأحْسَن مُنقَلَبَهُ. ولم يزلْ بعد ذلك متعلّقا[1] بطاعَته مُستظهِرًا على عَدُوّه بالانحياش إليه.

ولما استَغْلظ بنو مرينَ على يَغمُراسِن بعد استيلائهم على أمصار المغربِ واستبدادِهم بمُلكه، وصلَ مُحمّدٌ يَدَهُ بهم في / الاستِظْهار على [140 أ]
يَغمُراسِن، وأوفد ابنَه زيّانَ بن محمد عليهم، ولما نَهض يعقوبُ بن عبد الحقّ إلى تلِمْسانَ سنةَ سبعين، وأوْقَعَ بيَغمُراسِن في إيسَلي من أنكادَ الوَقْعةَ التي هَلَكَ فيها ابنُه فارسُ، نَهض محمد بن عبد القويّ للقائه، ومرّ في طريقه بالبطْحاء، وهي يومئذٍ ثَغرٌ لأعمال يَغمُراسِنَ، فَهَدَمَهَا ولَقِيَ يعقوبَ بن عبد الحقّ بساحة تلِمْسانَ مُباهياً بآلته، فأكرَمَ يعقوبُ وفادتَهُ وبرَّ مَقْدَمَهُ، ونازَلوها أياماً فامْتنعت عليهم، وأجمعوا على الإفْراج، وتأذّن لهم يعقوب بن عبد الحقّ

(1) أ ص: مُعتلِقا .

ليَتَلَوَّمَنَّ عليها إلى أن يلحَق محمدٌ(أ) وقومُه ببلادهم حَذَراً عليهم من غائِلة يَغْمراسِن، ففعلَ، وملأ حقائِبَهم بإتحافه وحَنَبَ(ب) مائةً من الجِياد العِتاقِ بالمراكب الثَقيلة، وأراحَ عليهم ألْفَ ناقة حَلوب، وعَمَّهُم بالصّلاتِ والخِلَعِ الفاخِرة، واستَكْثَر لهم من السّلاحِ والفازات والأخْبية والحُمْلانِ، وارْتحلوا. ولَحِق محمدُ ابن عبد القويّ بمكانه من جَبَل وَانْشَرِيس، واتّصلَت حُرُوبه مع يَغْمراسِن، وكَثُر إجْلابُه على وطنه وعَيْثُه في بلاده، وهو مع ذلك مُقيمٌ على مُوالاةِ يعقوبَ بن عبد الحقّ وإتحافه بالعِتَاقِ من الخَيْل والمسْتَجاد من الطُّرَفِ، حتّى كان يعقوبُ إذا اشترط على يَغْمراسِن في مُهادَنته يجعل سَلْمَهُمْ من سَلْمِهِ، وحَرْبَهُمْ من حَرْبه، وبسببهم كان نُهُوض يعقوبَ بن عبد الحقّ سنةَ ثمانين لما اشتَرط عليه ذلك ولَجّ في قَبوله، فنَهض إليه وأوقعَ به بخَرْزوزَةَ ثم أناخ عليه بتلِمْسانَ، ووافاهُ هنالك محمد بن عبد القويّ فلَقيه [بالقَصَبات](ج)، وعاثوا في نواحي تلِمْسانَ نهباً وتخريباً. ثم أذِن يعقُوبُ لِمُحمَّد وقومه في الانطلاق إلى بلادهم، وتلَوّم هو بمكانه من ضَواحي تلِمْسانَ بمدّة مَنْجاتِهم / [140 ب] إلى [مكانِهم](د) من وانْشَرِيس حَذرًا عليهم من اعْتراض يَغْمراسِن، ولم يزلْ شأنُها ذلك إلى أن هلَكَ يَغْمراسِن بشَدِيُويَةَ من بلاد مَغْرَاوَة خاتمةَ إحْدى وثمانين.

وفي خلال استغلاظ بَنِي مَرِينَ على بني عبد الواد استَوْسق لمحمد هذا مُلْكُه فتغلّب على أوطان صِنْهاجةَ بجبال المدِيَة، وأخرج الثّعالبةَ من جبل تيطري بعد أن غدَر بمشْيَختهم وقتلَهم فانْزاحوا عنه إلى بسائِط مِتيّجة

(أ) أ ص. ظ: لمحمد (ب) من ظ أ. ص: جنب (ج) أ ص. ظ: بالقصاب (د) ظ: منجاتهم مكررة .

وأوْطَنوها، واستَوْلى محمدُ على حصْن المدِيَة وهو المسمَّى بأَهْله لَمَدِيَّة بفتح اللام والميم وكسر الدّال وتشديد الياء بعدها وهاء النّسب آخرها. وهم بطنٌ من بُطون صِنهاجة. وكان المُختَطَّ لهُ بُلُكّين بن زيري. ولـمّا استوْلى محمّدٌ عليها وعلى ضواحيها أنزل بها أولاد عزيز بن يَعْقُوب من حَشَمِهِ وجعلَها لهم مَوطنا وولايةً، وفرّ بنو صالح ابن أخيه يوسف بن عبد القويّ من مكانهم بين صِنْهاجةَ منذ مَقْتل أبيه(أ) يوسف - كما ذكرناهُ - ولحِقوا ببِلاَد المُوَحِّدينَ بإفريقيّة فلَقّوهم مَبرّةً وتكريماً، وأقْطعوا لهم بضواحي قسَنْطِينَة، وكانوا يعوّلون عليهم أيّام حُروبهم وفي مَواطن قِتالهم، وكان من أظْهَرِهمْ عُمَرُ بن صالح وابْناهُ صالح ويحيى بن عُمر، وحافدُه يحيى بن صالح بن عمر في آخَرين مشاهيرَ، وأعقابُهم لهذا العهد بنَواحي قسَنْطِينَة. وفي إيّالة الملوك من آل أبي حَفْص يعَسْكرون معهم في غَزَواتهم، ويبْلُونَ في حُروبهم، ويقومون بوظائف خِدْمَتهم. وكان الوالي من أولاد عزيز على الـمَدِيَةِ حسنُ بنُ يعَقُوب وبَنوهُ من بعده يوسف وعليّ، وكانت مواطِنُهم ما بين الـمَدِيَة وموطنهم الأوّل ماخَنُون، وكان بنو يَدْلَلْتَنْ أيضاً من بني تُوجّين قد استوْلَوْا على/ حصن [141أ] الجَعْبات وقلعة تَاوَغَزُوتْ، ونزلَ القلعةَ كبيرُهم سلامةُ بن عليّ مُقيماً على طاعة محمد بن عبد القويّ وقومِه، فاتّصل مُلْكُ محمد بن عبد القويّ في ضَواحي المغرب الأوْسط ما بين مَواطن بني راشدٍ إلى بلاد صِنهاجة بنواحي الـمَدِيَة، وما في قِبْلَة ذلك من بلاد السَّرَسُو وجِبالِهِ إلى أرض الزّاب. وكان يبْعِدُ الرِّحْلَةَ في مَشْتاه فينزل الدَّوْسَنَ ومَقْرَةَ والمسيلةَ، ولم يزلْ دأبُه ذلك.

(أ) أ: ابنه .

ولمّا هلك يَغمراسِن سنةَ إحدى وثمانين كما ذكرناه اسْتَجَدّتِ الفِتْنةُ بين عثمان ابنهِ وبين محمد بن عبد القويّ، فنهض إليه عثمانُ في جموعه من بني عبد الواد والعَساكِر سنة ثنتين وثمانين فحاصَره بجَبَل وَانْشَرِيس، وامْتنع عليه، فعاث في نَواحي وَطنه وقَفل إلى تلِمْسانَ، وهلَك محمد بن عبد القويّ على إثر ذلك سنةَ أربعٍ وثمانين، ووليَ من بعده ابنُه سيّدُ النّاس، فلم تَطُلْ مُدّة مُلكه، وقتلَهُ أخوه موسى لسنَةٍ أو نحوها من بعد مَهْلِكِ أبيه، وأقام موسى ابن محمد في إمارةِ بني تُوجّينَ نحواً من عامين، وكان أهل مَرَاتْ من أشدّ أهل مَوْطنه شوكةً وأقواهم غائِلةً، فحدّثته نفسُه أن يستَلْحِمَ مَشْيَختهم ويريحَ نفسَه من مُحاذَرَتِهِمْ، فأجْمع لذلك، ونزلَها ونُذِرُوا بشأنه ورَأيه فيهم فاستَماتوا جميعاً وثاروا به، فقاتلَهم ثمّ انهزمَ مُثْخَنًا بالجِراحَة وألْجؤوه إلى مَهاوي الحِصْن فتَرَدّى منها وهلَك. ووَلِيَ من بعده عمرُ ابن أخيه إسماعيل بن محمد مدّةَ أربعة أعوام، ثمّ غدَرَ به أولادُ عمّه زيّانَ بن محمد فقتَلُوه وولّوا كبيرَهم إبراهيمَ بن زيّانَ، وكان حسنَ الولاية عليهم، يُقال: ما [141 ب] وَلِيَ بعد محمد فيهم مِثْلُهُ. وفي خِلال / هذه الولايات استَغْلظ عليهم بنو عبد الواد، واشْتدّت وطْأةُ عثمانَ ابن يَغمراسِن عليهم بعد مَهلِك أبيهم محمد. فنهضَ إليهم سنةَ ستّ وثمانين وحاصَرهم بجَبَل وَانْشَرِيس وعاثَ في أوْطانهم، ونَقلَ زُروعَها إلى مَازُونَةَ حين غلَب عليها مَغْراوةُ، ثم نازلَ حصنَ تافرْكِنّيتْ وملكها بمُداخَلة القائدِ بها غالبِ الخَصِيّ مولى سيّد الناس بن محمد، وقفل إلى تلمسانَ. ثم نهَض إلى أولاد سَلامة بقلعة تاوَغْزَوتْ، وامْتنعوا عليه مِراراً ثم أعطَوْه اليدَ على الطّاعة ومُفارقة بَني محمد بن عبد القويّ، فنبَذوا لَهُمُ العَهْدَ وصاروا إلى إيَالَة عثمانَ بن يَغمراسِن، وفَرضوا له

المغارمَ على [بني][أ] يَدْلَلْتَن، وسلَك عثمانُ بن يَغمْراسِن مسلكَ التّضريب بين قَبائل بني تُوجّينَ وتحريضِهم على إبراهيم بن زيّانَ أميرهم، فعدَا عليه زَكِداز بن أعْجمي شيخُ بني مادُون وقتلَه بالبَطْحاء في إحدى غزَوَاته، لسبعةِ أشهرٍ من مُلكه. ووَلِيَ من بعده موسى بن زُرَارَةَ بن محمد بن عبد القويّ، بايع له بنو تِيغَرِينَ، واختلَف عليه سائرُ بني تُوجّينَ، فأقام بعضَ سنةٍ وعثمانُ بن يَغمْراسِن في خِلال هذا يستألِف بني تُوجّين شِعْبًا فَشِعْبًا، إلى أن نَهض إلى جَبَل وَانْشَرِيس فملكه، وفرّ أمامَه موسى بن زُرارَة إلى نَواحي المدِيَة وهلَك في مَفرّهِ ذلك.

ثم نَهض عُثمانُ إلى المدِيَة سنة ثمانٍ وثمانين بعدَها فملكها بمُداخَلة لَمَدِيَّة من قبائل صِنهاجةَ، غَدَروا بأوْلاد عزيزٍ وأمكنوه منها، ثم [انتقَضوا][أ] عليه لسبْعة أشهرٍ ورَجعوا إلى إيّالة أولاد عزيزٍ، فصالَحوا عثمانَ بن [يغمْراسِن][ب] على الإتاوَة والطّاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القويّ وبنيه. فملَك عثمانُ بن يغمْراسِن / عامّةَ بلاد بني تُوجّين، ثمّ شُغِلَ بما دَهَمَهُ من مُطالَبَةِ بَني مَرينَ [142أ] أيّامَ يوسف بن يعقُوبَ، فوَلِيَ على بني تُوجّين من بَني محمد بن عبد القويّ أبو بكر بن إبراهيم بن محمد مدّةً من عامين، أخافَ فيها النّاسَ، وأساءَ السّيرةَ، ثم هلَك. فنصَب بنو تِيغَرين بعدَه أخاه عطيّة المعروف بالأصمّ، وخالَفهم أولادُ عزيزٍ و[جميعُ][ج] قبائل تُوجّينَ فبايَعوا ليوسف بن زيّانَ بن محمد، وزَحفوا إلى جَبَل وَانْشَرِيس فحاصَروا عطيّةَ وبني تيغرينَ عامًا أو يزيد، وكان يحيى بن عطيّةَ كبيرَ بني تيغَرين هو الذي تولّى البَيْعَةَ لعطيّة الأصمّ،

(أ) أ ص. ظ: انقضوا (ب) ظ ص: يوسف. وشطبت في أ وصححت في الحاشية بخط المؤلف: يغمراسن
(ج) ظ: جمع.

فلمّا اشتدَّ بهم الحصار، واستَفحل أمرُ يوسف بن يعقوبَ وبَني مَرينَ، نزعَ يحيى إلى بَني مَرينَ، وقَدِمَ على يوسف بن يعقوبَ بمكانه من حِصار تلِمْسانَ ورغْبةً في مُلْك جَبَل وَانْشَريس، فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبي سَرْحان ثمّ أخيه أبي يحيى، وكان نُهُوضُ أبي يحيى سنة إحدى وسبع مائة، فتوغّل في قاصِية الشّرق، ولما رجَع صَمَد إلى جَبَل وَانْشَريس فهدَم حُصُونَهُ، وقفلَ.

ونَهض ثانيةً إلى بلاد بني تُوجّين فشرَّدَهم عنها، وأطاعَهُ أهلُ تافرْكَنِيتْ. ثمّ انتهى إلى المَدِيَة فافتَتحها صُلحاً واختطّ قصبَتَها، ورجع إلى أخيه يوسف بن يَعْقُوبَ، فانتقَضَ أهلُ تافرْكَنِيتْ بعد صَدَرِهِ عنهم، ثم راجعَ بنو عبد القويّ بصائرَهم في التّمسُّكِ بالطّاعةِ، ووَفدوا على يوسف ابن يعقوبَ فتقبّل طَاعَتَهُمْ وأعادَهم إلى بلادهم، وأقْطعَهم، ووَلّى عليهم عليَّ بنَ النّاصرِ بن عبد القَويّ، وجعل وِزارتَه ليحيى بن عطيّة، فغلَبه على دَوْلته، واستقَام مُلكه، وهلَكَ خلالَ ذلك. فعقدَ يوسفُ بن يعقوبَ مكانَه لمحمّد بن
[142 ب] عطيّة الأصمّ، / واستقام على طَاعته وقتًا ثمّ انتقَضَ بين يدَي مَهْلِكه سنةَ ستٍّ، وحملَ قَوْمَه على الخلاف. ولمّا هلَكَ يُوسُفُ بن يُعقوبَ، وتَجافَى بنو مرينَ من بعدها لبني يَغمْراسِن عن جميع الأمصار التي تملّكوها بالمغرب الأوْسَط، فاستَمْكن بنو يَغمْراسِن منها ودَفعوا المتغلّبين عليها، ولَحِق الفَلُّ من أولاد عبد القويّ بِبلاَد المُوَحّدينَ، فحَلّوا من دَوْلتهم مَحلَّ الإيثار والتّكرمة، وكان للعبّاس بن محمّد بن عبد القويّ مع المُلوك من آل أبي حَفْص مقامُ الخِلّةِ والمُصافَاةِ إلى أن هلَكَ وبقيَ عَقِبُهُ في جنْد السُّلْطَان، ولمّا خَلاَ الجوُّ من هؤلاء المرشّحين تغلّب على جَبَل وَانْشَريس من بَعْدهم كبيرُ بني تيغْرِينَ وهو يحيى بن عطيّة بن يوسف بن المنْصور • ويزعُمون أنّهم دُخَلاَءُ

في [بني][أ] تيغرين، وأن المنصورَ•[ب] هو أحمدُ بن محمد من أعقاب يَعلى بن محمد سُلطانِ بني يَفْرَن، فأقام يحيى بن عطيّة هذا في رئاستهم أيامًا ثم هلَك، وقام بأمْره فيهم من بعده أخوه عُثمان بن عطيّة، ثم هلَك ووَلِيَ من بعده ابنه عَمر بن عثمان، واستقلّ مع قومه بجَبَل وَانْشَرِيس. واستقلّ أولادُ عزيزٍ بالمدِيَة ونَواحِيها، ورئاسَتُهم ليوسف وعليّ ابنَيْ[ج] حسن بن يعقوبَ، والكلّ في طاعَة أبي حَمُّو سلطانِ بني عبد الواد بما غلَبهم على أمرهم وانتزع الرّئاسةَ من [بني عبد القويّ][د] أمرائِهم إلى أن خرج على السُّلطان أبي حَمُّو محمدُ ابن عمّه يوسف بن يَغمَراسِن، ولحِقَ بأولاد عزيزٍ فبايَعوه، وداخَلوا في شأنه عَمرَ بنَ عثمان كبيرَ بني تيغرينَ وصاحبَ جَبَل وَانْشَرِيس، فأجابَهم وأصْفَق معهم سائرُ الأعْشارِ: وَنْكوشَةُ وبنو يَزْناتَنْ، وزَحفوا مع مُحَمّد بن يُوسُف إلى السُّلْطان أبي حَمُّو في مُعَسْكره بتهلّ ففَضّوه. وكان من / شأن [143 ا] فتْنته معَهم ما ذكرناه في أخْبار بني عبد الواد إلى أن هلَك السُّلْطانُ أبو حَمُّو ووَلِيَ ابنُه أبو تَاشَفين، فنَهض إليهم في العَساكِر.

وكان عَمر بن عثمان قد لَحِقَتْهُ الغَيْرةُ من مُخالَصةِ مُحَمّدُ بن يُوسُف لأولاد عزيزٍ دون قَوْمه، فداخَل السُّلْطانَ أبَا تاشَفين في الانْحراف عنه، فلما نزلَ بالجبل، ولحق مُحَمّدُ بنْ يُوسُف بحصْن تُوكال ليمتَنِع به، فنزَع عنه عَمر بن عثمان، ولَحق بأبي تاشَفينَ ودَلّه على مَكامِن الحصْن فدَلَف إليه أبو تاشَفينَ وأخذَ بمخنَقه، وافترقَ عن مُحَمّد بن يُوسُف أولياؤُهُ وأشياعُه فتُقُبِّضَ عليه وقِيد أسيراً إلى السُّلْطان أبي تاشَفينَ فقُتِل بين يدَيْه قَعْصًا بالرّماح

(أ) أ ص (ب) ما بين النجمين استدركه ناسخُ أ في الحاشية (ج) من أ ص. ظ: بن (د) من أ. ظ ص: من بني عبد الواد.

سنةَ تسع عشرة، وبعث برأسه إلى تلِمْسانَ، وصُلِبَ شِلْوُهُ بالحصن الذي امتَنَع به أيامَ انتزائه. ورجعَ أمرُ وانْشَرِيسَ إلى عُمر بن عثمان هذا، وَحَصَلتْ ولايتُه لأبي تاشفينَ إلى أن هلَكَ بتلِمْسانَ في بعض أتابهم مع بَني مَرينَ أعوامَ نازَلها السُّلْطَان أبُو الْحَسَن كما ذكرنا في أخْبار الحِصار.

ثم لمّا تغلّب بنو مرينَ على المغرب الأوسط، اسْتعمل السُّلْطَانُ أبُو الْحَسَن ابنَه نصر بن عُمر على الجبل وكان خيرَ والٍ، وفاءً بأذِمّة الطّاعة، وخُلُوصًا في الوِلايةِ وصدقاً في الانْحِياشِ، وإحساناً للملكة، وتوفيراً للجِبايَة[أ]. ولما كانت نكبةُ السُّلْطَان أبي الحسن بالقَيْروان، وتَطاولَ الأعياصُ من زَناتَةَ إلى اسْترجاع مُلكهم، انتَزى بضَواحي المدِيَة من آل عبد القويّ عديُّ بن يوسف بن زيّانَ بن محمّد بنِ عبد القويّ وناغَى الخوارجُ في دعْوَتهم، واشْتَمل عليه بنو عزيزٍ هؤلاء وبَنو يَزْناتَنْ جيرانُهم، وزَحف إلى جَبَل وَانْشَرِيس لينالَ من الحَشَمِ مُدِيلي أمْرهم، والمُداخِلين لعدوّهم في قطع / دابِرِهم، وكبيرُهم [143 ب] يومئذٍ نصرُ بن عُمر ابنِ عثمان، وبايعَ نصرٌ لمسعودِ بن بوزيد بن خالد بن محمد ابن عبد القويّ من أعْقابهم، خلَص إليه من جُملة عديّ بن يوسف حذراً على نَفْسه من أصحابه، [وقاتلهم عديٌّ وقومُه][ب] فامتَنَعوا عليهم، ودارت بينهم حُروبٌ كانت العاقِبةُ فيها والظّهورُ لنَصْر بن عُمر وقومِه.

ثمّ دخلَ عديٌّ في جُمْلَةِ السُّلْطَان أبي الحسن لما خَلَصَ من تونِسَ إلى الجزائرِ، وبَقِي مسعودٌ [بينهم][ج] وملكه[د] أبو سعيد بن عبد الرّحمن لما ملك تِلِمْسانَ هو وقومُه، فلم يزلْ هنالِكَ إلى أن غلَبهم السُّلْطَانُ أبو عنانٍ فصار

(أ) ظ: لجبايه (ب) من أ ص (ج) من أ ص ظ موقعها فراغ (د) ص: ملك.

في جُملته بعد أن فرّ إلى زَواوَة واسْتَنْزله منها ونقله إلى فاس. وانقضى مُلكهم ودولتُهم، وانقطع أثرُ بني محمّد بن عبد القويّ، وأقام نَصْر بن عثمان في ولاية جَبَل وَانشَرِيس، وعَقَد له السُّلْطَانُ أبو عنانٍ عليه سائرَ دَوْلته، ولم يَزَلْ قائماً بدَعْوة بَنِي مَرِينَ من بعده إلى أن غلَبهم السُّلْطَانُ أبو حَمُّو الأخيرُ، وهو موسى بن يوسف، على الأمْر، فأعطاه نصرٌ الطَّاعةَ، ثم اضطرمَتْ نارُ الفِتْنة بين العَرب وبني عبد الواد أعوامَ سبعين وسبع مائة، وقاموا بدَعْوة أبي زيّانَ ابن السُّلْطَان أبي سعيد عَمّ أبي حَمُّو، فانحاش نَصرُ بن عُمر إليهم، وأخذ بدَعْوة الأمير أبي زيّانَ حيناً، ثم هلَك أيّامَ تلك الفِتْنة. وقام بأمْرهم من بعده أخوه يوسف بن عُمر مُتَقَيِّلاً مَذَاهِبَهُ، وهو لهذا العَهْد وهو سنةُ ثلاثٍ وثمانين صاحبُ جَبَل وَانشَرِيسَ، وحاله مع أبي حَمُّو مختلِفٌ في الطَّاعة والخِلاَفِ. والله مالكُ الأمور ولا رَبّ غَيْرُهُ.

[144 أ]

[بنو تُوجِين، من شُعوب بني يادين. من الطبقة الثانية من زناتة]

• / الخبرُ عن بَني سَلامَةَ أصْحابِ قَلْعةِ تاوَغزُوتْ ورُؤَساءِ بَني يَدْلَلْتَنْ من بُطونِ توجّينَ من هذه الطبقَةِ الثانيَة، وأوليّتُهم ومَصائرُهم [144 ب]

كان بنو يَدْلَلْتَنْ هؤلاء من شُعوب بني تُوجّين وأشدِّهم شوكةً وأوفَرِهم عَدداً، وكان لهم ظهورٌ من بين سائر تلك البُطون، وكان بنو عبد القويّ ملوكُ بني تُوجّينَ يَعْرفونَ لهم ذلك ويوجِبون لهم حَقّه، ولمّا دَخلوا إلى التُلُولِ بعد انقِراض بني يَلُومِي، وبني وَمَانُو، نَزل بنو قاضي منهم وبنو مادُون بأرْض مَنْدَاسَ فأوْطنوها، وجاء بنو يَدْلَلْتَنْ على أثرِهم فأوْطنوا الجَعْبات وتاوَغزُوتْ، ورئاسَتُهم يومئذٍ لنَصْر بن سُلطان بن عيسى. ثمّ هلَكَ فقام بأمرهم ابنُه مَناد ابن نَصْر، ثم أخوه عليُّ بن نَصر من بَعْده[أ]، ثم ابنُه إبراهيم ابن عليّ من بعده، ثمّ هلك، وقام بأمْرهم أخوه سلامةُ بن عليّ على حين[ب] استَفْحل مُلْك عبد القويّ وبَنيه، فاستَفْحل أمرُه هو في قَوْمه واختطّ القلعةَ بتاوَغزُوتْ المنسوبةَ إليه وإلى بَنيه، وكانتْ من قبلُ رِباطاً لبعض المنْقَطعين من عَرب سُوَيْد. ويزعُم بنو سَلامة هؤلاء أنّهم دُخلاءُ في نَسب تُوجّينَ، وأنّهم من العَرب، ثم من بني سُلَيم بن مَنصور؛ جاء جدّهم عيسى أو سلطانٌ نازعاً عن قومه لدَمٍ أصابَه فيهم، فحاطَه شيخُ بني يَدْلَلْتَنْ من بني ....[ج] بنفْسه، وكفلَ بَنيه، فكانتْ له سبباً في رئاسَته على بَني يَدْلَلْتَنْ ولِبَنيه بعده.

ولما هَلكَ سلامةُ بن عليّ قامَ بأمرهم من بعده ابنُه يَغْمراسِن بن سَلامة، على حين اسْتَغْلظ بنو عبد الواد / على بني تُوجّينَ بعد مَهْلِك محمّد بن عبد [145 أ]

(أ) من أ ص. ظ: بعدهم (ب) أ ص. ظ: توجّين (ج) بياض في الأصول.

القويّ سلطانهم الأكبر، فكان عثمان بن يَغمراسن يتردّد إلى بلادهم بالغزو، ويُطيل فيها العَيْثَ، ونازلَ في بعض غزَواته قلْعَتَهم هذه وبها يَغمراسنُ فامتنع عليه، وخالَفه يوسفُ بن يعقوبَ وبنو مرينَ إلى تلِمْسانَ فأجْفَل عن القَلْعة وسابقَ بَني مَرينَ إلى دار مُلكه، واتّبعه يَغمراسن بنُ سلامة مُغيراً في أعْقابه فكَرّ إليه بالمكان المعروف بتَلِيوَان، ودارتْ بينَهم هُنالك حربٌ هلَك فيها يَغمراسنُ بن سَلامة. وقام بالأمر من بعده أخوهُ محمّد بنُ سلامة فأذْعن لطاعة عثمان بن يَغمَراسِن، وخالَف بَني محمد بن عبد القويّ، وجعلَ الإتاوةَ على قومه ووَطنه لملوك بني عبد الواد، فلَم تزلْ عليهم لملوك تلِمْسان.

ولحِق أخوه سعدٌ بالمغرب وجاءَ في جُملة السُلْطان يوسفَ بن يعقوبَ في غَزْوته التي حاصرَ فيها تلِمْسان حصارَهُ الطوّيلَ، فرعَى [السَعْد](أ) بن سلامةَ هِجْرَتَهُ إليه، ووَلاّه على بني يَدْلِلْتَنْ والقَلْعة، وفرّ أخوه محمد بن سلامة فلحِق بجبل راشِدٍ، وأقام هنالك إلى أن هلَك يوسفُ بن يعقوبَ، ورجع أمرُ المغرب الأوسط لبَني عبد الواد، فوَضعوا الإتاواتِ على بني تُوجّين وأصاروهم للجِباية، ولم يزلْ سعدٌ على ولايته إلى هلَك أبو حَمُّو، ووَلِيَ أبو تاشَفين فسَخِط سعْداً وبعثَ عن أخيه محمد من جبل راشدٍ فولاّه مكانَه، ولحِق سعدٌ بالمغربِ، وجاء في جُملة السُلْطان أبي الحَسن، ودخل أخوه محمد مع أبي تاشَفينَ فانحصَر بتلِمْسانَ، ووَلِيَ سعدٌ بن سَلامة مكانَهُ. ثمّ هلَك محمّد في بعضِ أيّام الحِصار وحُروبه.

ولما انقرض أمرُ بني عبد الواد، رغب سعدٌ من السُلْطان تَخْلِيةَ [145 ب] سبيله / لقَضاء فرضه، فحجّ وهلَك مَرْجِعَهُ من الحجّ في طريقه. وعَهِدَ إلى

(أ) ظ ص: سعيد.

السُلْطَان أبي الحسن واسْتَوصاه بِبَنيه على لسان وَلِيّه عَرِيف بن يحيى كبير بني سُوَيْد. فولّى السُلْطَان أبُو الْحَسَن ابنه سليمانَ بن سَعْد على بَني يَذْلَلْتَنْ والقَلْعةِ. وانقرضَ أمرُ السُلْطَان أبي الحسن، وعاد الأمر إلى أبي سعيد وأبي ثابت ابنيَ عبد الرّحمن بن يحيى بن يَغْمراسِن، فكانت بَيْنه وبينهم ولايةٌ وانحرافٌ. وكان أولياؤُهم من العَرب بني سُوَيْد من زُغْبَةَ بما كانوا جيرانَهُمْ في مَواطنهم من ناحية القِبْلة، فطمِعَ وَنْزَمَارُ بن عَريف شيخُهم في التغلّب على وَطن بني يَذْلَلْتَنْ، ومانَعه دونَه سليمانُ هذا، وبالَغ في دفاعه إلى أن مَلَكَ السُلْطَانُ أبو عِنان بلاد المغرب الأوْسط ورعى لوَنْزَمَار وأبيه عَريف حقَّ انحياشهم إليه وهِجْرَتَهُمْ إلى قَوْمه، فأقطع وَنْزَمَار بن عَريف القلعةَ وما إليها وجبايةَ بني يَذْلَلْتَنْ أجمعَ، والْحَقَ سليمانَ بنُ [سعد][أ] بن سَلامةَ في جُنده ووُجوه عَسْكره، إلى أن هلَكَ السُلْطَان وعاد الأمرُ لبني عبد الواد على يَد أبي حَمُّو الأخير، فولّى سليمان على القَلْعة وعلى قومه، واستَغْلظ العربُ عليه فاسْتَرَابَ هذا ونُذِرَ بالشرّ منه، فلَحِق بأولاد عَريف، ثمّ راجعَ الطّاعةَ فتَقبّضَ عليه واغْتاله، وذهب دمُه هَدراً. ثم غلَبه العربُ على عامّة المغرب الأوسط، وأقطعَ القلعةَ وبَني يَذْلَلْتَنْ لأولاد عَرِيف اسْتِئْلافاً لهم، ثم أقطعهم بني مادُونَ، ثم مَنْدَاس، فأصْبَحت بُطون تُوجِّين كلُّها خَوَلاً[1] لسُوَيْد وعبيداً لجِبايتهم، إلاّ جَبَل وَانْشَرِيسَ فإنّه لم يزلْ لبني تِيغرِينْ، / والوالي عليهم يوسفُ بن عمر منهم كما قلناه. ونظمَ أبو حَمُّو أولادَ سَلامة في جُنده وأثْبتَهم في ديوانه، وأقْطعهم القَصَبات من نواحي تلِمْسانَ في عَطائهم، وهم على ذلك لهذا العهدِ. ولله الخلقُ والأمرُ. [146 أ]

(أ) ظ ص: سعيد.

---

(1) من خال، والخول هم العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية.

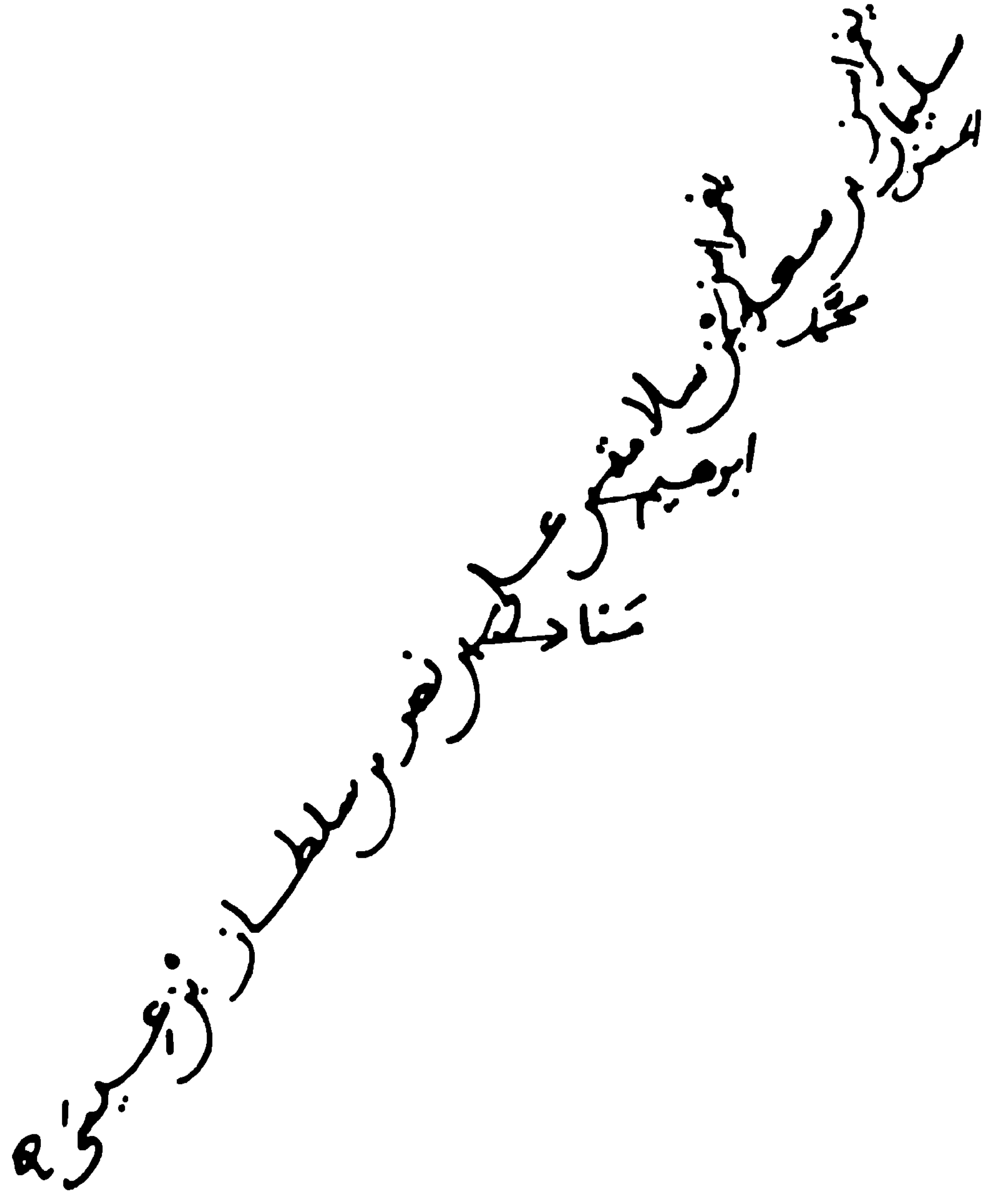

[بنو سلامة أصحاب قلعة تاوَغزُّوت من العرب، الدّاخلون في نسب توجّين]

• / الخَبَرُ عن بني يَرْناتَن إحدى بُطونِ تُوجّينَ من هذه الطبقةِ الثّانيةِ، وما كان لهُم من التّغلبِ والإمَارةِ، وذكرُ أوّليّتهم ومَصَائرِهِم [146 ب]

كان بنو يَرْنَاتَنَ هؤلاء من أوْفرِ قَبائل بني تُوجّينَ وأعَزِّهم جانِباً وأكْثرِهِم صِيتاً، ولمّا دخل بنو تُوجّين إلى تُلُول المغرب الأوسط، أقاموا بمواطنهم الأولى ما بين ما حَنون ووَزّينةَ ثم يَغُودَ من القِبلة، يجولون جانِبَيْ نَهْر واصِل من أعلى وادي شَلَف. وكانت رئاسَتُهم في بني نَصْر بن عليّ بن تميم بن يوسف بن بُو نَوالَ، وكان شيْخُهم مَهيبُ بنُ نصرٍ منهم، وكان عبد القويّ بن العبّاس وابنُه محمد أمراءُ بني تُوجّين يختَصّونهم بالأُثْرَةِ والتّجلّة لمكانهم من قَوْمهم، وما يُؤنسون من عَظيمِ غَنائهم. وكان محمد بن عبد القوي في سلطانه يُولّي عليهم من الحَشَمِ أولادَ عزيز، وكان واليهم لعَهْده وعَهْد بَنيه عَبّو بن حسن بن عزيز، وقد كان أصْهَرَ مَهيبُ بن نصر إلى عبد القويّ في ابْنَتِه فأنْكَحه إيّاها وولَدت له نصرَ بن مَهيب، فَشَرُفَتْ خُؤولَتُه بمحمد بن عبد القويّ، وعلا كعبُه في إمارته. ثمّ وَلِيَ بعده ابنُه عليّ بن نصر، وكان له من الوَلَد • نَصرٌ وعَنْتَر(أ) وآخرون يُعرفون بأمّهم واسمها تاسَرْغينت، ووَلِيَ بعده ابنُه •(ب) نصر بن عليّ فطال أمدُ إمارته في قَوْمه. واختلَف بنو عبد القويّ وغَلَبَهُم بنو عبد الواد على ما بأيديهم فَصَرَفَتْ مُلوكُ زَناتة وَجْهَ العنايةِ إليه، فَبَعُدَ صيته، وعُرِفَ بَنوه من بعده بشُهْرته، وكان وَلوداً، فيقال/ إنّه خَلَّف ثلاثةَ عشر من البَنين ما منهم إلاّ صاحب حَرْب أو [مِقْنَبٍ](ج). ومن [147 أ]

(أ) ص: عنبر، وفي المشجر: عنتر (ب) سقط ما بين النجمين من أ (ج) من أ ص. بياض في ظ. والمِقْنَبُ: كفّ الأسد، والجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

مشاهيرهم عَمر الذي قتلَه السُّلْطَانُ أبُو الْحَسَن بِمَرَاتَ حين سُعِيَ به أنّه داخَل في اغْتياله، ففَرّ وأُدْرِكَ فقُتِل بِمَراتَ. ومنهم مِنْدِيلُ الذي قتله بنو تِيغرين أيّامَ وَلّوْا عليّ بن الناصر، وقتلوا معه عَبّو بن حسن بن عزيز. ومنهم عِنان، ومات قتيلاً في حصار تلِمْسانَ أيّام أبي تَاشَفينَ. ومنهم مسعودٌ، ومُهيبٌ وسعدٌ، وداودُ، وموسَى، ويعقوبُ، والعبّاسُ، ويُوسُفُ في آخرين معروفين عندهم. هذا شأنُ أولاد نَصر بن عليّ بن نَصر بن مَهيب.

وأما ولدُ عَنْتر أخيه، فكان منهم أبو الفُتوح بن عَنْتر، ثمّ من وَلَده عيسى بن أبي الفتوح، فكان رئيساً على بني أبيه، وكانت إحْدى وَصائفهم سقطت بدار عُثْمان بن يَغْمراسِن وادّعت الحملَ من سيّدها أبي الفتوح، وجاءت بأخ لعيسى سمي مُعَرّفاً، فربَى بدارهم، واستَوْزَره أبو حَمُّو وابنُه من بعده، وبلغ المبالغَ في دَوْلتهم، وكان يدعى مُعَرّفَ الكبيرَ، ولحِق به أيّام رئاسته في دَوْلة أبي حَمُّو الأوّل أخوه عيسى بنُ أبي الفتوح مُغاضِباً لقومه، فسعَى له في الولاية على بني راشِدٍ وجِباية أوْطانهم، وأنزلَه بلدَ سعيدةَ فكانت له بها إمارَةٌ، وكان له من الولَد: أبو بكر، وعَبّو، وطاهر، ووَنْزَمّار، وعندما غلَب بنو مَرينَ على بني عبد الواد وَلاّهم السُّلْطَانُ أبُو الْحَسَن على بني يزْناتَنْ مُتَداولينَ.

وأما ولدُ تَاسَرْغِينْتْ من بني عليّ بن نَصر بن مَهيب، فلَم يكن لهم ذكرٌ في رئاسة قَوْمه، إلاّ أنّ بعضَ وصائِفهم سقطَتْ أيضًا إلى دار أبي تَاشَفينَ فولَدتْ غُلاماً يُعرف بعَطيّة بن موسى، / نشأ في دارهم ينْتسِب إلى [147 ب] بني تاسَرْغينت[1] هؤلاء، وتناولَتْه النّجابَةُ في خِدْمَتهم فوَلّوْه الأعمالَ النّبيهة،

(1) أ: تاسرغنيت.

وهو لهذا العَهْد عاملُ أبي حَمُّو الأخير على شَلَف وما إليه، وقد غلَب العَربُ لهذا العَهْد على وطن بني يَزْنَاتَن، وملكوا عليهم يَفُودَ، ومَاخَنُونَ، وبقيَتْ صُبَابَتُهُمْ بجبل وَزِّينَة، وعليهم لهذا العَهْد ....[أ] من ولَد نصر بن عليّ بن نَصْر بن مَهيب، يُعطون المَغْرَمَ للسّلطان، ويُصَانِعُون العربَ بالإتاوة. وبيد الله تصاريفُ الأمور.

الحمد لله وحده[1]،

صلواته على سيّدنا محمد وآله وصَحْبه وسلامُه

حسبنا الله ونعم الوكيل،

كمُلَت أخبارُ بني يَزْنَاتَنْ من بُطون تُوجّين من زَناتة، وبكَمَالها كَمُلَ الجزءُ الثّالث عَشَر من كتاب الظّاهري في العِبر بأخْبار العَرب والعَجم والبَرْبر، ويتْلوه في الجزء الرّابع عشَر: الخبرُ عن بَنِي مَرينَ من زَنَاتة وما تاثّلوهُ بالمغرب الأقصى من المُلْك والدّولة.

والحمد لله حقَّ حَمْدِه.

(أ) فراغ في الأصول مقدار كلمتين .

(1) تنفرد نسخة "ظ" بهذه الخواتم لكل أجزائها التامة الأربعة عشر. أمّا نسخة "أ" "ص" فهي من التقسيم السّباعي للكتاب، حيث يتواصل إثرها الجزء الرابع عشر من غير فصل .

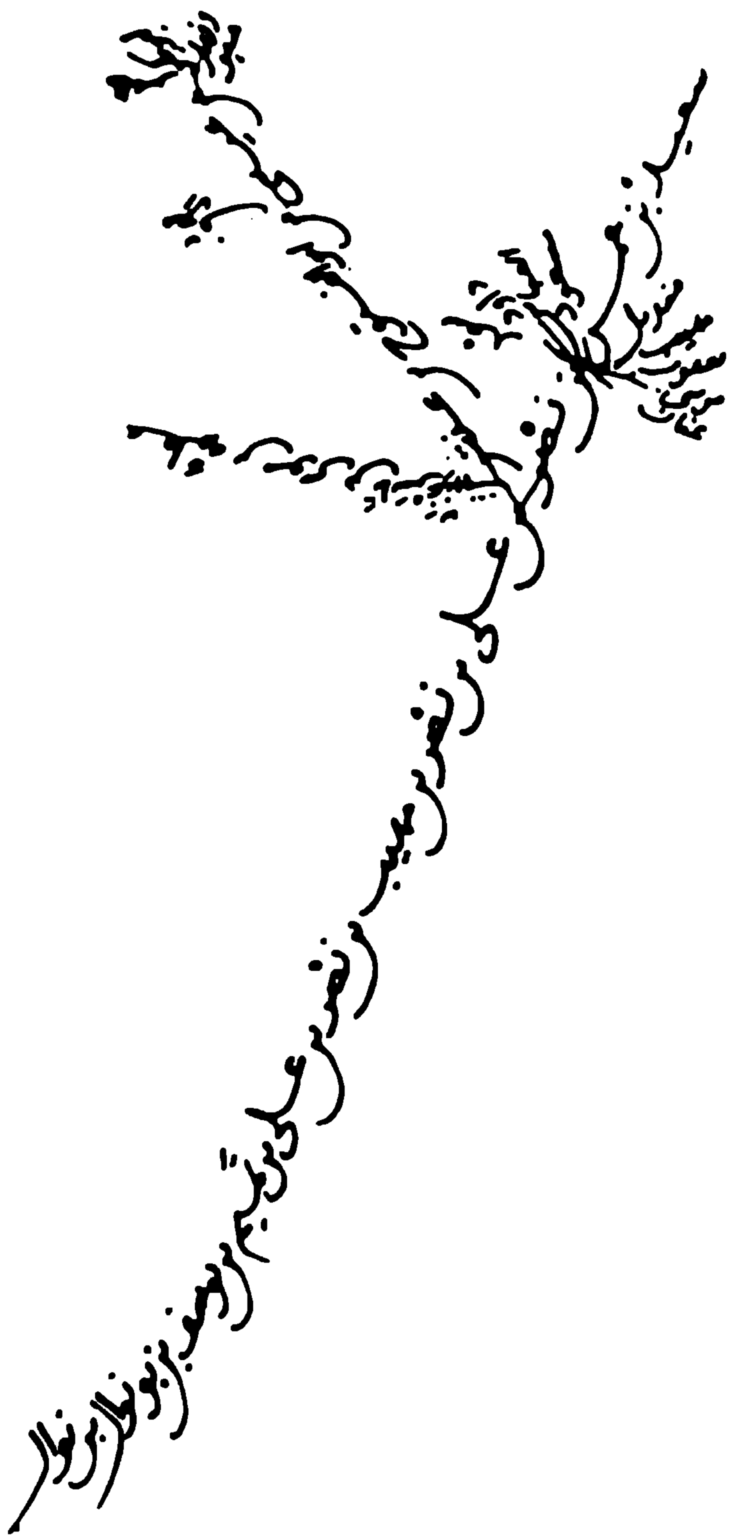

[رؤساء بني يونوال من بني تزناتن من توجين]

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ
دار صادر، بيروت 1965 -7 .
- ابن الأحمر: روضة النسرين، في دولة بني مرين
حققه وترجمه Ghaoutsi Bouali , Georges Marçais .
- الأدريسي، محمد بن محمد الحمودي الحسني ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
(نقلاً مصورًا عن طبعة نابولي - إيطاليا) ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - د.ت .
- الإيلاني، صالح بن عبد الحليم ، مفاخر البربر
تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق - الرباط 2008 .
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز: كتاب المسالك والممالك
حققه (!) أدريان فان ليوفن - اندري فيري ، بيت الحكمة - الدار العربية للكتاب - تونس 1992 .
- التادلي، يوسف بن يحيى: التشوف إلى رجال التصوف
وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، جامعة محمد الخامس- الرباط 1997.
- التجّاني، عبد الله بن محمد، رحلة التجاني
قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، كتابة الدولة للمعارف - المطبعة الرسمية - تونس 1958.

- الجعبيري، فرحات : نظام العزّابة عند الإباضية الوهبية في جربة
  المعهد القومي للآثار والفنون – تونس 1975.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
  تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة – القاهرة 1966.
- ابن حزم، علي بن أحمد : جمهرة أنساب العرب
  تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة – 1962.
- ابن حمّاد: أخبار ملوك بني عبيد
  نشره فاندر هايدن M.Vonderheyden ، الجزائر 1927 .
- ابن خلدون، يحيى بن محمد : بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد
  تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية - الجزائر 1980 .
- ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا
  تحقيق محمد بن تاويت الطّنجي، راجعه وأعدّه إبراهيم شبوح ، دار القيروان - تونس 2006.
- الدرجيني ، أحمد بن سعيد : طبقات المشائخ بالمغرب
  تحقيق إبراهيم طلاّي، قسنطينة – الجزائر 1974.
- ابن دريد، محمد بن الحسن : الاشتقاق
  تحقيق عبد السلام هارون ، مؤسسة الخانجي – القاهرة 1958.
- ابن أبي زرع، علي الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس
  راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية ط2- الرباط 1999.

- الزركلي، خير الدين : الأعلام

دار العلم للملايين - بيروت 1984.

- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب السير

تحقيق محمد حسن، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . تونس 1995

- ابن السمعاني، عبد الكريم بن محمد : الأنساب

صورة مخطوط مصور نشر في سلسلة ذكرى E.J.W.Gibb أعدّها د. س مرجليوت D.S Margouliouth، مطبعة بريل - ليدن 1912.

- ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد : المنّ بالإمامة على المستضعفين

تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس - بيروت 1964.

- ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين

تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز – دار الغرب الإسلامي – بيروت 1986

- الطبري، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة 1960.

- ابن عبد البر، يوسف: القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم

مكتبة القدسي - القاهرة 1350 هـ .

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر وأخبارها

حققه Charles C.Torrey جامعة Yale ، مطبعة بريل - ليدن 1920 .

- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

حققه ج. س. كولان، أ. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ومصورة عن الطبعة الأصلية د. ت - بيروت 1948.

- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب
(قسم الموحدين)، حققه إبراهيم الكتاني - محمد بن تاويت - محمد زنيبر - عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي - دار الثقافة الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر - المغرب 1985.

- الغبريني، أحمد بن أحمد : عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية
تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة – بيروت 1979.

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب
تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث – القاهرة 1972.

- ابن قتيبة، عبد الله بن سالم الدينوري: كتاب المعارف
تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف - مصر.

- كربخال، مرمول: إفريقيا
ترجمه محمد حجي، محمد زنبير، محمد الأخضر ، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون. مكتبة المعارف - الرباط 1984.

- المالكي، عبد الله بن محمد : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، وزهادهم ونُساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم
تحقيق بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1983.

- مجهول : مفاخر البربر
نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، نشر أ. ليفي بروفنسال ، الرباط 1934.

- ابن مرزوق، محمد التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن
حققه ماريا خيسوس فيغرا Viguera ومحمود بوعياد، المكتبة الوطنية - الجزائر 1981.
- المسعودي، علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر
طبعة دوميناردDe Mynard و دوكرتاي De Carteille تنقيح شارل بلاّ Charles Pellat ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان 1966.
- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
نشره دوغوية H.J.De Goeje، مطبعة بريل - ليدن 1909 .
- ابن ناجي، أبو القاسم بن عيسى : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان
(الجزء الأول)، حققه إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي - القاهرة 1968.
- النعمان، القاضي النعمان بن محمد: كتاب المجالس والمسايرات
تحقيق الحبيب الفقي - إبراهيم شبوح - محمد اليعلاوي. الجامعة التونسية - المطبعة الرسمية - تونس 1978.
- الورجلاني، أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم
تحقيق إسماعيل العربي – نشر دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط2 - 1982
- الوزّان ، الحسن بن محمد : وصف إفريقيا
ترجمة محمد حجّي - محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان 183.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان
دار صادر - بيروت 1995.

الصفحة

تقديم إبراهيم شبّوح أ

● الخبرُ عَن زَناتَةَ مِن قبائلِ البَربرِ ومَا كانَ في أجْيالِهم [بالمَغرِبِ] مِن العزّ والظُّهورِ، ومَا تَعاقب فِيهم من الدُّولِ القَديمَةِ والحادثَةِ 3

• الخبرُ عن نَسبِ زَناتَة، وذِكرِ الخِلافِ الواقعِ فيه، وتَعْديدُ شُعوبِهم 4

• فصلٌ في تسْمِيَة زَناتَة، ومَبْنى هذه الكَلِمة 13

• فَصْلٌ في أوليّةِ هذا الجيلِ وطَبقَاتِه 14

• الخبَرَ عن الكاهنَة وقومِها جَراوَة من زَناتَة، وشأنُهم مع المُسلمينَ عند الفتح 16

• الخبَرَ عن مُبْتَدإ دُوَلِ زَناتَة في الإسلام، ومصيرُ المُلْك إليهم بالمَغربِ وإفْرِيقيّة 18

● الطبقةُ الأولَى من زَناتَة: ونبدأ منها بالخبر عن بني يَفْرَن وأنسابِهم وشُعوبِهم وما كان لهم من الدُّول بإفْريقيّة والمغرب 21

• الخبرُ عن أبي قُرَّة وما كان لهُ ولقَوْمِه منَ المُلْك بتلِمْسان، ومبْدأُ ذلك ومَصايِرُه 24

• الخبَرَ عن أبي يزيدِ الخَارِجيّ صاحِبِ الحمارِ مِن بني يَفْرَن، ومبْدأُ أمْرِه مع الشّيعة ومصائرُه 26

• الخبرَ عن الدّوْلة الأوْلَى لبنى يَفْرَن بالمغرب الأوْسَط والأقْصَى، ومَبادئُ أمُورِهِمْ ومصائرُهَا 35

- الخبرُ عن الدولة الثانيةِ لبنى يفرن بسلا من المَغربِ الأقصى، وأوليةُ ذلك وتصاريفهُ 37
- الخبرُ عن أبي نُورٍ بن أبي قُرّة اليفرنيّ وما كان لهُ من المُلك بالأندلس أيام الطّوائف 48
- الخبَرُ عنْ مَرَنْجِيصَةَ من بُطُون بني يفرن، وشرْح أحوالهم 49
- الخبرُ عن مَغراوة من أهلِ الطّبقة الأولى مِن زَناتة ومَا كان لهُمْ مِن الدّولِ بالمغرب، ومَبدأُ ذلك وتصاريفهُ 51
- الخبَرُ عَنْ آلِ زيري بن عَطِيّة مُلوك فاس وأعمالها، من الطّبقةِ الأولَى منْ مَغرَاوة، وما كان لهمْ بالمَغرب الأقصَى مِن المُلكِ والدّوْلةِ، ومَبادِيء ذلكَ وتصَاريفِهُ. 60
- الخبَرُ عَن بني خَزْرُونَ مُلوك سِجِلْمَاسَةَ مِن الطّبَقَةِ الأولَى مِن مَغرَاوَة، وأوّلِيّة مُلكِهم ومَصَائره 78
- الخبَرُ عَن مُلوكِ طَرابلُس من بني خَزرونَ بن فَلْفُول مِن أهْلِ الطّبَقَة الأولَى، وأوّليّةُ أمْرِهم وتصاريفُ أحوالهم 82
- الخبرُ عن بني يَعْلَى ملوكِ تلمسان من آل خَزَر من أهلِ الطّبقةِ الأولى، والإلمامُ ببعْضِ دَوْلتِهم ومَصائِرِها 93
- الخبَرُ عَنْ أُمَراء أغمَاتَ من مَغراوة 96
- الخبرُ عن بنى سَنجاس وريغة ولغواط وبنى وَرّا من قبائل مَغراوَة من أهل الطّبَقَةِ الأولَى وتصاريف أحوالِهم. 97
- الخبَرُ عن بني يَرْنِيّان إخوةِ مَغراوَة، وتَصاريِف أحوالهم 102

- الخبرُ عن وَجْدِيجَن وَأُوغَمَرْتْ من قبائِلِ زَناتَة، ومَبادِئُ أحْوَالهم وتصاريفُها 104
- الخبرُ عن بني وَارَكلا من بُطون زَناتَة والمِصْرِ المَنسُوبِ إليهم بصَحْراءِ إفْرِيقيَة، وتصارِيفُ أحوالِهم 106
- الخبرُ عن دَمَّر مِن بُطون زَناتَة، ومن وَلِيَ منهم بالأندَلُسِ، وأوَّلِيةُ ذلك ومَصايِرُه 108
- الخَبَرُ عن بَرْزَال إحْدَى بُطُون بني دَمَّر، وَمَا كَانَ لَهُم من المُلْكِ بِقَرْمُونَةَ وأعمالِهَا من الأندَلُسِ أيَّام الطَّوائِفِ، وأوَّليةُ ذلك ومَصائِرهُ 112
- الخبرُ عن بَني وَمانُو وبنِي يَلُّومِي من الطبقةِ الأُولَى من زَناتَة، وما كان لهم من الملك والدَّولة بأعمالِ المَغربِ الأوْسَط، ومَبدَأُ ذلكَ وتَصارِيفُه 115
- ومن بطون بني وَمانُو هؤلاء قبائلُ بني يَالْدَس 118
- أخبارُ الطَّبقة الثَّانية من زناتَة، وذِكْرُ أنسابِهم وشُعوبِهم، وأوَّليَّتُهم 120
- الخَبرُ عن أحْوال هذه الطَّبقة قَبْلَ المُلك، وكَيف كانت تَصاريفُ أحوالِهم إلى أن غَلَبوا على المَمالك والدُّول 127
- الخبرُ عن أولادِ مِنْديلَ من الطَّبقة الثَّانية، وما أعادوا لقومهم مَغْراوة من المُلْك بمَوطِنهم الأوّلِ من شَلَف وما إليه من نواحي المغرِب الأوْسَط 131
- الخبرُ عن دوْلة بني عَبْد الواد من هذه الطَّبقة الثَّانيةِ، وما كان لهم بتِلِمْسَان وبلاد المغرِب الأوْسط من المُلك والسُّلطان، وكيف كان مَبدأُ أمْرِهم ومصائرُ أحوالِهم 146

● الخبرُ عن تِلِمْسانَ وما تأدّى إلينا من أحوالِها، من لَدُن الفتح إلى أن تأثّل بها سلطانُ بني عَبْدِ الوَادِ ودَوْلتهُم 153

● الخبرُ عن اسْتِقلال يَغْمُراسِنَ بن زيّانَ بالمُلك والدّولة بتلمْسانَ وما إليها، وكيف مَهّد الأمرَ لقوْمه وأصارَهُ تُراثًا لبَنيه 159

• الخبرُ عن اسْتيلاء الأمير أبي زَكَرِيّاء على تِلِمْسانَ، ودخولُ يَغمُراسِنَ في دَعْوته 160

• الخبرُ عن نُهوض السّعيد صاحبِ مَرّاكُش، ومُنازلَته يَغْمُراسِنَ بجبل [تامْزيزدَكْت]، ومَهْلَكِه هنالك 164

• الخبرُ عمّا كان بين [يَغْمُراسِنَ] وبين بني مَرِينَ من الأحْداث سائرَ أيّامه 168

• الخبرُ عن كائنة النّصارى وإيقاعِ يَغْمُراسِنَ بهمْ 170

• الخبرُ عن تغلُّب يَغْمُراسِنَ على سِجِلْماسةَ، ثمّ مصيرُها بعدُ إلى إيالةِ بني مَرِينَ 171

• الخبرُ عن حُروبِ يَغْمُراسِن مع يعقوبَ بن عبدِ الحَقّ 173

• الخبرُ عن شأن يَغْمُراسِنَ مع مغْراوةَ وبني تُوجّينَ، وما كان بينهم من الأحْداث 174

• الخبرُ عن انْتِزاء الزّعِيم بن مَكْنٍ ببلَد مُسْتغانم 177

• الخبرُ عن شأن يَغْمُراسِنَ في مُعاقَدته مع ابن الأحْمَر والطّاغِية على فِتْنة يعْقوبَ بن عَبْدِ الحقّ، والأخذِ بحُجْزته 179

• الخبرُ عن شأن يَغْمُراسِنَ مع الخُلفاء من بني أبي حَفْص الذين كان يُقيمُ بتلمْسانَ دعوتَهم ويأخذ قومَه بطاعتهم 180

● الخبرُ عن مَهلك يَغمُراسِن بن زيّان، وولايةِ ابنه عُثمان، وماكان في دَوْلته من الأحداث 183

• الخبرُ عن شأن عُثمانَ بن يَغمُراسِنَ مع مَغراوةَ وبني تُوجّين، وغلَبه على مَعاقِلِهم والكثيرِ من أعمالهم 185

• الخبرُ عن مُنازلة بِجايةَ وما دَعا إليها 187

• الخبرُ عن مُعاوَدة الفِتْنة مع بني مَرِينَ، وشأنِ تلمسانَ في الحصار الطّويل 188

● الخبرُ عن مَهْلك عُثْمانَ بن يَغمُراسِنَ، وولايةِ ابنه أبي زيّان، وانتهاءِ الحِصار من بَعْده إلى غايته 190

• الخبرُ عن شَأن السّلطان أبي زيّانَ من بعْد الحِصار إلى حين مَهْلكِه 195

• الخبرُ عن مَحْو الدّعوة الحَفْصيّة من مَنابِر تلمسان 196

● الخبرُ عن دَوْلة أبي حَمُّو الأَوْسَط موسى بن عُثْمانَ، وما كان فيها من الأحْداث 197

• الخبرُ عن اسْتِنْزَال زيرمْ بن حمّادٍ من ثَغْر برَشْك، وما كان من قَتْلِه 198

• الخبرُ عن طاعَة الجزائر واسْتِنْزال ابن عَلّانَ منها، وذكر أوّليته 201

• الخبرُ عن حَرَكة صاحب المَغْرِب إلى تِلِمْسانَ، وأوليّةِ ذلك 203

• الخبرُ عن مَبْدإ حِصار بجايةَ وشرْحُ الدّاعية إليْه 204

• الخبرُ عن خُروج محمّد بن يُوسف ببلاد بني تُوجّينَ، وحروبِ السّلطان معه 206

208 ● الخبرُ عن مَقتل السّلطان أبي حَمُّو وولايةِ ابنه أبي تاشفينَ من بَعْده

212 ● الخَبَرَ عن نُهوضِ السُّلْطانِ أبي تاشفينَ إلى مُحمّدِبن يُوسُف بجَبَل وانْشَرِيسَ، واستيلائِهِ عليه [ومقتلِه]

213 ● الخَبَرَ عن حصار بجايَةَ، والفِتْنةُ الطّويلَةُ مع المُوحّدينَ التي كأن فيهَا حَتفهُ وذهَابُ سُلْطانه وانقراضُ الأمرِ عن قَوْمه بُرْهَةً من الدّهْرِ

217 ● الخَبَرَ عن مُعاودة الفِتْنة مع بنِي مَرينَ وحِصَارِهم تلمْسَانَ، وَمقْتَلُ السُّلْطانِ أبي تاشَفينَ

222 ● الخَبَرَ عن رِجَال دَوْلَته، وَهُم: مُوسَى بنُ عَليّ، ويَحْيَى بنُ مُوسَى، ومَوْلاَهُ هلاَلُ، وَأوّلِيّتِهم ومَصائرِ أمورِهم

228 ● الخبر عن انْتِزاء عُثمانَ بن جَرّار عَلى مُلك تلمْسان بعد نَكْبَةِ السُّلْطانِ أبي الحسَن بالقَيْرَوانِ، وعوْدِ المُلْكِ بذلك لبني زَيّانَ

229 ● الخَبَرَ عن دَوْلة أبي سعيدٍ وأبي ثابت [ابني عبد الرحمن بنِ يَحيى بن يَغْمَرَاسِن]، وما كان فيها من الأحْداثِ

233 ● الخَبَرَ عن لِقاءةِ أبي ثابتٍ مع النّاصر بن السُّلْطان أبي الحسنِ، وفَتح وَهْرانَ بَعْدها

235 ● الخَبَرَ عن وُصول السُّلْطان أبي الحسنِ من تونِس، ونُزوله بالجزائرِ، وما دارَ بَينه وبين أبي ثابتٍ من الحروب، ولحاقِه بعد الهزيمةِ بالمغرب

238 ● الخَبَرَ عن حُروبهم مع مَغْراوة، واسْتيلاءِ أبي ثابتٍ على بلادهِم ثمّ على الجزائرِ، ومقتلِ عليّ بنِ راشدٍ بتَنَس على إثْر ذلكَ

• الخبَرُ عنْ اسْتيلاءِ السُّلْطانِ أبي عنانٍ على تلمْسانَ، وانقراضِ أمرِ بني عَبْدِ الوادِ ثانيةً 239

• الخبَرُ عن دَوْلةِ السُّلْطانِ أبي حَمُّو الأخيرِ مُديلِ الدّولةِ بتلمْسانَ في الكَرَّةِ الثّالثةِ لقَوْمِهِ، وشَرْحُ ما كان فيها من الأحْداثِ لهذا العهدِ 242

• الخبَرُ عن إجْفالِ أبي حَمُّو من تِلمْسانَ أمامَ عساكِرِ المغربِ، ثم عَوْدِهِ إليها 244

• الخبَرُ عن مَقْدَمِ عبدِ اللهِ بنِ مُسْلِمٍ من مكانِ عَمَلِهِ بدَرْعَة، ونُزُوعِه من إيالةِ بني مَرينَ إلى أبي حَمُّو وتقليدِهِ إيّاهُ الوزارةَ، وذِكْرِ أوليّتِهِ ومَصائِرِ أمُورِهِ 246

• الخبَرُ عن اسْتيلاءِ السُّلْطانِ أبي سالمٍ على تلمْسانَ، ورجوعِهِ إلى المغربِ بعد أن ولّى عليها أبا زيّانَ حافِدَ السُّلْطانِ أبي تاشَفينَ، ومآلِ أمرِهِ 248

• الخبَرُ عنْ قُدُومِ أبي زيّانَ بنِ السُّلْطانِ أبي سعيدٍ من المغربِ لطلَبِ مُلْكِهِ، وما كان من أحْوالِهِ 250

• الخبَرُ عَنْ قُدُومِ أبي زيّانَ حافِدِ السُّلْطانِ أبي تاشَفينَ ثانِيةً من المَغْربِ إلى تلمْسانَ لطلبِ مُلْكِها، ومَا كانَ مِنْ أحْوالِهِ 252

• الخبَرُ عنْ حركةِ أبي حَمُّو عَلى ثُغُورِ المغربِ 254

• الخبَرُ عن حركةِ السُّلْطانِ أبي حَمُّو إلى بجايةَ، ونكبتِهِ عليها 255

• الخبَرُ عن خُرُوجِ أبي زيّانَ بالقاصيةِ الشّرقيةِ من بلاد حُصَيْن، وتَغَلُّبِهِ على المَدِيَّةِ والجزائرِ ومِلْيانة، وما كان من الحرُوبِ معهُ 258

• الخبَرُ عن حركَةِ السُّلْطان عبد العزيزِ على تلمسانَ، واستيلائِه عليها، ونَكْبَةِ أبي حَمُّو وبني عامر بالدّوسَن من بلادِ الزّابِ، وخُرُوجِ أبي زيّانَ من تيطري إلى أحياءِ رياح 261

• الخبَرُ عن اضطرابِ المغرب الأوسطِ وَرُجُوعِ أبي زيّانَ إلى تيطري، وإجلابِ أبي حَمُّو على تلمسانَ ثم انهزامِهما وتشريدِهما عن سائرِ النّواحِي 264
• الخبَرُ عن عَوْدة السُّلْطَان أبي حَمُّو الأخير إلى تلمسانَ الكرّةَ الثّالثة لبني عبد الوادِ في المُلْكِ 267
• الخبرُ عن رُجوعِ أبي زيّانَ بن السُّلْطَانِ أبي سعيدٍ إلى بلاد حُصَيْن، ثمّ خروجِهِ عنها 268
• الخَبرُ عن إجْلابِ عبد الله بن صُغَيْرٍ وانتقاضِ [أبي بَكْرٍ] بن عَرِيف وبَيْعَتِهما للأميرِ أبي زيّانَ، ورجوعِ أبي بَكْرٍ إلى الطّاعة 269
• الخَبَرُ عن وصول خالد بن عامرٍ من المَغْرِبِ، والحَرْبِ التي دارَتْ بَيْنه وبينَ سُوَيْدٍ وأبي تاشَفين هَلَكَ فيها عبدُ الله بن صُغَيْرٍ وإخوانُه 270
• الخَبَرُ عن انتِقَاضِ سالمِ بنِ إبراهيم، ومُظاهَرتِهِ خالدَ بنَ عامرٍ على الخِلاف، وبيْعتِهما للأميرِ أبي زيّانَ، ثم مَهْلِك خالد، ومراجعة سالمٍ الطاعةَ، وخروجِ أبي زيّانَ إلى بلاد الجَرِيد 272
• قِسمَةُ السّلطانِ الأعمالَ بيْن وَلَدِه، وما حدثَ بينهم من التّنافُسِ 276
• وَثْبَةُ أبي تاشَفين بيَحْيى بنِ خَلْدون كاتبِ أبيه 277
• حَركَةُ السّلطان أبي حَمُّو على ثُغورِ المغربِ الأقْصَى ودخولُ ابْنِهِ تاشَفين إلى جِهات مِكْناسَة 279
• نُهوضُ السُّلْطَان أبي العبّاس صَاحِبِ المغربِ إلى تِلِمْسانَ واسْتيلاؤُهُ [عليها]، واعتصامُ أبي حَمُّو بحِصْنِ تاجَحْمُومَتْ 281
• رُجوعُ السُّلْطَان أبي العبّاسِ إلى المَغرب واختلالُ دَوْلَته، ورُجوعُ السُّلْطان أبي حَمُّو إلى مُلْكِهِ بتلِمْسانَ 282

- تَجَدُّدُ المُنافَسَةِ بَيْن وَلَدِ السُّلْطَان أبي حَمُّو ومُجَاهَرَةُ أبي تَاشَفِينَ بِذلك لَهم و[لأبِيه] 283
- خَلْعُ السُّلْطَان أبي حَمُّو واسْتِبْدادُ ابنهِ أبي تَاشَفين بالمُلْكِ واعْتِقَالُه إيّاه 284
- خُرُوج السُّلْطَان أبي حَمُّو من الاعْتِقَالِ ثَمّ القَبْض عليه وتَغْرِيبُهُ إلى المَشْرِقِ 285
- نُزُول السُّلْطَان أبي حَمُّو بِبجَايَة من السُّفين واسْتِيلاَؤُه على تِلِمْسانَ ولَحاقُ أبي تَاشَفين بالمَغْرِبِ 287
- نُهوضُ أبي تَاشَفين بعَساكِر بَنِي مَرِينَ، ومَقْتلُ السُّلْطَان أبي حَمُّو 289
- مَسِيرُ أبِي زيّانَ بن أبِي حَمُّو لِحِصَارِ تِلِمْسانَ ثَمّ إجْفَالُهُ عَنها ولَحَاقُهُ بصَاحِبِ المغرِبِ 291
- وَفاةُ أبي تَاشَفِينَ واسْتِيلاءُ صَاحبِ المَغرِبِ على تِلِمْسانَ 291
- وَفَاةُ أبي العبّاس صاحبِ المغربِ واستيلاءُ أبي زيّانَ بن أبي حَمُّو على تلمسانَ والمغربِ الأوسطِ 292
- الخَبَرُ عن بَنِي كَمِّي إحْدى بُطُون بني القَاسِمِ بن عبد الوادِ، وكيف نَزَعُوا إلى بَنِي مَرِينَ، وما صَارَ إليهم بنَواحِي مَرّاكُش وأرضِ السُّوسِ من الرِّئاسَةِ 296
- الخَبَرُ عن بني راشدِ بن مُحَمَّدِ بن يَادِينَ وذِكْرُ أوّلِيتّهم وتصارِيفِ أحْوَالِهِم 300
- الخَبَرُ عن بَني تُوجِّينَ من شُعُوبِ بني يَادِين من أهل هذه الطَّبقة الثّانية من زَنَاتَة، وما كان لهمُ من الدّوْلَة والسُّلطان بالمَغرِبِ الأوْسط، وأوّلِيَّةُ ذلك ومَصائِرُه 303

• الخبَرُ عن بني سَلامةَ أصْحابِ قَلْعةِ تاوَغزُوتْ ورُؤساءِ بني يَدْلَلْتَنْ من بُطونِ تُوجّينَ من هذه الطَّبقةِ الثانيَة، وأوليَّتِهم ومَصائِرُهُم 318

• الخبَرُ عن بني يَزْناتَنْ إحدى بُطونِ تُوجّينَ من هذه الطبقةِ الثّانيةِ، وما كان لهُم من التّغلُّبِ والإمَارةِ، وذكرِ أوّليّتِهم ومَصائِرِهِم 322

المصادر والمراجع 327

المحتوى 335